

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ / اللهم يسر يا كريم يا حلیم ! قال الشيخ الإمام العالم العامل العلامة ،
الحبر البحر الفهامة ، المتقن الحافظ الضابط ، المجاهد في سبيل الله المرابط ،
برهان الدين لسان المتكلمين حجة المناظرين سيويوه هذا الحين أبو الحسن
إبراهيم البقاعي الشافعي - بلغه الله من الأولى و الأخرى ما يتمناه ، وجعل ه
الفردوس مقره ومأواه بمحمد وآله ١ .

سورة المائدة ٢

[وتسمى سورة العقود و سورة الأحبار - ١]

مقصودها الوفاء بما هدى إليه الكتاب ، ودل عليه ميثاق العقل
من توحيد الخالق ورحمة الخلاق شكرنا نعمه ٦ واستدفاعا لنقمه ٧ ، ١٠
وقصة المائدة ٨ أدل ما فيها على ذلك ، فان مضمونها أن من زاغ عن

- (١) كتب فوقه في الأصل « الجزء الثاني من المناسبات في التفسير » ، ومن هنا
إلى آخر سورة الأنعام لم تيسر لنا نسخة مد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٢) وهى مدنية فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة ، و قال أبو جعفر بن بشر
والشعبي : إنها مدنية إلا قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم » فانه قول بمكة ،
وعدة آيها مائة وعشرون عند الكوفيين ، وثلاث وعشرون عند البصريين
و اثنان وعشرون عند غيرهم - راجع روح المعاني ٢ / ٢٣٩ (٤) زيد ما بين
الحاجزين من ظ (٥) فى ظ : توجيه (٦) فى ظ : للنعمة (٧) فى ظ : للنقمة .
(٨) سقط من ظ .

الطمأنينة بعد الكشف الشافي و الإنعام الوافي نوقش الحساب فأخذه
العذاب ، و تسميتها بالعقود أوضح دليل على ما ذكرْتُ من مقصودها
وكذا الأجر .

﴿ بسم الله ﴾ [أى - ١] الذى تمت كلماته فصدت وعوده^٢
و عمت مكرماته ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بالدعاء إلى الوفاء فى حقوقه
و حقوق مخلوقاته ﴿ الرحيم ﴾ الذى نظر إلى القلوب فثبت منها على الصدق
ما جبَّله على التخلق بصفاته .

لما أخبر تعالى فى آخر [سورة - ١] النساء أن اليهود لما نقضوا المواثيق
التي^٣ أخذها عليهم ، حرم عليهم طيبات أحلت لهم من^٤ كثير من بهيمة
الأنعام المشار إليها بقوله ” و على الذين هادوا حرمانا كل [ذى - ٥]
ظفر “- الآية ، واستمر تعالى فى هتك أستارهم و بيان عوارهم^٦ إلى أن ختم بآية
فى الإرث الذى افتتح آياته بالإبضاء و ختمها بأنه شامل العلم ، ناسب
افتتاح هذه بأمر المؤمنين الذين اشتد تحذيره لهم منهم^٧ بالوفاء الذى جُلَّ
مبناه^٨ القلب الذى هو عيب ، فقال مشيرا إلى أن الناس الذين خوطبوا
١٥ أول تلك تأهلوا^٩ لأول أسنان الإيمان و وصفوا بما هم محتاجون إليه ،
و تخصيصهم مشير إلى أن مَنْ فوقهم من الأسنان عنده من الرسوخ
ما يغنيه عن الحل بالامر ، و ذلك أبعث له على التدبر و الامثال^{١٠} :

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : دعوته (٣) فى ظ : الذى (٤) من
ظ ، و فى الأصل : منها (٥) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٦ آية ١٤٦ .
(٦) فى ظ : اعوارهم (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : مثناه - كذا (٩) فى ظ : باهل .
(١٠) فى ظ : الامثال .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى ادعوا ذلك بالسنتهم (أوفوا) أى صدقوا ذلك بأن توفوا (بالعقود) أى العهود الموثقة المحكمة، وهى تعم جميع أحكامه سبحانه فيما أحل أو حرم^١ أو ندب على سبيل الفرض أو غيره^٢، التى من جملتها الفرائض التى افتتحها بلفظ الإيضاء الذى هو من أعظم العهود، و تعم سائر ما بين الناس من ذلك، حتى ما كان فى الجاهلية من عقد^٣ يدعو إلى بر^٤، وأما غير ذلك فليس بعقد، بل حل بيد الشرع القوية، تذكيراً بما أشار إليه قوله تعالى فى حق أولئك "اذكروا نعمتى - و أوفوا بعهدى أوف بعهدكم و إياى فارهبون"^٥، و إخباراً لهم^٦ بأنه أحل لهم ما حرم على أولئك، فقال على سبيل التعليل مشيراً إلى أن المقصود من النعمة كونها، لا بقيد فاعل مخصوص، وإلى أن المخاطبين يعلمون^٧ ١٠ أنه لا منعم غيره سبحانه: (أحلت لكم) والإحلال من أجل العقود (بهيمة) [و بينها بقوله -^٨]: (الأنعام) أى أوفوا لأنه أحل لكم بشامل علمه و كامل قدرته لطفاً بكم و رحمة لكم ما حرم على من قبلكم من الإبل و البقر و الغنم بإحلال أكلها و الاتضاع بجلودها و أصوافها و أوبارها و أشعارها و غير ذلك من شأنها، فاحذروا أن تنقضوا كما ١٥ نقضوا، فيحرم عليكم ما حرم عليهم، و يعد لكم من العقاب ما أعد لهم، و لا تعترضوا على نبيكم، و لا تعتتوا^٩ كما اعترضوا و اعتتوا^{١٠}، فإن ربكم

(١) فى ظ: جزم (٢) من ظ، و فى الأصل: غيرها (٣) فى ظ: ما ير - كذا.
(٤) من ظ، و فى الأصل: تذكير (٥) سورة ٢ آية ٤٠ (٦) من ظ، و فى الأصل: الهم (٧) فى ظ: لا يعلمونه (٨) زيد من ظ (٩ - ١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ.

لا يستل عما يفعل، 'وسيانى' في قوله / "لا تسئلوا عن أشياء" ما يؤيد هذا.

ولما كانوا ربما فهموا^٣ من هذا الإحلال ما ألفوا من الميتات ونحوها

قال مستثنا من نفس البهيمة، وهي في الأصل كل حي لا يميز^٤، مخبرا

أن من أعظم العقود ما قدم تحريمه من ذلك في البقرة: ((الاما يتلى عليكم))

هـ أى في^٥ بهيمة الأنعام أنه محرم، فانه لم يحل لكم، ونصب^٦ غير محلى

الصيد على الحال أدل^٧ دليل على أن هذا السياق - وإن كان صريحه

مذكرا^٨ بالنعمة لشكر^٩ - فهو مشار به إلى التهديد إن كُفِرَتْ، أى أحل

لكم ذلك في هذه الحال، فان تركتموها اتقى الإحلال، وهذه مشيرة

إلى تكذيب من حرم من ذلك ما أشير إليه بقوله تعالى في التي قبلها

١٠ - حكاية عن الشيطان "ولأمرنهم فليتكن الأذان الانعام ولأمرنهم

فليغيرن خلق الله"^{١١} من^{١٢} السائبة وما معها بما كانوا اتخذوه ديناً، وفصلوا

فيه تفاصيل - كما سأتى صريحا في آخر هذه السورة بقوله تعالى "ما جعل

الله من بحيرة ولا سائبة"^{١٣} - الآية، وكذا في آخر الأنعام، وفي الأمر

بالوفاء بالعقود بعد الإخبار بأنه بكل شيء عليم غاية التحذير من تعمد

١٥ الإخلال بشيء من ذلك وإن دق، وفي^{١٤} في افتتاح هذه المسألة بالمائدة بذكر

الاطعمة عقب^{١٥} سورة النساء - التي من أعظم مقاصدها النكاح والإرث،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) آية ١٠١ (٣) في ظ : افهموا (٤) سقط

من ظ (٥) في ظ : من (٦) في ظ : تصيب - كذا (٧) في ظ : ام - كذا .

(٨) من ظ ، وفي الأصل : مذكر (٩) في ظ : ليشكر (١٠) آية ١١٩ (١١) آية

١٠٣ (١٢) في ظ : عقيب .

المضمن للوت المشروع فيها الولائم والمآتم^١ - أتم مناسبة، [و-^٢] قال ابن الزبير : لما بين تعالى حال أهل الصراط المستقيم ، ومن^٣ تنكب عن^٤ نهجهم ، ومآل الفريقين من المغضوب عليهم و الضالين ، وبين لعباده^٥ المتقين ما فيه هدام وبه^٦ خلاصهم أخذوا وتركوا^٧ ، وجعل طي^٨ ذلك الأسهم الثمانية الواردة في حديث حذيفة رضى الله عنه من قوله : الإسلام^٩ ثمانية أسهم : [الإسلام سهم ، و -^{١٠}] الشهادة سهم ، والصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ، والحج سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم ، وقد خاب من لا سهم له . قلت : وهذا الحديث أخرجه البزار عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الإسلام ثمانية أسهم : الإسلام سهم ، والصلاة سهم - فذكره ، وصحح الدارقطني^{١٠} وقفه ، ورواه أبو يعلى الموصلي عن علي رضى الله عنه مرفوعا والطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام عشرة أسهم ، وقد خاب من لا سهم له : شهادة أن لا إله إلا الله سهم ، هي الملة ، والثانية : الصلاة وهي الفطرة ، والثالثة : الزكاة وهي الطهور ، والرابعة : الصوم وهي الجنة ، والخامسة : الحج^{١٥} وهي الشريعة ، والسادسة : الجهاد وهي الغزوة^{١١} ، والسابعة : الأمر بالمعروف

- (١) في ظ : المسام - كذا (٢) زيدت الواو من ظ (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) في ظ : العباد (٥) في ظ : فيه (٦) من ظ ، وفي الأصل : برا - كذا . (٧) في ظ : ظن (٨) زيد من مجمع الزوائد ٣٨/١ ، إلا أن هناك تهديما وتأخيرا . (٩) من مجمع الزوائد ٣٧/١ ، وفي الأصل و ظ : العروة .

و [هو الوفاء ، و الثامنة - ١] : النهى عن المنكر و هى الحجّة ، و التاسعة : الجماعة و هى الآلفة ، و العاشرة : الطاعة و هى العصمة ؛ و فى سنده من ٢ ينظر فى حاله ؛ قال ابن الزبير : و قال [النبى - ٣] صلى الله عليه و سلم : بنى الإسلام على خمس ، أى فى الحديث الذى أخرجه الشيخان و غيرهما ٥ عن ابن عمر و غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، و أن محمداً رسول الله ، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و الحج و صوم رمضان . قال ابن الزبير : و قد تحصلت - أى الأسهم الثمانية و الدعائم الخمس -

فيما مضى ، و تحصل مما تقدم أن ٥ أسوأ حال ٥ المخالفين حال من ١٠ غضب الله عليه و لعنه ، ٦ و أن ذلك ٦ يغيهم و عداوتهم و نقضهم العهود

٤ / ” فيما / نقضهم ميثاقهم لئلا يأتوا “ و كان النقض كل مخالفة ، قال الله تعالى لعباده المؤمنين ” يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود “ لأن اليهود و النصارى إنما آتى عليهم من عدم الوفاء و نقض العهود ، فحذر المؤمنين - انتهى .

و المراد بالإنعام الأزواج الثمانية المذكورة فى الإنعام و ما شابهها من ١٥ حيوان البر ، و ٧ لكون الصيد مراد الدخول فى بهيمة الأنعام ٧ استثنى بعض

أحواله فقال : ﴿ و أنتم حرم ٨ ﴾ أى أحلت البهيمة مطلقاً إلا ما يتلى عليكم

(١) زيد من المجموع (٢) فى ظ : ممن (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ . (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : استوا حاة - كذا (٦ - ٦) تكرماً بين الرقيق فى الأصل (٧) سقطت الواو من ظ (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، فحذفناها كي تستقيم العبارة .

من ميثاتها و غيرها في غير حال الدخول في الإحرام^١ بالحج أو العمرة^٢
 أو دخول الحرم، و أما في حال الإحرام فلا يحل الصيد أكلا ولا فعلا.
 و لما كان مدار هذه السورة على الزجر و الإحجام عن أشياء
 اشتد ألهم لها و التفاتهم إليها، و عظمت فيها رغباتهم من الميثات^٣
 و ما معها، و الأزام و الذبح على النصب، و أخذ الإنسان بجريمة الغير،^٤
 و الفساد في الأرض، و السرقة و الخمر و السوايب و البحار - إلى غير
 ذلك؛ ذكر في أولها بالعهود التي عقدوها على أنفسهم ليلة العقبة حين
 توافقوا على الإسلام من السمع و الطاعة في المنشط و المكروه و العسر
 و اليسر فيما أحبوا و كرهوا، و ختم الآية بقوله معللا: ﴿ان الله﴾
 أى ملك الملوك ﴿يحكم ما يريد﴾ أى من تحليل و تحريم و غيرها^٥
 على سبيل الإطلاق كالأنعام، و في حال دون حال كما شابهها^٦ من الصيد،
 فلا يستل عن تخصيص ولا عن تفضيل ولا غيره،^٧ فما فهمت^٨ حكمته
 فذاك،^٩ و ما لا فكلوه إليه، و ارغبوا في أن يلهمكم حكمته^{١٠}؛ قال
 الإمام - وهذا هو الذى يقوله أصحابنا - : إن علة حسن التكليف هو
 الربوبية و العبودية،^{١١} لا ما^{١٢} يقوله المعتزلة من رعاية المصلحة.^{١٣}

١٥

و لما استثنى بعض ما أحل على سبيل الإيهام شرع في بيانه، و لما
 كان منه ما نهى عن التعرض له لا مطلقا، بل ما يبلغ محله، بدأ به

(١-١) في ظ: حجج أو عمرة (٢) في ظ: الميتة (٣) من ظ، وفي الأصل:
 شابهها (٤) سقط من ظ (٥-٥) في ظ: لما فهمتهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين
 من ظ (٧-٧) في ظ: لا.

لكونه في ذلك كالصيد ، و قدم على ذلك عموم النهي عن انتهاك معالم الحج المنبه عليه بالإحرام ، أو عن كل محرم في كل مكان و زمان ، فقال مكررا ' لنداتهم تنويها بشأنهم و تنبيها لعزائمهم و تذكيرا لهم بما ألزموه أنفسهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى دخلوا في هذا الدين طائعين ﴿ لَا تَحْلُوا شَعَارَ اللَّهِ ﴾ أى معالم حج بيت الملك الأعظم الحرام ، أو حدوده في جميع الدين ، و شعائر الحج أدخل في ذلك ، و الاصطيد أولا ما .

ولما ذكر ما عمنه في الحرم أو مطلقا ، أتبعه ^٢ ما عمنه ^٢ في الزمان فقال : ﴿ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ أى فان ذلك لم يزل معاقدا على احترامه ١٠ في الجاهلية و الإسلام ، ولعله وحده و المراد الجمع ^٢ إشارة إلى أن الأشهر الحرم كلها في [الحرمة - ^٤] سواء .

ولما ذكر الحرم و الأشهر الحرم ذكر ما يهدى للحرم فقال : ﴿ وَلَا الْهَدْيَ ﴾ و خص منه أشرفه فقال : ﴿ وَلَا الْقَلَائِدَ ﴾ أى صاحب القلائد من الهدى ، و عبر بها مبالغة في تحريمه ؛ ولما أكد في ١٥ احترام ما قصد به الحرم من البهائم رقى ^٥ الخطاب إلى من قصده من العقلاء ، فانه مماثل لما تقدمه في أن قصد البيت الحرام حرام له و زاجر عنه ، مع ^٦ ما زاد به من شرف العقل فقال : ﴿ وَلَا آمِينَ ﴾ أى و لا تحلوا التعرض لناس قاصدين ﴿ البيت الحرام ﴾ لأن من قصد بيت الملك كان محترما باحترام ما قصده .

(١) في ظ : مكررا (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) في ظ : الجميع .
(٤) زيد من ظ (٥) في ظ : قى - كذا (٦) سقط من ظ .

ولما كان المراد القصد بالزيارة بينه بقوله: ﴿يتغنون﴾ أى حال كونهم يطلبون على سبيل الاجتهاد ﴿فضلا من ربهم﴾ أى المحسن إليهم شكرا لإحسانه، / بأن يثيبهم على ذلك، لأن ثوابه لا يكون [على - ١] وجه الاستحقاق الحقيقي أصلا، ولما كان الثواب قد يكون مع السخط قال: ﴿ورضوانا﴾ وهذا ظاهر في المسلم، ويجوز أن يراد به أيضا الكافر، لأن قصده البيت [الحرام - ١] على هذا الوجه يرق قلبه^٢ فيهيته للإسلام، وعلى هذا فهي منسوخة .

ولما كان التقدير: فإن لم تكونوا كذلك^٢ - أى فى أصل القصد^٣ ولا فى وصفه - فهم حل لكم وإن لم تكونوا أنتم حرما، والصيد حلال لكم، عطف عليه التصريح بما أفهمه التقييد فيما سبق بالإحرام فقال: ١٠ ﴿واذا حللتم﴾ أى من الإحرام بقضاء المناسك والإحصار ﴿فاصطادوا﴾ وترك الشهر [الحرام - ١] إذ^٤ كان الحرام فيه حراما فى غيره، وإنما صرح به تنويها بقدره وتعظيما لحرمة، ثم أكد تحريم^٥ قاصد المسجد الحرام وإن كان كافرا، وإن كان على سبيل المجازات بقوله: ١٥ ﴿ولا يجرمنكم﴾ أى يحملنكم ﴿شنان قوم﴾ أى شدة بغضهم .

ولما ذكر البغض أتبعه سيئه فقال: ﴿ان﴾ على سبيل الاشتراط الذى يفهم تعبير الحكم^٦ به أنه سيقع، هذا فى قراءة ابن كثير وأبى عمرو،

- (١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: القلب (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: الاصل (٥ - ٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (٦) فى ظ: اذا . (٧) فى ظ: تحريمه (٨) فى ظ: الحكيم (٩) فى الأصل و ظ: أبى هريرة - كذا .

و التقدير في قراءة الباقيين بالفتح : لاجل أن (صديقكم) أى فى عام
الحديدية أو غيره ((عن المسجد الحرام)) أى على ((ان تعتدوا^١)) أى
يشدد عدوكم عليهم بأن تصدوهم عنه^٢ أو بغير ذلك ، فان المسلم من لم يزد
تعدى عدوه فيه حدود الشرع إلا وقوفا عند حدوده ، وهذا قبل نزول
هـ ” انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام^٣ “ سنة تسع .

ولما نهاهم عن ذلك ، و كان الانتهاء عن الحظوظ^٤ شديدا على النفوس ،
و كان لذلك لا بد فى الغالب من متته وآب ، أمر بالتعاون فى الامر بالمعروف
و النهى عن المنكر فقال : ((و تعاونوا على البر)) و هو ما اتسع و طاب من
حلال الخير ((و التقوى م)) و هى كل ما يحمل على الخوف من الله ، فانه
١٠ الحامل على البر ، فان كان^٥ منكم من اعتدى فتعاونوا على رده ، و إلا
فازدادوا بالمعاونة خيرا .

ولما كان المعين على الخير قد يعين على الشر قال تنبيها على
[الملازمة فى - °] المعاونة على الخير ، ناهيا أن يغضب الإنسان لغضب
أحد من صديق أو قريب إلا إذا كان الغضب له داعيا إلى بر و تقوى :
١٥ ((ولا تعاونوا على الاثم)) أى الذنب الذى^٦ يستلزم الضيق ((و العدوان م))
أى المبالغة فى مجاوزة الحدود و الانتقام و التشنى و غير ذلك ، و كرر^٧
الامر بالتقوى إشارة إلى أنها الحاملة على كل خير فقال : ((واتقوا الله^٨))
أى الذى له صفات الكمال لذاته فلا تعدوا^٩ شيئا من حدوده ؛ ولما كان
(١) من ظ ، وفى الأصل : منه (٢) سورة ٩ آية ٢٨ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
الحدود (٤) زيد بعده فى ظ : كل (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى
ظ : كر (٨) فى ظ : لا يعتدوا .

كف النفس عن الانتقام وزجرها عن شفاء داء الغيظ وتبريد غلة الاحن في غاية العسر، ختم الآية بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الاعظم ﴿ شديد العقاب ﴾ .

ولما أتم الكلام على احترام أعظم المكان وأكرم الزمان وما لابسهما، فهدب^١ النفوس بالنهى عن حظوظها، وأمر^٢ بعد تحليتها ه عن كل شر^٣ بتحليتها بكل خير، عدّد على سبيل الاستئناف ما وعد بتلاوته عليهم بما حرم مطلقا إلا في حال الضرورة فقال : ﴿ حرمت ﴾ بانبا الفعل للمفعول لأن الخطاب لمن يعلم أنه لا محرم إلا الله، وإشعارا بأن هذه الاشياء لشدة قذارتها^٤ كأنها محرمة بنفسها ﴿ عليكم الميتة ﴾ وهى

ما فقد الروح / بغير ذكاة شرعية، فان دم كل ما مات حتف أنفه يحبس ١٠ / ٦ في عروقه ويتعفن ويفسد، فيضر أكله البدن بهذا الضرر الظاهر، والدين بما يعلمه أهل البصائر ﴿ والدم ﴾ أى المسفوح، وهو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق ﴿ ولحم الخنزير ﴾ خصه بعد دخوله في الميتة لاتخاذ النصارى أكله، كالدين ﴿ وما اهل ﴾ ولما كان القصد في هذه السورة إلى حفظ محكم العهد المذكور بجلاله الباهر^٥، قدم المفعول له فقال : ١٥

﴿ لغير الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ به ﴾ أى ذبح على اسم غيره من صنم أو غيره على وجه التقرب عبادة لذلك الشيء، والإهلال : رفع الصوت .
ولما كان من الميتات ما لا تعافه النفوس عياقتها لغيره، نص عليه

(١) في ظ : و هذب (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) في ظ : قذراتها .
(٤) سقط من ظ (ه) في ظ : الفاهر - كذا .

فقال: ﴿والمخنقة﴾ أى بجبل ونحوه، سواء خنقها خائق أو لا
 ﴿والموقوذة﴾ أى المضروبة بمثقل، من^١: وقذه - إذا ضربه ﴿والمتردية﴾
 أى الساقطة من عال، المضطربة غالباً فى سقوطها ﴿والنطيحة﴾ أى التى
 نطحتها شئ فانت ﴿وما أكل السبع﴾ أى^٢ كالذئب والنسر ونحوهما .
 هـ ولما كان كل واحدة من هذه قد تدرك حية فتذكى، استثنى
 فقال: ﴿الاما ذكيتم﴾ أى من ذلك كله بأن أدركتموه وفيه حياة
 مستقرة، بأن اشتد اضطرابه وانفجر منه الدم؛ ولما حرم الميتات
 وعد فى جملتها ما ذكر عليه اسم غير الله عبادة، ذكر ما ذبح على الحجارة
 التى كانوا ينصبونها للذبح عندها^٣ تدبنا وإن لم يذكر^٤ اسم شئ عليها
 ١٠ [فقال -^٥]: ﴿وما ذبح على النصب﴾ وهو واحد الانصاب، وهى
 حجارة كانت حول الكعبة تنصب، فيهل عليها ويذبح عندها تقرباً
 إليها وتعظيماً لها ﴿وان تستقسموا﴾ أى تطلبوا على ما قسم لكم
 ﴿بالاِزلام﴾ أى القداح التى لا ريش لها ولا فصل، واحدها يوزن
 قلم [وعمر -^٦] وكانت ثلاثة، على واحد: أمرنى ربى، وعلى آخر:
 ١٥ نهانى ربى، والآخري غفل، فان خرج الأمر فعل، أو الناهى ترك، أو الغفل
 أجيلت ثانية، فهو دخول^٧ فى علم الغيب واقتراء على الله بادعاء أمره
 ونهيه، وإن أراد^٨ المنسوب إلى الضم فهو الكفر الصريح^٩، وقال
 (١) فى ظ: ما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لم تدرك (٤) زيد من ظ، إلا أن
 فيه: عمرو (٥) من ظ، وفى الأصل: لاخر - كذا (٦) فى ظ: ذاقول -
 كذا (٧) فى الأصل: الافراد - كذا، وسقط هذا اللفظ من ظ مع اللفظين بعده.
 (٨) فى ظ: الصراح .

صاحب كتاب الزينة: يقال: إنه كانت عندهم سبعة قدامح مستوية من شوحط^١،
و كانت يد السادن، مكتوب عليها «نعم»، «لا»، «منكم»، «من غيركم»،
«ملصق»، «العقل»، «فضل العقل»، فكانوا إذا اختلفوا في نسب الرجل
جاءوا إلى^٢ السادن بمائة درهم، ثم قالوا للضم: يا إلهنا! قد تمارينا في
نسب فلان، فأخرج علينا الحق فيه، فتجال^٣ القدامح^٤ فان خرج القدامح^٥
الذي عليه «منكم»، كان أوسطهم نسبا، وإن خرج الذي عليه «من
غيركم»، كان حليفا، وإن خرج «ملصق»، كان على منزله لا^٦ نسب
له ولا حلف، وإذا أرادوا سفرا أو حاجة جاءوا بمائة فقالوا: يا إلهنا!
أردنا كذا، فان خرج «نعم»، فعلوا، وإن خرج «لا»، لم يفعلوا، وإن^٧
جنى أحدهم جناية، فاختلفوا فيمن يحمل العقل جاءوا بمائة فقالوا: يا إلهنا!^٨
فلان جنى^٩ عليه، [أخرج الحق -^{١٠}]، فان خرج القدامح الذي عليه
«العقل»، لزم من ضرب عليه وبرئ الآخرون، وإن خرج غيره كان
على الآخرين العقل، وكانوا إذا عقلوا^{١١} العقل ففضل الشيء منه تداروا
فيمن يحمله، فضربوا عليه؛ فان خرج القدامح الذي عليه «فضل العقل»،
/ للذي ضرب عليه لزمه، وإلا كان على الآخرين الذين لم يضرب عليهم،^{١٢} ١٥
فهذا الاستقسام الذي حرمه^{١٣} الله لأنه يكون عند الأصنام ويطلبون

(١) وهو شجر تتخذ منه القسي، وفي ظ: سواحط - كذا (٢) زيد بعده في
ظ: سارق (٣) في ظ: لتحال (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) سقط
من ظ (٦) في ظ: إذا (٧) من ظ، وفي الأصل: بجنى - كذا (٨) زيد من
ظ (٩) في ظ: عقل (١٠) من ظ، وفي الأصل: حرم.

ذلك منها، و يظنون^١ أن الذي أخرج لهم ذلك هو الصنم، و أما إجابة^٢ السهام لا على هذا الوجه فهو جائز، هو و تسام^٣ و اقتراع^٤ لا استقسام^٥. و قال أبو عبيدة: واحد الأزلام زلم - بفتح الزاء، و قال بعضهم بالضم^٦، و هو القدح لا ريش له و لا نصل، فإذا كان مريثا فهو السهم - و الله أعلم؛ و يجوز أن يراد مع هذا ما كانوا يفعلونه في الميسر - على ما مضى في البقرة، فانه طلب معرفة ما قسم من الجزور، و يلتحق بالاول كل كهانة و تنجيم^٧، و كل طيرة يطيرها الناس الآن^٨ من التشاؤم ببعض الايام و بعض الأماكن و الأحوال، فإياك أن تعرج على شيء من الطيرة، فتكون على شعبة جاهلية، ثم إياك!

١٠. و لما كانت هذه الأشياء شديدة الخبث أشار إلى تعظيم النهي عنها بأداة البعد و ميم الجمع فقال: ﴿ ذلکم ﴾ أى الذى ذكرت لكم تحريمه ﴿ فسق ﴾ أى فعله خروج من الدين .

و لما كانت هذه المنهيات معظم دين أهل الجاهلية، و كان سبحانه قد نهام قبلها عن^٩ إحلال شعائر الله و الشهر الحرام و قاصدى المسجد الحرام ١٥ بعد أن كان أباح لهم ذلك فى بعض الأحوال و الأوقات بقوله " و اخرجوهم من حيث اخرجوكم - و لا تقتلوهم عند المسجد الحرام " حتى يقتلوكم فيه^{١٠}، " الشهر الحرام بالشهر الحرام "، " و اقتلوهم حيث

(١) فى ظ : يطلبون (٢) فى ظ : احاله (٣) فى ظ : تسليم (٤ - ٤) فى ظ : الاستقسام (٥) من ظ ، و فى الأصل : قال (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ منغم (٨) من ظ ، و فى الأصل : من (٩ - ٩) سقط ما بين الرقيين من ظ . (١٠) سورة ٢ آية ١٩١ (١١) سورة ٢ آية ١٩٣ .

تفتنوم^١ " علم^٢ أن الأمر بالكف عن انتهاز الفرص إنما هو للأمن^٣ من الفوت، وذلك لا يكون إلا^٤ من تمام القدرة، وهو لا يكون إلا بعد كمال الدين وإظهاره على كل دين - كما حصل به الوعد الصادق، وكذا الانتهاء عن جميع هذه المحارم إنما يكون لمن رسخ في الدين قدمه، وتمكنت فيه عزائمه وهممه، فلا التفات له إلى غيره ولا همه إلى سواه، ولا مطمع^٥ لمخالفه فيه، فعقب^٦ سبحانه النهى عن هذه المناهى كلها بقوله على سبيل النتيجة والتعليل: (اليوم) أى وقت^٧ نزول هذه الآية (يشس الذين كفروا) أى لابسوا الكفر سواء كانوا راسخين فيه أو لا (من دينكم) أى لم يبق لكم ولا لأحد منكم عذر فى شيء من إظهار الموافقة لهم^٨ أو التستر من أحد منهم، كما فعل حاطب بن أبى بلتعة رضى الله^٩ عنه حين^{١٠} كاتبهم ليحمى بذلك ذوى رحمه، لأن الله تعالى قد كثركم بعد القلة، وأعزكم بعد الذلة، وأحيى بكم منار الشرع، وطمس معالم [شرع - ^{١١}] الجهل، وهدى منار الضلال، فأنا أخبركم - وأتم عالمون بسعة على - أن الكفار قد اضمحلت قوامهم، ومات^{١٢} مهمهم، وذلك نخوتهم، وضعفت عزائمهم، فانقطع رجاؤهم عن أن يغلّبكم^{١٣} أو يستميلوكم^{١٤} إلى دينهم بنوع استمالة، فأنهم رأوا دينكم قد قامت منارته، وعلت في الجامع منابره، وضرب محرابه، وبرك^{١٥} بقواعده وأركانه، ولهذا سبب

(١) سورة ٢ آية ١٩١ (٢) فى ظ : اعلم (٣) فى ظ : للابن (٤) سقط من ظ .

(٥) فى ظ : عن (٦) فى ظ : فعقبه (٧) من ظ ، وفى الأصل د و ، (٨) زيد

من ظ (٩) من ظ ، وفى الأصل : مات (١٠) فى ظ : يعلنوكم (١١) فى ظ : ترك .

عما مضى قوله: ﴿فلا تخشوم﴾ أى أصلا ﴿واخشون﴾ أى واحضوا
الحشية لى وحدى، فان دينكم قد أكل بدره، وجل عن المحاق محله
وقدره، ورضى به الأمر، ومكنه على رغم أنف الأعداء. وهو قادر

/ ٨ على ذلك^١، [وذلك -^٢] قوله تعالى مسوقا^٣ مساق التعليل: ﴿اليوم
٥ اكملت لكم دينكم﴾ أى الذى أرسلت إليكم به أكمل^٤ خلقى لدينوا

به و تدانوا، وإكاله بانزال كل ما يحتاج إليه من أصل وفرع، نصا على^٥
البعض، ويانا لطريق القياس فى الباقي، وذلك يان لجميع الأحكام، وأما
قبل ذلك اليوم فهو وإن كان كاملا لكنه بغير هذا المعنى، بل إلى حين،
ثم يزيد فيه سبحانه ما يشاء، فيكون به كاملا أيضا وأكمل مما مضى،
١٠ وهكذا إلى هذه النهاية، وكان هذا^٦ هو المراد من قوله: ﴿و أتممت

عليكم نعمتى﴾ أى التى قسمتها فى القدم من هذا الدين على لسان هذا الرسول،
بأن جمعت عليه كلمة العرب الذين قضيت فى القدم باظهارهم على من
ناوهم من جميع أهل الملل، ليظهر بهم الدين، وتنكسر شوكة المفسدين،
من غير حاجة فى ذلك إلى غيرهم وإن كانوا بالنسبة إلى المخالفين كالشجرة
البيضاء فى جلد الثور^٧ الاسود ﴿ورضيت لكم الاسلام﴾ أى الذى
١٥ هو الشهادة لله بما شهد به لنفسه من الوجدانية التى لمن^٨ يتبع الإذعان لها^٩
الإذعان لكل طاعة ﴿دينا^{١٠}﴾ تتجاوزون^{١١} به فيما بينكم، ويمجازيكم به ربكم؛

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل:
لسوق - كذا (٤) من ظ، وفى الأصل: أرسلنا (٥) فى ظ: كل (٦) فى ظ:
عن (٧) سقط من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: النور (٩) فى ظ: بها.
(١٠) فى ظ: يتجاوزون.

روى البخارى فى المغازى وغيره، ومسلم فى آخر الكتاب، والترمذى فى التفسير، والنسائى فى الحج عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين! آية فى كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود [نزلت - ١] لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: "أى آية؟ قال: "اليوم اكملت لكم دينكم" فقال عمر رضى الله عنه: قد عرفنا ذلك اليوم ٥ و المكان الذى نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، نزلت وهو قائم بعرفة يوم الجمعة؛ وفى التفسير من البخارى عن طارق بن شهاب، قالت اليهود لعمر: إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت، وقال بغوى: قال ابن عباس رضى الله عنهما: كان ذلك ١٠ اليوم خمسة أعياد: الجمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصرى والمجوس، ولم تجتمع أعياد أهل الملل فى يوم قبله ولا بعده، قلت: ويوم الجمعة هو اليوم الذى أتم الله فيه خلق هذه الموجودات بخلق آدم عليه السلام بعد عصره، وهو حين نزول هذه الآية إن شاء الله تعالى، فكانت تلك الساعة من ذلك اليوم تماماً ابتداءً، وروى هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما ١٥ نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما يسكيك يا عمر؟ فقال: أبكاني أنا كنا فى زيادة من ديننا، فاذا كمل

(١) زيد من ظ والمراجع الأربعة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٢) سقط من ظ (٤) من صحيح البخارى، وفى الأصل: لاتخذنا، وفى ظ : لاتخذها (٥) فى ظ ونسخة من الصحيح: حيث (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) فى ظ: لم تجمع (٨) فى ظ: فى (٩) وقع فى ظ: عن - خطأ.

فانه لم يكمل شيء إلا نقص، قال: صدقت! فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عاش بعدها إحدى وثمانين يوما، وقد روى أنه كان هجيري^١ النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة من العصر إلى الغروب "شهد الله أنه لا إله إلا هو"^٢ - الآية، وكان ذلك كان جوابا^٣ منه صلى الله عليه وسلم لهذه الآية، لفهمه صلى الله عليه وسلم أن إنزال [آية -^٤] عمران سر الإسلام وأعظمه وأكمله، وهذه الآية من المعجزات، لأنها إخبار بمغيب صدقها فيه الواقع.

ولما تمت هذه الجمل^٥ الاعتراضية التي صار [ما -^٤] بينها وبين

/ ما قبلها^٦ ما بعدها بأحكام الرصف وإتقان^٧ الربط من الامتزاج أشد / ٩

١٠ بما بين الروح والجسد، المشيرة إلى أن هذه المحرمات هي التي تحقق بها أهل الكفر كمال المخالفة، فأيسوا معها من المواصلة والمؤالفة؛ رجع [إلى -^٤] تيمات لتلك المحظورات، فقال مسييا عن الرضى بالإسلام الذي هو الحنيفية السمحة المحرمة لهذه الخبائث لإضرارها بالبدن والدين: ﴿فن اضطر﴾ أى الجئى إجماعا عظيما - من أى شيء كان - إلى تناول شيء مما مضى أنه حرم،

١٥ بحيث^٨ لا يمكنه [معه -^٤] الكف عنه ﴿في مخمصة﴾ أى بجاعة [عظيمة -^٤]

﴿غير متجانف﴾ أى متعمد ميبلا ﴿لاثم لا﴾ أى بالأكل على غير^٩ سد الرمق، أو بالبغى على مضطر آخر بنوع مكر أو العدو عليه

(١) من ظ، أى دأبه وشأنه صلى الله عليه وسلم، وفى الأصل: يتحرى - كذا.

(٢) سورة ٣ آية ١٨ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، وفى

الأصل: الجملة (٦) زيد بعده فى ظ: بين (٧) فى ظ: ايثاق (٨) من ظ، وفى

- بضرب قهر ، و زاد بعد هذا التقييد^١ تخويفا بقوله : (فان الله) أى الذى له الكمال كله^٢ (غفور رحيم) أى يمحو عنه إثم ارتكابه للنهى ولا يعاقبه عليه [ولا يعاتبه - ٣] و بكرمه ، بأن يوسع عليه من فضله ، و لا يضطره مرة^٤ أخرى - إلى غير ذلك من الإكرام و ضروب الإنعام .
- ولما تقدم إحلال الصيد و تحريم الميتة ، و ختم ذلك بهذه الرخصة ، هـ
- و كان النبي^٥ صلى الله عليه و سلم قد أمر بقتل الكلاب ، و كان الصيد ربما مات فى يد الجارح قبل إدراك ذكاته ، سأل بعضهم عما يحل من الكلاب ، و بعضهم عما يحل من ميتة الصيد إحلالا مطلقا لا بقيد الرخصة ، إذا كان الحال يقتضى هذا السؤال ؛ روى الواحدى فى أسباب النزول بسنده عن أبى رافع رضى الله عنه قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٠ بقتل الكلاب ، فقال الناس : يا رسول الله ! ما أحل لنا من هذه الأمة التى أمرت بقتلها؟ فأزل الله تعالى : (يستلونك) .
- و لما كان هذا إخبارا^٦ عن غائب قال : (ما ذآ أحل لهم) دون «لنا» ، قال الواحدى :^٨ أى من إمساك الكلاب و أكل الصيد و غيرها^٩ ، أى من المطاعم ، ثم قال الواحدى : رواه الحاكم أبو عبد الله ١٥ فى صحيحه ، و ذكر المفسرون شرح هذه القصة ، قال : قال أبو رافع رضى الله عنه : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فاستأذن عليه ، فأذن له فلم يدخل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : قد أذنا
- (١) فى ظ : التبيد (٢) من ظ ، وفى الأصل : للمسكه (٣) زيد من ظ .
(٤-٤) فى ظ : يضر من (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : اذا (٧) فى ظ : اخبار .
(٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ .

لك ! قال : أجل يا رسول الله ! ولكننا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب ،
 فنظر فاذا في بعض بيوتهم جرو^١ ، قال أبو رافع : فأمرني أن لا أدع بالمدينة
 كلبا إلا قتلته ، حتى بلغت العوالى فاذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمتهما
 فتركته ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرني بقتله ، فرجعت إلى الكلب
 ه قتلته ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرك الكلاب جاء أناس^٢
 فقالوا : يا رسول الله ! ما ذا يحل لنا من هذه الآلة التي أمرت بقتلها ؟
 فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ، فلما نزلت أذن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي يتنفع^٣ بها ، ونهى
 عن إمساك ما لا تقع فيه ، وأمر بقتل الكلاب^٤ الكلب^٥ والعقور

١٠ وما يضر ويؤذى ، ورفع القتل عما سواها مما لا ضرر فيه ، وقال سعيد

ابن جبير : نزلت هذه الآية في عدى^٦ بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائين

رضى الله عنهما ، وهو زيد الخيل الذي سماه / رسول الله صلى الله عليه / ١٠

وسلم زيد الخير ، وذلك أنهما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالا^٧ : يا رسول الله ! إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة ، وإن كلاب

١٥ آل درع^٨ وآل أبي حورية^٩ تأخذ البقر والحمر والظباء والضب ، فنه

ما ندرك^{١٠} ذكاته ، ومنه ما^{١١} [يقتل - ١١] فلا ندرك^{١٢} ذكاته ، وقد حرم الله

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) في ظ : الناس (٣) في ظ : تنتفع (٤-٥) سقط

ما بين الرقعين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : فقالوا (٧-٧) في ظ : التزرع .

(٨) من البحر المحيط ٣ / ٤٢٨ ، وفي الأصل و ظ : أبي حورية (٩-٩) في ظ :

من يدرك (١٠) في ظ : من (١١) زيد من ظ والبحر المحيط (١٢) من ظ والبحر ،
 وفي الأصل : لاندرك .

الميتة ، فماذا يحل لنا منها ؟ فنزلت : " يسئلونك " - الآية " الطيبات "
يعنى الذبائح ، و " الجوارح " الكواشب من الكلاب و سباع الطير -
انتهى . فاذا أريد كون الكلام ' على وجه يعم قيل : ﴿ قل ﴾ لهم في
جواب من سأل ﴿ احل ﴾ [و بناء للفعول طبق سؤا لهم و لأن المقصود
لا كونه من معين -^٢] ﴿ لكم الطيبات^٣ ﴾ أى الكاملة الطيب ، فلا خبث ه
فيها بنوع تحريم ولا تقذر^٢ ، من ذوى الطباع السليمة^٤ ، مما لم يرد^٥ به
نص ولا صح فيه قياس ، وهذا يشمل كل ما ذبح وهو مأذون في
ذبحه مما كانوا يحرمونه على أنفسهم من السائبة وما معها ، و كل ما أذن
فيه من غير ذبح كحيوان البحر^٦ وما أذن^٧ فيه من^٨ غير انطعام^٩
﴿ وما ﴾ وهو على حذف مضاف للعلم به ، فالعنى : وصيد^{١٠} ما ﴿ علمت^{١٠}
من الجوارح ﴾ أى^١ التى من شأنها أن تخرج ، أو تكون^{١١} سببا للجرح
وهو الذبح ، أو من الجرح بمعنى الكسب " و يعلم ما جرحتم بالنهار^{١٢} "
وهو كواشب الصيد من^{١٣} السباع والطير ، فأحل إمساكها للقتية و صيدها
و شرط فيه التعليم ، قال الشافعى : والكلب لا يصير معلما إلا عند أمور :
إذا أشلى استشلى ، و إذا زجر أنزجر و حبس و لم يأكل ، و إذا دعى أجاب ، ١٥
و إذا أراده لم يفر منه ، فاذا فعل ذلك مرات فهو معلم ، و لم يذكر حدا
(١) فى ظ : الكلاب - كذا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بقدر (٤) فى ظ :
السليم (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا يرد (٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين
الرقين من ظ (٨) فى ظ : الطامع (٩) زيدت الواو بعده فى ظ (١٠) فى ظ :
يكون (١١) سورة ٦ آية ٦٠ (١٢) من ظ ، وفى الأصل « و » .

لأن الاسم إذا لم يكن معلوماً من نص ولا إجماع وجب الرجوع فيه إلى العرف^١، وبنى الحال من الكلاب وإن كان المراد العموم، لأن التأديب فيها أكثر فقال: ﴿مكبلين﴾ أى حال كونكم متكفين تعليم [هذه - ٢] الكواصب ومبالغين فى ذلك، قالوا: وفائدة هذه الحال^٣ أن يكون المعلم^٢ نحريراً فى علمه موصوفاً به، وأكد ذلك بحال أخرى أو استئناف فقال: ﴿تعلبنهن﴾ وحوشاً كنّ أو طيوراً ﴿مما علمكم الله^٤﴾ أى المحيط بصفات الكمال من علم التكليل، فأفاد ذلك أن^٥ على كل طالب شىء أن لا يأخذ^٦ إلا من أجل العلماء به وأشدّهم دراية له وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وإن احتاج إلى أن يضرب إليه^٧ أكباد الإبل، فكف^٨ ١٠ من آخذ من غير متقن قد ضيع أيامه، وعض عند لقاء التجارين إبهامه [ثم - ١] سبب عن ذلك قوله: ﴿فكلوا^٩﴾.

ولما كان فى الصيد من العظم وغيره ما لا يؤكل قال: ﴿مما أمسكن﴾ أى الجوارح مستقراً^{١٠} إمساكها ﴿عليكم﴾ أى على تعليمكم، لا على جبلتها وطبيعتها دون تعليمكم، وذلك هو الذى لم يأكل منه ١٥ وإن مات قبل إدراك ذكاته، وأما ما أمسك الجارح على أنى مستقراً^{١١} على جبلته وطبعه، ناظراً فيه إلى نفاسة نفسه فلا يحل ﴿واذكروا اسم الله﴾ أى الذى له كل شىء ولا كفوء له ﴿عليه ص﴾ أى [على - ٢] ما أمسكن عند إرسال الجارح أو عند الذبح إن أدركت ذكاته، لتخالفوا سنة الجاهلية

(١) فى ظ: الخوف (٢) زيد من ظ (٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: مسله - كذا (٥) سقط من ظ (٦-٦) من ظ، وفى الأصل: يأخذ (٧) من ظ والقرآن الكريم، وفى الأصل: كلوا (٨) فى ظ: مستقر.

و تأخذه من مالكه ، و قد صارت نسبة هذه الجملة - كما ترى - إلى
 ”حرمت عليكم الميتة“ نسبة المستثنى إلى المستثنى منه، و إلى مفهوم ”غير
 على الصيد و اتم حرم“ نسبة الشرح .

ولما كان تعليم الجوارح أمرا خارجا عن العادة^٢ في نفسه و إن
 كان قد كثر ، حتى صار / مألوفاً ، و كان الصيد بها أمرا تُعجب شرعته^٥ ١١ /
 و تهرز النفوس كفيته ، ختم الآية بما هو خارج عن عادة البشر^٢ و طرقها^٢
 من سرعة الحساب و لطف العلم بمقدار الاستحقاق من الثواب و العقاب ،
 فقال محذرا من إهمال شيء مما رسمه : ﴿ و اتقوا ﴾ أى حاسبوا أنفسكم
 و اتقوا ﴿ الله ﴾ أى عالم الغيب و الشهادة القادر على كل شيء فيما
 أدركتم ذكاته و ما لم تدركوها ، و ما أمسك الجرح عليكم و ما أمسك^{١٠}
 على نفسه - إلى غير ذلك من أمور الصيد التي لا يقف عندها إلا من
 غلبت عليه مهابة الله و استشعر خوفه ، فاتقاه فيما أحل و ما حرم ، ثم
 علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لجميع العظمة ﴿ سريع الحساب ﴾
 أى عالم بكل شيء و قادر عليه في كل وقت ، فهو قادر على كل جزاء^١ يريده ،
 لا يشغله أحد عن أحد و لا شأن عن شأن . ١٥

ولما كان قد تقدم النهى عن نكاح المشركات ، و المنافرة لجميع
 أصناف الكفار ، و بيان بغضهم و عداوتهم ، و الحث على طردهم و منابذتهم
 ”هاتم اولاء“ نجونهم^٦ ” و نحوها اضعف^٧ الأمر إذ ذاك و شدة الحاجة إلى

(١) من ظ ، و في الأصل : نسبه (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) في
 ظ : طروتها (٤) في ظ : خيرا (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٣ آية ١١٩ (٧) في
 ظ : اضعف .

إظهار الفظاظه^١ والغلظة لهم لتعظيم دين الله، حتى كانت خلطتهم من
 أمارات النفاق - كما سيأتى في كثير من آيات هذه السورة، وكان
 [الدين -^٢] وصل عند نزولها من العظمة إلى حد لا يحتاج فيه إلى
 تعظيم معظم، وكانت مخالطة أهل الكتاب لا بد منها عند فوح البلاد التي
 ٥ وعد الصادق بها، و سبق في الأزل عليها، فكانت^٣ الفتنة في مخالطتهم
 قد صارت في حد الأمن^٤؛ وسع الأمر بحل طعامهم ونسائهم، فقال
 تعالى مكررا ذكر الوقت الذي أنزل فيه هذه الآيات، تنبيها على عظم
 النعمة فيه بتذكر ما هم فيه من الكثرة والأمن والجمع والألفة، وتذكر
 ما كانوا فيه قبل ذلك من القلة والخوف والفرقة، فقال معيدا لصدر
 ١٠ الآية التي قبلها إعلاما بعظم النعمة فيه^٥، ومفيدا بذكر وقت الإحلال
 أنه إحلال مقصود به الثبات، لكونه يوم إتمام النعمة فهو غير الأول:
 (اليوم) .

ولما كان القصد إنما هو الحل، لا كونه من محل^٦ معين، مع أن
 المخاطبين بهذه الآيات يعلمون أنه لا محل إلا الله، بنى الفعل^٧ للجهول
 ١٥ [فقال -^٢]: (أحل) أى ثبت الإحلال فلا ينسخ أبدا (لكم) أى
 أيها المؤمنون (الطيبيت^٨) أى التي تقدم في البقرة وصفها بالحل لزوال
 الإثم وملاءمة الطبع، فهي الكاملة في الطيب .

(١) في ظ : الفاظه - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : وكانت .
 (٤) زيد بعده في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ نلحذفها (٥) سقط
 من ظ (٦) في ظ : حل (٧) من ظ ، وفي الأصل : المفعول .

ولما كانت الطيبات أعم من المأكّل قال: ﴿ و طعام الذين ﴾
ولما كان سبب الحل الكتاب، ولم يتعلق بذكر مؤتيه غرض، بنى الفعل
للجهول فقال: ﴿ اوتوا الكتب ﴾ [أى - ١] بما يصنعونه أو يذبحونه،
وعبر بالطعام الشامل لما ذبح وغيره وإن كان المقصود المذبح،
لا غيره^٢، ولا يختلف حاله من كتابي ولا غيره تصريحاً بالمقصود
﴿ حل لكم ﴾ أى تناوله لحاجتكم، أى مخالطتهم للإذن فى إقرارهم على
دينهم بالجزية؛ ولما كان هذا مشعراً بأبقائهم؛ على ما اختاروا لأنفسهم
زاده تأكيداً بقوله: ﴿ وطعامكم حل لهم ﴾ أى فلا عليكم فى بذله لهم
ولا عليهم فى تناوله.

ولما كانت الطيبات أعم من المطاعم* وغيرها، وكانت الحاجة ١٠
إلى المناكح بعد الحاجة إلى المطاعم، وكانت المطاعم حلالاً من
الجانبين والمناكح من جانب واحد/ قال: ﴿ والمحصنت ﴾ أى الحرائر ١٢/
﴿ من المؤمت ﴾ ثم أكد الإشارة إلى إقرار أهل الكتاب فقال:
﴿ والمحصنت ﴾ أى الحرائر ﴿ من الذين اوتوا الكتب ﴾ وبنى الفعل
للفعل للعلم بمؤتيه مع أنه لم يتعلق بالتصريح به غرض^٣. ١٥

ولما كان إيتاؤهم الكتاب لم يستغرق الزمن الماضى، أثبت الجار
فقال: ﴿ من قبلكم ﴾ أى وهم اليهود والنصارى، وعبر عن العقد بالصدق

- (١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ: لأن (٣) زيد من ظ والقرآن الكريم .
(٤) من ظ، وفى الأصل: باقائهم (٥) زيد بعده فى ظ: وكانت المطاعم .
(٦) زيد بعده فى ظ: من (٧) فى ظ: عوض (٨) فى ظ: يستغرق .

للابسة فقال مخرجا للامة لانها لاتعطى الاجر و هو الصداق^١ ، لانها
لاتملكه بل يعطاه سيدها : ﴿ اذ آآا يتيموهن اجورهن ﴾ أى عقدتم هن^٢ ،
و دل مساق الشرط على تأكد وجوب الصداق ، و أن من تزوج و عزم
على عدم الإعطاء ، كان فى صورة الزانى ، و ورد فيه حديث ، و تسميته
بـالاجر تدل على أنه لا حد لآقله .

و لما كان المراد بالاجر المهر ، و كان فى اللغة يطلق على ما يعطاه
الزانية أيضا ، بينه بقوله : ﴿ محصنين ﴾ أى قاصدين الإعفاف و العفاف
﴿ غير مسفحين ﴾ أى قاصدين صب الماء لمجرد الشهوة جهارا
﴿ و لا متخذى اخدان^٣ ﴾ أى صدائق لذلك فى السر ، جمع خدن ،
١٠ و هو يقع على الذكر و الانثى ، فكانت هذه الآية مخصصة لقوله تعالى
” و لا تنكحوا المشركت حتى يؤمن^٤ “ فبقى على التحريم بما تضمنته تلك
ماعدة الكتابيات من الوثنيات و غيرهن من جميع المشركات حتى المتقلة
من الكتابيات من دينها إلى غير دين الإسلام ، و صرح هنا^٥ بالمؤمنات
المقتضى لهن قوله تعالى فى النساء ” و احل لكم ما وراء ذلكم^٦ “ و قوله
١٥ ” و من^٧ لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنت المؤمنت “ ، و لعل

(١) العبارة من هنا إلى « يعطاه سيدها » تكررت فى ظ بعد « وجوب
الصداق » (٢) فى ظ : يعطاها (٣) فى ظ : بهن (٤) فى ظ : يدل (٥) من ظ ،
و فى الأصل : تعطاه (٦) سورة ٢ آية ٢٢١ (٧) فى ظ : هناك (٨) من ظ
و القرآن الكريم - آية ٢٤ ، و فى الأصل : ذلك (٩-٩) من القرآن الكريم -
آية ٢٥ . و فى الأصل وظ : فن .

ذكر وصف الإحسان الواقع على العفة للتنبيه على أنه لا يقصد المتصفة بغيره
لمجرد الشهوة إلا من سلب^١ الصفات البشرية، وأُخذ إلى مجرد الحيوانية،
فصار في عداد البهائم، بل أدنى، مع أن التعليق بذلك الوصف لا يفهم
الحرمة عند فقده، بل الحل من باب الأولى، لأن من حكم مشروعية
النكاح الإعفاف، فإذا شرع إعفاف العفاف كان شرع إعفاف غيرهن ٥
أولى، لأن زناها إما شهوة أو حاجة^٢، وكلاهما للنكاح مدخل عظيم في
نفيه - والله أعلم .

ولما كان السر في النهي عن نكاح المشركات في الأصل ما يخشى
من الفتنة، وكانت الفتنة - وإن علا الدين ورسخ الإيمان والتمين - لم
تنزل عن درجة الإمكان، وكانت الصلاة تسمى إيماناً لأنها من أعظم ١٠
شرائعه "وما كان الله ليضيع إيمانكم"^٣ أى صلاتكم، وروى الطبراني
في الأوسط عن عبد الله بن قرط رضي الله عنه قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن
صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله، وله في الأوسط
أيضاً بسند ضعيف عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله ١٥
عليه وسلم: أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ينظر في صلاته، فإن
صلحت فقد أفلح، وإن فسدت فقد خاب وخسر. وكانت مخالطة
الازواج مظنة للتكاسل عنها، ولهذا أنزلت آية / "حفظوا على الصلوات"^٤

١٣ /

(١) في ظ: سبب (٢) من ظ، وفي الأصل: اباحة (٣) سورة ٢ آية ١٤٣ .

(٤) سقط من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٣٨ .

كما^١ مضى بالمحل الذي هي^٢ به ؛ لما كان ذلك كذلك ختمت هذه الآية بقوله تعالى منفرا من نكاحهن بعد إحلاله ، إشارة إلى أن الورع ابتعد^٣ عنه ، أمثالا للآيات الناهية عن مادة المحاد لئلا يحصل ميل فیدعو إلى المتابعة ، أو يحصل ولد ، فتستميله^٤ لدينها : ﴿ ومن ﴾ أى أحل لكم ذلك و الحال أنه من ﴿ يكفر ﴾ أى يوجد و يحدد الكفر على وجه طمأنينة القلب به^٥ و الاستمرار عليه إلى الموت ﴿ بالایمان ﴾ أى بسبب التصديق القلبي بكل ما جاءت به الرسل و أنزلت به الكتب ، الذى منه حل الكتابيات ، فیدعوه ذلك^٦ إلى نكاحهن ، فتحمله الخلطة على اتباع دينهن ، فيكفر بسبب ذلك التصديق فيكفر^٧ بالصلاة التى يلزم^٨ من^٩ الكفر بها الكفر^{١٠} به ، فاطلاقه عليها^{١١} تعظيم لها ” و ما كان الله ليضيع ایمانكم ” أى صلاتكم ﴿ فقد حبط ﴾ أى فسد ﴿ عمله ﴾ أى إذا اتصل ذلك بالموت بدليل قوله : ﴿ وهو فى الآخرة من الخسرين ﴾ و الآية من أدلة إمامنا الشافعى على استعمال اللفظ الواحد فى حقيقته و مجازه ، فحيث قصد التحذير من الكفر حقيقة [فالایمان حقيقة - ١٢] ، و حيث أريد الترهيب من إضاعة الصلاة فهو مجاز ، و بما يؤيد^{١٣} ذلك أن فى السفر الثانى من التوراة : لا تعاهدن^{١٤} سكان الأرض لكيلا تزلوا

(١) من ظ ، وفى الأصل : لما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : اسدع (٤) فى ظ : تستميله (٥-٥) فى ظ : فیدعوا بذلك (٦) فى ظ : و يكفر (٧) فى ظ : لم يلزم . (٨) من ظ ، وفى الأصل : فى (٩) تكرر فى ظ (١٠) من ظ ، وفى الأصل : عليه (١١) سورة ٢ آية ١٤٣ (١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ : يوكده (١٤) من نص التوراة ، وفى الأصل و ظ : لا تعاهدون .

بأوثانهم، و تذبحوا لآلهتهم، أو يدعوك فأكل من ذبائحهم، و تزوج
 بنيك^١ من بناتهم و بناتك من بنيتهم، فضل^٢ بناتك خلف آلهتهم^٣ و يضل
 بنوك بآلهتهم؛ و قال في الخامس منها: و إذا أدخلكم الله ربنا الأرض
 التي تدخلونها لثروها، و أهلك^٤ شعوبا كثيرة من بين أيديكم: حثانين
 و جرجسانين^٥ و أموريين و كنعانيين [و فرزانين - ٦] و حاوانيين^٥
 و يابسانيين - سبعة^٦ شعوب أكثر و أقوى منكم، و يدفعهم الله ربكم في أيديكم
 فاضربوهم و اقلوهم و انقوهم و حرموهم، و لا تعاهدوهم عهدا^٧ و لا ترحموهم،
 و تحاشوهم^٨ و لا تزوجوا بناتكم من بنيتهم، [و لا تزوجوا ببنيتكم من
 بناتهم - ٩] لئلا يغوين ببنيتكم عن عبادتي، و يخدعنهم فيعبدوا آلهة
 أخرى، و يشتد غضب الرب عليكم و يهلككم سريعا، و لكن اصنعوا بهم ١٠
 هذا الصنيع: استأصلوا مذابحهم، و "كسروا أنصابهم"، و حطموا أصنامهم
 المصبوغة، و أحرقوا أوثانهم المنحوتة، لأنكم شعب طاهر لله ربكم - انتهى.
 و إذا تأملت [جميع - ١٢] ذلك، و أمعنت^{١٣} فيه النظر لاح لك سر^{١٤} تعقيها
 بقوله تعالى في سياق مشير إلى البشارة بأن هذه الأمة تطيع و لا تعصى
 فتؤمن و لا تكفر، لما خص به كتابها من البيان الاتم في النظم المعجز ١٥

(١) في ظ: ابنك (٢) في ظ: فيضل (٣) في ظ: المهم (٤) من ظ، و في الأصل:
 اهل (٥) من ظ و التوراة، و في الأصل: جرجسانيين (٦) زيد من نصن
 التوراة (٧) من ظ و التوراة، و في الأصل: شعبة (٨) في ظ: عبدا (٩) في
 ظ: تحاشوهم (١٠) زيد من ظ و التوراة (١١-١٢) في ظ: نشروا الصبائهم -
 كذا (١٢) زيد من ظ (١٣) من ظ، و في الأصل: معنت

مع^١ شرف التذكير بما أفاضه من [شرف-^٢] جليل الأيادي، فافتح
 هذه السورة بالأمر بالوفاء بحق الربوية، وأتبعه التذكير بما وفي به
 سبحانه من حق الربوية من نوع المنافع في لذة المطعم وتوابه ولذة
 المنكح وتوابه، وقدم المطعم لأن الحاجة إليه فوق الحاجة إلى
 المنكح، فلما أتم ما ألزمه نفسه الأقدس من عهد الربوية فضلا منه،
 أتبعه الأمر بالوفاء بعهد العبودية، وقدم منه^٣ الصلاة لأنها أشرفه بعد
 الإيمان، وقدم الوضوء لأنه شرطها فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أي
 أقرؤا به^{١٢} صدقوه [بأنكم-^٢] (إذا) عبر بأداة التحقيق [بشارة-^٣]
 بأن الأمة مطيعة (قم) / أي بالفرة، وهي العزم الثابت على القيام
 ١٤ / الذي هو سبب القيام (إلى الصلوة) أي جنسها محدثين، لما بينه النبي
 صلى الله عليه وسلم بجمعه بعده [صلوات بوضوء واحد وإن كان التجديد
 أكل، وخصت الصلاة ومس المصحف من بين الأعمال بالأمر
 بالوضوء تشريفا لها-^١] ويزيد حمل^٢ الإيمان على الصلاة حسنا تقدم
 قوله تعالى "اليوم اكملت لكم دينكم" الثابت أنها نزلت على النبي
 ١٥ صلى الله عليه وسلم بعد عصر يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم على
 ناقته يخطب، وكان من خطبته في ذلك الوقت أو^٤ في يوم النحر أو^٥
 في كليهما: ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة
 العرب^٢، ولكن في التحريش بينهم - رواه أحمد ومسلم في صفة القيامة

(١) في ظ: من (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفي الأصل:
 بجميعة (٥) من ظ، وفي الأصل "و".

و الترمذى عن جابر رضى الله عنه ، فقوله « المصلون » إشارة إلى أن الماحى للشرك هو الصلاة ، فدامت قائمة فهو زائل ، و متى زالت - و العياذ بالله - رجع ، و إلى ذلك يشير ما رواه مسلم فى صحيحه و أصحاب السنن الأربعة عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بين العبد و الكفر ترك الصلاة ، و للأربعة و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم عن بريدة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الذى يئنا و بينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر^(١) ، و لآبى يعلى بسند ضعيف عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أزل ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة ، و آخر ما يبقى الصلاة .

و لما كان الوضوء فى سورة النساء إنما هو على سبيل الإشارة ١٠ إجمالاً ، صرح به هنا على سبيل الأمر و فصله ، فقال مجيباً للشرط إعلاماً بأن الأمر بالوضوء تبع للأمر بالصلاة ، لأن^(٢) المعلق على الشيء بحرف الشرط يعدم عند عدم الشرط : (فاعملوا) أى لأجل إرادة الصلاة ، و من هنا يعلم وجوب النية ، لأن فعل العاقل لا يكون إلا مقصوداً ، و فعل المأمور به لأجل الأمر هو النية (وجوهكم)^(٣) و حدّ الوجه ١٥ منابت شعر الرأس و منتهى الذقن طولاً و ما بين الأذنين عرضاً ، و ليس منه داخل العين و إن كان مأخوذاً من المواجهة ، لأنه من الحرج ،

(١) سقط من ظ (٢) تكرر بعده فى ظ : فمن تركها فقد كفر (٣) من ظ ، و فى الأصل : لا (٤) من ظ ، و فى الأصل : تعلم (٥) العبارة من هنا إلى « الخفيف فيجب » تأخرت فى الأصل عن « ملتقى العظمين » .

و كذا إيصال الماء إلى البشرة إذا كثفت اللحية خفف للخرج و اكتفى عنه^١
 بظاهر اللحية ، و أما العنفة و نحوها من الشعر الخفيف فيجب ﴿ و ايديكم ﴾ .
 و لما كانت اليد تطلق على ما بين المنكب و رؤس الأصابع ، قال
 مينا أن ابتداء الغسل يكون من الكفين ، لانهما لعظم النفع أولى
 ٥ بالاسم : ﴿ الى المرافق ﴾ أى آخرها ، أخذنا من بيان النبي صلى الله عليه
 و سلم بفعله ، فانه كان يدير الماء على مرفقيه ، و إنما كان^٢ الاعتماد على^٣
 اليان لأن الغاية تارة تدخل كقوله^٤ تعالى ” من المسجد الحرام الى
 المسجد الاقصى “ ، و تارة لا تدخل كقوله^٥ تعالى ” ثم اتموا الصيام
 الى آيل “ ، و المرفق ملتقى العظمين ، و عني عما فوق ذلك تخفيفا
 ١٠ ﴿ و امسحوا ﴾ و لما عدل عن تعدية الفعل إلى الرأس ، فلم يفعل
 كما فعل في الغسل مع الوجه ، بل أتى بالباء فقال : ﴿ برءوسكم ﴾ علم
 أن المراد إيجاد ما يسمى مسحاً في أى موضع كان من الرأس ، دون
 خصوص التعميم و هو معنى قول الكشاف : المراد إلصاق المسح بالرأس ،
 و مسح بعضه و مستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح .

١٥ و لما كان غسل الرجل مظنة الإسراف فكان مأموراً بالاقتصاد
 فيه ، و كان المسح على الخف سائغاً كافياً ، قرئ : ﴿ و ارجلكم ﴾ بالجر
 على المجاورة^٦ إشارة إلى ذلك [أو لأن الفاسل يدلك في الأغلب ،

(١) سقط من ظ (٢-٢) في ظ : على اعتماد (٣) في ظ : لقوله (٤) سورة ١٧
 آية ١ (٥) سورة ٢ آية ١٨٧ (٦) في ظ : المجاوزة .

قال في القاموس : المسح كالمنع : إمرار اليد على الشيء السائل . فيكون في ذلك إشارة أيضا إلى استجاب الدلك ، و القرينة الدالة على استعمال هذا المشترك في أحد المعنيين قراءة النصب و يان النبي صلى الله عليه وسلم ، و مر استعماله فيه - ١] و [فيه الإشارة إلى الرفق - ١] بالنصب على الأصل .

- ١٥ / و لما كانت الرجل من موضع الانشعاب^٢ من الأسفل إلى آخرها ، خص بقوله دالا بالغاية على أن المراد الفصل - كما مضى في المرافق ، لأن المسح^٣ لم يرد فيه غاية في الشريعة ، و ؛ على [أن - ١] ابتداء الفصل يكون من رؤس الأصابع ، لأن القدم بعظم^٤ تقع أولى باسم الرجل : (إلى^٥ الكعبين^٦) و هما العظمان النابتان عند مفصل الساق و القدم ، ١٠ و ثنى إشارة إلى أن لكل رجل كعبين ، و لو قيل : إلى الكعاب ، لفهم أن الواجب كعب واحد من كل رجل - كما ذكره الزركشي في مقابلة الجمع بالجمع من حرف الميم من قواعده ، و الفصل بالمسح بين^٧ المفصولات معلم بوجود الترتيب ، لأن عادة العرب - كما نقله الشيخ محي الدين النووي في شرح المذهب عن الأصحاب - أنها لا تفعل ذلك إلا للاعلام بالترتيب ، و قال ١٥ غيره معللا لما ألزمته العرب : ترك التمييز بين النوعين بذكر كل منهما على حدته مستهجن^٨ في الكلام البليغ لغير فائدة ، فوجب تنزيه كلام الله
- (١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢) في ظ : اشعاب (٣) في ظ : المراد .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و في الأصل : العظم (٦) زيد من ظ و القرآن الكريم (٧) في ظ : مهجين - كذا .

عنه أيضا، فدلالة الآية على وجوب البداءة بالوجه بما لا مدفع له لترتيبها له^١ بالحراسة على الشرط بالفاء، وذلك مقتضى لوجوب الترتيب في الباقي إذ لا قائل بالوجوب بالبعض دون البعض، ولعل تكرير الأمر بالغسل والتيمم للاهتمام بهما، وللتذكير^٢ بالنعمة في التوسعة بالتيمم، وأن حكمه باقي عند أمنهم وسعتهم كراهة أن يظن^٣ أنه إنما كان عند خوفهم وقلتهم وضيق التبسط^٤ في الأرض، لظهور الكفار وغلبيتهم، كما كانت المتعة تباح تارة وتمنع أخرى نظرا إلى الحاجة وفقدانها، وللإشارة إلى أنه من خصائص هذه الأمة، والإعلام بأنه لم يُرد به ولا شيء من المأمورات والمنهيات قبله الحرج، وإنما أراد طهارة الباطن والظاهر من أدناس الذنوب وأضرار الخلائق السالفة^٥، فقال تعالى معبرا بأداة الشك إشارة إلى أنه قد يقع و^٦ قد لا يقع^٧ وهو نادر^٨ على تقدير^٩ وقوعه، عاطفا على ما تقديره: هذا إن كنتم محدثين حدثا أصغر: ﴿وان كنتم﴾ أي حال القصد للصلاة ﴿جنباً﴾ أي بمنزلة باحتلام أو غيره ﴿فاطهروا﴾ أي بالغسل إن كنتم خالين عن عذر لجميع البدن، لأنه أطلق ولم يخص بعض الأعضاء كما في الوضوء.

١٥ ولما أتم أمر الطهارة عزيمته بالماء من الغسل والوضوء، وبدأ بالوضوء لعمومه، ذكر الطهارة رخصة بالتراب، فقال معبرا بأداة الشك إشارة إلى أن الرخاء أكثر من الشدة: ﴿وان كنتم مرضى﴾ أي

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: التذكير (٣) في ظ: نظن (٤) في ظ: البسط .
(٥) في ظ: السالفة (٦-٧) في ظ: قد يقع (٧) في ظ: قادر (٨) في ظ: تقديره،
والعبارة من بعده إلى «ما تقديره» ساقطة منه (٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ.

بمراح أو غيره ، فلم تجدوا ماء حسا أو^١ معنى بعدم القدرة على استعماله
 وأنتم جنب^٢ ﴿ أو على سفر ﴾ طويل أو قصير كذلك ، [ولما ذكر
 الأكبر أتبعه الأصغر فقال - ٢] : ﴿ أو جاء احد منكم ﴾ وهو غير
 جنب ﴿ من الغائط ﴾ أى الموضع المظن من الأرض وهو [أى - ٢]
 مكان التخلي ، أى قضيتم حاجة الإنسان التى لا بد له^٣ منها ، وينزه الكتاب ه
 عن التصريح بها لأنها من القائص المذكورة له بشديد عجزه و عظيم
 ضرورته^٤ و فقره^٥ ليكف من إعجابه وكبره و ترفعه و فجره - كما ورد أن
 بعض الأمراء لقي^٦ بعض البله فى طريق^٧ فلم يفسح له ، فغضب / وقال :
 ١٦/ كأنك ما تعرفنى ؟ فقال : بلى والله ! إني لأعرفك ، أولك^٨ نطفة مذرة
 وآخرك جيفة قدرة ، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة " . ١٠

ولما ذكر ما يخص الأصغر ذكر ما^٩ يعم الأكبر فقال : ﴿ أو لمستم
 النساء ﴾ أى بالذكر أو غيره أمنيتم أو لا ﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ أى حسا
 أو معنى بالعجز عن^{١٠} استعماله للرض^{١١} بمرح أو غيره ﴿ فتييموا ﴾ أى
 اقصدوا ، قصدا متعمدا ﴿ صعبدا ﴾ أى ترابا ﴿ طيبا ﴾ أى طهورا خالصا
 ﴿ فامسحوا ﴾ .

(١) من ظ ، وفى الأصل « و » ، (٢) فى ظ : جنبا (٣) زيد من ظ (٤) سقط
 من ظ (٥) فى الأصل و ظ : المذكورة (٦) فى ظ : سورته (٧) من ظ ، وفى
 الأصل : قرر (٨) فى ظ : اتى (٩) فى ظ : الطريق (١٠) فى ظ : تلك .
 (١١) هى الغائط وأردأ ما يخرج من الطعام (١٢) فى ظ : بما (١٣) من ظ ،
 وفى الأصل : من (١٤) فى ظ : للريض .

ولما كان التراب لكثافته لا يصل إلى ما يصل إليه الماء بلطافته،
 قَصَرَ الفعل وعدَّاه بالحرف إشارة إلى الاكتفاء بمرة والعفو عن
 المبالغة، وبينت السنة^١ أن المراد جميع العضو، فقال: ﴿بوجوهكم
 وَايديكم منه^٢﴾ أي حال النية التي هي القصد الذي هو التيمم، ثم أشار
 ٥ لهم إلى حكمته سبحانه في هذه الرخصة فقال مستأنفا: ﴿ما يريد الله﴾
 أي الغنى الغنى^٣ المطلق ﴿ليجعل عليكم﴾^٢ وأغرق^٣ في النقي بقوله:
 ﴿من حرج﴾ أي ضيق علما منه بضعفكم، فسهل عليكم ما كان عسره
 على من [كان - ^١] قلبكم، وإكراما لكم لأجل نبيكم صلى الله عليه
 وسلم، فلم يأمركم إلا بما يسهل عليكم ليقول عاصيكم ﴿ولكن يريد ليظهركم﴾
 ١٠ أي ظاهرا وباطنا بالماء والتراب و بامثال الأمر على [ما - ^١] شرعه
 سبحانه، عقلم معناه أولا، مع تسهيل الاوامر والنواهي لكيلا يوقعكم
 التشديد^٤ في المعصية التي هي رجس الباطن ﴿وليتم نعمته﴾ أي في
 التخفيف في العزائم ثم في الرخص، وفي وعدكم بالأجر على ما شرع
 لكم من الأفعال ﴿عليكم﴾ لأجل تسهيلها، ليكون فعلكم لها
 ١٥ واستحقاقكم لما رتب عليها من الأجر مقطوعا به، إلا لمن لج طبعه في
 العوج، وتمادى في الغواية والجهل والبطر ﴿لعلكم تشكرون﴾
 أي^٥ فعل ذلك كله - هذا^٦ التسهيل وغيره - ليكون حالكم لما سهل
 (١) من ظ، وفي الأصل: بالسنة (٢) سقط من ظ (٣-٣) في ظ: او عرف .
 (٤) زيد من ظ (ه-ه) في ظ: ليلا يوقعكم الشديد (٦) في ظ «و» (٧) في الأصل
 و ظ: و لعلكم، و التصحيح من القرآن الكريم (٨) في ظ: في .
 عليكم (٩) ٣٦

عليكم حال من يرجي صرفه لنعم ربه عليه^١ في طاعته^٢ المسهلة له^٣
 المحمية إليه؛ روى البخارى في التفسير وغيره عن عائشة رضى الله عنها
 قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم^٤ في بعض أسفاره،
 حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى، فأقام رسول الله
 صلى الله عليه وسلم^٥ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء ه
 وليس معهم ماء - وفي رواية: سقطت قلادة لى بالبيداء ونحن داخلون؛
 المدينة، فأناخ النبي صلى الله عليه وسلم ونزل، فشئ رأسه في حجرى راقدا -
 فأتى الناس إلى أبى بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ فجاء
 أبو بكر* فلكزنى لكزة شديدة وقال: حبست النبي صلى الله عليه وسلم
 في قلادة، فبى^٦ الموت لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ١٠
 أوجعنى، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتمس
 الماء فلم يوجد، فنزلت "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة" - الآية،
 وفي رواية: فأنزل الله آية التيمم "فتميموا" فقال أسيد بن حضير^٧:
 لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر^٨ ما أتم إلا بركة لهم، وفي
 رواية: ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر^٩، قالت: فبعثنا^{١٠} البعير الذى ١٥

(١) فى ظ: عليكم (٢ - ٢) فى ظ: يشتمله - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقین
 من ظ (٤) زيد فى ظ: فى (٥) من ظ، وفى الأصل: ابا بكر (٦) من صحيح
 البخارى، وفى الأصل: نهى، وفى ظ: فنى (٧) من الصحيح، وفى الأصل
 وظ: الحضير (٨) فى ظ: فبعث .

كنت عليه فاذا العقد تحته^١، وفي رواية له / عنها في النكاح أنها استعارت
من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً^٢
من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا
النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم، فقال أسيد
هـ ابن حضير: جزاك الله خيراً! فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك
منه مخرجاً، وجعل للمسلمين^٣ فيه بركة. وهذا الحديث يدل على أن
هذه الآية نزلت قبل آية النساء، فكانت تلك نزلت بعد ذلك لتأكيد
هذا الحكم ومزيد الامتثال به، لما فيه من عظيم اليسر ويحصل في
التيمم من الجنابة نص خاص، فيكون ذلك أغنى لشأنها وأدل على
١. الاهتمام [بها - ^١].

ولما كان في هذه المأمورات والمنهيات خروج عن المألوفات،
وكانت الصلاة أوثق عرى الدين، وكان قد عبر عنها بالإيمان الذي
هو أصل الدين وأساس الأعمال، عطف عليها قوله تذكيراً بما يوجب
القبول والالتقاد: ﴿واذكروا﴾ أى ذكر اتعاظ وتأمل واعتبار.
١٥ ولما كان المقصود من الإنعام غايته قال: ﴿نعمة الله﴾ أى الملك

الأعلى ﴿عليكم﴾ أى في هدايته لكم إلى الإسلام بعد أن كنتم على
شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، وفي غير ذلك من جميع النعم، وإنما
(١) من الصحيح، وفي الأصل: بحجته، وفي ظ: بجمته - كذا (٢) من ظ
والصحيح، وفي الأصل: ناس (٣) من ظ والصحيح، وفي الأصل: للمسكين.
(٤) زيد من ظ (هـ) في ظ: تذكير.

لم تجمع^١ لثلا يظن أن المقصود تعداد النعم، لا التدب إلى الشكر بتأمل
 أن هذا الجنس لا يقدر عليه غيره سبحانه، وعظّم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كما يستحقه بجعل فعله سبحانه فعله صلى الله عليه وسلم فقال:
 ﴿وميثاقه﴾ أى عقده الوثيق ﴿الذى واثقكم به﴾ أى بواسطة رسوله
 صلى الله عليه وسلم حين بايعكم ليلة العقبة على السمع والطاعة فى العسر^٥
 واليسر والمنشط والمكره ﴿اذ﴾ أى حين ﴿قلتم سمعنا واطعنا﴾
 وفى ذلك تحذير من مثل ما أراد بهم^٢ شاس بن قيس، وتذكير^٣ بما
 أوجب له صلى الله عليه وسلم عليهم من الشكر بهدايته لهم إلى الإسلام
 المثمر لالتزام تلك العهود ليلة العقبة الموجبة للوفاء الموعد عليه الجنة،
 والتفات^٤ إلى قوله أول السورة "أوفوا بالعقود" وحديث إسباغ^{١٠}
 الوضوء على المكاره مبين^{١١} لحسن هذا التناسب.

ولما كان أمر الوفاء بالعهد صعبا، لا يقوم به إلا من صدقت
 عريقته^٥ وصلحت سريره، وإنما يحمل عليه مخافة الله قال: ﴿واتقوا الله﴾
 أى اجعلوا بينكم وبين ما يغضب الملك الأعظم - الذى يفعل ما يشاء -
 من نقض العهد وقاية من حسن القيام، لتكونوا فى أعلى درجات وعيه^٦،
 ثم علل ذلك مرغبا مرهبا بقوله: ﴿إن الله﴾ أى الذى له صفات الكمال
 ﴿عليم﴾ أى بالغ العلم ﴿بذات الصدور﴾ أى أحوالها من سرائرها^٧

(١) فى ظ: لم يجمع (٢) فى ظ: به (٣) من ظ، وفى الأصل: تذكيرا (٤) فى
 الأصل و ظ: التفاتا (٥) فى ظ: عزيمته (٦-٦) فى ظ: الدرجات رعيه (٧) فى
 ظ: سائرها.

وإن كان صاحبها لم يعلمها لكونها لم تبرز^١ إلى الوجود، وعلانيتهما وإن كان صاحبها قد نسيها^٢.

ولما تقدم القيام إلى الصلاة، وتقدم ذكر الأزواج المأمور فيهن بالعدل في أول النساء و أمثاتها، وكان في الأزواج المذكورات هنا الكافرات، ناسب تعقيب ذلك بعد الأمر بالتقوى بقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى أقروا بالإيمان، ولما كان العدل في غاية الصعوبة

على الإنسان، فكان لذلك يحتاج المتخلق به إلى تدريب / كبير ليصير صفة راسخة، عبر بالكون فقال تعالى: ((كونوا قومين)) أى مجتهدين في

القيام على النساء اللاتي أخذتموهن بعهد الله، واستحلتم فروجهن بكلمة الله، وعلى غيرهن في الصلاة وغيرها من جميع الطاعات التي^٣

عاهدتم على الوفاء بها.

ولما كان مبنى السورة على الوفاء بالعهد الوثيق، وكان الوفاء

بذلك إنما يخف^٤ على النفوس، ويصح النشاط فيه، ويعظم العزم عليه

بالتذكير^٥ بجلالة موثقه وعدم انتهاك حرمة، لأن^٦ المعاهد إنما يكون

باسمه ولحفظ حده ورسمه، قدم قوله: (الله) أى الذى له الإحاطة

بكل شيء - بخلاف ما مضى في النساء.

ولما كان من جملة المعاهد^٧ عليه ليلة العقبة - ليلة توثقوا على

الإسلام - أن يقولوا بالحق حيث ما كانوا، لا يخافون في الله لومة لائم،

(١) من ظ، وفي الأصل: لم تبرزه (٢) في ظ: كسيها (٣) في ظ: اللاتي (٤) في

ظ: يمتحن (٥) في ظ: بالتذكير (٦) من ظ، وفي الأصل: إنما (٧) في ظ:

المعاقدين.

قال: ﴿ شهداء ﴾ أى متيقظين محضرين أفهامكم غاية الإحضار^١ بحيث لا يسد عنها شيء مما تريدون^٢ الشهادة به ﴿ بالقسط ﴾ أى العدل، وقال الإمام أبو حيان فى نهج^٣: إن التى [جاءت - ٢] فى سورة النساء جاءت فى معرض الاعتراف على نفسه وعلى الوالدين والأقربين، فبدأ^٤ فيها بالقسط الذى هو العدل^٥ و السواء^٦ من غير محاباة نفس ولا والد^٧ ولا قرابة، وهنا ه جاءت فى معرض ترك العداوات والأحقن^٨، فبدئ^٩ فيها بالقيام لله إذ كان الأمر بالقيام لله أولاً أردع للمؤمنين^{١٠}، ثم أردف بالشهادة بالعدل، فالتى فى معرض المحبة والمحابة بدئ^{١١} فيها بما هو آكد وهو القسط، و^{١٢} التى فى معرض العداوة والشنآن بدئ^{١٣} فيها بالقيام لله، فناسب كل معرض ما جىء به إليه، وأيضاً فتقدم هناك حديث النشوز والإعراض وقوله "ولن تستطيعوا ١٠ ان تعدلوا^{١٤}" وقوله "فلا جناح عليهما ان يصالحا^{١٥}" فناسب [ذكر - ٢] تقديم القسط، وهنا تأخر ذكر العداوة فناسب أن يحاورها ذكر القسط - انتهى .

ولما كان^{١٦} أمر بهذا الخبر، نهى بما يجب^{١٧} عنه فقال: ﴿ ولا يجرمنكم ﴾

- (١) سقط من ظ (٢) فى ظ: تريدون - كذا (٣) زيد من النهج - راجع البحر المحيط ٤٤٠/٣ (٤) من النهج، وفى الأصل وظ: فبدئ (هـ-ه) فى ظ: السواء، وفى النهج: والسؤال - كذا (٦) فى ظ: ولد (٧) من ظ والنهج، وفى الأصل: فبدأ (٨) من النهج، وفى الأصل وظ: للمؤمن (٩) من النهج، وفى الأصل وظ: بدأ (١٠) سورة ٤ آية ١٢٩ (١١) فى النهج: يصلحاً - راجع سورة ٤ آية ١٢٨ .
- (١٢) فى ظ: يجب .

أى يحملنكم (شأن قوم) [أى - ١] شدة عداوة من لهم قوة على القيام فى الأمور من المشركين ، بحيث يخشى من إهمالهم ازدياد قوتهم (على ألا تغدوا) [أى - ٢] تتركوا قصد العدل ، وهو يمكن أن يدخل فيه بغض أهل الزوجة الكافرة أو ازديادها^٢ فى شئ من حقوقها لأجل خسة دينها ، فأمرُوا بالعدل حتى بين [هذه - ١] المرأة الكافرة وضررتها المسلمات ، وإذا^٣ كان هذا شأن الأمر به فى الكافر فما الظن به فى المسلم ؟ ثم استأنف قوله آمرا بعد النهى تأكيدا^٤ لأمر العدل : (اعدلوا) [أى تحروا العدل واقصدوه فى كل شئ حتى فى هذه الزوجات وفيمن يجاوز^٥ فيكم الحدود ، فكلما عصوا الله فيكم أطيعوه^٦ فيهم ، فإن الذى منعكم من التجاوز خوفه يريكم من النصرة وصلاح الحال ما يسركم .

ولما كان ترك^٧ قصد العدل^٨ قد يقع لصاحبه^٩ العدل اتفاقا ، فيكون قريبا من التقوى ، قال مستأنفا^{١٠} معللا : (هو) [أى قصد العدل (أقرب) أى من ترك قصده (للتقوى) والإحسان الذى يتضمنه الصلح أقرب من العدل إليها ، وتعديده "أقرب" باللام دون 'إلى' المقتضية لنوع بعد زيادة فى الترغيب - كما مر^{١١} فى البقرة ؛] ولما كان الشئ لا يكون إلا بمقدماته ، وكان قد علم من هذا أن العدل مقدمة التقوى ، قال عاطفا

/ ١٩

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل و ظ : هى (٣) فى ظ : ان (٤) من ظ ، وفى الأصل : بتاكيدا (٥) فى ظ : تجاوز (٦) فى ظ : اطيعوا الله (٧-٧) فى ظ : القول - كذا (٨) فى ظ : لصاحبه (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : مضى .

على

على التهي أو على نحو: فاعدلوا - [١]: ﴿واتقوا الله﴾ ٢ أى اجعلوا ٣
 بينكم وبين غضب الملك الأعظم وقاية بالاحسان ٤ فضلا عن العدل،
 ويؤيد كون الآية ناظرة إلى النكاح مع ما ذكره ختام آية الشقاق التي
 في أول النساء بقوله "ان الله كان عليهما خيرا" ٥، وختام قوله تعالى
 في أو آخرها "وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا" بقوله ه
 "فان الله كان بما تعملون خيرا" وختام هذه بقوله معللا ٦ لما قبله:
 ﴿ان الله﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿خير بما تعملون ه﴾ لأن ما بين
 الزوجين ربما دق علمه عن إدراك غير العليم الخبير؛ وقال أبو حيان:
 لما كان الشئان محلله القلب، وهو الحامل على ترك العدل، أمر بالتقوى
 وآتى بصفة "خير" ومعناها "عليم" ولكنها بما تختص ٧ بما لطف إدراكه - ١٠
 انتهى. "وشهداء" يمكن أن يكون من الشهادة ٨ التي هي حضور
 القلب - كما تقدم من قوله "او اتق السمع وهو شهيد" ٩ وأن يكون
 من الشهادة المتعارفة، ويوضح المناسبة فيها مع تأييد إرادتها كونها
 بعد قوله "ان الله عليم بذات الصدور" ومع قوله تعالى "ومن يكتمها

- (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) في ظ: الذى جعل (٣) من ظ، وفي
 الأصل: الانسان - كذا (٤) في ظ: ذكرنا (٥ - ٥) في ظ: انه (٦) آية ٣٥ .
 (٧) من القرآن الكريم آية ١٢٨، وفي الأصل و ظ: ان (٨-٨) سقط ما بين
 الرقين من ظ (٩) من ظ و البحر المحيط ٣ / ٤٤١، وفي الأصل: يختص .
 (١٠) العبارة من هنا إلى « من الشهادة » سقطت من ظ (١١) سورة ٥٠
 آية ٣٧ .

فانه انتم قلبه^١، و ختام آية النساء التي في الشهادة بقوله^٢ ” وان تلوا^٣
او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خيرا^٤“ كما ختمت هذه بمثل ذلك .
ولما أمر سبحانه ونهى^٥، بشر وحذر فقال : ﴿ وعد الله ﴾ أى
الملك الذى له الكمال المطلق فله كل شيء ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أقروا
٥ . بالإيمان بألستهم ﴿ وعملوا ﴾ تصديقا لهذا الإقرار ﴿ الصلحت^٦ ﴾
وترك المفعول الثانى^٧ أقعد فى باب البشارة^٨ ، فانه يحتمل كل خير ،
وتذهب النفس فى تحريزه^٩ كل مذهب .

ولما كان الموعد شيئين : فضلا وإسقاط حق ، قدم الإسقاط
تأمينا للخوف ، فقال واضعا له موضع الموعد فى صيغة دالة على الثبات
١٠ . والاختصاص : ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لما فرط منهم لما طبع الإنسان عليه
من النقص نسيانا أو عمدا ، بعمل الواجبات إن كان صغيرة ، وبالتوبة
إن كان كبيرة ، وفيه إشارة إلى أنه لا يقدر^{١١} أحد أن يقدر^{١٢} الله حق
قدره ؛ ولما أمنهم بالتجاوز أتبعه الجود بالعطاء فقال : ﴿ واجر ﴾ أى
على قدر درجاتهم من حسن العمل ﴿ عظيمه ﴾ أى لا يدخل تفاوت
١٥ درجاته تحت الحصر .

ولما قدم الوعد لأنه فى سورة الذين آمنوا أتبعه الوعيد لأضدادهم ،
وهو أعظم وعد لأحبابه المؤمنين أيضا فقال : ﴿ والذين كفروا ﴾
أى غطوا ما اتضح لعقولهم من أدلة الوحداية ﴿ وكذبوا ﴾ أى زيادة

(١) سورة ٢ آية ٢٨٢ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٤ آية ١٣٥ (٤) زيدت
الواو بعده فى ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : الابشارة - كذا (٦) فى ظ :
تجوزوه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

على الستر بالعناد: ﴿بَايْتَنَا﴾ على ما لها من العظمة في أنفسها و بإضافتها إلينا ﴿أُولَئِكَ﴾ أى البغضاء البعداء من الرحمة خاصة ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أى النار التى اشتد توقدها فاشتد احمرارها ، فلا يراها شيء إلا أجحمت عنها ، فهم يلقون^١ فيها بما أقدموا على ما هو أهل للاجحام عنه من التكذيب بما لا ينبغي^٢ لأحد التكذيب به ، ثم يلازمونها فلا ينفكون^٥ عنها كما هو شأن صاحب .

ولما كان من الأجر ما يحصل من أسباب السعادة فى الدنيا ، قال تعالى ذاكرنا لهم بعض ذلك مذكرا ببعض ما خاطبهم به^٢ ليقدّموا على مباينة الكفرة و يقفوا / عند حدوده كائنه ما كانت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى صدقوا بالله و رسوله و كتابه ﴿اذكروا نعمت الله﴾ أى الذى ١٠ أحاط بكل شيء قدرة و علما ﴿عليكم﴾ عظمها بإبهامها ، ثم زادها تعظيما بالتذكير بوقتها فقال: ﴿إِذْ﴾ أى حين ﴿هَمَّ قَوْمٌ﴾ أى لهم قوة و منعة و قدرة على ما يقومون فيه ﴿أَن يَسْطَوْا إِلَيْكُم أَيْدِيَهُمْ﴾ أى بالقتال و القتل ، و هو شامل - مع ذكر من أسباب نزوله - لما اتفق صريحة ليلة العقبة من أن قريشا تنطست^٥ الخبر عن البيعة ، فلما صح عندهم طلبوا ١٥ أهل البيعة فقاتوهم إلا أنهم أدركوا سعد بن عبادة بأذاخر ، و المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة ، و كلاهما كان نقييا ، فأما المنذر فأعجزهم ، و أما سعد فأخذوه فربطوه و أقبلوا يضربونه ، حتى خلصه الله منهم بجبير بن مطعم

(١) فى ظ : يقولون (٢) فى ظ : ينبغي (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بما (٥) أى نجست و بحثت ، و فى ظ : تنطست - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : فأخذوا .

و الحارث بن حرب بن أمية بما كان بينه وبينها من الجوار ، فكان في سوق الآية بعد آية الميثاق الذي أعظمه ما كان ليلة العقبة أعظم مذكر بذلك (فكف ايديهم عنكم ج) أى مع قتلكم وكثرتهم^١ وضعفكم وقوتهم ، ولم يكن لكم^٢ ناصر^٣ إلا الذي^٤ آتمتم به تلك الليلة وتوكلتم عليه وبايعتم^٥ رسولهم ، فكف ببعض^٦ الأعداء عنكم أيدي بعض ، ولو شاء لسلطهم عليكم كما سلط ابن آدم على أخيه ؛ وينبغي^٧ أن يعلم^٨ أن القصة التي عُرِيت في بعض التفاسير هنا إلى بنى قريظة في الاستعانة في دية القتيلين إنما هي لبني النضير ، وهي كانت سبب إجلائهم .

ولما أمرهم بذكر النعمة ، عطف على ذلك الأمر الأمر^٩ بالخوف ١٠ من المنعم أن^{١٠} يدل نعمته بنعمة فقال : (واتقوا الله^{١١}) أى الملك الذى لا يطلق انتقامه لأنه لا كفوء له ، حذرا من أن يسلب عليكم أعداءكم^{١٢} من غير ذلك من سطواته .

ولما كان التقدير : على^{١٣} الله وحده في كل حالة فتوكلوا ، فانه جدير بنصر من انقطع إليه ولم يعتمد إلا عليه ، عطف على ذلك قوله تعميما ١٥ وتعليقا للحكم بالوصف : (وعلى الله^{١٤}) أى وحده لكونه لا مثل له (فليتوكل المؤمنون^{١٥}) أى في كل وقت فانه يمنهم إذا شاء كهذا المنع وإن اشتد الخطب وتعاضم الأمر . فتوكلوا ولا تنكروا عن^{١٦} أعدائكم الذين وعدكم الله أرضهم وديارهم وأبنائهم وتهابوا جوعهم كما هاب^{١٧}

(١) في ظ : كثرتكم (٢) في ظ : لهم (٣) في الأصل وظ : ناصرا (٤) في ظ : الذين .
(٥) في ظ : بعض (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) سقط من ظ (٨) في ظ : فعل (٩) في ظ : على (١٠) في ظ : هابوا .

بنو إسرائيل - كما سيقص عليكم، و قوله هنا "المؤمنون" و^١ في قصة
 بني إسرائيل "ان كنتم مؤمنين"^٢ شديد التأخي^٣، معلم بمقامي الفريقين،
 و حيثئذ حسن كل الحسن تعقيها مع ما تقدم من أمر العقبة و أمر بني
 النضير في نقضهم عهدهم و غدرهم، بما هموا به من قتل النبي صلى الله عليه
 و سلم بالقاء الرحي عليه من سطح البيت الذي أجلسوه إلى جانبه، بقوله ه
 إشارة إلى أن اليهود ما زالوا على النقض قديما، تحذيرا للمؤمنين من
 أن يكونوا مثلهم في النقض لئلا يحل بهم ما حل بهم من الصغار،
 و إعلاما بأن عاداته سبحانه في الإلزام بالتكاليف قديمة غير مخصوصة بهم،
 بل هي عامة لعباده و قد كلف أهل الكتاب، تشريفا لهم بمثل ما كلفهم
 به، و رغبتهم و رهبتهم ليسبقوهم في الطاعة، فان الأمر إذا عم هان^٤، ١٠
 و الإنسان إذا سابق اجتهد في أخذ الرهان^٥، و أكد الخبر بذلك
 اثلا يظن لشدة انهماكهم في النفس^٦ أنه لم يسبق لهم عهد^٧ قبل ذلك^٨ فقال
 تعالى/ : ﴿ ولقد اخذ الله ﴾ أي بما له من جميع الجلال و العظمة و الكمال
 ٢١/ ﴿ ميثاق بني اسرائيل ج ﴾ أي العهد الموثق بما أخذ عليكم من السمع
 و الطاعة ﴿ و بعثنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ منهم اثني عشر نقيبا ﴾ ١٥
 أي شاهدا، على كل سبط نقيب يكفلهم^٩ بالوفاء بما عليهم من^{١٠} الوفاء
 به - كما بعثنا منكم ليلة العقبة^{١١} اثني عشر نقيبا^{١٢} و أخذنا منكم الميثاق على

(١) سقط من ظ (٢) آية ٢٣ (٣) في ظ: النابى (٤) في ظ: هناك - كذا (٥) من
 ظ، و في الأصل: البراهين (٦) في ظ: الفسق (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٨) في ظ: يكفلهم (٩-٩) تكرر في ظ بعد « منكم الميثاق » .

ما أحاله^١ الإسلام - كما قال كعب بن مالك رضى الله عنه فى تخلفه عن تبوك : ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وأما تفصيله فمذكور فى السير ، والنقيب : الذى ينقب عن أحوال القوم كما قيل : عريف ، لأنه يتعرفها ، ومن ذلك المناقب ه وهى الفضائل ، لأنها لا تظهر إلا بالتقريب عنها ﴿ وقال الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة وعلما لبنى إسرائيل ، وأكد^٢ لتكرار^٣ جزعهم وتقلبهم فقال : ﴿ انى معكم^٤ ﴾ وهو كناية عن الكفاية لأن القادر إذا كان مع أحد كان كذلك^٥ إذا لم يغضبه .

ولما أنهى^٦ الترغيب بالمعية استأنف^٧ بيان [شرط - ٧] ذلك بقوله ١٠ مؤكداً لمثل ما مضى : ﴿ لئن اقمتم ﴾ أى أنشأنتم^٨ ﴿ الصلوة ﴾ أى التى هى صلة ما بين العبد والخالق ، بجميع شروطها وأركانها ؛ [ولما كان - ٧] المقصود من الإنفاق المؤاساة بالإيتاء قال : ﴿ واتيتم الزكاة ﴾ أى التى هى بين^٩ الحق والخلأق^{١٠} .

ولما كان الخطاب مع من آمن بموسى عليه السلام ، وكانوا [فى - ٧] ١٥ كل قليل يترددون عن اتباعه أو كمال اتباعه ، وكان سبحانه عالماً بأن ميلهم بعده يكون أكثر ، فرتب فى الأزل أنه تواتر إليهم بعده الرسل يحفظونهم عن الزيغ ويقومون منهم الميل قال^{١١} : ﴿ وامنتم برسلى ﴾ أى

(١) من ظ ، وفى الأصل : اعاله (٢) من ظ ، وفى الأصل : ذاكرا - كذا (٣) فى ظ : ليكرر (٤) فى ظ : لذلك (٥) فى ظ : انتهى (٦) تقدم فى الأصل على « انتهى الترغيب » ، وزيد بعده فى الأصل : شرطاً ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : استام - كذا (٩-٩) فى ظ : الخلق والخالق (١٠) سقط من ظ . أدمتم (١٢) ٤٨

أدتم الإيمان بموسى عليه السلام ، و جدتم الإيمان بمن يأتي بعده ،
فصدتموهم^١ في جميع ما يأمرونكم به^٢ (و عززتموهم^٣) أى ذبتم عنهم
و نصرتموهم و منعتموهم أشد المنع ، و التعزير و التأخير من باب واحد .
و لما كان من أعظم المصدق للإيمان و نصر الرسل بذل المال
فهو البرهان قال : (و اقرضتم الله^٤) أى الجامع لكل وصف جميل ه
(قرضا حسنا^٥) أى بالإتفاق في جميع سبل الخير ، و أعظمها الجهاد
و الإعانة فيه للضعفاء .

و لما كان الإنسان محل النقصان ، فهو لا ينفك عن زلل أو تقصير
و إن اجتهد في صالح العمل ، قال سادًا - بجواب القسم الذى وطأت
له اللام الداخلة على الشرط - مسدّ جواب الشرط : (لا كفرن^٦) أى ١٠
لاسترن^٧ (عنكم سيأتكم^٨) أى فعلكم لما من شأنه أن يسوء (و لا دخلنكم^٩)
أى فضلا منى (جنت تجري^{١٠}) و لما كان الماء لا يحسن إلا بقربه و انكشافه
عن بعض الأرض قال : (من تحتها الانهر^{١١}) أى [من - ٢] شدة
الرى^{١٢} (فن كفر^{١٣}) [و لما - ٢] كان الله^{١٤} سبحانه لا يعذب حتى يبعث
رسولا ، و كان المهلك من المعاصى بعد الإرسال ما اتصل بالموت فأحبط ١٥
ما قبله ، نزع الجار فقال : (بعد ذلك^{١٥}) أى [الشرط المؤكد - ٢] بالامر^{١٦}
العظيم الشأن (منكم^{١٧}) [أى بعد ما رأى من الآيات و أقرّ به من
المواثيق - ٢] (فقد ضل^{١٨}) أى ترك و ضيّع ، يستعمل قاصرا بمعنى :
حارًا ، و متعديا كما هنا (سوء^{١٩}) أى وسط و عدل^{٢٠} (السيل^{٢١} ه)

(١) في ظ : فصدتموه (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في
الأصل : الامر (ه) في ظ : جار (٦) في ظ : عده .

أى^١ لأن ذلك كفر بعد البيان العظيم فهو أعظم من غيره ، وفى هذا تحذير شديد لهذه الأمة ، لأن المعنى : فان نقضتم^٢ الميثاق - كما نقضوا - بمثل استدراج شاس بن قيس و غيره^٣ ، صنعنا / بكم ما صنعنا بهم حين نقضوا ، من إلزامهم الذلة والمسكنة و [غير -^٤] ذلك من آثار الغضب ،
 ٥ و إن وفيتم بالعهود آتيناكم أعظم مما آتيناكم من فتح البلاد و الظهور^٥ على سائر العباد ؛ قال ابن الزبير : و لهذا الغرض و الله أعلم - أى غرض^٦ التحذير من نقض العهد - ذكر هنا العهد المشار إليه فى قوله تعالى " و اوفوا بعهدي^٧ " فقال تعالى " و لقد اخذ الله^٨ ميثاق بنى اسرائيل - إلى قوله - فقد ضل سواء السبيل " ثم بين نقضهم و بنى^٩ اللعنة و كل
 ١٠ محنة ابتلوا بها عليه فقال " فيما نقضهم ميثاقهم " و ذكر تعالى عهد الآخرين فقال " و من الذين قالوا انا نصرى اخذنا ميثاقهم^{١٠} - الآية ، ثم فصل تعالى للمؤمنين أفعال الفريقين ليتبين^{١١} لهم ما نقضوا فيه من ادعائهم فى المسيح ما ادعوا ، و قولهم^{١٢} نحن أبناء الله و أحباؤه ، و كفهم عن فتح الارض المقدسة ، و إسرافهم فى القتل و غيره ، و تغييرهم أحكام التوراة - إلى غير ذلك مما ذكره فى هذه السورة ، ثم بين تفاوتهم فى البعد عن الاستجابة فقال
 ١٥ تعالى " لتجدن اشد الناس عداوة^{١٣} للذين آمنوا^{١٤} - الآية - انتهى . و ينبغى ذكر النقباء من هذه الفرق الثلاث بأسماءهم و ما دعى إلى ذلك تحقيقا

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : نقضهم (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فحذفناها (٦) - سورة ٢ آية ٤ (٧) فى ظ : بين (٨ - ٨) سقط ما بين الرقنين من ظ .

للامر وزيادة تبصرة^١، أما اليهود فكان^٢ فيهم ذلك^٣ مرتين: الاولى:
قال في السفر الرابع من التوراة: إن الرب تبارك اسمه كلم موسى النبي في جبل
سينا وفي قبة الامد في أول يوم من الشهر الثاني في السنة الثانية لخروج
بنى إسرائيل من مصر وقال الله: أحص عدد جماعة بنى إسرائيل كلها في
قبائلهم. كل ذكر من أبناء عشرين سنة إلى فوق، كل من يخرج في الحرب، ه
وأحصهم أنت^٤ وأخوك هارون^٥، وليكن معكما من كل سبط رجل،
ويكون الرجل رئيسا في^٦ بيته، ثم بين بعد ذلك أن كل رجل منهم
يكون قائد جماعته، ينزلون بنزوله^٧ حول قبة الزمان ويرحلون برحيله،
ويطيعونه فيما يأمر به، ففعل^٨ موسى و هارون ما أمرهما الله به و اتدبوا
اثني عشر رجلا كما أمر الله، فمن سبط روبيل: إليصور بن شداور، ومن ١٠
سبط شمعون: سلوميل بن صوريشدي^٩، ومن سبط يهوذا: نحشون^{١٠}
ابن عميناذاب، ومن سبط إيشاخار: تنائيل بن ضوغر^{١١}، ومن سبط
زابلون: أليب بن حيلون^{١٢}، ومن سبط يوسف من آل^{١٣} إفرائيم: إليسمع
ابن عميهوذ، ومن سبط منشا: جليلال بن فداهصور^{١٤} - قلت: ومنشا هو

(١) في ظ: لنصرة (٢ - ٢) في ظ: ذلك فيهم (٣ - ٣) في ظ: و هارون اخوك.
(٤) زيد بعده في ظ: من (٥) في ظ: من (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: بفعل.
(٨ - ٨) من ظ و التوراة، وفي الأصل: شلوميل بن صوشدي - كذا (٩) من
التوراة، وفي الأصل وظ: نحشون (١٠) من التوراة، وفي الأصل: صوغر،
وفي ظ: ضوغر - كذا (١١) من ظ و التوراة، وفي الأصل: علون (١٢) في
ظ: اول (١٣) من التوراة، وفي الأصل: بصور، وفي ظ: برصور - كذا.

ابن يوسف وهو أخو إفرائيم - ومن سبط بنيامين: أيدان بن جدعوني، ومن سبط دان^١:^٢ أخيعزر بن عميشدي^٣، ومن سبط آشير: فجائيل بن عخرن^٤، ومن سبط جاد: إليساف^٥ بن دعوائيل^٦، ومن سبط نفتالي^٧: أخيراع ابن عينان^٨؛ وسبط لاوي هم سبط موسى وهارون عليهما السلام لم يذكرهما لأنهم -^٩ كانوا لحفظ قبة الزمان، فوسى وهارون عليهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم على قومه - كما سيأتي، و المرة الثانية كانت ليجسوا^{١٠} أمر بيت المقدس، قال في أثناء هذا السفر: وكلم الرب موسى و^{١١} قال له: أرسل قوما^{١٢} يحسون الأرض التي أعطى بني إسرائيل، وليكون^{١٣} الذين ترسل^{١٤} رجلا من [كل -^{١٥}] سبط من رؤساء آبائهم، فأرسلهم موسى ١٠ من بركة فاران عن قول الرب، رجلا^{١٦} من رؤساء بني إسرائيل، / وهذه أسماءهم من سبط روبيل: ساموع بن ذكور، ومن سبط شمعون: سافاط بن حوري، ومن سبط يهوذا: كلاب بن يوفنا^{١٧}، ومن سبط إيشاخار: إجال^{١٨} بن يوسف، ومن سبط إفرائيم^{١٩}: هوساع بن نون،

/ ٢٣

(١) في ظ: ذان (٢ - ٢) في ظ: هينون ابن واما عبيصهرى - كذا (٣) في ظ: عجرن (٤) في ظ: البساق - كذا (٥) من التوراة، وفي الأصل: زعوايل، وفي ظ: زعوايل - كذا (٦) من التوراة، وفي الأصل و ظ: نفتال (٧) من التوراة، وفي الأصل: غير، وفي ظ: عين - كذا (٨) زيد من ظ (٩) في ظ: ليحسو - كذا (١٠) سقطت الواو من ظ (١١) في ظ: قومك (١٢) في ظ: يكون. (١٣) في ظ: يرسل (١٤) في ظ: رجلا (١٥) في ظ: موقنا (١٦) من التوراة، وفي الأصل و ظ: بغائل - كذا (١٧) من التوراة، وفي الأصل و ظ: افرام - كذا.

و من سبط بنيامين: فلطى^١ بن رافو، و من سبط زابلون: جدى إيل^٢
 ابن سودى، و من سبط^٣ يوسف من سبط منشا: جدى بن سوسى،
 و من سبط دان^٤: عميال بن جمل، و من سبط آشير: ساتور^٥ بن ميخائيل،
 و من سبط^٦ نفتالى: نجى بن وفسى^٧، و من سبط جادا: جواتل^٨ بن
 ماخى، هؤلاء الذين أرسلهم^٩ و تقدم إليهم بالوصية. و أما النصارى^{١٠} ففى
 إنجيل متى مانصه: ودعا - يعنى عيسى عليه السلام - تلاميذه الاثنى عشر،
 و أعطاهم سلطانا على جميع الأرواح النجسة لكي يخرجوها و يشفوا كل
 الأمراض؛ و فى إنجيل مرقس: و صعد إلى الجبل و دعا الذين أحبهم
 فأتوا إليه. و تختب اثنى عشر ليكونوا معه، و لئكى يرسلهم ليكرزوا^{١١}،
 و أعطاهم سلطانا على شفاء الأمراض و إخراج الشياطين؛ و فى إنجيل^{١٢}
 لوقا: و دعا الاثنى عشر الرسل و أعطاهم قوة و سلطانا على جميع
 الشياطين و إشفاء المرضى^{١٣}، و أرسلهم ليكرزوا بملكوت الله و يشفون
 الأوجاع، و هذه أسماءهم: شمعون^{١٤} المسمى بطرس، و أندراوس أخوه،
 و يعقوب بن زبدي^{١٥}، و يوحنا أخوه - وقال فى إنجيل^{١٦} مرقس: وسماهما
 (١) من التوراة، و فى الأصل: باطى، و فى ظ: ممطر - كذا (٢) من ظ
 و التوراة، و فى الأصل: جدى (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) من
 ظ و التوراة، و فى الأصل: سابور (٥-٥) من التوراة، و فى الأصل:
 نفتال نجى بن وفسى، و فى ظ: بقتال يحيى بن وفس - كذا (٦) سقط من ظ.
 (٧) فى ظ: عواىل - كذا (٨) من ظ، و فى الأصل: ليكرزوا (٩) زيد بعده فى
 الأصل: و أعطاهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و الإنجيل فخذناها (١٠) من الإنجيل،
 و فى الأصل وظ: سمعان (١١) فى ظ: زبدي (١٢) من ظ. و فى الأصل: الانجيل.

باسم^١ يوارجس^٢ اللذين هما ابنا الرعد - و فيلبس^٣، و برتولوماي^٤،
 [و توما - ^٥]، و متى العشار، و يعقوب بن حلفا، و ليا الذي يدعى
 بداوس، و قد اختلفت الاناجيل في هذا، ففي إنجيل مرقس بدله : تدى،
 و في إنجيل لوقا : يهودا بن يعقوب، ثم اتفقوا : و شمعون^٦ القاناني - و في
 ٥ إنجيل لوقا^٧ : المدعو الغيور^٨ - و يهودا الإسخريوطي الذي أسلمه . و أما نقيب
 الإسلام فكانوا ليلة العقبة الأخيرة حين بايع النبي صلى الله عليه وسلم
 الانصار رضى الله عنهم على الحرب و أن يمنوه إذا وصل إلى بلدهم،
 و قال لهم صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم^٩ اثني عشر نقيبا يكونون
 على قومهم كما اختار موسى من قومه، و أخرجوا منهم اثني عشر نقيبا :
 ١٠ تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس، فقال لهم : أتم على قومكم بما فيهم
 كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى ابن مريم، و أنا كفيل على قومي، قالوا :
 نعم، و هذه أسماؤهم من الخزرج : أبو أمامة أسعد بن زرار، و سعد بن
 الربيع، و سعد بن عباد، و عبد الله بن رواحة، و رافع بن مالك بن
 العجلان، و البراء بن معرور^٩، و عبد الله بن عمرو بن حرام^{١٠} أبو جابر،
 ١٥ و عباد بن الصامت، و المنذر بن عمرو^{١١}، و من^{١٢} الأوس : أسيد بن حضير^{١٣}،
 و سعد بن خيثمة، و رفاع بن عبد المنذر، و أبو الهيثم بن^{١٤} التيهان، قال

(١) من ظ، و في الأصل : باسماء (٢) من الإنجيل، و في الأصل : يوارجس،
 و في ظ : يوارجس - كذا (٣) من ظ و الإنجيل . و في الأصل : فسيلس - كذا .
 (٤) زيد من ظ و الإنجيل (٥) من الإنجيل، و في الأصل و ظ : سمعان .
 (٦) زيد بعده في ظ : يهودا (٧) في ظ : لتيور (٨) سقط من ظ (٩) في ظ :
 معاور (١٠) من سيرة ابن هشام ١٠٥/١ و التهذيب، و في الأصل و ظ : حزام .
 (١١) من السيرة ١٠٦/١، و في الأصل و ظ : الحضير .

ابن هشام : وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري
وذكر أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاة فقال :

أبلغ أبيًا أنه قال^١ رأيته و حان غداة الشعب والحين واقع
أبي الله^٢ ما منّك^٣ نفسك إنه بمرصاد^٤ أمر الناس رأي^٥ و سامع
و أبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا بأحمد نور من هدى^٦ الله ساطع^٥
/ فلا ترغب^٧ في حشد أمر تريده و ألْب و جمع كل ما أنت جامع
و دونك فاعلم أن نقض عهدنا أباه عليك الرهط حين تبايعوا^٨
أباه البراء [و-^٩] ابن عمرو كلاهما وأسعد ياباه عليك و رافع
و سعد أباه الساعدي و منذر لأنفك^{١٠} إن حاولت ذلك^{١١} جادع^{١٢}
و ما ابن ربيع إن تناولت عهده بمسلمه^{١٣} لا يطمعن^{١٤} ثم طامع^{١٥}
و أيضا فلا يعطيك ابن رواحة و إخفاره^{١٦} من دونه السم نافع^{١٧}
وفاء به والقول^{١٨} بن صامت بمندوحة عما تحاول^{١٩} يافع^{٢٠}
أبو هيثم أيضا وفي^{٢١} بمثلها وفاء بما أعطى من العهد خانع
و ما ابن حضير إن أردت بمطمع فهل أنت عن^{٢٢} أحوقة الغي نازع^{٢٣}

- (١) من نسخة من السيرة ، وفي الأصل وظ و السيرة : قال (٢) من السيرة ،
وفي الأصل و ظ : لله (٣) في ظ : فيك (٤) في ظ : مرصاد (٥) من ظ
و السيرة ، وفي الأصل : يدي (٦) من ظ و السيرة ، وفي الأصل : تتابعوا .
(٧) زبدت الواو من السيرة (٨) في ظ : ذاك (٩) من السيرة ، وفي الأصل :
خادع ، وفي ظ : جازع - كذا (١٠) من السيرة ، وفي الأصل : بمسلمة ، وفي
ظ : بمسلمة (١١) من السيرة ، وفي الأصل و ظ : اخفاه (١٢) في ظ : نامع .
(١٣-١٤) في ظ : بمندرج عما تحاول - كذا (١٥) من السيرة ، وفي الأصل
و ظ : نافع (١٦) سقط من ظ (١٧) في ظ : منازع .

وسعد أخو عمرو بن عوف فانه ضروح لما حاولت ملائمة مانع
 أولاك^٢ نجوم لا يغيبك^٣ منهم عليك بنحس في دجى الليل طالع
 فأما نقباء اليهود في جس^٤ الأرض فلم يوف منهم إلا اثنان - كما سيأتى
 قريبا عن بعض التوراة التى^٥ بين أيديهم ، وأما نقباء النصارى^٦ فنقض
 ٥ منهم واحد - كما مضى عند قوله تعالى " وما قتلوه وما صلبوه " و سيأتى
 إن شاء الله تعالى فى الأنعام عند قوله تعالى " لا نذكركم به ومن بلغ " ، وأما
 نقباؤنا فكلهم وفى وبرّ بتوفيق الله وعونه فله^٧ أتم الحمد .

ولما ذكر سبحانه ما أخذ على اليهود من الميثاق ووعده لهم إن
 كفروا بعد ذلك ، ذكر^٨ أنهم نقضوا مرة بعد مرة - كما تقدم فى
 ١٠ سورة البقرة وغيرها كثير^٩ منه عن^{١٠} نص ما عندهم من التوراة - فاستحقوا
 ما هم فيه من الخزي ، فقال تعالى مسيبا عما مضى^{١١} مؤكدا بما النافية لصد
 ما أثبتته الكلام^{١٢} : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ [أى - ١٦] بتكذيب الرسل
 الآتين من بعد موسى عليه السلام ، وقتلهم الأنبياء ، وبذم كتاب الله
 وراء ظهورهم فى كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ،

(١) من ظ و السيرة ، أى من الأمر ، وفى الأصل : ما الامر - كذا (٢) فى ظ :
 أولا - كذا (٣) من السيرة ، وفى الأصل : لا يغيبك ، وفى ظ : لا ينفك .
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : فنى (٥) فى ظ : نخمس - كذا (٦) من ظ ،
 وفى الأصل : بالتى (٧) فى ظ : الانصار (٨) سورة ٤ آية ١٥٧ (٩) آية ١٩ .
 (١٠) فى ظ : كلمة - كذا (١١) من ظ ، وفى الأصل : اذكر (١٢) من ظ ،
 وفى الأصل : كثيرة (١٣) فى ظ : على (١٤) زيد بعده فى ظ : مسيبا (١٥) فى ظ :
 بالكلام (١٦) زيد من ظ .

[لا بغير ذلك -]^١ كما نقض بنو النضير^٢ فسلطكم الله عليهم بما أشار إليهم
في سورة الحشر ﴿لَعْنَهُمْ﴾ أى أبعدها بعد أنا وعدناهم القرب بالكون
معهم إن وفوا .

ولما كان البعيد قد يكون رقيق القلب ، متأسفاً على بعده ، ساعيا
في أسباب قربه ، باقيا على عافية ربه ، فيرجى بذلك له^٣ الغفران^٤
لذنبه^٥، أخبر أنهم على غير ذلك بقوله : ﴿ وجعلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ قلوبهم
قسية ﴾ أى صلبة عاسية^٦ بالغش^٧ فهي غير قابلة للنصيحة ، لأن الذهب
الخالص يكون لنا ، والمشوش يكون فيه يبس و صلابة ، وكل لين
قابل للإصلاح بسهولة ، ثم بين قساوتها بما دل على نقضهم بقوله : ﴿ يحرفون
الكلم ﴾ أى يحددون^٨ كل وقت تحريفه ﴿ عن مواضعه ﴾^٩ فانهم كلما^{١٠}
وجدوا شيئا من كلام الله يشهد بضلالهم حرفوه إلى شهواتهم ، وأزلوه
التأويل الباطل بأهوائهم ، فهم يحرفون الكلم و معايبها .

ولما كانوا قد تركوا أصلا و رأسا ما لا يقدرון لصراحتهم على تحريفه ،
قال معبرا بالماضى إعلاما بحرمهم بالبراءة من ذلك : ﴿ ونسوا حظا ﴾ أى
نصييا نافعا / معيلا لهم ﴿ بما ذكروا به ﴾^{١١} أى من التوراة على السنة أنبيائهم ١٥ / ٢٥
عيسى و من قبله عليهم السلام ، تركوه ترك الناسى للشئ لقلة مبالاته
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بنى النضير (٣) فى ظ : متشفا (٤) من ظ . وفى
الأصل : باكيا (٥) تقدم فى ظ على «بذلك» (٦-٦) فى ظ : غفران ذنبه (٧) فى ظ :
عاسية (٨) من ظ ، وفى الأصل : بالغشى (٩) فى ظ : متجددون .

به^١ بحيث لم يكن لهم رجوع إليه^٢، وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه^٣
قال: قد^٤ ينسى المرء بعض العلم [بالمعصية - ٢] - و تلا هذه الآية .
ولما ذكر سبحانه ما يفعلونه في حقه في كلامه الذى هو صفته ،
أتبعه ما يعم حقه و حق نبيه صلى الله عليه وسلم على وجه معلم أن الحياة
• ديدنهم^٥ ، تسلياً له صلى الله عليه وسلم فقال^٦: ﴿ ولا تزال ﴾ أى بما
نظلمك^٧ عليه يا أكرم الخلق ! ﴿ تطلع ﴾ أى تظهر ظهوراً يليغاً ﴿ على
خائنة ﴾ أى خيانة عظيمة تستحق أن تسمى فاعلها الخؤون^٨ لشدتها
﴿ منهم ﴾ أى فى حقك بقصد الأذى ، وفى حق الله تعالى باخفاء
بعض ما شرعه لهم^٩ ﴿ الا قليلا منهم ﴾ فانهم يكونون على نهج
١٠ الاستقامة إما بالإيمان ، وإما بالوفاء و هم متمسكون بالكفر . ثم سبب
عن هذا الذى فى حقه صلى الله عليه وسلم قوله : ﴿ فاعف عنهم ﴾ أى
امح ذنبهم ذلك الذى اجترحوه ، وهو دون النقص و التحريف ،
فلا تعاقبهم عليه .

ولما كان العفو لا يمنع المعاتبة قال^{١١}: ﴿ و اصفح ﴾ أى و أعرض
١٥ عن ذلك أصلاً و رأساً ، فلا تعاتبهم عليه كما لم تعاقبهم ، فان ذلك
إحسان منك ، و إذا أحسنت أحبك^{١٢} الله ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له جميع
صفات الكمال ﴿ يحب المحسنين ٥ ﴾ و ذلك - كما روى الشيخان و غيرهما
عن عائشة رضى الله عنها - أن النبى صلى الله عليه وسلم سحره رجل من

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : عليه (٣) زيد من ظ (٤) من ظ . وفى الأصل :
ديتهم (٥) فى ظ : يظلمك (٦-٧) فى ظ : فاعله للخوف - كذا (٧) فى ظ : بهم .
(٨) فى ظ : احب .

اليهود يقال له ليد بن الأعصم - وفي رواية للبخارى : أنه^١ رجل من
بنى زريق حليف لليهود^٢ و كان منافقا - حتى كان^٣ يخيل إليه أنه يأتي
النساء ولا يأتين ، وذلك أشد السحر ، ثم إن الله تعالى شفاه وأعلمه
أن السحر في بئر ذروان ، فقالت له^٤ عائشة رضي الله عنها : أفلا أخرجته ؟
فقال : لا ، أما أنا فقد عافاني الله و كرهت أن أثير^٥ على الناس^٦ شرا ، ه
فأمر^٧ بها فدفنت ، وهو في مجمع الطبراني الكبير - وهذا لفظه - و مسند
أبي يعلى الموصلي و سنن النسائي الكبرى^٨ و مسند عبد بن حميد و أبي بكر
ابن أبي شيبة و أحمد بن منيع عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : كان
رجل^٩ يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم . فعقد له عقدا فجعله في بئر
رجل من الانصار ، فأتاه ملكان يعودانه فقعد أحدهما عند رأسه ١٠
و الآخر عند رجله ، فقال أحدهما : أتدرى ما وجعه ؟ قال : فلان الذي^{١١}
يدخل عليه عقد له عقدا فآلقاه في بئر فلان الانصارى ، فلو أرسل
[إليه - ١٢] رجلا^{١٣} لوجد الماء أصفر ، فبعث رجلا فأخذ العقد فخلها^{١٤}
فبرأ ، فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر
[له - ١٥] شيئا منه ولم يعاتبه^{١٦} . و للشيخين عن أنس رضي الله عنه أن ١٥
(١) في ظ : ان (٢) في ظ : اليهود (٣) سقط من ظ (٤) من صحيح البخارى -
كتاب الطب ، وفي الأصل : اشير ، وفي ظ : اسير (هـ) سقط ما بين
الرفين من ظ (٦) من الصحيح ، وفي الأصل و ظ : فامرت (٧) في ظ : الكبير .
(٨) في ظ : برجل (٩) سقط من مجمع الزوائد ٢٨٠/٦ (١٠) زيد من المجمع .
(١١) في ظ : لخلها (١٢) زيد من ظ و المجمع (١٣) في ظ : لا يعاتبه .

امراة يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها،
 فجئى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأها عن ذلك فقالت : أردت
 لاقتلك ، قال : ما كان الله ليلسطك على ذلك - أو قال : على - قالوا :
 فلا تقتلها ؟ قال : لا ، قال : فازلت أعرفها في لهوات النبي صلى الله عليه
 وسلم . وفى رواية : إنها كانت سبب موت النبي صلى الله عليه وسلم
 بانقطاع أبهره الشريف منها [بعد - ٢] سنين ٢ ، وفى سنن أبى داود من
 وجه مرسل أنه قتل اليهودية ، و الأول هو الصحيح ، و سأتى لهذا
 الحديث / ذكره فى هذه السورة عند " و الله يعصمك من الناس " ،
 فهذا غاية العفو و الإحسان أمثالا * لامر الله * سبحانه .

٢٦

١٠. ولما دخل النصارى فيما مضى لأنهم من بنى إسرائيل ، خصهم
 بالذكر لأن كفرهم أشد و أسمع فقال : ﴿ و من الذين قالوا ﴾ أى مسمين
 أنفسهم ملزمين لها النصره لله ، مؤكدين قولهم ردا على من يرتاب فيه :
 ﴿ انا نصرى ﴾ أى مبالغون فى [نصره - ٢] الحق ، فالتعبير بذلك دون
 ' و من النصارى ' تنبيه على أنهم تسموا بما لم يفوا به ﴿ اخذنا ﴾ أى
 ١٥ بما لنا من العظمة ﴿ ميثاقهم ﴾ أى كما أخذ على [الذين - ٢] من قبلهم .
 ولما كان كفرهم فى غاية الظهور [و الجلاء - ٢] ، لم ينسبهم إلى
 غير الترك فقال : ﴿ فانسوا ﴾ أى تركوا ترك الناسى ﴿ حظا ﴾ أى

(١) زيد بعده فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ ،
 و موضعه فى الأصل بياض (٣) من ظ ، وفى الأصل : سفيان - كذا (٤) فى
 ظ : ذكره (٥-٥) فى ظ : لامره (٦) فى ظ : غيرك .

نصيا [عظيمًا - ١] يتنافس^٢ في مثله (مما ذكروا به ص) أى فى الإنجيل
مما سبق لهم ذكره فى التوراة من أوصاف^٣ نبيه^٤ صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك من الحق .

ولما أدى ذلك إلى تشعبهم فرقا، فأتج تشاحنهم وتقاطعهم وتدابهم،
سبب عنه قوله : (فاغربنا) أى ألقنا بعظمتنا إصااق ما هو بالغراء^٥ .
لا ينفك بل يصير كجزء الشيء (بينهم) أى النصارى بعد أن جعلناهم
فرقا متباينين [بتفريق - ١] الدين ، وكذا بينهم وبين اليهود (العداوة)
ولما كانت العداوة قد تكون^٦ عن بغى [ونحوه ، إذا - ١] زال^٧ زالت
أو خفت ، قال معلما أنها لأمر باطنى نشأ من تزيين الهوى ، فهو ثابت
[غير منفك - ١] : (والبغضاء) بالاهواء المختلفة (الى يوم القيامة^٨) ١٠
ولما أخبر بنكدهم^٩ فى الدنيا ، أعقبه^{١٠} ما [لهم فى - ١]^١ الأخرى فقال :
(وسوف ينبتهم) أى يخبرهم (الله) أى الملك الأعلى المحيط بكل
شئ قدرة وعلما إخبارا بعظيم الشأن بما فيه من عظم التقريع والتوبيخ
فى^{١١} الآخرة بوعيد لا خلف فيه ، ولما كانت خيانتهم قد صارت لهم
[فيها ملكات بما لازموا منها حتى ضربوا بها و تذبوا^{١٢} عليها ، حتى ١٥

(١) من ظ ، وموضعه فى الأصل بياض (٢) من ظ ، وفى الأصل : تنافس .
(٣) فى ظ : اوف - كذا (٤) فى ظ : مجد (٥) فى الأصل : بالعاء ، وفى ظ :
بالفر - كذا (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) فى ظ : زالت (٨) فى ظ :
بتكذيبهم (٩) فى ظ : اتبعه (١٠) زيد ما بين الحاجزين من ظ (١١) فى ظ :
تدوا - كذا .

صارت لهم [أحوالا لأنفسهم و أخلاقا لقلوبهم^٢ ، سماها [صنائع -^٣]
 فقال : ﴿ بما كانوا يصنعون * ﴾ أى دربوا أنفسهم [عليه -^٤] حتى صار
 كالصنعة^٥ ، فيجازيهم عليه بما يقيم عليهم من الحجة .

ولما علم بذلك كله أحوال الفريقين ، أقبل عليهم واعظا مناديا^٦
 • متلطفا^٧ [مستعطفا -^٨] مرغبا مرهبا فقال : ﴿ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ أى
 عامة ﴿ قد جاءكم رسولنا ﴾ أى الذى أرسلناه بما لنا^٩ من العظمة^{١٠} ،
 فليظهروا بذلك على من [ناراد -^{١١}] ﴿ بين لكم ﴾ أى يوضح إيضاها
 شافيا ﴿ كثيرا مما كنتم ﴾ أى بما لكم من جبلته الشر والكذب
 والحياة ﴿ تخفون من انكتب ﴾ أى العظيم المنزل عليكم ، من صفة
 ١٠ محمد صلى الله عليه وسلم و حكم الزنا و غيرهما ، لإحياء سنة و إمامته^{١٢}
 بدعة - كما مضى منه ما شاء الله فى سورة البقرة ، و ذلك دال بلا شبهة
 على صحة رسالته ﴿ و يعفوا عن كثير ﴾ أى فلا يفضحكم بأظهاره امتثالا
 لأمرنا له بذلك - كما تقدم أنه إحسان [منه -^{١٣}] صلى الله عليه وسلم
 إليكم ، لأنه لا فائدة فى إظهاره إلا فضيحتكم .

١٥ و لما أخبر عن فصله للخفايا ، و كان التفصيل لا يكون إلا بالنور ،
 اقتضى الحال توقع الإخبار بأنه نور . فقال مفتتحا بحرف التوقع و التحقيق :

(١) من ظ ، وفى الأصل : اختلافا (٢) فى ظ : لقوتهم (٣) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ (٤) من ظ ، و موضعه فى الأصل بياض (٥) فى ظ : كالضيعة (٦) فى
 الأصل : منا ، وفى ظ : مادا - كذا (٧) سقط من ظ (٨) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٩) فى ظ : تبين (.) من ظ ، وفى الأصل : اقامة .

(قد جاءكم) وعظمه بقوله معبرا بالاسم الأعظم : (من الله) أى الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال (نور) أى واضح التورية ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى كشف ظلمات الشك ' والشرك ' ، ودل على جمعه مع فرقه^٢ بقوله : (وكتب) أى جامع (مبین^٣) أى بين فى نفسه ، مبین لما كان خافيا على الناس من / الحق .

٢٧ / ٥

ولما كانت هدايته مشروطة بشرط صلاح الجلبة ، بين ذلك بقوله واصفا له : (يهدى به) أى الكتاب (الله) أى الملك الأعظم القادر على التصرف فى البواطن والظواهر (من اتبع) أى كلف نفسه وأجهداها فى الخلاص من أسر الهوى ' بأن تبع ' (رضوانه) أى غاية ما يرضيه من الإيمان والعمل الصالح ، ومعلوم أن ذلك لا يكون إلا بتوفيقه ، ١٠ ثم ذكر مفعول " يهدى " فقال : (سبل) أى طرق^٢ (السليم) أى الله ، باتباع شرائع دينه والعافية والسلامة من كل مكروه (ويخرجهم من الظلمات) أى كدورات النفوس والآهواء والوساوس الشيطانية (الى النور) أى الذى دعا إليه العقل ، فيصيروا عاملين بأحسن الأعمال كما يقتضيه اختيار من هو فى النور (باذنه) أى بتمكينه . ١٥

ولما كان من فى النور قد يغيب عنه غرضه الأعظم فلا ينظره لغيبته عنه ببعده منه ، وتكثر^٣ عليه الأسباب فلا يدري أيها يوصل أو يقرب إيصاله ويسهل أمره ، قال كافلا لهم بالنور مريحا من تعب

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى ظ : قربه (٣) من ظ ، وفى الأصل : طريق (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : فلا ينظر (٦) فى ظ : يكثر .

السير: ﴿و يهديهم﴾ أى بماله من إحاطة العلم و القدرة ﴿الى صراط مستقيم﴾ أى طريق موصل إلى الغرض من غير عوج أصلاً، وهو الدين الحق، وذلك مقتضى للتقرب المستلزم لسرعة الوصول.

ولما تم ذلك موضحاً لأن من لم يتبع الكتاب الموصوف كان كافراً، وعن الطريق^٢ الأمم جائراً^٣ حاراً، وكان محصل حال اليهود - كما رأيت فيما تقدم و يأتى من نصوص التوراة - أنهم لا يعتقدون على كثرة ما يرون من الآيات أن الله مع نبيهم دائماً، وكان أنسب الأشياء بعد الوعظ أن يذكر حال النصارى في نبيهم، فانه مبين لحال اليهود من كل وجه، فأولئك على شك في أنه معه، وهؤلاء اعتقدوا أنه هو، فقال تعالى مبيناً أنهم في أظلم الظلام و أعمى العمى: ﴿لقد﴾ أو يقال: إن اليهود لما فرطوا فكفروا، أفهم ذلك أن النصارى لما أفرطوا كفروا، فصار حالهم كالنتيجة لما مضى فقال: لقد ﴿كفر الذين قالوا﴾ مؤكداً بعد ما قالوه من العقل فهو في غاية الإنكار ﴿ان الله﴾ أى على ما له من جميع صفات الكمال التى لا يجهلها من له أدنى تأمل إذا رجع الهدى ١٥ و انخلع من أسر الهوى ﴿هو المسيح﴾ أى عينه، وهو أقطع الكفر و أئينه بطلانا، و وصفه بما هو في غاية الوضوح في بطلان قولهم لبعده عن رتبة الألوهية في الحاجة إلى امرأة فقال: ﴿ابن مريم﴾ فهو محتاج إلى كفالتها بما لها من الأمومة.

ولما بطل مدعاهم على اتقن منهاج و أخصره، وكان ربما دق

(١) في ظ: للتقرب (٢) في ظ: طريق (٣) سقط من ظ (٤) في ظ: يريدون.

على بعض الأفهام ، أوضحه بقوله : ﴿ قل ﴾ دالا^١ على أن المسيح عليه السلام عبد مملوك لله ، مسيا عن كفرهم ﴿ فن يملك من الله ﴾ أى الملك الذى له الأمر كله ﴿ شيئا ﴾ أى من الأشياء التى يتوهم أنها قد تمنعه مما^٢ يريد ، بحيث يصير ذلك^٣ المملوك أحق به منه ولا ينفذله^٤ فيه تصرف ﴿ ان اراد ﴾ أى الله سبحانه ﴿ ان يهلك المسيح ﴾ وكرر ه وصفه بالبنوة إضاحا للراد فقال : ﴿ ابن مريم ﴾ وأزال الشبهة جدا بقوله : ﴿ واه ﴾ ولما خصهما دليلا على ضعفهما المستلزم [للراد ، عم دلالة على عموم القدرة المستلزم - °] لتام القهر لكل من يماثلها^٦ المستلزم لعجز الكل المبعد / من رتبة الإلهية ، فقال موضحا^٧ للدليل بتسويتها ببقية المخلوقات : ﴿ ومن فى الارض جميعا^٨ ﴾ أى فن يملك^٩ منعه من ذلك . ١٠ و لما كان التقدير : فان ذلك كله لله ، يهلكه كيف شاء متى شاء ، عطف عليه ما هو أعم منه ، فقال معلما بأنه - مع كونه مالكا مَلِكًا^{١٠} - له تمام التصرف : ﴿ والله ﴾ أى الملك الأعلى الذى [لا شريك - °] له ﴿ ملك السموات ﴾ أى التى بها قيام الارض ﴿ والارض و ما بينهما^{١١} ﴾ أى ما بين النوعين وبين أفرادهما ، بما^{١٢} به تمام أمرهما ؛ ثم استأنف قوله ١٥ دليلا على ما قبله و نتيجة له : ﴿ بخلق ما يشاء^{١٣} ﴾ على أى كيفية أراد

(١) من ظ ، وفى الأصل : دال (٢) من ظ ، وفى الأصل : بما (٣) من ظ ، وفى الأصل : بذلك (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : لصايلها - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : يوحى - كذا (٨) فى ظ : يملكه (٩ - ١٠) سقط ما بين الرقين من ظ (١٠) فى ظ : ملك (١١) من ظ : وفى الأصل : ما .

٥ - كما تقدم أن له أن يعدم ما يشاء كذلك ، فلا عجب في خلقه بشرا من أنثى فقط ، لا بواسطة^١ ذكر ، حتى يكون سبباً في ضلال من ضل به^٢ ؛ ولما دل ذلك على تمام القدرة على المذكور عم^٣ فقال : (والله) أى ذو الجلال والإكرام (على كل شيء) أى من ذلك وغيره (قدره) .
 و لما عم سبحانه في ذكر فضائح بنى إسرائيل تارة^٤ ، و خص أخرى ، عم بذكر طامة من طوامهم^٥ ، حملهم عليها العجب و البطر بما أنعم الله به عليهم ، فقال : (وقالت اليهود و النصارى) أى كل طائفة قالت ذلك على حدتها خاصة لنفسها دون الخلق أجمعين (نحن ابناؤا الله) أى بما هو ناظر إلينا به من جميع صفات الكمال (و احبآؤه^٦) أى غريقون ١٠ في كل من الوصفين - كما يدل عليه العطف بالواو ، ثم شرع ينقض هذه الدعوى نقضا بعد نقض على تقدير كون النبوة على حقيقتها أو مجازها ، و الذى أورثهم هذه الشبهة* - إن لم يكونوا قالوا ذلك عنادا - أن^٧ فى موضع من التوراة عن قول الله تعالى لموسى عليه السلام : شعبى بكرى^٨ ، و قال^٩ فى أول^{١٠} نبوة موسى عليه السلام^{١١} - كما ذكرته [فى ١٥ الأعراف - ٩] : و قل لفرعون : هكذا^{١٢} يقول الرب : ابنى بكرى^{١٣} إسرائيل أرسل^{١٤} ليعبدنى ، فان آيت أن ترسل ابنى فانى أقتل ابنك بكرك - و نحو هذا ؛ و فى كثير مما بين أيديهم من الإنجيل عن قول عيسى عليه السلام :

(١) من ظ ، و فى الأصل : بواسطة (٢) فى ظ : - يلا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : طوابهم (٥) فى ظ : الشبهة - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : بكر (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ لحذفها (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : هذا .

افعلوا كذا لتكونوا بنى أيكم الذى فى السماء - ونحو ذلك ، وقد ينت
معناه على تقدير صحته بما يوجب رده إلى المحكم بلا شبهة فى أول سورة
آل عمران ؛ قال البيضاوى فى أول سورة الكهف : إنهم كانوا يطلقون
الآب و الابن فى تلك الأديان بمعنى المؤثر و الأثر ، و قال فى البقرة
فى تفسير " بديع السموات " " أنهم كانوا يطلقون الآب " على الله باعتبار أنه ه
السبب الأصل ، ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة ، فلذلك
كفر قائله و منع منه منعاً مطلقاً [انتهى - ٤] . فأول نقض نقض به سبحانه
و تعالى هذه الدعوى بيان أنه يعذبهم فقال : ﴿ قل فلم يعذبكم ﴾ أى
إن كنتم جامعين بين كونكم أبناء و أحياء " بين عطف البنوة و حنو المحبة "
﴿ بذنوبكم ﴾ و عذابهم مذكور فى نص توراتهم فى غير مواطن^٦ و مشهور ١٠
فى تواريتهم بمعلمهم قرده و خنازير و غير ذلك ، أى فإن كان المراد بالبنوة
الحقيقة^٧ فإن^٨ الإله لا يكون له [ذنب - ٩] فضلاً عن أن يعذب
به ، لأن الابن لا يكون إلا من جنس الآب^٩ - تعالى الله عن النوعية
والجنسية و الصاحبة و الولد علواً كبيراً ١١ و إن [كان - ٩] المراد المجاز ،
أى بكونه يكرمكم إكرام الولد و الحبيب ، كان ذلك مانعاً من التعذيب . ١٥
ولما كان معنى ذلك أنه يعذبكم " لأنكم لستم " أبناء ولا^{١٢} أحياء ،

(١) آية ١١٧ (٢) من ظ ، وفى الأصل : الابن (٣) فى ظ : ولذلك (٤) زيد
من ظ ، و زيد بعده أيضاً : قال (هـ-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) فى ظ :
موطن (٧) فى الأصل : الحقيقة ، وفى ظ : والحقيقة (٨) من ظ ، وفى الأصل :
فإن (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : الابن - كذا (١١-١٢) فى ظ : أنكم لست .
(١٢) سقط من ظ .

عطف عليه نقضا آخر أوضح من الأول / فقال: ﴿بل انتم بشر من خلق﴾ وذلك أمر مشاهد، والمشاهدات من أوضح الدلائل، فأنتم مساوون لغيركم في البشرية والحدوث، لا مزية لأحد منكم على غيره في الخلق والبشرية، وهما يمنعان النبوة، فإن القديم لا يلد بشرا، والاب ه لا يخلق ابنه، فامتنع بهذين الوصفين النبوة، و امتنع بتعذيبهم أن يكونوا أحياء الله؛ فبطل الوصفان اللذان ادعوهما .

ولما كان التقدير: يفعل بكم ما يفعل بسائر خلقه، وصل به قوله جوابا لمن يقول: و^٢ ما هو فاعل بمن خلق؟: ﴿يغفر لمن يشاء﴾ أى من خلقه منكم و من غيركم فضلا منه تعالى ﴿و يعذب من يشاء﴾ عدلا ١٠ كما تشاهدونه^٢ يكرم ناسا منكم في هذه الدار ويهين آخرين .

ولما كان التقدير: لأنه مالك خلقه وملكهم لا اعتراض عليه في شيء من أمره، عطف عليه قوله نقضا^٥ ثالثا بما هو أعم مما قبله فقال: ﴿ولله﴾ أى الذى له الأمر كله، فلا كفوه له ﴿ملك السموات﴾ وقدمها لشرفها دلالة على ملك غيرها من باب أولى، و صرح بقوله: ١٥ ﴿والارض وما بينهما﴾ أى و أنتم مما بينهما، وقد اجتمع بذلك مع الملك و الإبداع الملك و التصريف و^٢ التصرف التام، وذلك هو الغنى المطلق، ومن كان كذلك لم يكن محتاجا إلى شيء من ولد ولا غيره، ولا يكون لأحد عليه حق، ولا يسوغ عليه اعتراض .

ولما كان التقدير: فنه وحده^٢ الابتداء، عطف عليه قوله:

(١) في ظ: ادعاهما (٢) سقط من ظ (م) في ظ: يشاهدونه - كذا (ع) من ظ، وفي الأصل: امرهم (ه) في ظ: بقضا - كذا .

﴿ و اليه ﴾ أى وحده ﴿ المصيره ﴾ أى الصيرورة و الرجوع و زمان ذلك و مكانه معنى فى الدنيا بأنه لا يخرج شئ عن مراده ، و حسا فى الآخرة ، فيحكم بين مصنوعاته على غاية العدل - كما هو مقتضى الحكمة و شأن كل ملك فى إقامة ملكه بانصاف بعض عبيده من بعض ، لا يجوز عنده فى موجب السياسة إطلاق قوتهم على ضعيفهم ، فان ذلك يؤدى إلى خراب ه الملك [و ضعف الملك - ^١] ، فاذا كان هذا شأن الملوك فى ^٢ العبيد الناقصين فاظنك ^٣ بأحكم الحاكمين ! فاذا عاملهم كلهم بالعدل أسبغ على من يريد ملابس* الفضل .

و لما دحضت حجتهم ^٦ ، و وضحت أ كذوبتهم ^٦ ، اقتضى ذلك الالتفات إلى وعظهم على وجه الامتنان عليهم و إبطال ما عاينهم يظنونونه ^٨ حجة ، فقال ١٠ تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ ﴾ أى من الفريقين ؛ و لما كان ما حصل لهم من الضلال بتضييع ما عندهم من البينات و تغييرها ما ^٩ لا يتوقع معه الإرسال ، قال معبرا بحرف التوقع : ﴿ قد جاءكم رسولنا ﴾ أى الذى عظمته من عظمتنا ، فاعظامه و إجلاله واجب لذلك ، ثم بين حاله مقدما له على متعلق ” جاء “ يانا لأنه أهم ما إلى الرسل إليهم إرشادا إلى قبول كل ١٥ ما جاء به بقوله : ﴿ بين لكم ﴾ أى يوقع لكم البيان فى كل ما ينفعكم يانا شافيا لما تقدم و غيره .

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : من (٣) فى ظ : ظنكم (٤) فى ظ : واذا (٥) فى ظ : تلبس (٦ - ٦) فى ظ : و الدر و بتمهم - كذا (٧) فى ظ : يظنون (٨) من ظ ، و فى الأصل : كما .

ولما [كان - ١] مجيئه ملتبسا بديانه وظرفاً له غير منك عنه ، و كان
يانا مستعليا على وقت مجيئه و ما مضى قبله و^٢ ما يأتي بعده بيقاه كتابه ،
محفوظا لعموم دعوته و ختامه و تفردده ، فلا نبى بعده ، قال معلقا بجاء :
(على قرة) أى طويلة بالنسبة إلى ما كان يكون بين النبیین من نبى إسرائيل ،
مبتدئة تلك الفترة (من الرسل) أى انقطاع من مجيئهم ، شبهه^٣ فقدّم و بُعِد
العهد بهم و نسيان أخبارهم ، و بلاء رسومهم و آثارهم ، و انطاس معالمهم
و أنوارهم بشئ^٤ كان يفنى فقتر^٥ ، لم يبق من وصفه المقصود منه

إلا^٦ أثر خاف^٧ و رسم دارس ، يقال : قتر الشيء - إذا سكنت^٨ / حدثه
و صار أقل عما كان عليه ، [و - ٩] ذلك لانه كان بين عيسى و بين النبی

١٠ صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة فسد فيها أمر الناس ، و لعله عبر بالمضارع
فى " بين " إشارة إلى أن دينه و بيانه لا ينقطع أصلاً بحفظ^{١١} كتابه ،
فكلما درست سنة منح الله بعالم يرد الناس إليها بالكتاب المعجز القائم
أبداً ، فلذلك لا يحتاج الأمر إلى نبى مجدد إلا عند الفتنة التى لا يطبقها
العلماء ، و هى فتنة الدجال و يأجوج و مأجوج ، ثم^{١٢} علل ذلك بقوله :
١٥ (ان) أى كراهة^{١٣} أن (تقولوا) أى إذا حشرتم^{١٤} و سئلتم عن

- (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : طر ح ا - كذا (٣) فى ظ : قد .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : عموم (٥) من ظ ، وفى الأصل : - به - كذا (٦-٦) فى
ظ : كما يعلى فقير - كذا (٧-٧) فى ظ : امر حان - كذا (٨) من ظ ، وفى
الأصل : سكنت (٩) زبدت الواو من ظ (١٠) فى ظ : لحفت (١١) من ظ ،
وفى الأصل : « و » (١٢) زيد بعده فى ظ : يقولوا (١٣) فى ظ : حشرتم .

أعمالكم

أعمالكم ﴿ ما جاءنا ﴾ ولنا كيد النفي قيل: ﴿ من بشير ﴾ أى يبشرنا
 لترغب فتعمل بما يسعدنا فتفوز ﴿ ولا نذير ﴾ أى 'يحذرنا' لتهرب'
 فترك ما يشقينا فنسلم، لأن الإنسان موزع التقصان بين الرغبة والرهبة،
 وقد كان اختلط في تلك الفترة الحق بالباطل فالتبس الأمر وجهل الحال،
 لكنه لم يجهل^١ جهلا يحصل به عذر في الشرك، وسأينته في أول ص . ٥
 ولما كان المعنى: فلا تقولوا [ذلك -^٢]، سبب عنه قوله:
 ﴿ فقد جاءكم^٣ ﴾ [أى من هو متصف بالوصفين^٤ معا فهو -^٥] ﴿ بشير
 و نذير^٦ ﴾ أى كامل^٧ في كل من الوصفين وإن تباينا؛ ولما كان ربما
 كان^٨ توهم أحد من ترك الإرسال زمن^٩ الفترة، ومن ترك التعذيب
 بغير حجة الإرسال، وبالعدول^{١٠} عن بنى إسرائيل^{١١} إلى بنى إسماعيل^{١٢}.
 شيئا في القدرة، قال كاشفا لتلك الغمة^{١٣}: ﴿ والله ﴾ أى جاءكم والحال
 أن الملك الذى له السكال كله ﴿ على كل شيء ﴾ أى من أن يرسل في كل
 وقت وأن يترك ذلك، وأن يهدى بالبيان وأن يضل، ومن أن يعذب
 ولا يقبل عذرا وأن يغفر كل شيء وغير ذلك ﴿ قدير^{١٤} ﴾ وفي الختم
 بوصف القدرة وإتباعه تذكيرهم ما صاروا إليه من العز بالنبوة والملك^{١٥}
 بعد ما كانوا فيه من الذل بالعبودية والجهل إشارة إلى أن إنكارهم

(١-١) من ظ ، وفي الأصل: ليحذرنا فتهرب (٢) في الأصل: لم يجعل، وفي
 ظ: لم يحصل - كذا (٣) زيد من ظ (٤-٤) من ظ والقرآن الكريم،
 وقد سقط من الأصل (٥) في ظ: بالوصف - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل:
 الكامل (٧) سقط من ظ (٨) في ظ: من (٩) في ظ: بالعدل (١٠-١٠) سقط
 ما بين الرقبن من ظ (١١) في ظ: النعمة .

لأن يكون من ولد إسماعيل عليه السلام نبي يلزم منه إنكارهم^١ للقدرة .
ولما ذكر سعة مملكته و تمام عليه و شمول قدرته أتبع ذلك
الدلالة عليه بقصة^٢ بنى إسرائيل في^٣ استنقاذهم من أسر العبودية و الرق
و إعلاء شأنهم و إيراثهم أرض الجبارين^٤ بعد إهلاك فرعون و جنوده
و غير ذلك مما تضمنته القصة ، إظهارا^٥ - بعدم ردهم إلى مصر التي باد
أهلها - لتمام القدرة و سعة الملك و نفوذ الأمر ، و هي مع ذلك دالة
على نقضهم الميثاق و قساوتهم و نقض ما ادعوه^٦ من بنوتهم و محبتهم ،
و ذلك أنها ناطقة بتعذيبهم و تفسيقهم و تبرئهم من الله ، و لا شيء من
ذلك فعل حبيب و لا ولد ، فقال عاطفا^٧ على ” نعمة “ في ” و اذكروا
١٠ نعمة الله عليكم “ تذكيرا لهذه الأمة بنعمة التوثيق للسمع و الطاعة
التي أباهها بنو إسرائيل بعد ما رأوا من الآيات ، و بما كف عنهم على
ضعفهم و شجع به قلوبهم ، و ألزمهم الطاعة و كره إليهم المعصية بضد ما
فعل بنى إسرائيل - و غير ذلك مما يرشد إليه إنعام النظر في القصة :
(و اذ)^٨ أى و اذكروا^٩ حين (قال موسى لقومه) أى من اليهود
١٥ (يقوم اذكروا^{١٠}) أى بالقلب و اللسان ، أى ذكر اعتبار و اتعاظ
بما لكم من [قوة - ^{١١}] القيام بما تحاولونه ، ليقع منكم الشكر (نعمة الله)
أى إنعام الملك الأعظم الذى له الإحاطة بالجلال و الإكرام ، و عبر عن
(١) من ظ ، وفى الأصل : انذارهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
من (٤) فى ظ : الجبارة (٥) من ظ ، وفى الأصل : اظهار (٦) فى ظ : ادعوا .
(٧) من ظ ، وفى الأصل : عطا (٨) زيد من ظ .

الإععام بالغاية لأنها المقصود ﴿عليكم﴾ وعظم ذلك التذكير بالاسم الأعظم،
 / ونبه بذكر ظرفها على أجل النعم، وهي النبوة المنقذة لهم من النار فقال: ٣١/
 ﴿اذ﴾ أى حين ﴿جعل فيكم﴾ وبشرهم بمن يأتى بعده من الأنبياء
 من بنى إسرائيل فجمع جمع الكثرة في قوله: ﴿انبياء﴾ أى يحفظونكم
 من المهالك الدائمة، ففعل معكم - بذلك وغيره من النعم التى فضلكم
 بها على العالمين فى تلك الأزمان - فعل المحب مع حبيبه والوالد مع
 ولده، ومع ذلك عاقبكم حين عصيتهم، وغضب عليكم إذ أبيتهم، فلم أن
 الإكرام و' الإهانة دأثران بعدا مشيئته' على الطاعة والمعصية .

ولما نقلهم من الحيثة التى كانوا فيها عبيدا لفرعون، لا يصلحون
 معها لملك^٢، ولا تحدثهم أنفسهم به، إلى حيثة الحرية القابلة^١ لأن يكون
 "كل منهم" معها ملكا^١ بعد أن أرسل فيهم رسولا وبشر بأنه^٦ يتبعه
 من الأنبياء ما لم يكن فى أمة من الأمم غيرهم، قال: ﴿وجعلكم ملوكا^١﴾
 أى فلكما^٢ جعلكم كذلك بعد ما كنتم غير طامعين فى شيء منه، فقد نقله
 منكم وجعله فى غيركم بتلك القدرة التى أنعم عليكم بها، وذلك لكفركم
 بالنعم وإيثاركهم الجهل على العلم، فانكاركم لذلك^٤ وتخصيص^٥ النعم بكم ١٥
 تحكم وترجيح بلا مرجح، ويوضح ذلك أن كفر النعمة سبب لزوالها^١،
 وقد كانوا يهددون فى التوراة وغيرها بما هم فيه الآن من ضرب الذلة

- (١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سنه - كذا (٣) فى ظ : الملك (٤) فى ظ : القائمة .
 (٥-هـ) فى ظ : كلهم (٦) من ظ ، وفى الأصل : نابه - كذا (٧) فى ظ : فما .
 (٨) فى ظ : كذلك (٩) زيد بعده فى ظ : وغيرها (١٠) فى ظ : زوالها .

و المسكنة التي لا يصلحون معها لملك إن هم كفروا - كما سيأتي بعض ذلك في هذه السورة .

ولما ذكرهم تعالى بما^١ ذكرهم به^٢ من النعم العامة، أتبعه التذكير بنعمة خاصة فقال: ﴿وانتكم ما لم يؤت﴾ أى فى زمانكم ولا فيما قبله من سالف الزمان - كما اقتضاه التعبير [بلم -^٣] ﴿احدا من العالين﴾ من الآيات التي أظهرها على يد موسى عليه السلام، فأخرجكم بها من الظلمات إلى النور، والكتاب الذى جعله تبياناً لكل شئ: [ثم -^٤] أتبعه ما يقيد به هذه النعم من الشكر بامثال الامر فى جهاد الأعداء فى سياق مؤذن بالنصر معلّم بأنه نعمة أخرى يجب شكرها، فلذلك^٥ وصله بما قبله وصل^٦ المعلول بالعلة^٦ فقال: ﴿يقوم ادخلوا﴾ [عن أمر الله الذى أعلمكم بما صنع من الآيات أنه غالب على جميع أمره -^٢] ﴿الارض المقدسة﴾ أى المطهرة المباركة التى حكم الله أن يطهرها بأنبيائه ورسله من نجس الشرك ووضر المعاصى والإفك، و يبارك فيها، [ثم -^٣] وصفها بما يوجب للؤمن الإقدام ١٥ لتحقيقه النصر فقال: ﴿التى كتب الله﴾ أى الذى له الأمر كله فلا مانع لما أعطى ﴿لكم﴾ أى بأن تجاهدوا أعداءه فترثوا أرضهم التى لا مثل لها، فتحوزوا سعادة الدارين، وهى بيت المقدس التى وعد^٧

(١) من ظ، وفى الأصل: ما (٢) فى ظ: آية - كذا (٣) زيد من ظ (٤) زيد
كى تستقيم العبارة، والعبارة من بعده إلى «معلم بأنه» سقطت من ظ (٥) فى
ظ: ولذلك (٦-٦) من ظ، وفى الأصل: المفعول بالصلة (٧) من ظ،
وفى الأصل: وعدا.

أباكم إبراهيم عليه السلام أن تكون^١ ميراثا لولده بعد أن جعلها مهاجرة .
 ولما أمرهم بذلك نهام عن التقاعد عنه ، فقال مشيرا إلى أن
 مخالفة أمر الله لا تكون إلا^٢ بمعالجة للفترة الأولى : ﴿ ولا ترتدوا ﴾
 أي تكلفوا أنفسكم الرجوع عن أخذها ، وصوّر لهم الفتور عن أخذها
 بما يستحي من له همة من ذكره فقال^٣ : ﴿ على أديباركم ﴾ ولما جمع ه
 بين الأمر والنهي ، خوفهم عواقب العصيان معلما بأن ارتدادهم سبب
 هلاكهم بغير شك ، فقال [معبرا بصيغة الانفعال - ٤] : ﴿ فتنقلبوا ﴾
 أي من عند أنفسهم من غير قالب يسلط عليكم ﴿ نخسرين ه ﴾ أي بخزي
 المعصية عند الله و عار الجبن عند / الناس و خيبة السعي من خيري الدارين .

٣٢ /

ولما كان هذا السياق محركا للنفس إلى معرفة جوابهم عنه ، أورده ١٠
 على تقدير سؤال من كأنه قال : إن هذا لترغيب^٥ مشوق و ترهيب مقلق ،
 فما قالوا في جوابه ؟ فقال : ﴿ قالوا ﴾ معرضين عن ذلك كله بهمم
 سافلة و أحوال نازلة ، مخاطبين له باسمه جفاء و جلالة و قلة أدب ﴿ يُمُوسَى ﴾
 و أكدوا قولهم تأكيد من هو محيط العلم ، فقالوا مخاطبين بجرأة و قلة
 حياء لأعلم أهل زمانه : ﴿ ان فيها ﴾ أي دون غيرها ﴿ قوما جبارين ﴾ ١٥
 أي عتاة قاهرين لغيرهم^٦ مكرهين له على ما يريدون ﴿ و انا لن ندخلها ﴾
 خوفا منهم ﴿ حتى يخرجوا منها ﴾ ثم صرحوا بالإتيان بالجملة الاسمية المؤكدة

(١) في الأصل : تكونوا ، وفي ظ : يكون (٢) سقط من ظ (٣-٢) سقط ما بين
 الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) في الأصل و ظ : الترغيب (٦) من ظ ،
 وفي الأصل : جوابهم (٧) في ظ : لغيركم .

بها لكهم على الدخول وأنه لا مانع لهم^١ إلا الجبن فقالوا: ﴿فان يخرجوا منها﴾
 أى بأى وجه كان، وعبروا بأداة الشك مع إعلام الله لهم باهلا كهم على
 أيديهم جلالة منهم وعراقه طبع في التكذيب ﴿فانا دخلون ه﴾ فكأنه
 قيل^٢: إن هذه لسقطة ما مثلها، فإتفق لهم بعدها؟ فقيل: ﴿قال رجلن﴾
 ه وأشار إلى كونها من بنى إسرائيل بقوله ذما لمن تقاعس عن الأمر منهم:
 ﴿من الذين يخافون﴾ أى يوجد منهم الخوف من الجبارين، ومع ذلك
 فلم يخافا وثوقا منها بوعده الله، ولما كان بنو إسرائيل أهلا لأن يخافهم من
 يقصدونهم^٣ بالحرب لأن الله معهم بعونه ونصره، قرئ: يخافون - مبينا
 للفعل ﴿انعم الله﴾ أى بما له من صفات الكمال ﴿عليهما﴾ أى بالتثنية
 ١٠ على العمل بحق النقا، وهما يوشع بن نون و كلاب بن يوفنا - كما أنعم
 عليكم أيها العرب و خصوصا النقباء بالثبات في كل موطن ﴿ادخلوا عليهم
 الباب ع﴾ أى باب قريتهم امثالا لأمر الله و إيقانا بوعده .

ولما كانا يعلمان أنه لا بد من دخولهم عليهم و إن تقاعسوا^٤ وإن
 طال المدى، لأن الله وعد بنصرهم عليهم و وعده حق، عبرا^٥ بأداة التحقيق
 ١٥ خلاف ما مضى لجامهرهم فقالا^٦: ﴿فاذا دخلتموه﴾ ثم أكد^٧ خبرهما إيقانا
 بوعده الله فقالا^٨: ﴿فانكم غلبون﴾ أى لأن الملك معكم دونهم ﴿وعلى الله﴾
 أى الملك الأعظم الذى وعدكم بارتثها وحده ﴿فواكلوا﴾ أى لا على عدة منكم
 ولا عدة ولا حول ولا قوة .

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: قل (٣) في الأصل وظ: يقصدونه.
 (٤) في ظ: تقاعسوا - كذا (ه) في ظ: عبر (٦) في ظ: فقال (٧) في الأصل:
 أكدوا، وفي ظ: أكد .

ولما كان الإخلاص يلزمه التوكل وعدم الخوف من غير الله ،
ألهمهم بقوله : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جلبة وطبعاً ﴿ مؤمنين ٥ ﴾
أى عريقين فى الإيمان بنبيكم صلى الله عليه وسلم و التصديق
بجميع ما أتى به ، فكأنه قيل : لقد نصحا لهم وبرّاء ، واجتهدا فى
إصلاح الدين و الدنيا فما خدعا ولا غرّا ، فما قالوا ؟ قليل : لم يزدكم ذلك ٥
[إلا - ٢] فثاروا استضعافا لأنفسهم لإعراضهم عن الله و استصغارا لأنهم
﴿ قالوا ﴾ معرضين عن مخاطبهم غير عادين^٢ لها ، ﴿ يمسوسى ﴾ وأكدوا نفيهم
للاقدام عليهم بقولهم : ﴿ انا ﴾ وعظموا تأكيدهم بقولهم : ﴿ لن ندخلها ﴾
وزادوه تأكيدها بقولهم : ﴿ ابداء ﴾ وقيدوا ذلك بقولهم : ﴿ ما داموا ﴾
أى الجبارة ﴿ فيها ﴾ أى لهم اليد عليها ، ثم اتبعوه بما يدل على أنهم^٦ فى ١٠
غاية الجهل بالله الفعال لما يريد ، / الغنى عن جميع العبد ، فقالوا مسيين
عن نفيهم ذلك قولهم : ﴿ فاذهب انت وربك ﴾ أى المحسن إليك ،
فلم يذكروا أنه احسن إليهم كثافة^٧ طباع و غلظ أكباد ، بل^٨ خصوه
بالإحسان ، وهذا القول [إن - ٢] لم يكن قائلوه يعتقدون التجسيم^٩ فهم
مشارفون له ، وكذلك أمثاله ، و^{١٠} كان اليهود الآن عريقين فى التجسيم ، ١٥
ثم^{١١} سبوا عن الذهاب قولهم : ﴿ فقاتلوا ﴾ ثم استأنفوا قولهم مؤكدين
لأن من له طبع سليم و عقل مستقيم لا يصدق أن أحدا يتخلف عن

(١) فى ظ : اجتهد (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عادلين (٤) فى الأصل و ظ :
لهم (٥) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ : انه (٧) فى ظ : كثافة - كذا (٨) سقط من ظ .
(٩) العبارة من هنا إلى « فى التجسيم » سقطت من ظ (١٠ - ١٠) فى الأصل :
و امثاله - كذا (١١) من ظ ، و فى الأصل « و » .

أمر الله لا سيما إن كان بمشافهة الرسول: ﴿انا ههنا﴾ أى خاصة
 ﴿قعدون﴾ أى لا نذهب معكم، فكان فعلهم فعل من يريد السعادة
 بمجرد ادعاء الإيمان من غير تصديق له بامتحان بفعل [ما - ١] يدل
 على الإيقان؛ روى البخارى فى المغازى و التفسير عن عبد الله بن مسعود
 ٥ رضى الله عنه قال: قال المقداد بن عمرو يوم بدر: يا رسول الله!
 لا نقول كما قال قوم^٢ موسى " اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قعدون "
 ولكن^٣ امض^٤ ونحن^٥ معك، نقاتل عن يمينك و عن شمالك [و بين
 يدك - ٥] و خلفك، فرأيت النبي صلى الله عليه و سلم أشرق وجهه
 و سره. فكانه قيل: فما قال موسى عليه السلام؟ فقيل^٦: ﴿قال﴾ لما
 ١٠ أيس منهم معرضا عنهم شاكيا إلى الله تعالى^٧ ﴿رب﴾ أى أيها
 المحسن إلى .

ولما كان من حق الرسول أن يقيه كل أحد بنفسه و ولده فكيف
 بما دون ذلك، فكان لا يصدق أحد^٨ أن أتباعه لا يطيعونه، جرى على
 طبع البشر و إن كان يخاطب علام الغيوب فقال مؤكدا: ﴿انى﴾ و لما
 ١٥ فهم من أمر الرجلين لهم بالدخول أنهما قيذا دخولهما بدخول الجماعة،
 خص فى قوله: ﴿لَا أملك الا نفسى و اخى﴾ أى و نحن مطيعان لما تأمر به
 ﴿فافرق بيننا﴾ أى^٩ أنا و اخى^{١٠} ﴿و بين القوم الفسقين﴾ أى الخارجين

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و صحيح البخارى، و فى الأصل:
 لكننا، و زيد بعده فيه: نقول، و لم تكن الزيادة فى ظ و الصحيح لحذفناها .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) زيد من ظ و الصحيح (٦) زيد بعده
 فى ظ: قال (٧) فى ظ: احدا (٨-٨) فى ظ: مع اى اخ لنا - كذا .

عن الطاعة قولاً وفعلاً ، ولا تجمعنا معهم في بين^١ واحد ، في فعل ولا جزاء
 ﴿ قال فانها ﴾ أى الارض المقدسة ﴿ محرمة عليهم ﴾ أى بسبب أقوالهم
 هذه و أفعالهم ، لا يدخلها من قال هذه المقالة أو رضىها أحد ، بل يمكنون
 ﴿ اربعين سنة ٤ ﴾ ثم استأنف جواباً لمن تشعب^٥ فكره في تعرف حالهم
 في هذه الأربعين و محلهم من الأرض قوله : ﴿ يقيهون ﴾ أى يسرون^٥
 متحيرين^٢ ﴿ في الارض ﴾ حتى يهلكوا كلهم ، و التيه : المفازة التى
 يحير سالكها فيضل عن وجه مقصده ، روى أنهم أقاموا هذه المدة
 في ستة فراسخ يسرون كل يوم جادين ، ثم يمشون في الموضع الذى
 ساروا منه ، ثم سبب عن إخباره بعقوبتهم قوله : ﴿ فلا تأس ﴾ أى
 تحزن حزناً مؤسباً^١ ﴿ على القوم ﴾ أى الأقوياء الأبدان الضعفاء القلوب ١٠
 ﴿ الفسقين ٤ ﴾ أى الخارجين من قيد الطاعات ، ثم بعد هلاكهم أدخلها
 بنهم الذين نشأوا فى التيه لسلامتهم من اعوجاج^٦ طباعهم التى ألبتهم
 إياها بلاد الفراعنة ، فأنى كتبتها لبنى إسرائيل ، ولم أخبر بتعيينهم - وإن
 كانوا معينين فى على - كما اقتضت ذلك حكمتى ؛ و فى هذه القصة أوضح
 دليل على^٨ نقضهم للعهد^٨ التى بنيت السورة على طلب الوفاء بها و افتتحت ١٥
 بها ، و صرح بأخذها عليهم فى قوله ” و لقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل -
 (١) من ظ ، و فى الأصل : نفر - كذا (٢) فى ظ : يقشع (٣) زيد بعده فى
 الأصل : فى الأرض ، و لم تسكن الزيادة فى ظ لخذناها (٤) فى ظ : قاموا .
 (٥) فى ظ : المواضع (٦) من ظ ، و فى الأصل : موتاً - كذا (٧) فى ظ :
 الاعوجاج (٨-٨) فى ظ : بعضهم للعهد .

إلى أن قال: و'انتم' برسلى وعزرتهم، وفي ذلك تسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعلونه 'معه، وتذكير' له بالنعمة على قومه بالتوفيق، وترغيب لمن أطاع منهم وترهيب لمن عصى، ومات في تلك الأربعين كل من قال ذلك القول أو رضىه حتى النقباء العشرة، وكان الغمام يظلمهم من حر الشمس، ويكون لهم عمود من نور بالليل يضيء ههنا^٥ عليهم - وغير هذا من النعم، لأن المسح^٢ بالتيه كان تأديبا لهم لا غضبا فانهم تابوا .

شرح هذه القصة مما بين أيديهم من التوراة وذكر بعض ما عذبهم فيه بذنوبهم، قال في السفر الرابع منها: وكلم الرب موسى وقال له^٢:
 ١٠ أرسل قوما يحسّون الأرض اتنى أعطى بنى إسرائيل، فأرسلهم موسى من برية فاران رجالا^٥ من رؤساء بنى إسرائيل - اثني عشر رجلا - فيهم كلاب بن يوفنا وهوساع بن نون، ودعا موسى هوساع بن نون يوشع، وأرسلهم^٢ ليستخبروا أرض كنعان وقال لهم: اعرفوا خبر الشعب الذى بها، أقوى هو أم ضعيف؟ أكثر هو أم قليل؟ وما خبر الأرض التى
 ١٥ هم فيها، أخصبة أم لا؟ أفيها شجر أم لا؟ وفي نسخة: وما المدن التى يسكنونها؟ وأن كانت محوّطا عليها أم لا؟ وتقووا^٦ وأخذوا من ثمار الأرض؛ فصعدوا فاستخبروا الأرض، وأخذوا من برية^٧ صين حتى
 (١-١) فى ظ: معهم وتذكيرا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: النعم.
 (٤) فى ظ: عدتهم (٥) فى ظ: رجلا (٦) فى ظ: يقولوا (٧) فى ظ: تره - كذا .

اتهبوا إلى راحوب^١ التي في مدخل حمات^٢، وصعدوا إلى التين فأتوا
حبران - وفي نسخة: خبرون^٣ - وكان بها بنو الجبابرة، ثم أتوا وادي
العنقود وقطعوا^٤ قضيا من الكرم فيه عنقود عنب، فحمله رجلان
بأسطار^٥، ودعوا اسم ذلك الموضع وادي العنقود من أجل ذلك، وأخذوا
من الرمان والتين أيضا، ورجعوا إلى موسى بعد أربعين ليلة إلى بركة ه
فاران إلى رقيم، وأخبروا موسى والجماعة كلها خبر الأرض وقالوا: انطلقنا
فاذا الأرض تغل^٦ اللبن^٧ والعسل وهذه ثمارها، ولكن الشعب الذي
في الأرض عزيز قوى، وقراهم كبار مشيدة، رأينا نتم بني الجبابرة،
[ثم - ٩] ذكر أن الكنعانيين^٨ على ساحل البحر إلى نهر الأردن،
قالوا: وكنا عندهم مثل الجراد، كذلك^٩ رأينا أنفسنا، فضجت الجماعة ١٠
كلها ورفعوا أصواتهم بالبكاء، وبكوا في تلك الليلة بكاء شديدا، وتذمر
جميع بني إسرائيل على موسى وهارون في ذلك اليوم وضحجوا عليهما، وقال
لهما محافل بني إسرائيل كلها: يا ليتنا متنا بأرض مصر على يدي الرب،
وليتنا متنا في هذه البرية ولا يدخلنا الرب إلى الأرض التي نصرع^{١١} فيها قتلا
ونتهب مواشينا وأهلونا! كان المنون^{١٢} بأرض مصر خيرا لنا، وقال كل ١٥
امرئ منهم لأخيه: اجتمعوا حتى نصير^{١٣} علينا رئيسا، ونرجع إلى أرض مصر،

(١) في ظ: خرب (٢) من التوراة، وفي الأصل وظ: حماد (٣) من التوراة،
وفي الأصل: خبرون، وفي ظ: خبرون - كذا (٤) في ظ: ادوا (ه) في
ظ: قطعوا (٦) في ظ: بانتظار (٧) في ظ: فعسل - كذا (٨) من ظ
والتوراة، وفي الأصل: التين (٩) زيد من ظ (١٠) في ظ: النعمامين - كذا.
(١١) في ظ: لذلك (١٢) في ظ: تضرع - كذا (١٣) في ظ: النوى.
(٤) في ظ: يصير.

نخر موسى و هارون على وجوههما ساجدين بين [يدى - ١] جماعة
 بنى إسرائيل كلها ، فأما يشوع بن نون و كالا ب بن يوفنا اللذان^٢
 كانا من الجواسيس فقالا : الأرض مخصبة جدا ، فان شاء الرب دفعها
 إلينا ، فهي أرض [تغل - ١] السمن و العسل ، فلا تعصوا الرب
 ٥ ولا تفتنوا^٣ ولا تخافوا شعب هذه الأرض ، لأن أهلها مبذولون لنا مثل
 الطعام للأكل ، و اعلوا أن قوتهم سيضعف و تزول عنهم شدتهم ،
 ونحن الغالبون لأن الرب معنا ، فلا تفرقوا منهم ، و ظهر مجد الرب
 بالسحابة فى قبة الزمان تجاه بنى إسرائيل ، و قال الرب لموسى : إلى متى
 يسخطى^٤ هذا الشعب ؟ و كم إلى كم لا يصدقونى ؟ ألم يروا جميع الآيات
 ١٠ التى أتيتهم بها ؟ سأضربهم بالموت و أهلكهم ، و أصيرك الشعب^٥ أعظم
 من هذا و أعزّ منهم ، فقال موسى^٦ أمام الرب : يسمع أهل مصر الذين
 أخرجت [هذا الشعب من بينهم بقوتك ، و يقول لسكان هذه الأرض أيضا
 الذين سمعوا أنك رب - ١] هذا الشعب ، فان أنت قتلت هذا الشعب
 ١٥ جميعا كرجل واحد تقول الشعوب التى بلغها خبرك : إن الرب لم يقدر
 أن يدخل هذا الشعب^٧ الأرض التى كان^٨ وعد إياهم ، فلذلك قتلهم فى
 البرية ، فلتعظم قوتك الآن يا رب [كما وعدت^٩ و قلت يا رب - ١]

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : اللذين (٣) فى ظ : تقضبوا (٤) فى ظ : لا تفتنوا .
 (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : تسخطى (٧) من ظ و التوراة ، و فى الأصل :
 لشعب (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : وجدت - كذا .

أنت ذو المودة والنعمة، تغفر الإثم^١ والخطايا، وتزكي من ليس بمزكى، اغفر يا رب كما غفرت لهم مذخرجوا من أرض مصر إلى الآن! فقال الرب لموسى: قد غفرت لهم لقولك^٢، ولكنى حتى قيوم، أقسم بذلك وبمجدى الذى امتلأت الأرض كلها منه أن جميع الرجال الذين عاينوا مجدى والآيات التى أظهرت لهم بمصر والقضاء، وجربونى عشر مرات ولم يطيعون^٣ ٥ ولم يقبلوا قولى، لا يعاينون الأرض التى أقسمت لآبائهم أنى أعطيهم، ولا يدخلها أحد من الذين أغضبونى^٤، فأقبلوا غدا وارتحلوا إلى طريق بحر سوف؛ وقال الرب: إلى متى تغفّر هذه الجماعة الرديئة بين يدي؟ فى أقسم أنكم^٥ تصيرون إلى ما قلتم، وكما فكرتم^٦ ذلك يصيكم^٧ فى هذه البرية، فسقط جشمكم فيها وتبلى أجسادكم ويهلك كل عددكم وحسابكم ١٠ من ابن عشرين سنة إلى فوق، لأنكم تشوشتم وتذمرتم على^٨، لا تدخلوا الأرض التى رفعت يدي لأنزلكم فيها، ولا يدخلها إلا كلاب بن يوفنا وبوشع بن نون، وأما مواشيكم التى قلتم: إنها تنتهب، وبنوكم الذين لا يعلمون الخير من الشر فهم يدخلون الأرض وأصيرهم إليها وأورثهم الأرض، فأما جيفكم فسقط وتبلى فى هذه البرية، وتمكث بنوكم يرددون ١٥ فى هذه المفازة أربعين سنة، يعاقبون حتى تهلك جشمكم فى هذه البرية على عدد الأيام التى اجتس الجواسيس الأرض فيها، لكل يوم سنة،

(١) فى ظ: الذنب (٢) من نص التوراة، وفى الأصل وظ: كقولك (م) فى ظ: لم يطيعوا (٤) فى ظ: تنبؤ - كذا، والعبرة من بعده إلى «متى تغفر» ساقطة منه (٥) سقط من ظ (٦-٧) فى ظ: لكم نصيكم.

و تعاقبون بآثمكم^١، لكل يوم سنة^٢، أربعين سنة لأربعين يوما، فتعلون
 أنى إنما فعلت ذلك لتذمركم^٣ بين يدي، أنا الرب قلت : كذلك أصنع بهذه
 الجماعة الرديئة التي اجتمعت بين يدي، تهلك في هذه البرية، يموتون كلهم،
 والقوم الذين أرسلهم موسى أن يحنسوا الأرض له فانقلبوا وشغبوا عليه
 ٥ و أفسدوا الجماعة كلها، وذلك أنهم أخبروا الشعب في أمر الأرض خبرا
 رديئا، ومات القوم الذين أخبروا الخبر السوء موت الفجاءة أمام الرب، فأما
 يشوع وكالاب فنجوا من الموت، ولم يهلكا مع الذين استخبروا الأرض،
 فأخبر موسى بنى إسرائيل هذه الأقوال، وجلسوا في حزن شديد وقالوا:
 نحن صاعدون إلى الموضع الذي أمر الرب ونقر بخطايانا، قال لهم موسى :

١٠ اعلوا أنكم لا تنجحون^٤ ولا يتم أمركم، لا تصعدوا لأن الرب ليس معكم
 لثلا يهزمكم أعداؤكم، فان صعدتم هزمتهم و قتلتم، لأنكم أغضبتم الرب
 و رجعتن عن / قوله، فلذلك لا يكون الرب معكم، فصعد القوم إلى رأس
 ٣٦ الجبل، فأما تابوت عهد الرب و موسى النبي فلم يبرحا من العسكر، و نزل
 العملاقانيون الذين يسكنون ذلك الجبل و حاربوهم و هزموهم، و قتلوا منهم
 ١٥ مقتلة عظيمة و طردوهم إلى حرما؛ و كان ذكر قبل ذلك في السفر الثاني
 و قبل معصيتهم في أمر الجواسيس قتالهم في ريفدين و رقيم لعماليق فقال
 ما نضه: و إن عماليق جاء ليقاتل بنى إسرائيل برفيدين^٥ فقال موسى ليشوع^٦ :

(١) في ظ: بأيامكم (٢) زيد بعده في ظ: و تعاقبون باسمكم لكل يوم - كذا .
 (٣) من ظ، و في الأصل: لتسوءكم - كذا (٤) من نص التوراة، و في الأصل
 و ظ: جلس (٥) في ظ: لا محواين - كذا (٦) زيد بعده في ظ: و رقيم .
 (٧) في ظ: ليشوع .

اختر رجلا من أهل الجلد و الشدة و اخرج بنا نقاتل 'عماليق غدا'
 و أنا واقف عل رأس الآكة، و قضيب^٢ الله في يدي، فصنع يشوع كما
 قال له^٣ موسى نخرج إلى حرب عماليق، و صعد موسى و هارون و حور
 إلى رأس الجبل، و كان موسى إذا رفع يده قوى بنو إسرائيل، و إذا
 خفض يده قوى عماليق، فأعيت يد موسى فأخذ حجارة فوضعها تحته،^٥
 ثم استوى عليها جالسا، و كان هارون و حور يدعمان يديه، أحدهما
 يمينا و الآخر شمالا حتى غربت الشمس، فهزم يشوع عماليق و من معه
 و قتلهم بحد السيف، فقال الرب لموسى: اكتب هذا الأمر في سفر
 الكتاب و ضعه أمام يشوع بن نون، لأنى أحمق و أيد ذكر عماليق من
 تحت^٦ السماء، فبنى للرب مذبحا،^٧ و دعا اسمه^٨ "الله علمي"^٩، ثم قال: ١٠
 و أرسل رسلا من رقيم إلى ملك أدوم^{١٠} بأنهم نازلون في رقيم - القرية
 التى فى حد بلاد - و استأذنه فى الجواز فى بلاده، فهددهم بالمقاتلة
 فقالوا: لا نشرب لك ماء إلا بـثمن، فقال: لا تجوزوا فى^{١١} حدى،
 و خرج إليهم بجيش عظيم و سلاح شاك فصفا بنو إسرائيل عنه و ظعنوا

- (١-١) ظ : عد - كذا (٢) فى ظ : قضيت (٣) سقط من ظ (٤-٤) فى
 ظ : يدعمادتين يديه - كذا (٥) فى ظ كيت (٦) زيد بعده فى ظ : اعداء .
 (٧-٧) فى ظ : اسم (٨-٨) من ترجمة التوراة المقدسة لأبى سعيد بن أبى الحسين
 السامري، و أسفار التوراة المقدسة المخطوطة سنة ٩٣٠ من الهجرة بقرية من
 يروشلیم، و فى الأصل و ظ : الله حرب، و وقع فى تراجمها الأخرى: يهووا
 نسى - غير مترجم إلى العربية (٩) من التوراة، و فى الأصل و ظ : ازوم .
 (١٠) فى ظ : الى .

من رقيم، و آتى جميع بنى إسرائيل إلى هور^١ الجبل حيث توفى هارون،
ثم قال: ونزل موسى وإليعازر من الجبل، فرأت محافل بنى إسرائيل
كلها أن هارون قد توفى، و بكى على هارون^٢ جميع بنى إسرائيل ثلاثين
يوماً، و سمع الكنعانى ملك عراد^٣ الذى كان يسكن التيمن^٤ أن
بنى إسرائيل قد نزلوا فى طريق الجواسيس فخاربهم^٥ و سبى منهم قوماً،
فندب بنو إسرائيل ندرا للرب و قالوا: إن أنت دفعت إلينا هذا الشعب
يا رب و قويتنا عليه جعلنا قراهم حريمة للرب^٦، فسمع الرب أصوات
بنى إسرائيل و دفع إليهم الكنعانيين و قواهم عليهم، و هزموهم و قتلوهم
و جعلوا قراهم حريمة للرب و دعوا^٧ اسم تلك البلاد حريمة، فظعن الشعب
من هور الجبل فى طريق بحرسوف ليدوروا حول^٨ أرض أدوم، ففزعته^٩
أنفس الشعب من شدة الطريق و كلفت، و تذر^{١٠} الشعب على الله و على
موسى و قالوا: لِمَ أصدتنا من مصر؟ لئمتنا فى موضع ليس فيه خبز
و لا ماء، قد ضاقت أنفسنا من قلة الطعام، فسلط الله عليهم حيات
فنهشت قوماً من الشعب و مات منهم كثير، فاجتمعوا إلى موسى و قالوا:
١٥ قد^{١١} أخطأنا إذ تذرنا على الله و عليك، صل أمام الرب لتصرف عنا
الحيات، فصلى موسى فقال الرب له: اتخذ حية من نحاس مثال الحية
و ارفها/ على خشبة علامة، و من نهشته حية ينظر إلى الحية المعلقة^{١٢}

/٢٧

(١) فى ظ: هو (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) من التوراة، و فى الأصل
و ظ: حدر - كذا (٤) فى ظ: الشمس - كذا (٥) فى ظ: لخاربوهم (٦) زيد
بعده فى ظ: و قالوا (٧) فى ظ: دنوا الى - كذا (٨) فى ظ: حوال (٩) فى
ظ: فخرمت (١٠) فى ظ: تدير (١١) سقط من ظ .

فيرا

فبِراً ، ففعل ذلك ، فظن^١ بنو إسرائيل فزلوا أبوت^٢ ، ثم ارتحلوا من أبوت^٣ ونزلوا على عين العبرانيين التي في البرية أمام أرض موآب في الجانب الشرقى وحيث^٤ مشارق الشمس ، ثم ظعنوا من هناك ونزلوا وادى زرود ، وارتحلوا من هناك ونزلوا عبر أرنون في البرية [أمام أرض موآب في الجانبين - °] التي^٥ تخرج من [حد - °] الأموريين^٦ وهى في حد الموآبيين ، ولذلك يقال في كتاب حروب^٧ الرب : واهب في سوفة^٨ وادى أرنون ومصب^٩ الأودية المائلة إلى سكان عار^{١٠} التي تنتهى إلى^{١١} أحد الموآبيين^{١٢} ؛ ثم أرسل بنو إسرائيل رسلا إلى سيحون ملك الأموريين^{١٣} [و- °] قالوا له : نجوز في أرضك من غير أن نطأ^{١٤} لك حقلا ولا كرما ، ولا نشرب^{١٥} من ماء جناتك^{١٦} ، ولكن نلزم الطريق^{١٧} الأعظم حتى نجوز^{١٨} أرضك ، فأبى سيحون وجمع جميع أجناده وخرج إلى البرية وحارب بنى إسرائيل ، فقتل بنو إسرائيل سيحون وأصحابه وورثوا أرضه ، وصعدوا إلى أرض متنين^{١٩} ، وخرج عوج ملك متنين - °]

(١) في ظ : فظن (٢) في ظ : العرب - كذا (٣) في ظ : ابواب - كذا (٤) في ظ : جنب (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : الامرانيين (٨) من نص التوراة ، وفي الأصل : حروف ، وفي ظ : حدود (٩-٩) من ترجمة التوراة التي طبعت بلندن سنة ١٨٧٢ م ، وفي الأصل و ظ : اللهم تعاصف في - كذا . (١٠) من ترجمة التوراة ، وفي الأصل و ظ : اصلحت - كذا (١١) من ظ والتوراة ، وفي الأصل : عمار (١٢-١٢) في ظ : أحد الموانين - كذا (١٣) في ظ : يطا (١٤) في ظ : لا يشرب (١٥) في ظ : جناتك (١٦) في ظ : لا نجوز .

إليهم هو وأجناده ليحاربهم في أدرعى^١ ، وقال الرب لموسى : لا تخف
 لأنى^٢ دافعه في يدك وأصير جميع شعبه وأرضه في يدك ، فاصنع^٣ به
 كما صنعت بسيحون ملك الامورانيين ، فلما حاربوه قتل هو وبنوه
 وجميع شعبه ولم يبق منهم أحد ، فظعن بنو إسرائيل ونزلوا عربات^٤
 ٥ موآب^٥ التى عند أردن إريحا ؛ ثم ذكر قصة بلعام بن باعور^٦ وغيرها
 ٢ قال : ثم قال الرب لموسى : اصعد إلى هذا الجبل جبل العبرانيين ،
 وانظر^٧ إلى أرض كنعان^٨ التى أعطى بنى إسرائيل ، فاذا نظرت إليها
 اجتمع معك^٩ شعبك ، وصر إلى ماصار إليه آباؤك كما صار [إليه - ١٠]
 هارون أخوك ، فتكلم موسى أمام الرب وقال : يأمر الله رجلا يريد
 ١٠ الجماعة ويدخل ويخرج أمامهم ، ويدخلهم ويخرجهم لكيلا تكون
 جماعة الرب كالغنم التى ليس لها راع ، فقال الرب لموسى : اعمد إلى يشوع^{١٢}
 ابن نون - رجل عليه من الروح نعمة - فضع يدك عليه ، وأقفه بين
 يدي إيعازر الحبر أمام الجماعة كلها ومن تجاههم قبلا ، وأعطه من المجد
 الذى عليك ، فقطيعه جماعة بنى إسرائيل كلها ، ويقوم^{١٣} بين يدي إيعازر
 ١٥ الحبر ليكون يسأل الرب عن حوائجه وسنته ، ويحفظ بنو إسرائيل^{١٤} قوله ،

(١) من التوراة ، وفي الأصل و ظ : اردعى (٢) سقط من ظ (٣) في ظ :
 واصنع (٤) من ترجمة التوراة ، وفي الأصل و ظ : عربى (٥) من ظ والتوراة ،
 وفي الأصل : موات (٦) في ظ : بعور (٧) في ظ : ارض (٨) في ظ : الغان .
 (٩) من ظ ، وفي الأصل : مع (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ : يكون (١٢) في
 ظ : يسوع (١٣) في ظ : تقوم (١٤) في ظ : بنى اسرائيل .

وعن قوله يخرجون وعن قوله يدخلون ، وفعل موسى كالذى أمره الله
 في يوشع وغيره - ثم ذكر أشياء^١ من القرائين^٢ و الأعياد و فتح مدين
 و بقية قصة بلعام و غير ذلك [ثم - ٣] قال : و كثرت مواشى
 بنى روبيل^٤ و بنى جاد جدا ، و نظروا [إلى - ٣] يعزير و أرض جلعاد^٥ أنه
 موضع يصلح للواشى فقالوا لموسى : إن نحن ظفرنا منك برحمة و رأفة
 تعطى هذه الأرض لعيدك ميراثا و لا تجزنا نهر الأردن ، فقال موسى :
 إخوتكم يخرجون إلى الحرب و أتم تستقرون ههنا ؟ لِمَ تكسرون قلوب
 إخوتكم أن لا يجوزوا^٦ إلى الأرض التى يعطيهم^٧ الرب ميراثا ! هكذا
 صنع أيضا آباءكم فاشتد غضب الرب عليهم ، و أقسم أنه لا يعاين أحد
 منهم الأرض التى وعدت بها آباءهم ، لأنهم لم يتموا^٨ قولى و لم يتبعوا ١٠
 وصيتى ما خلا كلاب بن يوفنا / القزاني و يشوع^٩ بن نون ، إنها أما
 قول الرب ، فاشتد غضب الرب على بنى إسرائيل و تَوَهَّهُمْ في البرية أربعين
 سنة حتى هلك حقب الرجال الذين أسخطوا الرب ، و أنتم اليوم أيضا
 تريدون أن ينزل غضب الرب ببنى إسرائيل ، و إن^{١١} أتم انقلبتم عن
 أمر الرب أيضا يعود أن يُتَوَهَّكُم في التيه ، ففسدون^{١٢} على جميع هذا الشعب ، ١٥

- (١) في ظ : شيئا (٢) في ظ : القرائين - كذا (م) زيد من ظ (٤) في ظ :
 بنى إسرائيل (٥) في ظ : خلعاد (٦) في ظ : يسكرون (٧) في ظ : لا تجوزوا .
 (٨) من نص التوراة ، و في الأصل : يعطيكم ، و في ظ : يعطيهم (٩) في ظ :
 يتموا (١٠ - ١١) في ظ : العبراني و يسوع (١١) سقط من ظ (١٢) في ظ :
 يفسدون .

فدنا منه القوم وقالوا : بنى ههنا^١ قري^٢ لعلالاتنا^٣ و حظائر لانعامنا ،
 ونحن^٤ نسلح أمام بنى إسرائيل حتى ندخلهم^٥ إلى مواضعهم ،
 ولا نرجع إلى يوتنا حتى يرث بنو إسرائيل كل إنسان ميراثه ،
 ولا نرث معهم من عبر الأردن وما خلف ذلك ، لانا قد قبضنا ميراثنا
 ه في مجاز الأردن في مشارق الشمس ، فقال لهم موسى : إذا أتم فعلتم
 هذا الفعل و تسلحتم^٦ أمام ربكم ، حيثذ ترجعون و تستجلبون^٧ أرضكم
 و يرضى^٨ بنو إسرائيل عنكم ، و تصير هذه الأرض لكم^٩ ميراثا ، و إن
 لم تفعلوا [هذا - ^{١٠}] تصيروا^{١١} أمام الرب خطاة^{١٢} ، و اعلوا
 أن خطاباكم تدركمكم ؛ ثم قال : و هذه خطا عن بنى إسرائيل حيث
 ١٠ خرجوا من أرض مصر - فذكر ما تقدم في البقرة ، ثم قال :
 و ارتحلوا من مقبرة الشهوة و نزلوا حضروت ، [و ظعنوا من
 حضروت - ^{١٣}] و نزلوا رثما ، و ارتحلوا من رثما و نزلوا رمون^{١٤} فرص ،
 و ظعنوا^{١٥} من رمون^{١٦} فرص و نزلوا لبنا - و في نسخة : ^{١٧} لبونا -

(١) من ظ ، وفي الأصل : هنا (٢) في ظ : قريتنا (٣) في الأصل : لعلالاتنا ،
 وفي ظ : لانسنا - كذا (٤) في ظ : يدخلهم (٥) في ظ : سلحتم (٦) في ظ :
 يستخلفون (٧) في ظ : ترضى (٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ (١٠) في ظ :
 يصيروا (١١) من ظ ، وفي الأصل : خطا - كذا (١٢) في ظ : قالوا (١٣) زيد من
 ظ ، إلا أن لفظة « من » ساقطة منه (١٤) من ظ و التوراة ، وفي الأصل :
 رمون (١٥) في ظ : فظعنوا (١٦) من التوراة ، وفي الأصل : رمين ، وفي ظ :
 زمن - كذا (١٧) سقطت العبارة من هنا إلى « فهاث وفي نسخة » من ظ .
 و ارتحلوا ٩٠

و ارتحلوا من لبنا و نزلوا أراسيا - و في نسخة : رسا - و ظعنوا من
 أراسيا أو رسا و نزلوا قهاث - و في نسخة : بقهالاث^١ - و ارتحلوا من
 قهاث و نزلوا جبل شافار -^٢ و في نسخة : شافر - و ارتحلوا من جبل
 شافار^٣ و نزلوا حرادة^٤ - و في نسخة : حرذا - و ارتحلوا من حرادة^٥
 - و في نسخة : حارذا - و نزلوا مقهلوث^٦ - و في نسخة : مهقلوث^٧ -
 و ظعنوا من مقهلوث^٨ و نزلوا تحاث ، و ارتحلوا من تحاث و نزلوا
 ترح ، و ارتحلوا من ترح و نزلوا مثقا ، و ارتحلوا من مثقا و نزلوا حشمونا ،
 و ظعنوا من حشمونا و نزلوا مسروت ، و ارتحلوا من مسروت^٩ و نزلوا
 بجي^{١٠} بنى يعقان^{١١} ، [و ظعنوا من حى^{١٢} بنى يعقان -^{١٣}] و نزلوا جبل جدجاد ،
 و ارتحلوا من جبل جدجاد و نزلوا يطث^{١٤} - و في نسخة : يطباثا^{١٥} -
 و ظعنوا من يطث و نزلوا عجرونا - و في نسخة : عبرونا - و ارتحلوا
 من عجرونا و نزلوا^{١٦} عصيون جابر^{١٧} و هي قلزم ، و رحلوا من^{١٨} عصيون جابر^{١٩}
 و نزلوا بر^{٢٠} صين - و في نسخة : برة صين المعروفة بقداش^{٢١} - و هي
 رقيم ، و ظعنوا من قداش^{٢٢} و نزلوا هور الجبل الذى فى أقاصى

(١) فى ظ : تفهلات - كذا (٢-٣) تكرر فى الأصل و ظ (٣) فى ظ : شافر .
 (٤) من التوراة ، و فى الأصل : حدر ، و فى ظ : حدر - كذا (٥) من
 التوراة ، و فى الأصل و ظ : حدر (٦) فى ظ : مهلوث (٧) فى ظ : مهلوث .
 (٨ - ٨) - سقط ما بين الرقين من ظ (٩) فى نسخة من التوراة : بنى يلعقان .
 (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : بطعث (١٢) فى ظ : بطشا (١٣-١٣) من
 التوراة ، و فى الأصل : عضينبار ، و فى ظ : عضبار - كذا (١٤ - ١٤) من
 التوراة ، و فى الأصل : عضينبار ، و فى ظ : عضينبار - كذا (١٥) فى ظ :
 بقداش (١٦) فى ظ : قداس .

أرض أدوم - وفي نسخة: و ظعنوا من بركة صين فزلوا في قفر^١ فاران
 و هي القدس، و ارتحلوا من القدس فزلوا في جبل هور بجذاء أرض أدوم
 و هي^٢ الروم - و سعد هارون الجبر^٣ عن قول الله إلى هور الجبل، و توفي
 هناك في سنة أربعين بخروج بني إسرائيل من أرض مصر في الشهر الأول
 ٥ أول يوم منه، وقد كان أتى على هارون^٤ يوم توفي مائة و ثلاث
 و عشرون سنة، و بلغ الكنعاني ملك حديا الساكن باليمن في أرض
 كنعان - وفي نسخة: عراد^٥ الساكن في الداروم في بلد ماء^٦ -
 أن بني إسرائيل^٧ أتوا حده^٨، و ظعنوا من هور الجبل و نزلوا صلونا،
 و ارتحلوا / من صلونا و نزلوا فينون، و ظعنوا من فينون و نزلوا
 ١٠ أبوث^٩ - وفي نسخة: أباث^٩ - و ارتحلوا من أبوث^٩ و نزلوا العين المعروفة
 بالعبرانيين على حد موآب - وفي نسخة: و نزلوا عايا في العين على تخوم
 موآب^{١٠} - و ارتحلوا من^{١١} عايا فزلوا جاد - وفي نسخة: و رحلوا من
 عين العبرانيين و نزلوا ديبون^{١٢} قرية جاد - و ارتحلوا من قرية جاد^{١٣}
 و نزلوا علون التي^{١٤} دبلثيم - وفي نسخة: دبلاثيم^{١٤} - و ظعنوا من

(١) زيد بعده في ظ: في (٢) في ظ: هو (٣) في ظ: الرب (٤) زيد في ظ:
 اول (٥) من التوراة، وفي الأصل: عيراد. وفي ظ: عيراد - كذا (٦) في ظ:
 مات (٧-٧) في الأصل: اتوحده، وفي ظ: بومن - كذا (٨) في ظ: ايوب.
 (٩) في ظ: اباث (١٠) في ظ: مورب (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ.
 (١٢) من ظ، وفي الأصل: جازه (١٣) زيد بعده في الأصل: في، ولم تكن
 الزيادة في ظ فخذناها (١٤) في ظ: دبلاهم - كذا.

علمون التي دبليهم - وفي نسخة: دبلائيم - فنزلوا جبل العبرانيين الذي أمام نابو، وارتحلوا من جبل العبرانيين ونزلوا عربة موآب التي بأردن يريحا - وفي نسخة: ونزلوا مغارب موآب على الأردن 'قبالة يريحا - ونزلوا على شاطئ 'الأردن' من عند أشيموث^٢ إلى آبل^٣ شاطيم التي عند عربة موآب - 'و في نسخة: قبالة مغارب موآب . ٥

وكلم الرب موسى على مغارب موآب^١ عند الأردن قبالة يريحا فقال: كلم بني إسرائيل وقل لهم: أنتم جائزون الأردن إلى أرض كنعان لتهلكوا^٤ جميع سكان الأرض، وتحرقوا بيوت أصنامهم المسبوكة، وتقلعوا^٥ مذابحهم كلها، وتصير الأرض إليكم وترثونها^٦، فاقسموها لعشاركم سهاماً^٧، وصيروا الكثير على قدر^٨ كثرتهم، والقليل على قدر^٩ - ^{١٠} قلنتهم، وكل قبيلة على ما يرتفع السهم بها^{١١} وتضييقها^{١٢} القرعة، وإن لم تهلكوا^{١٣} سكان الأرض من بين أيديكم فالذين^{١٤} يبقون منهم يكونون^{١٥} أسنة في أعينكم و سهاماً في^{١٦} أصداعكم، و يضيّقون^{١٧} عليكم في الأرض التي تسكنونها، و كما رأيت أن أصنع بهم كذلك أصنع بكم، فهكذا اقسّموا الأرض في موارثكم: أرض^{١٨} كنعان بحدودها، ١٥

(١ - ١) - قط ما بين الرقيين من ظ (٢) في ظ: أشموت (٣) من التوراة، وفي الأصل وظ: ائيل - كذا (٤) في ظ: نفساكو - كذا (٥) في ظ: تفعلوا (٦) في ظ: ترثوها (٧) في ظ: منها ما - كذا (٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ (١٠) في ظ: يصيبها (١١) في ظ: لم يهلكوا (١٢) في ظ: فان (١٣) في ظ: يسكون . (١٤ - ١٤) في ظ: اصداعكم و يضيّقوا .

فأما حد التيمن فيكون لكم من ساحل البحر الملح من ناحية المشرق،
 و يدور حدكم من التيمن إلى عقبة عقريم^١ و يحوز إلى صين، و تكون^٢
 مخارجه من التيمن إلى رقيم الجاني^٣، و يخرج من هناك إلى حصر إدار
 - و في نسخة: إلى رفح^٤ - و يحوز إلى عصمون إلى وادي مصر، و تكون^٥
 مخارجه إلى ناحية البحر^٦ و يكون حد^٧ البحر حدكم و البحر الأعظم بحدوده،
 هذا حدكم من ناحية البحر، و أما حدكم مما يلي الجريا - و في نسخة:
 الشمال - فيكون من البحر الأعظم إلى هور الجبل، و حدود ذلك من الجبل
 إلى مدخل حماة، و تكون^٨ مخارج الجبل إلى صدد^٩، و يخرج الحد إلى زفرون،
 و تكون^{١٠} مخارجه إلى حصر عين، هذه حدودكم من ناحية الجريا^{١١}،
 ١٠. و أما حدودكم من ناحية المشرق فحدوده من [حصر-^{١٢} عين إلى شافم، و ينزل
 الحد من شافم إلى ربله^{١٣} إلى مشارق غاب^{١٤}، حتى ينتهي^{١٥} إلى بحر كزنت
 - و في نسخة: البحيرة الميتة^{١٦} - من مشارقه، و يدور حتى ينزل إلى حد الأردن،
 و تكون مخارجه إلى بحر الملح، هذه حدود الأرض التي تراثونها كما
 تدور؛ ثم ذكر القسمة و شيئا من الأحكام، ثم قال في أول^{١٧} السفر
 ١٥ الخامس: هذه الآيات و الأقوال التي قال موسى لبنى إسرائيل عند مجاز
 الأردن في البرية في عرابا - و في نسخة: البيداء و هو الجانب الغربي -

(١) من التوراة، و في الأصل و ظ: - مفرديم (٢) في ظ: يكون (٣) في ظ:
 الجارى (٤-٤) - سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من التوراة، و في الأصل و ظ:
 صدره (٦) في ظ: الحريا (٧) ريد من ظ و التوراة (٨) من التوراة، و في
 الأصل و ظ: دفلت - كذا (٩) في ظ: غاب (١٠) في ظ: تنهى (١١) في ظ:
 لمستقية (١٢) - سقط من ظ .

حيال سوف بين فاران وبين تقال^١ ولبان وحضروت واذى ذهب^٢
 - وفي نسخة : ودار^٣ الذهب وهو إشارة إلى^٤ الموضع الذي عبدوا
 فيه العجل - / مسير أحد عشر يوما من حوريب إلى ساعير وإلى رقام / ٤٠
 الجائي . لما كان في ستة أربعين من خروج بني إسرائيل من مصر في
 الشهر الحادى عشر في أول يوم منه كلم موسى بنى إسرائيل وأمرهم
 بعد قتلهم سيحون ملك الأموريين وعوج^٥ ملك متين^٦ في مجاز
 الأردن في أرض موآب^٧ ، قال : إن الله قال لنا في حوريب : قد طال مكثكم
 [فى - ^٨] هذا الجبل ، انهضوا^٩ فارتحلوا من^{١٠} ههنا وادخلوا جبل الأموريين^{١١}
 و كل ما حوله إلى القرى والجبل و^{١٢} إلى ساحل^{١٣} البحر أسفل الجبال^{١٤} ،
 و التيمن أرض الكنعانيين ، و لبنان إلى النهر الكبير الذى هو القرات^{١٥} ،
 ادخلوا و رثوا الأرض التى وعد الله آباءكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن
 يعطيهم^{١٦} ، و يورثها نسلهم من بعدهم ؛ ثم قال : و أمرتكم فى ذلك الزمان
 بما [ينبغى أن - ^{١٧}] تصنعوا^{١٨} ، و ارتحلنا من حوريب و سرنا^{١٩} فى البرية
 العظيمة المرهوبة كما أمرنا^{٢٠} الله ربنا ، و انتهينا^{٢١} إلى رقيم الجائي ، و قلت لكم :

(١) من ظ ، و فى الأصل : تقال (٢ - ٢) من التوراة ، و فى الأصل : فدهاب ،
 و فى ظ : ذرلهرابى - كذا (٣) فى ظ : ردا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من
 ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : جوج (٦) فى ظ : مسين - كذا (٧) من ظ ،
 و فى الأصل : موارب (٨) زيد من ظ و التوراة (٩) زيد فى ظ : و لبنان .
 (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : سواحل (١٢) فى ظ : الجبل (١٣) فى ظ :
 يعطوهم (١٤) زيد من ظ (١٥) فى الأصل : يصنعوا ، و فى ظ : يصفوا - كذا .
 (١٦) فى ظ : امرته - كذا (١٧) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : امرنى .
 (١٨) سقطت العبارة من هنا إلى « الله ربنا » من ظ .

قد انتهيتُم إلى جبل الأمورانيين الذى أعطانا الله ربنا، اصعدوا ورتوا الأرض
 كما قال لكم الله^١ رب آبائكم، لا تخافوا ولا تفزعوا، و تقدمتم إلى^٢
 بأجمعكم و قلم: نرسل بين أيدينا رجالا يتجسسون^٣ لنا الأرض و يخبرونا
 بخبرها و يدلّوننا^٤ على الطريق الذى نسير فيه و القرى التى ندخلها؛
 ٥ فكان قولكم عندي حسنا، و عمدت إلى اثني عشر رجلا منكم، من كل
 سبط [منكم - °] رجل، و أرسلتهم^٥، و صعدوا إلى الجبل حتى انتهوا
 إلى وادى العنقود، و استخبروا الأرض و أخذوا^٦ من ثمار الأرض
 و أتوا به و أخبرونا و قالوا لنا: ما أخصب الأرض التى يعطينا الله ربنا^٧!
 و لم يعجبكم أن تصعدوا، [و - °] لكن اجتنبتُم قول الله ربكم و أغضبتموه
 ١٠ و توشوشتم^٨ فى خيمتكم^٩ و قلم: لبغض^{١٠} الرب أخرجنا من أرض مصر
 ليدفعنا فى أيدي الأمورانيين ليهلكونا، إلى أين نصعد! إختوتنا كسروا
 قلوبنا و قالوا: الشعب أعظم و أعزّ منا و أقوى، و قراهم عظيمة مشيدة^{١١}
 إلى السماء، و رأينا هناك^{١٢} أبناء جبارة، و قلت لكم^{١٣}: لا تخافوا ولا تفزعوا
 منهم. من أجل أن الله ربكم هو يسير أمامكم، و هو يجاهد عنكم كما
 ١٥ صنع بكم فى أرض مصر و فى البرية، كما رأيتم أنه فداكم كما يفدى
 الوالد ولده فى كل الأرض التى سلكتموها^{١٤} حتى انتهيتُم إلى هذه البلاد.

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: ينجسوا - كذا (٣) فى ظ: تدلّونا (٤) فى ظ:
 يسير (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: أرسلتم (٧) من ظ، وفى الأصل: اخذوا (٨) فى
 ظ: ربكم (٩) فى ظ: شوشتم (١٠) فى ظ: خيمكم (١١) من ظ، وفى
 الأصل: بغضكم (١٢) فى ظ: مشيدة (١٣) من ظ، وفى الأصل: هنا (١٤) من
 التوراة، وفى الأصل و ظ: اسكنتموها.

و بهذا القول لم تصدقوا أن الله ربكم يكمل لديكم^١ أنه يسير أمامكم في الطريق ليهيئ^٢ لكم موطئا تسكنون فيه ، أليس هو الذى أراكم^٣ طريقا تسلكون فيه بالليل بالنار ، و ستركم بالنهار من حر الشمس بالغمام ، و سمع الرب كلامكم و أصواتكم و غضب و أقسم و قال : لا يعاين أحد من هؤلاء القوم - أهل هذا الحقب الرديء - الأرض المخصصة التى أقسمت^٤ أن أعطى آباءهم غير كلاب بن يوفنا ، إني أدفع إليه الأرض التى مشى فيها^٥ و أورثها ولده ، لأنه أتم قول الرب و أكمل سنته^٦ ، و قال لى : و أنت أيضا لا تدخلها ، ولكن يشوع بن نون الذى يخدمك هو يدخل هناك ، إياه^٧ قوّ و أيد^٨ ، لأنه هو الذى يورث بنى إسرائيل الأرض المخصصة التى وعدت بها آباءهم أن أعطيهم ، و أما مواشيكم التى قلمت : إنها تنتهب ، و بنوكم الذين^٩ لا يعلمون الخير من الشر ، فهم يدخلون هناك ، و إليهم أضعها و هم يرثونها ، فأما أنتم فاقبلوا و ارتحلوا/ إلى البرية فى طريق بحر سوف ، فرددتم على^{١٠} و قلمت : أسأنا و أجرنا بين يدي الله ربنا ، نحن صاعدون و مجاهدون كما قال لنا ، و تسليح كل امرئ منكم بسلاحه ، و تهيأتم^{١١} للصعود إلى الجبل ، و قال الرب [لى -^{١٢}] : أنذرهم و قل لهم : لا تصعدوا و لا تجاهدوا ، لأنى^{١٣} لست بينكم ، لئلا يهزمكم أعداؤكم ، و قلت و لم تقبلوا^{١٤} ، اجتنبتم قول الرب و أغضبتموه و جسرتم و طلعتم^{١٥} إلى الجبل ، [فخرج الأموريون الساكنون

(١) فى ظ : لهذا (٢) فى ظ : لكم لديكم (٣) فى ظ : اركم (٤) من ظ ، و فى الأصل : فينا (٥) فى ظ : سنته (٦-٦) من نص التوراة ، و فى الأصل و ظ : اقوى و اويد (٧) فى ظ : بهاتم - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : لم يقبلوا . (١٠) فى ظ : صعدتم .

في ذلك الجبل للقائكم^١ [و طردوكم^٢ كما تطرد^٣ الزناير بالدخان، و دفعوكم^٤ من ساعير^٥ إلى حرما، و جلستم^٦ و بكيتم^٧ و لم يسمع الرب أصواتكم، فبكيتم أمام الرب في رقام أياما^٨ كثيرة ما مكثتم فيها، فأقبلنا^٩ فارتحلنا في البرية في طريق بحر سوف كما قال الرب، و ترددنا^{١٠} حول جبل ساعير أياما كثيرة، و قال لي الرب: قد طال ترددكم حول هذا الجبل، أقبلوا إلى الجانب الجربي^{١١}، فتقدم إلى الشعب و قل لهم: أتم تجاوزون^{١٢} في حد إخوانكم بني عاسو^{١٣} - و في نسخة: عيصو - الذين يسكنون ساعير، فاحفظوا أن لا تولعوا بهم^{١٤}. لأنني لست أعطيك من أرضهم ميراثا ولا موضع قدم، اتباعوا منهم طعاما لما كلكم^{١٥} و امتاروا منهم^{١٦} ماء بفضة لمشربكم، ليبارك الله ربكم عليكم و يبارك^{١٧} لكم في كل ما عملت^{١٨} أيديكم، كما علم أن يسوسكم في هذه البرية أربعين سنة، الله^{١٩} ربكم ما دام معكم لا يعوز بكم شيء، و جزنا^{٢٠} طريق العربية^{٢١} - و في نسخة: البيداء - و أيلة، و أقبلنا و جزنا في البرية إلى طريق موآب، و قال لي^{٢٢} الرب: لا تضيق على الموابيين ولا تحاربهم^{٢٣}، لأنني لست أعطيك^{٢٤} من أرضهم ميراثا. بل قد^{٢٥} جعلت هذه

- (١) زيد من التوراة (٢) في ظ: طردوا (٣-٣) في ظ: إلى ساعير (٤-٤) في ظ: حرمان و حبستم (٥) في ظ: أيام (٦) في ظ: لما قبلنا (٧) في ظ: ردنا . (٨) في ظ: الغربي (٩) من ظ، و في الأصل: يجوزون (١٠) في ظ: عاشو . (١١-١١) في ظ: لا تركعوا (١٢) في ظ: كلم - كذا (١٣) سقط من ظ . (١٤) في ظ: تبارك (١٥) من ظ، و في الأصل: حملت (١٦) في ظ: فاته (١٧) في ظ: جوزنا (١٨) من التوراة، و في الأصل: الغربي، و في ظ: العربي . (١٩) في ظ: لا تحاربهم (٢٠) في ظ: اعطيك .

الأرض ميراثا لبني لوط هذه التي سكنها إمتى أولا، شعبا كان عظيما،
كان الموآبيون يسمونهم إمتى، فأما ساعير فكان سكانها الحورانيين^١ أولا
وورثها بنوعاسو^٢، فقوموا الآن فجوزوا وادي زرد،^٣ فجزنا وادي زرد^٤
حيثنذ، و كان عدد الأيام التي سرنا من رقيم إلى أن جزنا وادي زرد
ثمانى و ثلاثين سنة، حتى هلك^٥ جميع الرجال الأبطال أهل ذلك الحقب^٥
من عسكر بنى إسرائيل كما أقسم عليهم الرب، لأن يد الرب كانت عليهم
حتى هلكوا، فلما ماتوا من الشعب كلمنى^٦ الرب وقال [لى -^٨]: أنت
جائز اليوم إلى^٩ حد موآب، و تدنو من حد بنى عمون فلا تعرض^٩ لهم،
لست أعطيك ميراثا من أرض بنى عمون، لأنى قد جعلتها ميراثا
لبنى لوط، فقم و ارتحل و جز وادي أرنون، إني قد دفعت إليك سيحون^{١٠}
ملك الامورانيين فخاربه و^{١٠} أهلك أصحابه، فاني أبدأ فالتى خوفك و فزعك
على الناس منذ يومك هذا، و على جميع الشعوب التي تحت السماء، حتى
إذا سمعوا بخبرك فرقوا و فزعوا منك، و أرسلت رسلا من بركة قدموت
إلى سيحون ملك حجبون بكلام طيب و بالسلام، و قلت له: نجوز في
أرضك و نسير^{١١} في الطريق الأعظم، لا نميل^{١٢} يمنة^{١٢} و لا يسرة نمتار^{١٣} منكم^{١٥}
طعاما بفضة^{١٣} المأكلنا، و كذلك^{١٣} نبتاع ماء لمشربنا بثمن^{١٤}، فدعونا نجوز^{١٤}

(١) في ظ: الحوريين (٢) في ظ: بنى عاسو (٣-٢) موضع الرقيم في ظ:
« و » (٤) في ظ: الذى (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: الاحقب (٧) في ظ:
مملين - كذا (٨) زيد من ظ (٩) في ظ: فلا يتعرض (١٠) في ظ: يسير (١١) في
ظ: لا يميل (١٢) من ظ، و في الأصل: يسرة (١٣-١٢) في ظ: كلنا و لذلك .
(١٤) من ظ، و في الأصل: نجوز .

سائرین فی الطريق كما صنع بنا بنو عاسو الذین فی ساعیر، و المویون
 الذین فی عار'، حتی یجوز فی الأردن إلی الارض الی یعطینا الله ربنا،
 ولم یسرّ سیحون ملک حبیبون أن یمجوز فی حده، لأن الله ربکم قسى قلبه
 وعظم روحه^١ لیدفعه فی أیدیکم، و خرج إلینا هو و جمیع أجناده لیحاربونا^٢
 ٥ فی یاهاص^٣، فدفعه الرب إلینا و قتلناه هو و جمیع أجناده، و فتحنا قراه
 و أهلکنا کل من کان فی قراه، ولم یبق منهم أحد، و أهلکنا نساءهم
 و عیالاتهم، ولم یبق منهم أحد من حد عروعر الی^٤ علی حد وادی أرنون،
 و القرية الی فی الوادی و إلی جلعاد لم تفتنا^٥ قرية، / بل دفعها الله ربنا فی
 / ٤٢ أیدینا جمیعاً، فأما أرض بنی عمون فلم یقربها^٦، و کل ما کان علی وادی
 ١٠ ییوق^٧ و قرى الجبال أیضاً، و کل ما أمرنا الله ربنا به، ثم أقبلنا و صعدنا
 إلی أرض متین^٨، و خرج إلینا عوج^٩ "ملک متین" هو و کل شیعته لیحاربنا
 فی أدرعی^{١٠}، و قال لی الرب: لا تفرق فانی قد دفعته فی^{١١} یدیک،
 و أرسلت إلیک کل أجناده و أرضه، و قتلناهم و لم یبق منهم أحد^{١٢}،
 و ظفرنا بکل قراه^{١٣} فی ذلک الزمان، و لم تفتنا قرية إلا^{١٤} أخذناها^{١٥}
 ١٥ منهم ستین قرية، کل جبل أرجوب، کل القرى الی كانت أسوارها^{١٦}

(١) من التوراة، و فی الأصل و ظ : عارة (٢) فی ظ : وجهه (٣) من ظ ،
 و فی الأصل : لیحاربنا (٤) فی ظ : یاهاص (٥) فی ظ : الذی (٦) فی ظ :
 لم یفتنا (٧) فی ظ : فلم یقربها (٨) من التوراة، و فی الأصل و ظ : القی - کذا .
 (٩) فی ظ : مسین - کذا (١٠ - ١١) فی ظ : مالک مبین (١١) من التوراة،
 و فی الأصل و ظ : اردعی (١٢) - سقط من ظ (١٣) من ظ : و فی الأصل :
 احدا (١٤) فی ظ : قرية (١٥) فی ظ : اخذنا (١٦) من ظ ، و فی الأصل : سوراتها .

مشيدة محصنة بالآبواب الشديدة الموثقة ، وأحرمناهن^١ كما صنعنا بيسعون
وأخذنا الأرض في ذلك الزمان من ملكي الامورانيين اللذين كانا عند
مجاز الأردن من وادي أرنون إلى جبل حرمون ، فأما الصيدانيون
فكانوا يدعون حرمون سريون ، وأما الامورانيون^٢ فكانوا يسمونها
سنير^٣ ، وأخذنا كل القرى التي^٤ كانت في الصحراء وكل جلعاد وكل متين^٥
إلى^٦ سللكه وأدرعى^٦ ، جميع قرى ملك عوج ، لأن عوجا كان الجبار الذي
بقي وحده من الجبارة ، وكان سريره من حديد ، وفي^٧ مدينة بني عمون^٧
التي تسمى ربة ، طوله تسع أذرع وعرضه أربع^٨ أذرع بذراع الجبارة^٩ ،
وورثنا هذه الأرض في ذلك الزمان ؛ ثم قال : [أمرت -]^{١٠} يشوع^{١٠}
في ذلك الزمان وقلت : قد رأيت بعينيك^{١١} ما صنع الله ربكم^{١٢} بملكى^{١٠}
الامورانيين ، كذلك يصنع الرب بجميع المملكات التي تجوز^{١٣} إليها ،
لأن الله ربكم هو يجاهد عنكم ، وتضرعت إلى الرب في ذلك الزمان وقلت :
أطلب إليك يا ربى وإلهى أن تظهر لعبدك عظمتك بيدك المنية وبذراعتك
العظيمة ، أى إله في السماء أو في الأرض يعمل مثل أعمالك وجرائحك^{١٤} أنا أذن

(١) من نص التوراة ، وفي الأصل : أخرجناهن ، وفي ظ : أخرناهن (٢) من
ظ ، وفي الأصل : الامورانيون (٣) من التوراة ، وفي الأصل وظ : ساعير .
(٤) في ظ : الذى (٥) في ظ : ميين - كذا (٦-٧) من التوراة ، وفي الأصل وظ :
ملكى واردهى (٧-٧) من ظ ، وفي الأصل : مدينته بنوا عيون - كذا (٨) سقط
من ظ (٩) في التوراة : رجل (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ : يسوع (١٢) في
ظ : بعينك (١٣) العبارة من هنا إلى « الله ربكم » ساقطة من ظ (١٤) من نص
التوراة ، وفي الأصل وظ : يجوزون .

لى الآن فأعبروا أعين الأرض المخصصة التى فى مجاز الأردن، هذا الجبل المخصب
ولبنان، ولم يستجب لى وقال لى الرب: حسبك ألا تعد أن تقول هذا القول
بين يدي، اصعد رأس الأكمة وارفع عينيك إلى المغرب والمشرق وإلى
الجربى واليمن، وانظر إليها نظراً^١ ولا تجز هذا الأردن، و مر يشوع^٢
و تقدم إليه وقوّه وأيده، لأنه هو الذى يجوز أمام هذا الشعب وهو الذى^٣
يورثهم الأرض التى تراها، ونزلنا^٤ الوادى حبال بيت فغور^٥: ثم قال:
وأقسم - أى الرب - أنى لا أجوز هذا الأردن ولا أدخل إلى الأرض
التي^٦ أعطاكم الله ربكم ميراثاً، فانا الآن^٧ متوفٍ فى هذه الأرض، ولا أجوز
هذا^٨ الأردن، فاما أنتم فتجوزون وترثون هذه الأرض المخصصة، احفظوا
١٠ لا تنسوا عهد الله ربكم الذى عاهدكم. ولا تفسدوا وتتخذوا أصناماً
وأشباحاً،^٩ من أجل أن الله ربكم هو نار محرقة وهو إله غيور، وإذا ولد لكم
بنون وبنو بنين وعتقم فى الأرض. واتخذتم أصناماً وأشباحاً^{١٠} وارثكم
الشر^{١١} أمام الله ربكم وأغضبتموه قد أشهد^{١٢} عليكم السماء والأرض أنكم
تهلكون سريعاً من الأرض التى تجوزون لترثوها، ولا تكثروا أيامكم^{١٣}
١٥ فيها، ويبددكم الرب من بين الشعوب ويبقى منكم^{١٤} عدد قليل بين الشعوب

(١) فى ظ: نظر (٢) فى ظ: يسوع (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى
الأصل: يرثهم (٥) من نص التوراة، وفى الأصل: نزلت، وفى ظ: نزلوا.
(٦) من التوراة، وفى الأصل و ظ: يعود (٧) من ظ، وفى الأصل: هذه.
(٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) فى ظ: الشهر (١٠) من ظ، وفى الأصل:
أشهدت (١١) من ظ، وفى الأصل: أبوكم - كذا.

التي يفرقكم الرب فيها ، سلوا عن الأيام الأولى التي مضت قبلكم منذ
يوم خلق الله الناس على الأرض من أقصى السماء إلى أقطارها ، / هل كان
مثل هذا الأمر العظيم أو سمع بمثله قط ؟ هل سمع شعب آخر صوت الله
يكلمه من النار كما سمعتم أنتم ، وجربوا الله الذي اتخذهم شعبا من الشعوب
بالبلايا والآيات والأعاجيب والحروب واليد المنية والذراع العظيمة
وبالمنابر العظيمة ، كما صنع الله بأهل مصر تجاهكم أنتم وعائتم وعلمتم أن
الله هو رب كل شيء وليس إله غيره ، أسمعكم صوته من السماء ليعلمكم
وأراكم ناره العظيمة ، وسمعتم أقاربكم من النار ، ولحبه لأبنائكم اختار نسلهم
من بعدهم ، وأخرجكم^١ بوجهه من مصر بقوة العظيمة ، ليهلك من بين
أيديكم شعوبا أعظم وأعز منكم ليدخلكم ويعطيكم^٢ أرضهم ميراثا ، ١٠
لتعلموا يومكم هذا وتقبلوا بقلوبكم لأن الرب هو إله في السماء فوق وفي
الأرض أسفل ، وليس إله سواه . احفظوا سنته ووصاياه التي أمركم
بها يومكم هذا لينعم عليكم وعلى أبنائكم من بعدهم ، ويطول مكثكم^٣
في الأرض التي يعطيكم الله ربكم طول الأيام . هذه الشهادات والأحكام^٤
التي قص موسى على بني إسرائيل حيث خرجوا من أرض مصر ، فاتتوها ١٥
إلى مجاز الأردن في الوادي في مشارق الشمس ، وإلى بحر العربة* إلى
سدود الفسجة^٥ ؛ ثم قال بعد ذلك في أواخر هذا السفر بعد أن قص عليهم
(١) في ظ : اجدكم (٢) في ظ : بعضكم (٣) في ظ : ملائكم (٤) زيد بعده في
ظ : السنن (٥) من التوراة ، وفي الأصل و ظ : العربي (٦) من التوراة ، وفي
الأصل و ظ : وفرجا .

أحكاما كثيرة وِحْكَاءَ عزيزة^١: الرب يقبل بكم إلى الخير و يفرحكم كما
فرح آبائكم، وذلك إن أتمم سمعتم قول الله ربكم و حفظتم سنته و وصاياه
المكتوبة في هذا الكتاب من كل قلوبكم و أنفسكم، من أجل [أن -^٢]
هذه الوصية لم تخف عليكم و لم تغب^٣، و ليس هو بمستور في السماء
٥ فقولوا^٤: من يصعد لنا إلى السماء و يأتينا به^٥ فنسمعه و نعمل^٦ به^١
و ليس بغائب عنكم في أقصى البحر فقولوا^٤: من ينزل لنا إلى البحر
و يأتينا به^٥ فنسمعه و نعمل^٦ به^١ و لكن القول قريب من فك^٦ و قلبك
فاعمل به، و انظر أني قد صيرت بين يديك اليوم الحياة و الخير، فأخبرت^٧
بالموت و الشر، و أنا آمرُك اليوم أن تحب الله ربك و تسلك^٨ في
١٠ طريقه^٩ و تحفظ سنته و وصاياه و أحكامه، لتحي و تكثر جدا،
و يبارك الله ربك عليك، و ينميك في الأرض^{١٠} التي تدخلها^{١١} لثرتها،
و إن مال قلبك و زاغ و لم تسمع و ضلت و تبعت الآلهة الأخرى
و سجدت لها فقد ينت لكم اليوم أنكم تهلكون هلاكا، و لا يطول مكثكم
في الأرض التي تجوزون الأردن لثروها، و أوعزت إليكم و ناشدتكم
١٥ السماء و الأرض و الحياة و الموت - و في نسخة: [و -^{١٢}] أشهدت
عليكم^{١٣} السماء و^{١٤} الأرض و جعلت بين يديكم الحياة و الموت - و تلوت

(١) في ظ: عزيز (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: لم يغب (٤) في ظ: فيقولوا .
(٥-٥) في ظ: فيسمعه و يعمل (٦) في ظ: فيك (٧) في ظ: نسرك (٨) في ظ:
يملك - كذا (٩) من ظ، و في الأصل: طريقه (١٠-١٠) في ظ: الذي
يدخلها (١١) زيدت الواو من ظ (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

عليكم اللعن و الدعاء^١، فاختر^٢ الحياة لتحيا أنت و نسلك إذا أحببت الله ربك
و سمعت قوله و لحقت بعبادته ، لأنه حياتك و طول عمرك ، و تسكن في
الأرض التي أقسم الرب لآبائك و وعد إبراهيم و إسحاق و يعقوب أن
يعطيك ؛ ثم انطلق موسى و كلم بنى إسرائيل و قص عليهم هذه الأقوال كلها
و قال لهم^٣ : اليوم مائة و عشرون سنة . و لست أقدر على الدخول و الخروج
أيضا ، و الرب قال : إنك لا تجوز هذا الأردن ، فالله ربكم هو يجوز
أمامكم ، و هو يهلك هذه الشعوب من بين أيديكم و ترثونهم^٤ ، و يشوع هو
يجوز أمامكم كما قال الرب ، و سيصنع بهم الرب كما صنع بيسحون^٥ و عوج
ملكى الامورانيين^٦ الذين / أهلكتها ، و يهزمهم الله ربكم من بين أيديكم ،
فاصنعوا بهم حينئذ ما أمرتكم به ، فتقوّوا و اعتزوا و لا تخافوا و لا تفزعوا ،
و لا ترعب قلوبكم منهم ، لأن الله ربكم سائر أمامكم ، لا يخذلكم و لا يرفضكم ؛
و دعا موسى يشوع^٧ بن نون و قال له بين يدي جماعة بنى إسرائيل : تقوّ و اعتز ،
لأنك أنت الذى تدخل هذا الشعب الأرض التي أقسم^٨ الله لآبائهم أن يعطيهم ،
و أنت تورثها^٩ أبناءهم ، و الرب هو يسير أمامكم و هو يكون معك و لا يخذلك
و لا يرفضك ، فلا تخف و لا تفزع و لا يرعب قلبك ؛ و كتب موسى هذه^{١٠}
التوراة و سننها^{١١} و دفعها إلى الاحبار بنى لاوى الذين " يحملون "^{١٢}

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : فاخترت (٣-٣) في ظ : في (٤) في ظ : ترثوهم .

(٥-٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٦) في ظ : الامرانيين (٧) في ظ : يسوع .

(٨) في ظ : انعم (٩) من ظ ، و في الأصل : ترثها (١٠) في ظ : سينها .

(١١) في من ظ ، و في الأصل : الذى (١٢) زيد بعده في ظ : موسى .

تابوت عهد الرب و' إلى جميع أشياخ بني إسرائيل ؛ ثم قال : وكلم
الرب موسى في ذلك اليوم وقال له : اصعد إلى جبل العبرانيين هذا
جبل نابو^١ الذي في أرض موآب حبال يريحا^٢ ، وانظر إلى أرض كنعان
التي أعطى بني إسرائيل ميراثا ، ولتوف هناك في الجبل الذي تصعد^٣
إليه واجتمع إلى آبائك ، كما توفي أخوك هارون في الجبل وصار إلى
قومه ، ثم قال في آخر هذا السفر وهو آخر التوراة : فطلع موسى
من غروب^٤ - وفي نسخة : من يدياء موآب - إلى جبل نبو إلى رأس
الأكمة التي قبالة وجه إريحا ، وأراه^٥ الله جميع^٦ جلعاد إلى دان^٧ وجميع
أرض نفتالي وجميع أرض إفرايم^٨ و منشا ، وجميع أرض يهوذا
١٠ إلى آخر البحر والبرية وما حول بقعة بلد إريحا مدينة^٩ النخل إلى
صاغر^{١٠} ، فقال الرب لموسى : إن هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم
وإسحاق ويعقوب وقلت : إني لنسلكم أعطيها ، قد أريتكها بعينك^{١١} ،
فأما أنت فما تدخلها ، وقضى عبد الله موسى بأرض [موآب - ^{١٢}] بأمر
الرب ، فدفن - يعني في أرض موآب - حذاء بيت فاغور^{١٣} ، ولم يعرف
(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : بابوا - كذا (٣) في ظ : تريحا .
(٤) من ظ و التوراة ، وفي الأصل : تعصد (٥) كتب هنا بهامش الأصل :
وفاة موسى عليه السلام (٦) في ظ : عزبوب (٧) من ظ ، وفي الأصل : قبالة .
(٨) في ظ : اراد (٩-٩) في ظ : ما جعله إلى ذلك - كذا (١٠) من التوراة ، وفي
الأصل و ظ : قرام (١١-١١) في ظ : البحر إلى ساعرا (١٢) في ظ : بعينك .
(١٣) زيد من ظ و التوراة (١٤) في ظ : فاغوذ .

أحد أين قضى إلى يومنا هذا، وكان موسى وقت قضى^١ ابن مائة وعشرين سنة، لم يضعف بصره ولم يشخّجدا؛ فراح بنو إسرائيل على موسى بعروب - وفي نسخة: في يدها موآب - ثلاثين يوما، وتمت أيام بكاء مآثم موسى؛ وامتلا^٢ يشوع^٣ بن نون روح الحكمة، لأن موسى وضع عليه يده، وأطاع له بنو إسرائيل وامتثلوا ما أمر الرب به موسى - ٥ انتهى ما أردته من أخبار التيه وما يتصل بذلك من مساراتهم لجميع الناس في العذاب بالمعاصي والإلطاف بالطاعات، الهادم لكونهم أبناء وأحباء . وفيه مما يحتاج إلى تفسير: الجربي، وهو نسبة إلى الجرياء^٤ - بكسر الجيم والموحدة^٥، بينهما مهملة ساكنة ثم تحتانية ممدودة، وهي جهة الشمال، واليمين - بفتح الفوقانية وإسكان التحتانية وضم الميم، وهو أفق اليمن ١٠ الذي يقابل^٦ الشمال فالمراد الجنوب^٧، وفيه قاصمة^٨ لهم من^٩ إنكار النسخ في أمرهم بنص التوراة بالدخول إلى بيت المقدس ثم نهيم^{١٠} عن ذلك لما عصوا، فانه قال: اصعدوا ورثوا الأرض^{١١} كما قال لكم الله رب^{١٢} آبائكم، لا تخافوا ولا تفزعوا، ولما عصوا هذا الأمر وأعلمهم موسى عليه السلام بغضب^{١٣} الله عليهم وعقوبته^{١٤} بالتيه أرادوا امتثال الأمر في الصعود توبة، فقال لهم ١٥ موسى عليه السلام: وقال لي^{١٥} الرب: أنذرهم وقل لهم: لا تصعدوا

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : يسوع (٣) من ظ ، وفي الأصل : الجربا .
 (٤) في ظ : بالوحدة (٥) من ظ ، وفي الأصل : قابل (٦) في ظ : الحبوب .
 (٧) في ظ : قاصمه (٨) في ظ : في (٩) في ظ : بينهم (١٠) في ظ : ربه (١١) من ظ ، وفي الأصل : فقضب (١٢) في ظ : عقوبتهم .

ولا تجاهدوا لأنى لست بينكم، لئلا يهزمكم أعداؤكم - هذا نصه فراجعه .
 وأما دخول أنبائهم إلى بلاد القدس و غلبتهم على أهلها و تبسطهم في
 أرضها / تصديقا لمواعد الله على [يد - ١] يشوع^٢ بن نون عليه السلام / ٤٥
 فيذكر إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى في سورة يونس عليه السلام
 ٥ "ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوأ صدق^٣"، ولكن أقدم هنا من أمر يوشع
 بعد موسى عليهما السلام - والمعونة بالله - ما يبنى^٤ عليه بعض مناسبات
 الآية التي بعدها، قال البغوى: فترجه - يعنى يوشع - بنى إسرائيل إلى
 إريحا ومعها تابوت الميثاق، فأحاط بها ستة أشهر، ثم نفخوا في القرون
 و ضج الشعب ضجة واحدة، فسقط سور المدينة و دخلوا، فقاتلوا الجبارين
 ١٠ فقتلوه، و كان القتال [فى - ١] يوم الجمعة، فبقيت^٥ منهم بقية وكادت
 الشمس تغرب و تدخل ليلة السبت فقال: اللهم اردد الشمس على^٦ أفردت
 [عليه - ١] و زيد فى النهار ساعة، ثم قتلهم أجمعين، و تبع ملوك الشام
 و استباح منهم واحدا^٧ و ثلاثين ملكا حتى غلب^٨ على جميع أرض الشام
 و فرق عماله فى نواحيها، و جمع الغنائم فلم تنزل النار، فأوحى الله إلى يوشع
 ١٥ أن فيها غلولا فرم فليبايعوك، فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده^٩، فقال:
 هلم ما عندك! فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت و الجواهر، فجعله
 فى القربان و جعل الرجل معه، فجاءت النار فأكلت الرجل و القربان - انتهى .

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : يوشع (٣) آية ٩٣ (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 ينبغى (٥) فى ظ : فيثبت (٦) فى ظ : واحد (٧) فى ظ : علت (٨) من ظ ، وفى
 الأصل : بيدك .

و رأيت أنا في تاريخ نبوة يوشع بعد موت^١ موسى عليهما السلام ما ربما يخالف
هذا في الأشهر والبلد، أما الأشهر فجعلها سبعة أيام، وأما البلدة التي وقعت
عندها^٢ الشمس فجبعون لا إريحا، فانه قال ما نصه : قال الرب ليشوع^٣ :
انظر، إني قد دفعت في يدك إريحا وملكها وكل أجنادها^٤، فليحط بالمدينة
جميع الرجال المقاتلة، و دوروا حول المدينة في اليوم مرة^٥، و افعلوا
ذلك ستة أيام، و يحمل سبعة من^٦ الكهنة سبعة أبواق و يهتفون أمام
التابوت، حتى إذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات،
و يهتف الكهنة بالقرون، و إذا هتفت الأبواق و سمعتم أصواتها يهتف
جميع الشعب بأعلى أصواتهم صوتا شديدا، فيقع سور المدينة مكانه،
و يصعد الشعب كل إنسان حiale - انتهى . ثم ذكر أمثالهم لأمر الله ١٠
و فتحهم لإريحا على ما قال الله. و أما^٧ البلدة التي^٨ ردت فيها الشمس فهي^٩
جبعون، و ذلك أنه ذكر بعد فتح إريحا هذه أن سكان جبعون
و هم الحاوانيون صالحوا يوشع بحيلة فعلوها، ثم قال : و هذه أسماء قراهم :
جبعون و^{١٠} الكفيرة و بيروت و يعاريم، فلما سمع بذلك أدونصداق^{١١} ملك
أورشليم فرق فرقا شديدا، لأن جبعون كانت مدينة عظيمة كمثل مدن ١٥
الملك، و كان أهلها رجالا جبابرة، فأرسل إلى هوهم^{١٢} ملك حبران
(١) سقط من ظ (٢) في ظ : عند (٣) في ظ : ليشوع (٤) في ظ : اخبارها .
(٥) تقدم في ظ على « في اليوم » (٦) في ظ : في (٧-٧) في الأصل : البلد التي،
و في ظ : البلد الذي (٨) في ظ : و هو (٩-٩) من تاريخ نبوة يشوع، و في
الأصل : احصرا و عيروث و بعران، و في ظ : احتيرا و عيروث و بعوان - كذا .
(١٠) في ظ : ادنصداق (١١) من ظ، و في الأصل : هزمهم .

- وفي موضع آخر: جبرون - وإلى فرآم^١ ملك يرموث، وإلى يافع ملك
 الحيس، وإلى دابير^٢ ملك عقلون - وقال لي بعض اليهود: إن المراد
 بهذه مجلون - وقال لهم: اصعدوا لتعينوني على محاربة أهل جبعون، لأنهم
 قد صالحوا يشوع، فاجتمع الخمسة من ملوك الامورانيين^٣ وجميع عساكرهم
 ٥ قزلوا على جبعون، فأرسل أهل جبعون إلى يشوع؛ فصعد يشوع
 من الجبلال هو وجميع أبطال الشعب، فأوحى الرب إلى يشوع: لا تخف
 ولا تفرغ منهم، لأنني قد أسلّتهم في يدك، فأتاهم بغتة، لأنه صعد من
 الجبلال الليل أجمع، فهزمهم الرب بين يدي آل إسرائيل وجرحوا
 منهم / جرحى كثيرة في جبعون التي بحوران^٤، وهربوا في طريق عقبة
 ١٠ حوران ولم يزلوا يقتلون^٥ منهم إلى^٦ عزيقة ومقيدة^٧، فلما هرب الذين
 بقوا^٨ منهم ونزلوا عقبة حوران أمطر^٩ الرب عليهم حجارة برد كبار
 من السماء إلى عزيقة^{١٠} وماتوا كلهم^{١١}، فكان الذين ماتوا بحجارة البرد
 أكثر من الذين قتلوا، ثم قام يشوع أمام الرب مصليا في اليوم الذي
 دفع الرب الامورانيين في يدي بني^{١٢} إسرائيل وقال: أيتها الشمس!
 ١٥ امكثي^{١٣} في جبعون ولا تسيري، وأنت أيها القمر! لا تبرح قاع أيلون،
 (١) من يشوع، وفي الأصل: بزان، وفي ظ: بزان - كذا (٢) زيد بعده
 في ظ: ملك دابير (٣) في ظ: الامرايين (٤) في ظ: يسوع (٥) من ظ،
 وفي الأصل: بحران (٦) في ظ: يقاتلون (٧ - ٧) من يشوع، وفي الأصل
 وظ: عاتار ومقار (٨) في ظ: نعوا (٩) في ظ: مطر (١٠) من يشوع. وفي
 الأصل وظ: عاتار - كذا (١١) سقط من ظ (١٢) في ظ: امكثوا.

قُتِبَتِ الشمس و قام القمر حتى اتقَمَ الشعب من أعدائهم ؛ فكتبت^١
 هذه الأعجوبة في سفر التسايح ، لأن الشمس وقفت في وسط السماء
 ولم تزل إلى الغروب ، و صار^٢ النهار يوما تاما ، ولم يكن مثل ذلك
 اليوم قبله ولا بعده - انتهى . و قد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه
 القصة ، روى الشيخان : البخارى فى الخمس و النكاح ، و مسلم فى المغازى ه
 عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال^٣ النبي صلى الله عليه وسلم : غزا^٤
 نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة و هو يريد
 أن يبنى بها ولما بين^٥ بها ، ولا أحد^٦ بنى يوتا و لم يرفع سقوفها ،
 ولا أحد^٧ اشترى غنما أو خلفات و هو ينتظر ولادها^٨ ، فغزا فدنا^٩ من
 القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس : إنك مأمورة و أنا ١٠
 مأمور ، اللهم احبسها علينا ! فحبت حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم ،
 فجاءت - يعنى النار - لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولا ، فليبايعنى
 من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل يده ، فقال : فيكم الغلول
 فلتبايعنى^{١٠} قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة يده ، فقال : فيكم الغلول ،
 فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب^{١١} فوضعوها ، فجاءت النار فأكلتها ، ١٥
 ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى بعض^{١٢} ضعفنا و عجزنا فأحلها لنا . و فى

(١) فى ظ : فكتبت (٢) فى ظ : صلى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : عن (٥) من
 ظ و صحيح البخارى - الخمس ، و فى الأصل : لم بين (٦) فى ظ : احدا (٧) من
 الصحيح ، و فى الأصل و ظ : اولادها (٨) فى ظ : وددة (٩) فى ظ : فتبايعنى .
 (١٠) العبارة من هنا إلى « لنا و فى » منقطة من ظ (١١) ليس فى الصحيح .

رواية المسند للحافظ نور الدين الهيثمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشمس لم يحبس على بشر إلا لبوشع
 ليالى^١ سار إلى بيت المقدس ، قال : وهو في الصحيح ولم أر فيه حصرا^٢
 كما هنا ؛ وفي سيرة ابن إسحاق ما ينقضه ، قال : حدثنا^٣ يونس عن الأسباط
 ابن^٤ نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي قال : لما أسرى
 برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخبر قومه بالرفعة والعلامة عما في العير
 قالوا : فتى نجي^٥ ؟ قال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم أشرفت
 قريش ينتظرون^٦ وقد رلى النهار ولم تنجى ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم
 فريد له في النهار ساعة وحبت عليه الشمس ، ولم ترد الشمس على أحد
 إلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بوشع بن نون حين قاتل
 الجبارين يوم الجمعة .

ولما كانت قصتهم هذه - في أمرهم بالدخول إلى الأرض المقدسة
 لما فيها من نقض العهود^٧ والتبرئ من الله والحكم عليهم بالفسق والتعذيب -
 ناقضة لما ادعاه اليهود من البتة ، كان ذلك كافيا في إبطال مدعى النصراني
 ١٥ لذلك ، لأنهم أبناء اليهود ، وإذا^٨ بطل كون أيك ابنا لأحد بطل أن
 تكون^٩ أنت ابنه ، لما كان ذلك كذلك^{١٠} ناسب أن تعقب بقصة ابني آدم
 لما بذكر ، فقال تعالى عاطفا على قوله ” واذ قال موسى : “ (و اتل عليهم)

(١) في ظ : ليال (٢) في ظ : حضر (٣) زيد بعده في الأصل : احمد ، ولم تكن
 الزيادة في ظ لحذفناها (٤) - سقط من ظ (٥) في ظ : نحن (٦) في ظ : ينتظرون .
 (٧) في ظ : اذ (٨) في ظ : يكون (٩) في ظ : لذلك .

أى على المدعوين الذين من جملتهم اليهود ثلاثة ، [و - '] هى من أعظم / الأدلة على نبوتك ، لأن ذلك لا علم لك^١ ولا لقومك به^٢ ٤٧ /
إلا من جهة الوحي ﴿ نبا^٣ ابني آدم ﴾ أى خبرهما الجليل العظيم ، ثلاثة ملتبسة ﴿ بالحق^٤ ﴾ أى الخبر الذى يطابقه الواقع إذا تُعرِّفَ من كتب الآلين و أخبار الماضين كائنا ذلك النبأ ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قربا ﴾ ه^٥ أى ابنا آدم ؛ ولما لم يتعلق الغرض فى هذا المقام ببيان أى نوع قربا منه ، قال : ﴿ قربانا ﴾ أى بأن قرب^٦ كل واحد منهما شيئا^٧ من شأنه أن يقرب^٨ إلى المطلوب مقاربتة^٩ غاية القرب .

ولما كان المؤثر للحسد إنما هو عدم التقبل ، [لا - '] بالنسبة إلى متقبل خاص ، بناء للفعول فقال : ﴿ فتقبَّل ﴾ أى [قبل - '] قبولاً ١٠ عظيماً ظاهراً لكل أحد ﴿ من أحدهما^١ ﴾ أبهمه^٢ أيضاً لعدم الاحتياج فى هذا السياق إلى تعيينه^٣ ﴿ ولم يتقبل من الآخر^٤ ﴾ عَلِمَاً ذلك^٥ بعلامة كانت لهم فى ذلك ، إما أكل النار للقبول كما^٦ قالوه أو^٧ غير ذلك ؛ ومناسبتها لما قبلها من حيث أنها أيضاً ناقضة لدعواهم النبوة ، لأن قايلاً ممن ولد فى الجنة على^٨ ما قيل ، ومع ذلك فقد عذب لما نقض العهد ، ١٥ فاتفق أن يكون ابنا ، و كان هو و غيره شرعاً واحداً داتراً^٩ أمرهم فى

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) تقدم فى ظ على « أى على » (٤-٤) تقدم ما بين الرقيين فى ظ على « به إلا » (٥) فى ظ : مقارنة (٦ - ٦) تقدم ما بين الرقيين فى ظ على « أى قبل » (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) فى ظ : بذلك (٩) فى ظ : لا (١٠) فى ظ « و » (١١) فى ظ : دائر .

العذاب و الثواب على الوفاء و التقض ، من وفى كان حبيبا وليا ، و من
 نقض كان بغضا عدوا ، و إذا اتفت البنوة عن ولد لآدم صلى الله مع
 كونه لصلبه [لا - ١] واسطة بينهما و مع كونه وُلِدَ في الجنة دار الكرامة ،
 فاتفاؤهما^١ عن هو أسفل منه من باب الأولى ، وكذا المحبة ؛ و من
 ٥ المناسبات أيضا أن كفر بنى إسرائيل بمحمد صلى الله عليه و سلم إنما هو
 للحسد ، فنبهوا بقصة ابني آدم على أن الحسد يحرق^٢ إلى ما لا يرضى الله^٣
 و إلى ما لا يرضاه عاقل و يكب^٤ في النار ؛ و منها أن في قصة بنى إسرائيل
 إحجامهم عن قتال أعداء الله البعداء منهم المأمورين بقتالهم الموعودين
 عليه بخيرى الدارين ، و أن الله معهم فيه ، و في قصة ابني آدم إقبال^٥
 ١٠ قاييل على قتل أخيه حبيب الله المنهى عن قتله المتوعد بأن الله يتبرأ منه
 إن قتله ، ففى ذلك تأديب لهذه الأمة عند كل إقدام و إحجام ، و تذكير
 بالنعمة فى حفظهم من مثل ذلك ، و أن فيها أن موسى و هارون عليهما
 السلام أخوان فى غاية الطواعية فى أنفسهما و رحمة كل منهما للآخر
 و الطاعة لله ، و قصة ابني آدم بخلاف ذلك ، و فى ذلك تحذير مما جرى إليه
 ١٥ و هو الحسد ، و أن فى قصة بنى إسرائيل أنهم لما^٦ قدموا الغنائم للنار فلم تأكلها ،
 عَلِمَ نبيهم صلى الله عليه و سلم أنها لم تقبل لغلول غَلَّوْهُ ، فاستخرجه و وضعه
 فيها فأكلتها ، ففى ذلك الاستدلال بعدم أكل النار على عدم القبول - كما

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : انتفروهما (٣ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٤) فى الأصل : يكبر ، وفى ظ : تكب - كذا (٥) فى ظ : اقدام (٦) سقط من
 ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : هذه (٨) فى ظ : كما .

في قصة^١ ابني آدم ، وأن بني إسرائيل غذبوا بالمنع من بيت المقدس باليه ،
وقايل نفي من الأرض التي كان فيها مقتل^٢ أخيه ، وأن بني إسرائيل
تأهوا أربعين سنة^٣ على عدد^٤ الأيام التي غاب فيها نبقاؤهم^٥ في جس أخبار
الجبارة ، وأن قاييل حمل هايل بعد أن قتله أربعين يوما - ذكره البغوى
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : وقصده^٦ السباع فحمله على ظهره ه
أربعين يوما ، وكل هذه محسنات ، والعمدة هو الوجه الأول ، وأحسن
منه أن يكون الأمر لموسى عليه السلام تنطقا على النهى في " لاتاس^٧ " ،
والمعنى أن الأرض المقدسة مكتوبة لهم كما قَدِمَتْه أنت أول القصة
في قولك " التي كتب [الله - ٨] لكم " فأنا مورثها لا محالة لأبنائهم وأنت
متوف قبل دخولها ، وقد أجريت ستي في بني آدم بأنهم إذا / توطنوا ١٠ / ٤٨
واستراحوا^٩ تحاسدوا ، وإذا تحاسدوا تدابروا فقتل بعضهم بعضا ، فأتل
عليهم هذه القصة لتكون زاجرة لهم من أن يفعلوا ذلك إذا فرغوا من
الجبارة وأبادوهم و صفت لهم البلاد فتوطنوها ، وأخرجت^{١٠} لهم بركاتها
فأبطرتهم النعم ، ونسوا غوائل النقم ؛ ويكون ذلك وعظا لهذه الأمة
ومانعا من فعل مثل ذلك بعد إكمال دينهم و وفاة نبيهم وإظهارهم على الدين ١٥
كله ، كما تقدم به الوعد لهم فقهروا العباد وفتحوا البلاد وانتشلوا كنوزها

(١) في ظ : يقتل (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : عدم (٤) في ظ :
لناوهم - كذا (٥) في ظ : قصيدة (٦) من ظ ، وفي الأصل : تاس .
(٧) زيد من ظ و انقرآن الكريم (٨ - ٨) في ظ : توطنوا واستراحوا (٩) في
ظ : خرجت .

وتحكموا في أموالها، ففسوا ما كانوا فيه من القلة والحاجة^١ والذلة فأبطرهم النعم، وارتكبوا أفعال الأمم، وأعرضوا عن غوائل النقم - كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، ألا والبغضاء^٢ هي الخالقة، لا أقول^٣: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين - أخرجه الترمذى والإمام أحمد وأبو داود الطيالسى في مسنديهما و**البراز**^٤ - قال المنذرى: باسناد جيد - واليهيقي وقال: لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا - رواه الطبرانى ورواته ثقات، وذكر الحافظ أبو الريح ابن سالم الكلاعى فى القسم الثانى من سيرته فى فتح جلولاء^٥ من بلاد فارس أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لما أرسل الغنيمية إلى عمر رضى الله عنه أقسم عمر رضى الله عنه: لا ينجأها^٦ سقف بيت حتى^٧ تقسم! فوضعت^٨ فى صحن المسجد، فبات^٩ عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم رضى الله عنهما يحرسانه، فلما جاء الناس كشف عنه فنظر عمر رضى الله عنه^{١٠} إلى ياقوته وزبرجدة وجوهرة فبكى، فقال عبد الرحمن رضى الله عنه^{١١}: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا إلاموطن^{١٢} شكر! فقال عمر: والله ما ذاك يبكيكى، وتالله ما أعطى الله هذا قوما إلا انحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم .

شرح قصة ابنى^{١٣} آدم من التوراة، قال المترجم فى أولها بعد قصة أكل آدم

(١) فى ظ: الحجة (٢-٢) فى ظ: هل لخالفه الاقوال - كذا (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى ظ: حلولا (٥) فى ظ: لا ينجأها (٦-٦) فى ظ: يقسم فوقعت (٧) فى ظ: فبك (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) فى ظ: بنى .
عليه (٢٩) ١١٦

عليه السلام من الشجرة ما نصه : فدعا آدم اسم امرأته حواء من أجل أنها كانت أم كل حي، وصنع الرب لآدم وامرأته سرايل من الجلود وألبسهما، فأرسله الله من جنة عدن ليحرق^١ الأرض التي منها أخذ، فأخرجه الله ربنا، لجامع [آدم - ^٢] امرأته حواء فحبلت^٣ وولدت قايين^٤ وقالت : لقد استغدت لله رجلا، وعادت فولدت أخاه هایل،^٥ فكان هایل^٥ راعي غنم، وكان قايين^٤ يحرق الأرض، فلما كان بعد أيام جاء قايين^٤ من ثمر أرضه بقربان لله، وجاء هایل أيضا من أبكار غنمه بقربان، فسر الله بهایل وقربانه ولم يسر بقايين^٦ وقربانه، فساء ذلك قايين^٤ جدا^٧ وهم أن يسوءه وعبس وجهه، فقال الرب لقايين^٨ : ما ساءك؟ ولم كسف^٩ وجهك؟ إن أحسنت تقبلت منك، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة على^{١٠} الباب وأنت تقبل إليها وهي تسلط عليك، فقال قايين^٤ لهایل أخيه : تمشى بنا في البقعة، فبينما هما يتمشيان في الحرق وثب قايين^٤ على أخيه هایل فقتله، فقال الله لقايين^٨ : أين هایل أخوك؟ فقال : لا أدري، أرقب أنا على أخي؟ قال الله : ^{١١} "ما ذا" فعلت! فإن دم أخيك^{١٢} ينادى لي من الأرض، من الآن ملعون أنت من^{١٣} الأرض التي فتحت^{١٤} فاما^{١٥}

(١) في ظ : ليخرب (٢) زيد من ظ و التوراة (٣) في ظ : فحملت (٤) في ظ : قاييل ، وما أثبتناه من الأصل هو ثابت في تراجم التوراة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) في ظ : بقاييل (٧) في ظ : حسد (٨) في ظ : لقاييل . (٩) في ظ : كشف (١٠-١٠) في ظ : ما (١١) زيدت الواو بعده في ظ (١٢) من التوراة، وفي الأصل و ظ : ثم (١٣) العبارة من هنا إلى « في الأرض » ساقطة من ظ .

قبلت دم أخيك من يدك، فاذا أنت عملت في الأرض فانها لا تعود
تعطيك حراثتها، و تكون فرعا تائها في الأرض، فقال قايين^١ للرب :
عظمت / خطيتي من أن تغفرها، و قد أخرجني اليوم عن وجه الأرض،
و أتوارى من قدامك و أكون فرعا تائها في الأرض، و كل من وجدني
ه يقتلني، فقال^٢ الله ربنا: كلا^٣ ولكن كذلك^٤ كل قاتل، و أما قايين^٥

/ ٤٩

فانه يجرى^٦ بدل الواحد سبعة، فخرج قايين^٧ من قدام الله فجلس في أرض
نود^٨ شرقي عدن - انتهى . قال البغوي عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم
بالكتاب الاول: إن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة
فحملت فيها بقايل و توأمت^٩ - فذكر قصته في النكاح و قتله لآخيه و شرب
١٠ الأرض لدمه^{١٠} و قول قاييل لله - حين قال له: إنه قتله - : إن كنت قتلته فأين
دمه؟ فحرم الله على الأرض يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا - انتهى .
ولما أخبر الله^{١١} تعالى بأن أحدهما فعل معه من عدم القبول
ما غاظه، كان كأنه قيل: فما فعل حين غضب؟ فقليل: ﴿ قال ﴾ أي
لآخيه الذي قبل قربانه حسدا له^{١٢} ﴿ لا قتلنك^{١٣} ﴾ فكأنه قيل: بما أجابه؟

(١) في ظ: قبايل (٢) زيد بعده في الأصل: الرب، ولم تكن الزيادة في ظ
لحذفها (٣) في ظ: لذلك (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (ه) من ظ
والتوراة، وفي الأصل: بود (٦) وقع في ظ: توأمت - خطأ، و ذكر ابن حيان
أن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرًا و أنثى، و كان آدم يزوج ذكر هذا
البطن أنثى ذلك البطن، و أنثى هذا ذكر ذلك، و لا يحل للذكر نكاح توأمة -
راجع البحر المحيط ٣ / ٤٦١ (٧) سقط من ظ (٨ - ٨) في ظ: و كانه نزل
ثم - كذا .

فقيل: نبيه أولا على ما يصل به إلى رتبته ليزول حسده بأن ﴿ قال إنما يتقبل الله ﴾ أي يقبل قبولاً عظيماً المحيط لكل شيء قدرة و علماً الملك الذي له الكمال كله ، فليس هو محتاجاً^١ إلى شيء ، و كل شيء محتاج^٢ إليه ﴿ من المتقين ٥ ﴾ أي العريقين^٣ في وصف التقوى ، فلا محصية لهم يصرون عليها بشرك ولا غيره ، فعدُّم^٤ تقبل قربانك من نفسك لا مني ، فلم تقتلني ؟ ٥ فقتلك^٥ لي مبعداً لك عما حسدتنى عليه .

ولما وعظه بما يمنعه من قتله و يقبل به^٦ على خلاص نفسه ، أعلمه ثانياً أن الخوف من الله مَنَعَهُ من أن يمانعه عن نفسه مليناً^٧ لقلبه بما هو جدير أن يرده عنه خشية أن تجرّه الممانعة إلى تعدى الحد المأذون فيه ، لأن أخاه كان عاصياً لا مشركاً ، فقال مؤكداً بالقسم لأن مثل ما يخبر به عظيم^٨ لا يكاد يصدق : ﴿ لئن بسطت إلى ﴾ أي خاصة ﴿ يدك لتقتلني ﴾ أي لتوجد ذلك بأي وجه كان ، ثم بالغ في إعلامه بامتناعه من الممانعة فقال : ﴿ ما أنا ﴾ وأغرق في النفي^٩ فقال : ﴿ يباسط ﴾ أي أصلاً ، و قدم المفعول به تعميماً ، ثم خص المتعلق لمناسبة الحال فقال : ﴿ يدي إليك لاقتلك ج ﴾ أي في أي^{١٠} وقت من الأوقات ، و لعله^{١١} [أي - ١٢] بالجملة^{١٣} ١٥ الاسمية^{١٤} المفيدة لثني الثبات و الدوام أدباً مع الله في عدم الحكم على

(١) في ظ : محتاج (٢) في ظ : يحتاج (٣) في ظ : العريقين (٤) في ظ : تفقدم .
(٥) في ظ : وقتلك (٦) من ظ ، وفي الأصل : بعد (٧) في ظ : هو (٨) في ظ : ميبنا (٩) في ظ : السبي - كذا (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ ، وفي الأصل : لعل (١٢) زيد من ظ ، أي بالجملة الفعلية (لاقتلك) (١٣) أي في ضمن الجملة الاسمية ، وفي الأصل : الجملة ، وقد سقط من ظ (١٤) في ظ : بالاسمية .

المستقبل، ثم الله بقوله: ﴿ اِنِّىْ اَخَافُ اللهَ ﴾ أى أستحضر جميع ما أقدر على استحضاره من كماله، ثم وصفه بالإحسان إلى خلقه ليكون ذلك مانعاً له من الإساءة إلى أحد منهم فقال: ﴿ ربِّ العلِّينِ ۝ ﴾ أى الذى أنعم عليهم بنعمة الإيجاد ثم الترية، فأنا لا أريد أن أخرب ما بنى، ٥ وهذا كما فعل عثمان رضى الله عنه .

ولما كان من النهايات للواصلين إلى حضرات القدس ومواطن
الانس بالله، المتمكنين فى درجة الغناء عن غير الفاعل المختار أن لا يراد
إلا ما يريد سبحانه، فإن كان طاعة أرادته العبد ورضيه، وإن كان
معصية أرادته من حيث أنه مراد الله ولم يرضه لكونه معصية، فيرضى
١٠ بالقضاء دون المقضى، وكأنه من الممكن القريب أن يكون هائل قد كشف
له عن أنه سبق فى علم الله أن أخاه يقتله، قال مرهبا له معللاً بتعليل آخر
صادقاً له أيضاً عن الإقدام على القتل: ﴿ اِنِّىْ اَرِيدُ ﴾ أى بعدم الممانعة لك
﴿ ان تبوّأ ﴾ أى ترجع من قتل إن قتلنى ﴿ بائنى ﴾ أى الإثم الذى
ينالك من أجل قتلك لى، وبعقوبته الذى من جلته أنه يطرح عليك
١٥ من سيئاتى بمقدار ما عليك من حق إذا لم تجد ما ترضى به من الحسنات
﴿ واثمك ﴾ أى الذى لا سبب لى فيه، وهو الذى كان سبباً لرد
قربانك واجترائك على وعدوانك، وأفوز أنا بأجرى وأجرك، أى

/٥٠

(١) فى ظ: كانت (٢) فى ظ: ارادة (٣) من ظ، وفى الأصل: لم يرضيه (٤) من
ظ، وفى الأصل: كان (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: صادر (٧) فى ظ: بعد .
(٨) من ظ، وفى الأصل: ينال (٩) فى ظ: ان (١٠) العبارة من هنا إلى « أجرى
الذى، سقطت من ظ .

أجرى الذى لا سبب لك فيه و الأجر الذى أثمره^١ استسلامى لك وكف^٢
يدى عنك (فتكون) أى أنت بسبب ذلك (من اصحب النار^٣) أى
الخالدين فيها جزاء لك لظلمك^٤ بوضعك القتل فى غير^٥ موضعه ، ثم بين
أن هذا يعم^٦ كل من فعل هذا الفعل فقال : (وذلك جزؤا الظلمين^٧)
أى الراسخين فى وصف الظلم كلهم ، و أكون أنا من أصحاب الجنة جزاء^٨
لى باحسانى فى إثار حياتك على حياى ، وذلك جزاء المحسنين ، وهذا -
مثل تمنى الشهادة سواء - ليس بمستلزم لإرادة المعصية من حيث كونها
معصية بارادة ظهور الكفار ، لما علم من^٩ أن النصر بيد الله ، فهو قادر
على نصر الباقي بعد استشهاد الشهيد .

و لما كان هذا الوعظ جديرا^{١٠} بأن يكون سببا لطاعته و زاجرا له عن
معصيته ، بين تعالى أنه قسا قلبه فجعله سببا لإقدامه ، فقال - مينا بصيغة
التفعل ، إذ القتل لما جعل^{١١} الله له من الحرمة وكساه من الهية لا يقدم
عليه إلا بمعالجة كبيرة من النفس - : (فطوعت له) أى الذى لم يتقبل^{١٢}
منه (نفسه قتل أخيه) أى فعالجته^{١٣} معالجة كبيرة و شجعت ، و سهلت
له بما عندها من النفاسة على زعمها حتى غلبت على عقله فانطاع لها^{١٤}
و انقاد فأقدم عليه ؛ و تحقيق المعنى أن من تصور النهى^{١٥} عن الذنب
و العقاب عليه امتنع منه فكان فعله كالعاصي عليه ، و من استولت عليه
نفسه بأنواع الشبه فى تزيينه صار فعله له^{١٦} و إقدامه عليه كالمتطيع له

(١) زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٢) فى ظ :
بظلمك (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : نعم (٥) فى ظ : جدير (٦) فى ظ : جعله .
(٧) فى ظ : لم يقتل (٨) فى ظ : فعالجته (٩) من ظ ، و فى الأصل : النهى .

الممكن من نفسه بعد أن كان عاصيا عليه نافرا عنه ، ثم سبب عن هذا التطويع قوله : ﴿ قتلته ﴾ و سبب عن القتل قوله : ﴿ فاصبح ﴾ أى فكان فى كل زمن ﴿ من الخسرين ٥ ﴾ أى العريقين فى صفة الخسران بغضب الله عليه لاجترائه على إفساده^٢ مصنوعه ، و غضب أبناء جنسه عليه^٣ لاجترائه على أحدهم ، و عبر بالإصباح و المراد جميع الاوقات ، لأن الصباح محل توقع الارتياح^٤ ، قيل : إنه لم يدرك كيف يقتله ، فتصور له إبليس فى يده^٥ طائر فشدخ رأسه بحجر فقتله ، فاقضى به قابيل ، فأتى هابيل و هو نائم فشدخ رأسه بحجر .

ولما كان التقدير : ثم إنه^٦ لم يدرك ما^٧ يضع به ، إذ^٨ كان أول ميت ١٠ فلم يكن الدفن معروفا ، سبب عنه قوله : ﴿ فبعث الله ﴾ [أى -^٩] الذى له كمال القدرة و العظمة و الحكمة ؛ ولما كان المعنى يحصل بالغراب الباحث فقط قال : ﴿ غرابا يبحث ﴾ أى يوجد البحث ، و هو التفتيش " فى التراب " بتلين ماتراض منه و إزاحته من مكانه ليقى مكانه حوزة^{١٢} خالية .

(١) فى ظ : العريقين (٢) فى ظ : افساد (٣) سقط من ظ (٤) فى الأصل : الارباح ، وفى ظ : الارواح - كذا ، وفى البحر المحيط ٤٦٥/٣ : قال ابن عطية : أنعم بعض الزمان مقام كله ، وخص الصباح بذلك لأنه بدء النهار و الانبعاث إلى الأمور و مظنة النشاط (٥) العبارة من هنا إلى « كان التقدير » ساقطة من ظ (٦) فى الأصل : يد - كذا (٧) فى ظ : لم (٨) فى ظ : اذا (٩) زيد من ظ . (١٠-١٠) من ظ ، وفى الأصل : بالتراب (١١) من ظ ، وفى الأصل : ليتنى - كذا (١٢) فى ظ : جودة .

و لما كان البحث مطلق التفتيش، دل على ما ذكرته بقوله: ﴿ في الارض ﴾ ليواري غرابا آخر مات؛ ولما كان الغراب سبب علم ابن آدم القاتل للدفن، كان كأنه بحث لاجل تعليمه فقال تعالى: ﴿ ليريه ﴾ أى الغراب يُرى ابن آدم، ويجوز أن يكون الضمير المستتر لله تعالى، والاول أولى لتوقيفه على عجزه وجهله بأن الغراب أعلم منه وأقرب إلى الخير هـ ﴿ كيف يوارى ﴾ .

٢ و لما كانت ٢ السوء واجبة الستر، وكان الميت يصير بعد موته كله سوء، قال منها على ذلك و على أنها / السبب في الدفن بالقصد الاول: ٥١ / ﴿ سوء ﴾ أى فضيحة ﴿ اخيه ٣ ﴾ أى أخى قاييل وهو هابيل المقتول، وصيغة المفاعلة تفيد أن الجثة تريد أن يكون القاتل ٢ وراهها، والقاتل ٣ . ١٠ يريد كون الجثة وراهه ٤، فيكونان بحيث لا يرى واحد منهما الآخر، ولعل بعث ٥ الغراب إشارة إلى غربة القاتل ٢ باستيحاش ٦ الناس منه وجعله مما ينفر عنه ويقتله كل من يقدر عليه، ومن ثم سمي الغراب البين، وتشاءم به من يراه .

و لما كان كأنه قيل: إن هذا لعجب ٧، فما قال؟ قيل: ﴿ قال ﴾ ١٥ الكلمة التى تستعمل عند الداهية العظيمة لما نبهه ذلك، متعجبا ٨ متحيرا متلهفا عالما أن الغراب أعلم منه وأشفق، منكرا على نفسه ﴿ يُولِيتَى ﴾ (١) - قط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) في ظ: القايل (٤) في ظ: وراهها (٥) في ظ: بحث (٦) في ظ: باستيحاص - كذا (٧) في ظ: العجب (٨) في ظ: متفجعا .

أى أَحْضَرْنِي^١ يا ويل ! هذا^٢ أو أنك أن^٣ لا يكون لى^٤ نديم غيرك ؛
ولما تفجع غاية الفجعة وتأسف كل الأسف ، أنكر على نفسه فقال :
(أعجزت) أى مع ما جعل لى من القوة القاطعة (ان اكون)
مع ما لى من الجوارح الصالحة^٥ لأعظم من ذلك (مثل هذا الغراب)
هـ وقوله مسيئا عن ذلك : (فاوارى سوءة) أى عورة وفضيحة
(اخى ج) نَصَبَ عَقْفا على " اكون " لا على جواب الاستفهام ، لأنه
إنكارى فعناه النفى ، لأنه لم تكن وقعت منه مواراة لينكر على نفسه
ويونحها بسببها ، ولو كانت وقعت لم يهص إنكارها على تقدير عدم العجز
الذى أفادته الهمزة (فاصبح) بسبب قتله (من التدمين ع) أى على
١٠ ما فعل ، لأنه فقد أخاه وأغضب ربه وأباه ، ولم يفده ذلك ما^٦ كان
سبب غيظه ، بل زاده بعدا ، وذكر أن آدم عليه السلام لما علم قتله
رثاه بشعر ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما رد ذلك ، وأن الأنبياء
عليهم السلام كلهم فى النهى عن الشعر سواء ، وقال صاحب الكشف :
وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر ، ولا تقتل^٧ نفس ظلما إلا
١٥ كان على ابن آدم هذا كفل من دمها بما سن ، رواه مسلم وغيره عن
عبد الله ، وكذا كل من سن سنة سيئة ، ولهذا قال عليه السلام : إن
أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون ، وهذا لأن الأذى
(١-١) فى ظ : تاويل فهذا (٢-٢) فى ظ : لا تكون الى (٣) من ظ ، وفى الأصل :
الصالحين (٤) من ظ ، وفى الأصل : انكار (٥) فى ظ : لم يكن (٦) سقط من ظ .
(٧) فى ظ : عطيه (٨) فى ظ : لا يقتل .

لنقصانه أسرع شيء إلى الاقتداء في النقص، وهذا ما لم يتب^١ الفاعل،
فاذا تاب أو كان غير متعمد للفعل كآدم عليه السلام لم يكن سائنا لذلك،
فلا شيء عليه من عمل بذلك.

[ولما علم بهذا - ٢] أن^٢ الإنسان موضع العجلة والإقدام على الموبقات
من غير تأمل، فكان أحوج شيء إلى نصب الزواجر، أتبعه تعالى قوله: هـ
(من أجل ذلك ج) أي من غاية الأمر الفاحش جدا [و - ٢] مدته
وعظم الأمر وشدة قبحه في نفسه وعند الله وصغره عند القاتل وحبه
ومنه و'جنايته وإثارتة' وتهيجه وجرأة الإنسان على العظامم بغير
تأمل (كتبنا) أي بما لنا من العظمة ليفيد ذلك عظمة المكتوب
والتنبيه على ما فيه من العجز* ليفيد الانزجار (على نبي- أسراءيل) أي أعلنهم ١٠
بما لنا من العناية بهم في التوراة التي كتبناها لهم، ويفهم ذلك أيضا أنهم
أشد الناس جرأة على القتل، ولذلك كانوا يقتلون الأنبياء، فأعلمهم الله
بما فيهم من التشديد، ولما علم من الآدميين - لا سيما هم - من الجرأة عليه،
ليقيم عليهم بذلك الحجة على ما يتعارفونه بينهم، ويكف عن القتل من
سبقت^٣ له منه^٤ العناية بما يتصور من فظاعة القتل، / وقبح صورته وفحش ١٥ / ٥٢
أمره، وعبر بأداة الاستعلاء التي هي للتحتم من الوجوب^٥ والحرمة،
لأن السياق للزجر، فهي تفهم المنع عن الإقدام على القتل في هذا المقام
(١) في ظ: لم يت - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: لأن.
(٤ - ٤) في ظ: إجابته وإشارته (٥) في ظ: الفحش (٦) في ظ: كذلك.
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) في ظ: الجواب (٩) في ظ: المزجر.

(انه من قتل نفسا) أى من نبي آدم ، وكأنه أطلق تعظيما لهم إشارة إلى أن غيرهم جماد (بغير نفس) أى بغير أن تكون قتل نفسا تستحق أن تقاد بها فاستباح قتلها لتلك النفس التي قتلها^٢ (او) قتلها [بغير -^٣] (فساد) وقع منها .

٥ ولما كانت الأرض - مع أنها فراشنا فهي محل التوليد و التربة و التنمية - دار الكدر ، وكان فساد من أفسد فراشه الموصوف - لا سيما وهو في كدر - دالا على سوء جبلته ، وكان سوء الجبله موجبا للقتل ، قال : (في الأرض) أى يبيح ذلك الفساد دمها كالشرك و الزنا بعد الإحصان وكل ما يبيح إراقة الدم ، وقد علم بهذا أن قصة ابني آدم مع شدة التحامها بما قبل توطئة لما بعد ، و تغليظ أمر القتل تقدم عن ١٠ التوراة في سورة البقرة ، وقوله : (فكانما قتل الناس جميعا^٤) من جملة الأدلة المبطله لما ادعوا من النبوة ، إذ معناه أن الناس شرع واحد من جهة نفوسهم متساوون فيها . كلهم أولاد آدم ، لا فضل لأحد منهم على آخر في أصل تحريم القتل بغير ما ذكر من الموجب من قصاص أو فساد^٥ لا من ١٥ بني إسرائيل ولا من غيرهم ، وذلك كما قال تعالى في ثاني^٦ النقوض " بل أنتم بشر من خلق " فصار من قتل نفسا^٧ واحدة بغير ما ذكر

(١) في ظ : يكون (٢) في ظ : قبلها (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : وهى . (٥ - ٥) في ظ : كدرة الا (٦) في الأصل : السوء ، وفي ظ : لسوء - كذا . (٧-٧) من ظ ، وفي الأصل : قصتي بني (٨) زيدت الواو بعده في ظ (٩) سقط من ظ (١٠) في الأصل و ظ : فاني - كذا (١١) في ظ : نفس .

فكانما

فكأنما حمل إثم من قتل الناس جميعا ، لأن اجترأه على ذلك أوجب
اجترأ غيره ، ومن سن سنة كان كفاعلها^١ (ومن أحيائها) أى بسبب
من الأسباب^٢ كعفو ، أو إنقاذ من هلكه كفرق^٣ ، أو مدافعة لمن يريد
أن يقتلها ظلما (فكأنما أحيأ) أى بذلك^٤ الفعل الذى كان سببا للأحياء
(الناس جميعا^٥) أى بمثل ما تقدم فى القتل ، والآية دالة على تعليمه هـ
سبحانه لعباده الحكمة ، لما يعلم من طباعهم التى خلقهم عليها ومن^٦
عواقب الأمور - لا على أنه يجب عليه - رعاية المصلحة ، وبما يحسن
إيراده ههنا^٧ ما ينسب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ،
ورأيت من ينسبه للشافعى^٨ رحمه الله تعالى^٩ :

- ١٠ الناس من جهة التمثال^{١٠} أكفاء أبوهـم آدم والام حواء
نفس كنفس وأرواح^{١١} مشاكلة وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فان يكن لهم في أصلهم حسب يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى^{١٢} أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه وللرجال على الأفعال أسماء
١٥ وضد كل امرئ ما كان يحمله والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقر^{١٣} يعلم تعيش حيا^{١٤} به أبدا فالناس موتى وأهل العلم أحياء

(١) فى ظ : لفاعلها (٢-٢) فى ظ - وانقاد هلكه او غرق - كذا (٣) فى ظ :
ذلك (٤) فى ظ : لمن (٥) فى ظ : هنا (٦-٦) سقط ما بين الرقین من ظ (٧) فى
ظ : التمثیل (٨) فى ظ : الارواح (٩) فى ظ : استشهدا (١٠-١٠) فى ظ :
نفسى جئا - كذا .

ولما أخبر سبحانه أنه كتب عليهم ذلك ، أتبعه حالا منهم دالة^١
 على أنهم بعيدون من أن^٢ يكونوا أبناء وأحباء فقال: ﴿ ولقد ﴾ أى
 والحال أنهم قد^٣ ﴿ جاءتهم رسلنا ﴾ أى على ما لهم من العظمة باضافتهم
 إلينا واختيارنا لهم لأن يأتوا عنا ، فهم لذلك أنصح الناس وأبعدهم عن
 ٥ الغرض وأجلهم وأجمعهم للكلمات^٤ وأرفعهم عن النقائص ، لأن كل
 رسول دال على مرسله / ﴿ بالبينت ذ ﴾ أى الآيات الواضحة للعقل أنها من
 عندنا ، آمرة^٥ لهم بكل خير ، زاجرة عن كل ضير ، لم تقتصر^٦ في
 التغليظ في ذلك على الكتاب بل وأرسلنا^٧ الرسل إليهم^٨ متواترة .

/ ٥٣

ولما كان وقوع^٩ الإسراف - وهو الإبعاد عن حد الاعتدال^{١٠}
 ١٠ في الأمر منهم بعد ذلك - بعيدا^{١١} ، عبر بأداة التراخي مؤكدا بأنواع التأكيد
 فقال: ﴿ ثم ان كثيرا منهم ﴾ أى بنى إسرائيل ، وبين شدة عتوهم
 باصرارهم خلفا بعد سلف فلم يثبت الجار فقال: ﴿ بعد ذلك ﴾ أى البيان
 العظيم والزرع البليغ بالرسول والكتاب ﴿ في الارض ﴾ أى التي هي^{١٢}
 مع كونها فراشا لهم - ويقبح على الإنسان أن يفسد فراشه - شاعلة^{١٣} - لما
 ١٥ فيها من عظام الكدورات وترادف القاذورات - عن الكفاف فضلا
 عن الإسراف ﴿ لمسرفون ٥ ﴾ أى عريقون^{١٤} في الإسراف بالقتل وغيره .

(١) في ظ : دالا (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : للكلمات (٤) في ظ : امرت .
 (٥-٥) في ظ : شر لم يقتصر - كذا (٦) في ظ : انزلنا (٧) في ظ : وقوف .
 (٨) في ظ : الاعتزال (٩) من ظ ، وفي الأصل : بعيد (١٠) في ظ : شاعه - كذا .
 (١١) في ظ : غريقون .

ولما كان هذا الإسراف بعد هذه الموانع محاربة^١ للنهي عنه ،
وكان تارة يكون بالقتل وتارة بغيره ، وكان ربما ظن أن عذاب القاتل
يكون بأكثر من القتل لكونه كمن قتل الناس جميعا ، وصل به سبحانه
قوله على طريق الحصر : ﴿ انما جزّوا ﴾ وكان الاصل : جزّوهم ، ولكن
أريد تعليق الحكم بالوصف والتعميم فقال : ﴿ الذين يحاربون الله ﴾ أي ٥
الملك الأعظم الذي لا كفوء له ﴿ ورسوله ﴾ أي بمحاربة^٢ من نهيا عن
محاربه بقطع الطريق وهم مسلمون ، ولهم منعة^٣ من أرادهم ، ويقصدون
المسلمين في دمائهم وأموالهم سواء كانوا في البلد أو خارجها .

ولما كان عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا ، أعلم أن هؤلاء
عباد الشيطان بقوله : ﴿ ويسعون في الأرض ﴾ ولما كان هذا ظاهرا^٤ ١٠
في الفساد ، صرح به في قوله : ﴿ فسادا ﴾ أي حال كونهم ذوى فساد ،
أو للفساد ، ويجوز أن يكون مصدرا ليسعون - على المعنى ؛ ولما كانت
أفعالهم مختلفة ، قسم عقوبتهم بحسبها فقال : ﴿ ان يقتلوا ﴾ أي إن كانت
جريمتهم القتل [فقط ، لأن القتل جزاؤه القتل - °] ، وزاد - لكونه^٥
في قطع الطريق - صيرورته حتما لا يصح العفو عنه ﴿ او يصلبوا ﴾ أي ١٥
مع القتل إن ضموا^٦ إلى القتل أخذ المال ، بأن يرفع المصلوب على جذع ،
ومنهم من قال : يكون ذلك وهو حي ، فحينئذ^٧ تمد يده^٨ مع الجذع ،
والأصح عند الشافعية أنه يقتل ويصلى عليه ثم يرفع على الجذع زمنا يشيع
خبره فيه لينزجر غيره ، ولا يزداد على ثلاثة أيام ﴿ او تقطع ايديهم ﴾

(١) في ظ : محاربه (٢) في ظ : محاربة (٣) في ظ : من (٤) في ظ : ظاهر (٥) زيد
من ظ (٦) في ظ : بكونه (٧) في ظ : ضموا (٨-٨) في ظ : بمرتده - كذا .

أى اليمنى بأخذهم المال من غير قتل (وارجلهم) أى اليسرى لإخافة
السييل ، وهذا معنى قوله : (من خلاف) أى إن كانت الجريمة أخذ
المال فقط (او ينفوا من الارض^١) أى بالإخافة و الإزعاج إن لم ينفوا^٢
فى قبضة الإمام ليكونوا منتقلين من بلد إلى آخر^٣ ذعرا و خوفا ، و بالحبس
٥ إن وقعوا فى القبضة ، وكانوا^٤ قد كثروا سواد المحاربين و ما قتلوا^٥ ولا أخذوا
مالا (ذلك) أى النسل الشديد المفصل إلى ما ذكر (لهم) أى
خاصا بهم (خزى) أى إهانة و ذل^٦ بايقاعه بهم (فى الدنيا) أى
ليرتدع بهم غيرهم (و لهم) أى^٧ إن لم يتوبوا (فى الآخرة) أى
التي هى موطن الفصل^٨ باظهار العدل (عذاب عظيم^٩) أى هو بحيث
١٠ لا يدخل تحت معارفكم أكثر من وصفه بالعظم .

و لما كان التعبير بـ " انما " يدل بنحتم^{١١} الجزاء على هذا الوجه ،
استثنى من المعاقبين هذه العقوبة بقوله : (الا الذين / تابوا) أى رجعوا
عما كانوا عليه من المحاربة خوفا من الله تعالى ، ولذا قال : (من قبل)
و أثبت الجار إشارة إلى^{١٢} القبول و إن طال زمن المعصية و قصر زمن
١٥ التوبة (ان تقدرؤا عليهم ج) أى فان^{١٣} نحتم^{١٤} الجزاء المذكور يسقط ،
فلا يجازون^{١٥} على ما يتعلق بحقوق الآدمى إلا إذا طلب صاحب الحق ،

(١) فى ظ : لم ينفوا (٢) من ظ ، وفى الأصل : اخرى (٣) من ظ ، وفى
الأصل : كان (٤) فى ظ : لا قتلوا (٥) فى ظ : ذلك (٦) سقط من ظ (٧) فى
ظ : الفضل (٨) فى ظ : نحتم (٩) زيد بعده فى ظ : ان (١٠) فى ظ : بان .
(١١) من ظ ، وفى الأصل : يحتم (١٢) فى ظ : فلا يجازون .

فان عفا كان له ذلك ، وأما حق الله تعالى فانه يسقط ، و 'إلى هذا'
 الإشارة أيضا بقوله تعالى: ﴿ فاعلموا ان الله ﴾ أى على ما له من صفات
 العظمة ﴿ غفور رحيم ﴾ أى صفته^٢ ذلك أزلا وأبداً ، فهو يفعل منه ما يشاء
 لمن يشاء ، وأفهمت الآية أن التوبة بعد^٣ القدرة لا تسقط شيئاً من الحدود .
 ولما ذكر تعالى حكمهم^٤ عند التوبة ، وختم الآية بما يناسب من الغفران^٥
 والرحمة ، وكان ذلك ربما كان^٦ جزاء^٧ من لم يرسخ قدمه في الدين على جنبه
 المتعالى ، أتبع ذلك الأمر بالتقوى و جهاد كل من أفسد بقطع الطريق
 أو الكفر أو غيره فقال على وجه الاستنتاج مما قبله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
 أى وجد منهم الإقرار بالإيمان ﴿ اتقوا الله ﴾ أى اجعلوا بينكم وبين ما سمعتم
 من وعيده للفسدين وقاية تصديقا لما أقرتم^٨ به ، لما له سبحانه من العظمة^٩
 التى هى جديرة بأن تخشى وترجى لجمعها الجلال والإكرام .
 ولما كانت مجامع التكليف منحصرة فى تَحُلُّ^{١٠} من فضائح المنهيات
 وتَحُلُّ^{١١} بملابس المأمورات ، وقدم الأول لأنه^{١٢} من درء المفساد ، أتبعه
 الثانى فقال : ﴿ وَابْتَغُوا ﴾ أى اطلبوا طلبا شديدا ﴿ إِلَيْهِ ﴾ أى خاصة^{١٣}
 ﴿ الْوَسِيلَةَ ﴾ أى التقريب بكل ما يوصل إليه من طاعته ، ولا تيأسوا^{١٤}
 وإن عظمت ذنوبكم لأنه^{١٥} غفور رحيم .

ولما كان سبحانه قد قدم أوامر ونواهي ، وكان الاستقراء

(١ - ١) فى ظ : بهذا (٢) فى ظ : صفة (٣) فى ظ : حد (٤) فى ظ : حملهم .

(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : حرى - كذا (٧) فى ظ : قررت (٨) فى ظ :

مجلى - كذا (٩) تكرر فى الأصل (١٠) فى ظ : لاني .

قد أبان^١ الناس عند الأمر والنهي بين^٢ مقبل ومعرض ، وكان قد أمر
المقبل بجهاد المعرض ، وكان للجهاد^٣ - بما له من عظيم النفع وفيه من
المشقة - مزيدٌ خصوصية ، أفرد بالذكر تأكيداً لما مضى منه وإعلاماً بأنه
للعاصي مطلقاً سواء كان بالكفر أو بغيره فقال : ﴿ وجاهدوا في سبيله ﴾
٥ أي لتكون كلمته هي العليا ﴿ لعلمكم تفلحون ه ﴾ أي لتكون^٤ حاكم
حال من يرجي نيله لكل ما يطلبه ، وهذا شامل^٥ لكل أمر بمعروف ونهي
عن منكر^٦ في أعلى درجاته وأدناها .

[ولما - ٧] كان ترك هذه الأوصاف الثلاثة : التقوى وطلب الوسيلة
والجهاد مزيلاً للوصف الأول وهو الإيمان ، ناسب كل المناسبة تحذيراً
١٠ من تركها ذكر^٧ حال الكفار وأنه لا تنفعهم^٨ وسيلة في تلك الدار فقال
معللاً لما قبله : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أي بترك ما في الآية السابقة ، ورتب
الجزاء على الماضي زيادة في التحذير ﴿ لو ان لهم ما في الارض ﴾ وأكد
ما أفهمه الكلام من استغراق الظرف والمظروف فقال : ﴿ جميعاً ﴾ أي
بما كان يطلب منهم شيء يسير جداً منه ، وهو الإذعان بتصديق الجنان
١٥ و إتيان الفضل من المال ، وزاد الأمر هولاً بقوله : ﴿ ومثله ﴾ ولما كان
لدفع الفداء جملة ما ليس له مفرقاً قال : ﴿ معه ﴾ .

ولما كان المقصود تحقير ذلك بالنسبة إلى عظمة يوم التغابن وإن كان

(١) في ظ : ان (٢) تكرر في الأصل (٣) من ظ ، وفي الأصل : الجهاد (٤) في
ظ : ليكون (٥) في ظ : شاربل - كذا (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٧) زيد من ظ (٨) في ظ : لا ينفعهم .

عند الكفار الذين جعلوا غاية أمرهم الحياة الدنيا أعظم ما يكون، والإفهام بأن المراد بالمثل / الجنس ليشمل ما عساه^٢ أن يفرض من الأمثال، ٥٥ / أعاد الضمير على هذين الشيتين على كثرتهم وعظمتها مفرداً^٣، فقال معبراً بالمضارع الدال على تجديد الرغبة في المسألة على سبيل الاستمرار و^٤ لأن السياق^٥ للتصنيف بالكفر والمحاربة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ٥ والسعي في الأرض بالفساد، ولذلك صرح بنى القبول على الهيئة الآتية: ﴿ليفقدوا به﴾ أى يحددوا الافتداء في كل لحظة، أى^٦ بما ذكر ﴿من عذاب يوم القيامة﴾ .

ولما كان المراد تهويل الأمر برده، وكان ذلك يحصل بغير تعيين الراد، قال: ﴿ما تقبل منهم^٧﴾ بالبناء للفعول، أى على حالة من ١٠ الحالات وعلى يد من^٨ كان، لأن المدفوع إليه ذلك تام القدرة وله الغنى المطلق .

ولما كان من النفوس ما^٩ هو سافل لا ينكبه الرد^{١٠}، وكان الرد^{١١} لأجل إمضاء المعد من العذاب، قال مصرحاً بالمقصود: ﴿ولهم﴾ أى بعد ذلك ﴿عذاب اليم^{١٢}﴾ أى بالغ الإيذاء بما أوجعوا أولياء الله بسترهم^{١٣} ١٥ لما أظهروا من شמוש^{١٤} البيان، و انتهكوا من حرمان الملك الديان . ثم علل

(١) في ظ : غير (٢) من ظ ، وفي الأصل : سناه - كذا (٣) في ظ : منفردا . (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : المساق (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) في ظ : من (٨ - ٨) في ظ : لا يعليه الراد (٩) في ظ : الراد (١٠) من ظ ، وفي الأصل : بستر لهم (١١) من ظ ، وفي الأصل : شمول .

شدة إيلامه بدوامه فقال: ﴿ يريدون ان يخرجوا ﴾ أى يكون لهم خروج فى وقت ما إذا رفعهم اللهب^١ إلى أن يكاد أن يلقبهم خارجا ﴿ من النار ﴾ ثم نفى خروجهم على وجه التأكيد الشديد فقال: ﴿ وما هم ﴾ وأغرق فى النفي^٢ بالجار واسم الفاعل فقال^٣: ﴿ بخرجين منها^٤ ﴾
 ٥ أى ما يثبت لهم خروج أصلا ، ولعله عبر فى النفي بالاسمية إشارة إلى أنه يتجدد لهم الخروج من الحرور إلى الزمهرير ، فان سمى أحد ذلك خروجا فهو غير مرادهم^٥ .

ولما كان المعذبون فى دار ربما دام لهم المكث فيها وانقطع عنهم العذاب قال: ﴿ ولهم^٦ ﴾ أى خاصة دون عصاة المؤمنين ﴿ عذاب ﴾
 ١٠ أى تارة بالحر وتارة بالبرد وتارة بغيرهما ، دائم الإقامة لا يرح ولا يتغير ﴿ مقيم^٥ ﴾ .

ولما كانت السرقة من جملة المحاربة والسعى بالفساد ، و كان فاعلها غير متق ولا متوسل ، عقب بها فقال: ﴿ والسارق ﴾ الآخذ لما هو فى حرز خفية لكونه لا يستحقه ﴿ والسارقة ﴾ أى كذلك^٨ ؛ ولما كان التقدير :
 ١٥ وهما مفسدان ، أو حكيمهما فيما يتلى عليكم ، سبب عنه قوله : ﴿ فاقطعوا ﴾ و"ال ١٠" - قال المبرد - للتعريف^{١١} بمعنى : الذى ، والفاء^{١٢} للسبب كقولك^{١٣} :

(١) فى ظ : الكذب (٢ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣ - ٣) تأخر فى ظ عن « العذاب قال » (٤) زيد بعده فى ظ : من الخروج (٥) من ظ ، وفى الأصل : مراد (٦) فى ظ : عندهم (٧ - ٧) تأخر فى ظ عن « عصاة المؤمنين » .
 (٨) فى ظ : لذلك (٩ - ٩) فى ظ : مفسدون و (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : التعريف (١٢ - ١٢) فى ظ : سبب كقوله .

الذى 'يأتينى' فله كذا كذا درهم' ﴿أيديهما﴾ أى 'الأيامن من' الكوع
إذا كان^٢ المأخوذ ربع دينار فصاعدا من حرز مثله من غير شبهة له فيه
- كما بين جميع ذلك النبي^٣ صلى الله عليه وسلم - ويرد مع^٤ القطع ما سرقه؛
ثم علل ذلك بقوله: ﴿جزآ بما كسبا﴾ أى فعلا من ذلك، وإدالته^٥
على أدنى وجوه السرقة وقاية للآل وهوانا لها للخيانة، وديتها إذا
قطعت فى غير حقها خمسمائة دينار وقاية للنفس من غير أن ترخصها
الخيانة، ثم علل هذا الجزاء بقوله: ﴿نكالا﴾ أى منعها لها كما يمنع
القيد ﴿من الله^٦﴾ أى الذى له جميع العظمة فهو المروء لكل مروب،
و أعاد الاسم الأعظم تعظيما للأمر فقال: ﴿و الله﴾ أى الذى له جميع
صفات السكال ﴿عزيز﴾ أى^٧ فى انتقامه فلا يغالبه شيء ﴿حكيم﴾^٨
أى بالغ الحكم والحكمة فى شرائعه، فلا يستطيع الامتناع من سطوته
ولا نقض شيء يفعل، لأنه يضعه فى أتقن مواضعه.

ولما ختم بوصفى^٩ العزة والحكمة^{١٠}، سبب عنهما / قوله :
﴿فن تاب﴾ أى ندم وأقلع، ودل على كرمه بالقبول فى أى وقت وقعت
التوبة فيه ولو طال زمن المعصية باثبات الجار فقال: ﴿من بعد﴾ وعدل^{١١}
عن أن يقول "سرقته" إلى ﴿ظلمه﴾ تعميما للحكم فى كل ظلم،
فشمل^{١٢} ذلك فعل طعمة وما ذكر بعده مما تقدم فى النساء وغير ذلك

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢ - ٢) فى ظ : الأيامين مظن (٣) سقط
من ظ (٤) فى ظ : بالنبي (٥) من ظ ، وفى الأصل : ما (٦) فى الأصل : لذته ،
وفى ظ : أو الوليمة - كذا (٧ - ٧) فى ظ : الحكمة والعزة (٧) فى ظ : شمل .

من كل ما يسمى ظلماً ﴿واصلح﴾ أى أوجد الإصلاح وأوقعه برذ
الظلمة والثبات على الإفلاخ ﴿فان الله﴾ أى بما له من كمال العظمة
﴿يتوب عليه﴾ أى يقبل توبته ويرجع به إلى أتم^٢ ما كان^٣ عليه
قبل الظلم من سقوط عذاب^٤ الآخرة دون عقاب الدنيا، رحمة من الله
له ورقا به وبمن ظلمه وعدلا بينهما، لا يقدر أحد أن يمنعه من ذلك
و^٥ لا يحول بينه وبين لحظة ما؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ان الله﴾ أى الذى
له الكمال كله أزلا وأبدا ﴿غفور رحيم﴾ أى بالغ المغفرة والرحمة،
لا مانع له من ذلك ولا من شيء منه^٦ ولا من شيء^٧ يريد فعله، بل هو
فعال لما يريد، والآية معطوفة على آية المحاربين، وإنما فصل بينهما بما
١٠ تقدم^٨ لما ذكر من العلة الطالبة لمزيد العناية به^٩.

ولما كان معنى ذلك أنه لا اعتراض عليه سبحانه فى شيء من ذلك
ولا مانع، لأن قدرته تامة، ليس هو كمن يشاهد من الملوك الذين ربما
يعجزون من اعتراض أتباعهم ورعاياهم عن تقريب بعض ما لم يباشروا
وإبعاد بعض من لم يباشروا إحسانا، فكيف بغير ذلك! قال تعالى مقررًا
١٥ لذلك بتفرده فى الملك: ﴿الم تعلم ان الله﴾ [أى - ٧] الذى له جميع
العز ﴿له ملك السموت﴾ أى على علوها^{١٠} وارتفاع سمكها^{١١} وانقطاع
أسباب ما دونها منها ﴿والارض﴾ أى أن^{١٢} الملك خالص له عن
جميع الشوائب.

(١) فى ظ: ترجع (٢-٢) فى ظ: مكان (٣) فى ظ: عقاب (٤) سقط من ظ.
(٥-٥) سقط ما بين الرقمن من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) زيد
من ظ.

ولما كان إيقاع النعمة أدل على القدرة ، وكان السياق لها لما تقدم من خيانة أهل الكتاب و كفرهم وقصة ابني آدم والسرقة والمحاربة وغير ذلك ، قدم قوله [معللا لفعل ما يشاء بتام الملك لا بغيره من رعاية لمصالح أو غيرها - ١] : ﴿ يعذب من يشاء ﴾ أى من بنى إسرائيل الذين ادعوا البنوة والحجة وغيرهم^٢ وإن كان مطيعا ، أى له فعل^٣ ذلك ، لأنه لا يقيح^٥ منه شيء. ﴿ وبغفر لمن يشاء^٤ ﴾ أى وإن كان عمله موبقا ، لأنه لا يتصور منه ظلم ولا يسوغ^٢ عليه اعتراض .

ولما كان التقدير : لأنه قادر على ذلك ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل كمال ﴿ على كل شيء ﴾ [أى شيء - ١] ﴿ قديره ﴾ أى ليس هو كغيره من الملوك الذين قد يعجز أحدهم عن ١٠ تقريب ابنه وتباعد أعدى عدوه ، وهذه القضية الضرورية ختم بها ما دعت المناسبة إلى ذكره من الأحكام ، وكرّرها على أتم انتظام إلى أوائل نقوض دعواهم^٢ فى قوله^٢ ” بل اتم بشر من خلق “ - الآية .

ولما تقرر ذلك ، كان من غير شك علّة لعدم الحزن على شيء من أمرهم ولأمن أمر غيرهم من عصي شيئا من هذه الأحكام ، كما قال ١٥ تعالى ” ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتب من قبل ان نبرأها - إلى أن قال : لكيلا تأسوا على ما فاتكم^٥ “ ، فقوله : - ﴿ بآياتها الرسول ﴾ أى المبلغ لما أرسل به - معلول لما قبله^١ ، وأدل دليل

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : أى (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : بقوله (٥) سورة ٥٧ آية ٢٢ و ٢٣ .

على ذلك قوله تعالى " ومن يرد الله فتنه فلا تملك له من الله شيئا "

(لا يحرزك) أى لا يوقع عندك شيئا من الحزن صنع

(الذين يسارعون في الكفر) / أى يفعلون في إسراعهم في الوقوع فيه غاية

/ ٥٧

الإسراع فعل من يسابق غيره ، و في تبيينهم بالمنافقين و أهل الكتاب

٥ . بشارة باتمام النعمة على العرب بدوام إسلامهم و نصرهم عليهم ، و قدم

أسوأ القسمين فقال : (من الذين قالوا آمنا) .

و لما كان الكلام هو النفسى ، أخرجه بتقييده بقوله : (بافواههم)

معبرا لكونهم منافقين بما منه ما هو أبعد عن القلب من اللسان ، فهم

إلى الحيوان أقرب منهم إلى الإنسان ، و زاد ذلك بيانا بقوله :

١٠ . (ولم تؤمن قلوبهم) .

و لما بين المسارعين بالمنافقين ، عطف عليهم قسما آخرهم^٢ أشد الناس

مؤاخاة لهم فقال : (و من الذين هادوا^٣) أى الذين عرف^٤ قلوبهم

و كفرت ألسنتهم تبعا لمخالفة قلوبهم لما تعرف عنادا و طغيانا ، ثم أخبر

عنهم بقوله : (سَمْعُون^٥) أى متقلبون^٦ غاية التقلب^٧ بغاية الرغبة

١٥ . (للكذب) أى من قوم من المنافقين يأتونك فينقلون عنك الكذب

(سَمْعُون^٨ لقوم آخرين^٩) أى الصدق ، ثم وصفهم بقوله : (لم ياتوك^{١٠})

أى لعل^{١١} ، و ذكر الضمير لإرادة الكلام ، لأن^{١٢} المقصود البغض على

(١) في ظ : فاتمام (٢) من ظ ، وفي الأصل : على (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) في

ظ : الذين عرفنا (٥) في ظ : متقلبون (٦) في ظ : التقلب (٧) في الأصل : تلبية

- كذا (٨) في الأصل : لانه - كذا .

تفاهم^١ (يحرفون الكلم) أى الذى^٢ يسمعونك على وجهه^٣ فيالغون
 فى تغييره وإمائه بعد أن يقيسوا^٤ المعنيين: المغير والمغير إليه، واللفظين
 فلا يبعدوا به، بل يأخذون بالكلم عن حده وطره إلى حد آخر قريب
 منه جدا، ولذلك أثبت الجار فقال: (من بعد) أى يثبتون الإمامة
 من مكان قريب من^٥ (مواضعه ج) أى^٦ النازلة عن رتبته بأن^٧ يتأولوه ه
 على غير تأويله، أو يثبتوا^٨ ألفاظا غير ألفاظه قريبة منها، فلا يبعد^٩ منها
 المعنى جدا، وهذا أدق 'مكرا' فى النساء، وهو من الحرف وهو الحد
 والطرف، وانحرف عن الشيء: مال عنه، قال الصغاني: والتحريف
 الكلام عن مواضعه: تغييره، وقال أبو عبد الله القزاز: والتحريف
 التفعيل، من: انحرف عن الشيء - إذا مال، فعنى^{١٠} حرفت الكلام: أزلته
 عن حقيقة ما كان عليه فى المعنى، وأبقيت^{١١} له شبه اللفظ، ومنه قوله
 تعالى " يحرفون [الكلم] - " [١٢]، وذلك أن اليهود كانت تغير معانى التوراة
 بالآشباه، وفى الحديث 'يساط'^{١٣} عليهم طاعون يحرف القلوب، أى يغيرها
 عن التوكل ويدعوهم^{١٤} إلى الانتقال عن تلك البلاد، وحكى: حرفته عن
 جهته - أى بالتخفيف - مثل: حرفته، والمحارفة: المقايسة، من المحراف وهو ١٥

- (١) العبارة من «علة» إلى هنا - اقطعة من ظ (٢) فى ظ: الذين (٣) فى ظ:
 وجهة (٤) فى ظ: تفتسوا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: بل (٧) فى ظ: تثبتوا .
 (٨) من ظ، وفى الأصل: فلا تبع (٩-٩) فى ظ: مكرها (١٠) من ظ،
 وفى الأصل: بمعنى (١١) فى ظ: ايقنت (١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ: تسلط .
 (١٤) من ظ، وفى الأصل: يدعوها .

الميل الذى يقاس به الجراح - انتهى . فالآية من الاحتباك : حذف منها أولا الإتيان وأثبت عدمه ثانياً للدلالة عليه ، وحذف منها ثانياً الصدق ودل عليه بآيات ضده - الكذب - فى الأولى .

ولما كان كأنه قيل : ما غرضهم بآيات الكذب و تحريف الصدق ؟
 ٥ قال : ﴿ يقولون ﴾ أى لمن يوافقهم ﴿ ان اوتيتهم ﴾ أى من أى مؤث كان ﴿ هذا ﴾ أى المكذوب و المحرف ﴿ فخذره ﴾ أى اعملوا به ﴿ وان لم تؤتوه ﴾ أى بأن اوتيتهم غيره أو سكت عنكم ﴿ فاحذروا^١ ﴾ أى بأن^٢ تؤتوا غيره فقبلوه .

ولما كان التقدير : فأولئك الذين أراد الله فتنهم ، عطف عليه قوله :
 ١٠ / ٥٨ ﴿ ومن يرد الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ فتنه ﴾ أى أن يحل به ما يميله عن وجه سعاده بالكفر حقيقة أو مجازاً ﴿ فلن تملك له من الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ شيئاً ﴾ أى من الإسعاد ، وإذا لم تملك ذلك^٣ أنت و أنت أقرب الخلق^٤ إلى الله فمن يملكه^٥ ١

ولما كان هذا ، أنتج لا محالة قوله : ﴿ أولئك ﴾ أى البعداء من
 ١٥ الهدى ﴿ الذين لم يرد الله ﴾ أى وهو الذى لا راد لما يريد و لا فاعل لما يرده^٦ ، فهذه أشد الآيات على المعتزلة ﴿ ان يظهر قلوبهم^٧ ﴾ أى بالإيمان^٨ ، و الجملة كالعلة لقوله ” فلن تملك له من الله شيئاً “ ، ولما ثبت^٩

(١) فى ظ : بايتا - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : من (٣) سقط من ظ .
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : الحق (٥) فى ظ : يملك (٦) فى الأصل وظ : يريده .
 (٧) فى ظ : اثبت .

أن قلوبهم نجسة ، أتج ذلك قوله : ﴿ لهم في الدنيا خزي طج ﴾ أى بالذل و الهوان ، أما المناقون فإظهار الأسرار و الفضائح الكبار و خوفهم من الدمار^١ ، و أما اليهود فبيان أنهم حرفوا و بدلوا و ضرب الجزية عليهم و غير ذلك من الصغار ﴿ و لهم في الآخرة ﴾ التى من خسرها^٢ فلا يرج له بوجه ما^٣ ﴿ عذاب عظيم ه ﴾ أى لعظيم ما ارتكبه من هذه ه المعاصي المتضاعفة^٤ .

ولما ذكر التحريف ، ذكر أثره و هو الحكم به فقال مكررا لوصفهم زيادة فى توينهم^٥ و تقيح شأنهم : ﴿ سمعون ﴾ أى هم فى غاية الشهوة و الانهماك فى سماعهم^٦ [ذلك - ٦] ﴿ للكذب اكلون ﴾ أى على وجه المبالغة ﴿ للسحت^٧ ﴾ أى الحرام الذى يسحت البركة أى يستأصلها ، و هو ١٠ كل ما لا يحل كسبه ، و ذلك أخذهم الرشى^٨ ليحكموا بالباطل على نحو ما حرفوه و غيره من كلام الله ، قال الشيخ أبو العباس المرسى : و من آثر من الفقراء السماع لهواه ، و أكل ما حرمة مولاه ، فقد استهوته^٩ نزغة يهودية ، فان القوال^{١٠} يذكر^{١١} العشق و^{١٢} المحبة و الوجد^{١٣} و ما عنده منها شئ .

ولما كانوا قد يأخذون الرشوة و لا يقدرّون على إبرام الحكم بما ١٥ أرادوه ، فيطمعون فى أن يفعلوا ذلك بواسطة ترافعهم إلى النبى صلى الله عليه و سلم فيترافعون إليه ، فان حكم بينهم بما أرادوا قبلوه و احتجوا به على (١) فى ظ : الدما - كذا (٢) فى ظ : خسر فيها (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : المتعاصفة (٥) فى ظ : توضيحيهم (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الربا (٨) فى ظ : القول (٩) تكرر فى الأصل (١٠ - ١١) فى ظ : الوجد و المحبة .

نظم الدرر (سورة المائدة ٥: ٤٢ و ٤٣) ج - ٦

مَنْ لَعَلَهُ يَخْلَفُهُمْ، وَإِنْ حَكَمَ بِمَا لَمْ يَرِيدُوهُ قَالُوا: لَيْسَ هَذَا فِي دِينِنَا - طَمَعًا
فِي أَنْ يَخْلِيَهُمْ فَلَا يُلْزِمُهُمْ بِمَا حَكَمَ؛ أَعْلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا يَفْعَلُ فِي أَمْرِهِمْ،
وَحَذَرَهُ غَوَائِلُ مَكْرِهِمْ، فَقَالَ مَفُوضًا الْخَيْرَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الْمَعَاهدِينَ إِلَى مَدَّةٍ
- وَأَمَّا أَهْلُ الْجَزِيرَةِ فَيَجِبُ الْحُكْمُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَرَفَعُوا إِلَى حَاكِمِنَا - مَسِيئًا عَنْ
هـ أَكْلِهِمُ الْحَرَامَ وَسَمَاعِهِمُ الْكَذِبَ: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ أَيُّ طَمَعًا فِي أَنْ
تُؤْتِيَهُمْ مَا حَرَفُوا إِلَيْهِ السَّكْمَ ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ أَيُّ إِنْ شِئْتَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
عَلَيْكَ^٢ مِنَ الْحَقِّ ﴿أَوْ اعْرِضْ عَنْهُمْ ع﴾ أَيُّ كَذَلِكَ^٣ .

وَلَمَّا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ﴾ دَالًا بَعْطْفِهِ عَلَى غَيْرِ مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ أَنَّ
التَّقديرَ: فَإِنْ حَكَمْتَ بَيْنَهُمْ^٤ لَمْ يَنْفَعُوكَ شَيْئًا لِإِقْبَالِكَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَإِنْ
١٠ ﴿تَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أَيُّ الْكَفْرَةَ [كَلَهُمْ - ٦] مِنَ الْمَصَارِحِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
﴿فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئًا﴾ أَيُّ لِإِعْرَاضِكَ عَنْهُمْ وَاسْتِهَاتِكَ^٥ بِهِمْ .

وَلَمَّا كَانَ هَذَا التَّخْيِيرُ^٦ غَيْرَ مُرَادٍ الظَّاهِرَ فِي جَوَازِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ عِنْدَ
التَّرَافُعِ إِلَيْنَا وَعَدَمِهِ، بَلْ مَعْنَاهُ عَدَمُ الْمُبَالَاةِ بِهِمْ، أَعْرِضْ عَنْهُمْ أَوَّلًا،
فَحَقِيقَتُهُ بَيَانُ الْعَاقِبَةِ عَلَى تَقْدِيرِي الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، عَلَّمَهُ^٧ كَيْفَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ،
١٥ فَقَالَ عَاطِفًا عَلَى مَا قُدْرَتُهُ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ أَيُّ فِيهِمْ ﴿فَاحْكُم﴾
/ أَيُّ أَوْقَعَ الْحُكْمَ^٨ ﴿بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ^٩﴾ أَيُّ الْعَدْلَ الَّذِي أَرَاكَ اللَّهُ - عَلَى أَنْ

/ ٥٩

(١ - ١) سَقَطَ مَا بَيْنَ الرَّقِيقَيْنِ مِنْ ظ (٢-٢) تَأْخُرُ فِي ظ عَنْ «فَاحْكُم بَيْنَهُمْ» .
(٣) سَقَطَ مِنْ ظ (٤) فِي ظ: لِذَلِكَ (٥) زِيدَتْ الْوَاوُ بَعْدَهُ فِي ظ (٦) زِيدَ مِنْ
ظ (٧) مِنْ ظ، وَفِي الْأَصْلِ: اسْتِهَاتَةٌ (٨) فِي ظ: التَّحْذِيرُ (٩) مِنْ ظ، وَفِي
الْأَصْلِ: عِلْمٌ .

الآية ليست في أهل الذمة، والحكم في ترافع الكفار إلينا أنه إن كان منهم أو من أحدهم التزام لاحكامنا أم^١ منا التزام للذب^٢ عنهم وجب، لقوله تعالى " فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم " وإلا لم يجب؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يحب المقسطين ﴾ أى الفاعلين للعدل السوى من غير حيف أصلا . ٥

ولما كان التقدير: فكيف يحكمونك^٣ وهم يكذبونك ويدعون أنك مبطل، عطف عليه قوله معجبا منهم موبخا لهم: ﴿ وكيف يحكمونك ﴾ أى فى شيء من الاشياء ﴿ وعندهم ﴾ أى والحال أنه عندهم ﴿ التوراة ﴾ ثم استأنف قوله: ﴿ فيها حكم الله ﴾ أى الذى لا يدانى عظمته عظمته، وهو الذى كان مقررا فى شرعهم أنه لا يسوغ خلافه، فان كانوا يعتقدون ذلك ١٠ إلى الآن لم يحز لهم العدول إليك على زعمهم، وإن كانوا لا يعتقدونه ويعتقدون أن حكمك هو الحق ولم يؤمنوا بك كانوا قد آمنوا ببعض وكفروا ببعض .

ولما كان الإعراض عن حكمه سبحانه عظيما، وكان وقوعه بمن يدعى أنه مؤمن به بعيدا عظيما شديدا، قال: ﴿ ثم يتولون ﴾ أى ١٥ يكلفون أنفسهم الإعراض عنه سواء تأيد بحكمك به أو لا لأجل الأعراض الدنيوية؛ ولما كان المراد بالحكم الجنس، وكانوا يفعلون^٤ بعض أحكامها

(١) فى ظ: او (٢) فى ظ: للكذب (٣) فى ظ: يحكون - كذا (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرئتين من ظ (٦) فى ظ: يفعلونه (٧) من ظ، وفى الأصل: احكام .

فلم يستغرق زمانٌ توليهم زمانَ البعد ، أدخل الجار لذلك فقال :
 ﴿من بعد ذلك ١﴾ أى الأمر العالى وهو الحكم الذى يعلمون ٢ أنه حكم الله ،
 فلم يبق تحكيمهم لك من غير إيمان بك إلا تلاعبا .

ولما كان التقدير : فما أولئك بالمريدين للحق فى ترافعهم إليك ،
 ٥ عطف عليه قوله : ﴿ و ما أولئك ﴾ أى البعداء من الله ﴿ بالمؤمنين ٣ ﴾
 أى العريقين ٤ فى صفة الإيمان بكتابتهم ٥ ولا بغيره مما يستحق الإيمان [به - ٦] ،
 لأنهم لو كانوا عريقين ٥ فى ذلك لآمنوا بك لأن كتابهم دعا إليك .

ولما تضمن هذا مدح التوراة ، صرح به فقال تأكيداً لدمهم فى
 الإعراض عما دعت إليه من أصل و فرع ، وتحذيراً من مثل حالهم :
 ١٠ ﴿ انا انزلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ التوراة ﴾ ثم استأنف قوله
 معظماً لها : ﴿ فيها هدى ﴾ أى كلام يهدى بما يدعو إليه إلى ٦ طريق الجنة
 ﴿ ونور ٧ ﴾ أى بيان لا يدع لبساً ، ثم استأنف المدح للعاملين بها
 فقال : ﴿ يحكم بها النبيون ﴾ و وصفهم بأعلى الصفات وذلك الغنى المحض .
 فقال مادحاً لا مقيداً : ﴿ الذين اسلبوا ﴾ أى أعطوا قيادهم لربهم سبحانه
 ١٥ حتى لم يبق لهم اختيار أصلاً ، وفيه تعريض بأن اليهود بعداء من الإسلام
 وإلا لا تبعوا أنبياءهم فيه ، فكانوا يؤمنون بكل من قام الدليل على نبوته .
 ولما كان من المعلوم أن حكمهم بأمر الله لهم باتباع التوراة و مراعاتها ،
 عَلِمَ أن التقدير : بما استحفظوا من كتاب الله ، فحذف لدلالة ما يأتى عليه

(١) من ظ ، وفى الأصل : تعلمون (٢) فى ظ : الفريقين (٣) فى ظ : لكتابتهم .
 (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : غريقين (٦) فى ظ : من (٧) فى ظ : على .

و إشعار الإسلام به، ثم بين المحكوم له تقييدا به إشارة إلى أنها ستفسخ
 فقال: ﴿ للذين هادوا ﴾ أى لمن التزم اليهودية ﴿ و الرّبّيون ﴾
 أى أهل الحقيقة، منهم الذين انسلخوا من الدنيا و بالغوا فيما يوجب
 النسبة إلى الرب ﴿ و الاحبار ﴾ أى العلماء الذين أسلموا ﴿ بما ﴾
 أى بسبب ما .

٥

و لما كان سبب إسلام أمرهم^١ بالحفظ، لا كونه من الله بلا واسطة،
 بنى للفعول قوله^٢: ﴿ استَحفظوا ﴾ أى^٣ الأنبياء و من بعدهم ﴿ من كتب الله ﴾
 أى بسبب ما طلبوا^٤ منهم / و أمروا به من الحفظ لكتاب^٥ الذى له جميع
 صفات الكمال الذى هو صفته، فعظمته من عظمته، و حفظه: دراسته و العمل

٦٠ /

بما فيه ﴿ و كانوا ﴾ أى و بما كانوا ﴿ عليه شهداء^٦ ﴾ أى رقباء حاضرين
 لا يغيبون عنه ولا يتركون مراعاته أصلا، فالآية^٧ - كما ترى - من فن
 الاحتباك: ترك أولا بما استَحفظوا، لدلالة ما ذكر هنا عليه، و ترك
 ذكر الإسلام هنا لدلالة ذكره أولا عليه، وإنما خص الأول بذكر
 الإسلام لأن الأنبياء أحق به، و هو داع إلى الحفظ قطعاً، و خص الثانى
 بالاستحفاظ لأن الاتباع أولى به، و هو دال على الإسلام .

١٥

و لما كان هذا كله ذمّا لليهود بما تركوا من كتابهم، و مدحا لمن^٨
 راعاه^٩ منهم، و كان ذلك الترك إما لرجاء أو خوف، قال مخاطبا لهذه الأمة

(١) فى ظ : اعزهم (٢) زيد بعده فى ظ : بما (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : طلب .
 (٥) فى ظ : للكتاب (٦) زيد بعده فى ظ : من الاحتباك (٧) فى ظ : ان (٨) فى
 ظ : لهم (٩) من ظ ، و فى الأصل : راعاهم .

كلها طائعها وعاصيها، محذرا لها من مثل حالهم ومرغبا في مثل حال
الانبياء والتابعين لهم بإحسان، مسييا عن ذلك : ﴿ فلا تخشوا الناس ﴾
أى فى العمل بحكم من أحكام الله ﴿ واخشون ﴾ أى فان ذلك حامل
لكم على العدل والإحسان ، فمن كان [منكم - '] مسلما طائعا فليزدد
طاعة ، ومن لم يكن كذلك^١ فليبادر بالانقياد والطاعة ، وهذا شامل
للإهود وغيرهم .

ولما قدم الخوف لأنه أقوى تأثيرا أتبعه الطمع فقال : ﴿ ولا تشتروا ﴾
ولما كان الاشتراء معناه اللجاجة فى أخذ شيء بثمن ، وكان المثلث
أشرف من الثمن^٢ من حيث أنه المرغوب فيه ، جعل الآيات مثمنا وإن
١٠ اقترنت^٣ بالباء ، حتى يفيد الكلام التعجب^٤ من الرغبة عنها ، وأنها لا يصح^٥
كونها ثمنا فقال : ﴿ بآيتي ثمنا قليلا^٦ ﴾ أى من الرشى وغيرها لتبدلوها^٧
كما بدل أهل الكتاب .

ولما نهى عن الأمرين ، وكان ترك الحكم^٨ بالكتاب إما لاستهانة
أو لخوف أو رجاء أو شهوة ، رتب ختام الآيات على الكفر^٩ أو الظلم^{١٠}
١٥ والفسق ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما : من جحد حكم الله كفر ،
ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق . فلما كان التقدير : فمن
حكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون ، عطف عليه ما أفهمه من قوله :

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : لذلك (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٤) فى ظ : اقتربت (٥) فى ظ : التعجيب (٦) فى ظ : لا تصح (٧) فى ظ :
تبدلوها (٨) فى ظ : الحكم .

(و من لم يحكم) أى ' يوجد الحكم و يوقه على وجه الاستمرار
 (بما أنزل الله) أى الذى له الكمال كله فلا أمر لأحد معه تدبنا بالإعراض
 عنه، أعم من أن يكون تركه [له - ٢] حكماً بغيره أو لا (فاولئك) أى
 البعداء من كل خير (هم الكفرون هـ) أى المختصون بالعراق في الكفر،
 وهذه الآيات من قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ [الذين يسارعون هـ
 في الكفر " - ٢] إلى هنا نزلت في الزنا، ولكن لما كان السياق للمحاربة،
 وكان كل من القتل و قطع الطريق و السرقة محاربة ظاهرة مع كونه
 فساداً، صرح به؛ ولما كان الزنا محاربة خفية بالنظر إلى فخشه و حرمة
 و جرّه في بعض الصور إلى المحاربة، و غير محاربة بالنظر إلى كونه في
 الغالب عن تراص، و صاحبه غير متزى بزى المحاربين، لم يصرح في هذه ١٠
 الآيات باسمه و إن كانت نزلت فيه؛ روى البيهقي عن ابن عباس رضى الله
 عنهما عن عمر رضى الله عنه أنه قال في خطبته: إن الله بعث محمداً و أنزل
 عليه كتاباً، و كان فيما أنزل عليه آية الرجم قتلونها و وعيناها " الشيخ
 و الشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عزيز حكيم " و قد
 رجم رسول الله صلى الله عليه و سلم و رجمنا بعده - الحديث. و في آخره: ١٥
 و لولا أنى^١ أخشى أن يقول الناس: زاد في كتاب / الله، لاثبت في حاشية
 المصحف. و أصله في الصحيحين و غيرها، و للحاكم و الطبراني عن
 أبى أمامة بن سهل عن خالته العجاء رضى الله عنها بلفظ: الشيخ و الشيخة اذا
 زنيا فارجموهما البتة بما قضيا^٢ من اللذة. و في صحيح ابن حبان عن أبى بن كعب

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: حكما (٤) في ظ: كتاب (هـ) في
 ظ: قضيتا (٦) زيد بعده في ظ: والشهوة، وليست الزيادة في الحاكم ولا الطبراني.

رضى الله عنه أنه قال لزرّ بن حبيش: كم تعدون سورة الأحزاب من آية^١؟
قال: قلت: ثلاثا وسبعين، قال: والذي يخلف به! كانت سورة الأحزاب
توازي سورة البقرة، وكان فيها آية الرجم: الشيخ والشيخة - الحديث .
وللشيخين: البخارى فى مواضع، ومسلم وأحمد وأبى داود -^٢ وهذا
لفظه - والدارمى^٣ والترمذى فى الحدود والنسائى فى [الرجم -^٤] عن
ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: إن اليهود جاؤا إلى النبى صلى الله عليه
وسلم فذكروا^٥ [له -^٥] أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تجدون فى التوراة فى شأن الزنا؟ فقالوا:

نفضحهم ويجلدون - وفى رواية: فقال^٦: لا تجدون فى التوراة الرجم^٧
١٠ فقالوا: لا نجد فيها شيئا - فقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه: كذبتم،
فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فأتوا بالتوراة، ففتشوها فجعل
أحدهم - وفى رواية: مدرأسها^٨ الذى يدرسها منهم - يده^٩ على آية الرجم
فجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك،
فرفعها فقال: ما هذه؟ فاذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد! فيها
١٥ آية الرجم، فأمر بهما^{١٠} رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما، قال عبد الله

(١) فى ظ: انه (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ:
وذكروا (٥) زيد من سنن أبى داود - كتاب الحدود (٦) سقط من ظ (٧) من
صحيح البخارى - التفسير، وفى الأصل و ظ: مدارسها - كذا (٨-٨) فى
ظ: فأمرهما .

ابن عمر رضى الله عنهما: فرأيت الرجل يحنا^١ على المرأة يقيها الحجارة .
 وفي لفظ للبخارى فى التفسير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تجدون
 فى التوراة الرجم ؟ فقالوا : لا نجد فيها شيئا ، فقال لهم عبد الله بن سلام :
 كذبتم ! فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . وفى لفظ له فى التوحيد
 - وهو رواية أحمد - أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى قال : فأتوا^٢ هـ
 بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . ولأبى داود عن ابن عمر أيضا
 رضى الله عنهما قال : أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إلى القف ، فأتاهم فى بيت^٣ المدارس فقالوا^٤ : يا أبا القاسم ! إن رجلا منا زنى
 بامرأة فاحكم ، فوضعوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فجلس عليها
 ثم قال : اتنوني^٥ بالتوراة ، فأتى بها فنزع الوسادة من تحته ووضع^٦ ١٠
 التوراة عليها ثم قال : آمنت بك و بمن أنزلك ، ثم قال : اتنوني بأعلمكم ،
 فأتى بفقى شاب - فذكر قصة الرجم نحو الذى قبله ، وسكت عليه أبو داود

(١) أى يكب ويميل عليها ليقبها من الحجارة ، وروى : يحنى ويحنى^١ ويحنى ؛
 جناً وأجناً وجانى بمعنى ، وفى النهاية : فإن كانت بالهاء فهى من حنى ظهره - إذا
 عطفه ، وإن كانت بالجريم فهى من جنى الرجل على الشيء إذا أكب عليه وهما
 متقاربان ، والذى قرأناه فى كتاب مسلم بالجيم وفى كتاب الحميدى بالحاء . قال
 الخطابى : الذى جاء فى كتاب السنن يحنى بمعنى بالجيم ، والمحفوظ إنما هو يحنى بالحاء ،
 أى يكب عليها يقال : حنا يحنون حنوا^٢ (٢) من صحيح البخارى ، وفى الأصل
 وظ : فأتوا (٣ - ٣) من سنن أبى داود - كتاب الحدود ، وفى الأصل
 وظ : المدارس فقال (٤) من ظ والسنن ، وفى الأصل : أتوا (هـ - هـ) فى
 السنن : فوضع .

والحافظ المنذرى فى مختصره^١ وسنده حسن، ولمسلم وأبى داود^٢ - وهذا لفظه - والنسائى وابن ماجه عن^٣ البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : مر^٤ رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى^٥ محمد^٦ . فدعاهم فقال : هكذا تجدون حد الزانى ؟ فقالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم فقال : نشدتك بالله الذى أنزل التوراة على موسى أهكذا^٧ تجدون حد الزانى فى كتابكم ؟ فقال : اللهم ! لا ، ولو لا أنك نشدتنى^٨ بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم ، ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقننا عليه / الحد ، فقلنا : تعالوا فنجتمع

/ ٦٢

على شئ تقيمه على الشريف والوضيع ، فاجتمعنا على التحميم والجلد .
 ١٠ . وتركنا الرجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم^٩ إني أول من أحى أمرك إذ أماتوه^{١٠} ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله عز وجل "يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر - إلى قوله : يقولون ان اوتيتهم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا"^{١١} - إلى قوله : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفرون^{١٢} " فى اليهود - إلى قوله : "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون^{١٣} " فى اليهود - إلى قوله : ومن لم يحكم بما أنزل الله

(١) فى ظ : المختصر (٢) من ظ ، وفى الأصل : ابو داود (٣) من ظ ، وفى الأصل « و » (٤ - ٤) فى السنن : على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى .
 (٥) أى مسود الوجه ، من الحممة : الفحمة ، وفى ظ : محم (٦) سقط من ظ .
 (٧) فى ظ : تنشدنى (٨) من ظ و السنن ، وفى الأصل : اماتوا (٩) زیدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و السنن فخذناها .

فاولئك هم الفسقون“ [قال : هي - ١] في الكفار كلها - يعني هذه الآية . و روى الدارقطني في آخر^٢ النذور من السنن عن جابر رضى الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم يهودى^٣ و يهودية قد زنيا ، فقال لليهود : ما يمنعكم أن تقيموا^٤ عليهما الحد ؟ فقالوا : كنا نفعل^٥ إذا كان الملك لنا^٦ ، فلما أن^٧ ذهب ملكنا^٨ فلا نجترى^٩ على الفعل ، فقال لهم : اتنوني بأعلم^{١٠} رجلين فيكم ، فأتوه بابنى سوريا ، فقال لهما : أنتما^{١١} أعلم من ورائكما^{١٢} ؟ قالا : يقولون ، قال : فأشدكما بالله الذى أنزل التوراة على موسى كيف تجدون حدكما في التوراة ؟ فقالا^{١٣} : الرجل - مع المرأة زنية^{١٤} وفيه عقوبة ، و الرجل على بطن المرأة زنية^{١٥} وفيه عتوبة ، فاذا شهد أربعة أنهم رأوه [يدخله فيها كما - ١٦] يدخل الميل في المكحلة رُجِمَ ؛ قال : اتنوني بالشهود ، فشهد^{١٧} أربعة ، فرجعهما النبي صلى الله عليه وسلم - انتهى . وهذه الآية ملتفتة إلى آية ” يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة “ - الآية و التى بعدها أى التفات ، و ذلك أن هؤلاء لما تركوا هذا الحكم ، جرّمهم إلى الكفر ، و ليس في هذه الروايات - كما ترى - تقييد الرجم بالإحصان ،

(١) زيد من ظ و السنن (٢) سقط من ظ (٣) من سنن الدارقطني ، و في الأصل و ظ : يهودى (٤) من ظ و السنن ، و في الأصل : تقيا (٥-٥) في السنن : اذ كان ذلك فيما (٦) ليس في ظ و السنن (٧) في ظ : الملك عنا (٨-٨) من السنن ، و في الأصل : فلا يجترش ، و في ظ : قد نجترى (٩) في السنن : أنتم (١٠) زيد بعده في ظ : كما (١١) من السنن ، و في الأصل و ظ : فقال (١٢) من ظ و السنن ، و في الأصل : ربيبة - كذا (١٣) زيد من السنن (١٤) في ظ : فشهدوا .

وكذا هو فيما هو موجود عندهم في التوراة ، قال في السفر الثالث وغيره :
ثم كلم الله موسى وقال له : قل لبني إسرائيل : [أي رجل من بني إسرائيل -^٢]
ومن الذين يقبلون إلى [أي -^٢] ويسكنون بين بني إسرائيل ألقى زرعه
في امرأة غريبة يقتل ذلك الرجل ، فليرجه^٢ جميع الشعب بالحجارة ،
و أنا أيضا أنزل غضبي بذلك الرجل وأهلكه من شعبه ، لأنه ألقى زرعه
في غريبة وأراد أن ينجس مقدسي وأن ينجس اسم قدسي ، فان غفل
شعب الأرض^١ عن الرجل الذي ألقى زرعه في غريبة ولم يوجبوا عليه
القتل أنزل غضبي بذلك الرجل وبقيته وأهلكه وأهلك من يضل
به ، لأنهم ضلوا بنساء غريات لسن^٣ لهم بحلال ، ثم قال : الرجل الذي
يأتى امرأة صاحبه وامرأة رجل غريب يقتلان جميعا ، والرجل الذي
يرتكب ذكرا مثله فيرتكب منه ما يرتكب من النساء فقد ارتكبا^٤
نجاسة ، يقتلان ودمهما في أعناقهما ، والرجل الذي يتزوج امرأة وأما
فقد ارتكب خطيئة ، يحرق بالنار هو^٥ وهما ، والرجل الذي يرتكب
من البهيمة ما يرتكب من النساء يقتل قتلا ، والبهيمة ترحم أيضا ،
و المرأة التي ترقد^٦ بين يدي البهيمة ارتكب منها البلاء تقتل المرأة
و البهيمة جميعا ، يقتلان ودمهما في أعناقهما ، والرجل الذي يأتى امرأة طامثا
ويكشف عورتها ، قد كشف عن يديها وهي أيضا كشفت عن ينبوع دمها ،
(١) في ظ : من (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : فلا ترجمه (٤) من ظ و التوراة ،
وفي الأصل : الآن (٥) من ظ ، وفي الأصل : ليس (٦) في ظ : اكتسبا .
(٧) سقط من ظ .

٦٣ / | يهلكان جميعا من شعبهما^١، وقال: والرجل الذي يأتي امرأة أبيه
قد كشف^٢ هذا عورة أبيه، يقتلان جميعا ودمهما في أعناقهما، والرجل
الذي يأتي كُتته^٣ يقتلان^٤ كلاهما، لأنهما ارتكبا خطيئة، ودمهما
في أعناقهما، والرجل الذي يتزوج أخته من أمه أو من أبيه ويرى
عورتها وترى عورته، هذا عار شديد، يقتلان قدام شعبهم، وذلك
لأنه كشف عورة أخته، يكون إثمهما في رؤسهما، لا تكشف عورة
عمتك ولا خالتك لأنها قرابتك، ومن فعل ذلك يعاقب بأثم فضيخته^٥،
والرجل الذي يأتي امرأة عمه قد كشف عورة عمه يعاقبان بخطيئتهما
ويموتان^٦، والرجل الذي يتزوج امرأة أخيه قد ارتكب إثما، لأنه
كشف عورة أخيه يموتان، بل وصرح برجم البكر فقال في السفر ١٠
الخامس فيمن تزوج بكرا فادعى أنه وجدها ثيبا: فإن^٧ كان قذفه إياها حقا
ولم يمجدها عذراء تخرج الجارية إلى بيت أبيها، ويرجمها أهل القرية بالحجارة
وتموت^٨، لأنها ارتكبت حوبا بين بدى^٩ بنى إسرائيل وزنت في بيت أبيها،
نحو الشر عنكم، وإن وجد رجل^{١٠} يسفح بامرأة رجل يقتلان^{١١} كلاهما:
الرجل والمرأة؛ بل صرح برجم البكر المكروه فقال عقب ما تقدم: وإن ١٥
كان لرجل^{١٢} خطيئة بكر لم يبتن^{١٣} بها بعد، فخرجت خارجا فظفر بها

(١) في ظ: شعبها (٢) زيد بعده في ظ: عن (٣) في ظ: لبتته (٤) زيد بعده في ظ:
جميعا (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: فضيحة (٧) في ظ: يلومان (٨) من ظ، وفي
الأصل: وإن (٩) في ظ: يموت (١٠) في ظ: رجلا (١١) في ظ: تقتلان،
(١٢) في ظ: الرجل (١٣) في ظ: لم يبتن.

رجل وقهرها وضاجعها، يخرجان جميعا ويرجمان حتى يموتا، وإنما تقتل الجارية مع الرجل لأنها لم تصرخ ولم تستغث - انتهى . فالأحاديث المفيدة بالإحصان في هذه القصة ينبغي أن تكون مرجوحة، لأن روايتها ظنوا أن الجادة^٢ الإسلامية شرع لهم .

٥. ولما كان ختام هذه الآيات في ترهيب المعرض عن الحكم بما أنزل الله مطابقا لقوله في أول سياق المحاربة "ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون" رجع إلى القتل مبينا أنهم بدلوا في القتل كما بدلوا في الزنا، ففضلوا بني النضير على بني قريظة، فقال: ﴿وكتبنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿عليهم فيها﴾ أي [في -^٤] التوراة، عطفًا على قوله "كتبنا على بني اسرائيل انه^٢ من قتل نفسا بغير نفس"، وإذا أنعمت^٦ النظر وجدت ما بينهما لشدة اتصاله وقوة الداعية إليه كأنه اعتراض ﴿ان النفس﴾ أي مقتولة قصاصا مثلا بمثل ﴿بالنفس﴾ أي بقتل النفس بغير وجه مما تقدم ﴿والعين﴾ أي تقلع ﴿بالعين﴾ أي قلعت بغير شبهة ﴿والانف﴾ يمدح ﴿بالانف﴾ كذلك^٧ ١٥ ﴿والاذن﴾ تصلم ﴿بالاذن﴾ على ما تقدم ﴿والسن﴾ تقلع ﴿بالسن﴾ إذا قلعت عمدا بغير حق ﴿والجروح﴾ أي^٢ التي تنضبط كلها ﴿قصاص^٨﴾ مثلا بمثل سواء بسواء .

ولما أوجب سبحانه هذا رخص^٤ لهم في النزول عنه، فسبب عن

(١) من ظ : وفي الأصل : لم تستغث (٢) في ظ : الحادة (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦-٧) في ظ : فإذا أمعنت (٧) في ظ : لذلك (٨) من ظ ، وفي الأصل : أرخص .

ذلك قوله: ﴿ فمن تصدق به ﴾ أى عفا عن القصاص من يستحقه سواء كان هو المجروح إن كان باقيا أو وارثه إن كان هالكا ﴿ فهو ﴾ أى التصدق بالقصاص ﴿ كفارة له ﴾ أى ستارة لذنوب^١ هذا العافي^٢ ولم يجعل لهم دية، إنما هو القصاص أو^٣ العفو، فمن حكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون لانقيادهم في هذا الأمر الصعب لأمر الله ﴿ ومن لم يحكم ﴾ أى على وجه الاستمرار ﴿ بما أنزل الله ﴾ أى الذى لا كفوة له فلا أمر لأحد معه لحوف أو رجاء، أو تدنيا^٤ بالإعراض عنه سواء حكم بغيره^٥ أو لا ﴿ فأولئك ﴾ أى البعداء عن طريق الاستقامة، البغضاء إلى أهل الكرامة ﴿ هم الظالمون ﴾ أى الذين تركوا العدل فضلّوا، فصاروا كمن يمشى في الظلام، فإن كان تدنيا بالترك / كان^٦ نهاية الظلم وهو ١٠ / ٦٤ الكفر، وإلا كان عصبانا، لأن الله أحق أن يخشى ويرجى؛ روى ابن إسحاق في السيرة في تحاكمهم في الزنا نحو ما تقدم ثم قال: وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الآيات من المائدة التى قال الله^٧ فيها ” فاحكم بينهم أو اعرض عنهم - إلى: المقسطين “ إنما نزلت في الدية بين بنى النضير و بنى قريظة، وذلك أن ١٥ قتلى بنى النضير - [و - ^٨] كان لهم شرف - يؤدون^٩ الدية كاملة، وأن

(١) من ظ، وفي الأصل: لذنوبه (٢) في ظ: المعافي (٣) في ظ: «و» (٤-٥) في ظ: بدنيا (٥) في ظ: لغيره (٦) في ظ: فإن (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ و تفسير الطبري حيث سيقّت هذه الرواية (٩) زيد بعده في الأصل: الى، ولم تكن الزيادة في ظ و سنن النسائي ٧١٣ والطبري لحذفتها.

بنی قریظہ [كانوا - ^١] یؤدون نصف الدية ، فتحاکوا [فی ذلك - ^٢]
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك فجعل الدية ^٣ سواء . قال ابن إسحاق :
 قاله أعلم أي ذلك كان ^٤ وأخرجه النسائي في سننه من طريق ابن إسحاق ،
 ٥ وروى من طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا ، قال : كان
 قريظة والنضير ، وكان النضير أشرف من قريظة ، وكان إذا قتل
 رجل من قريظة رجلا من النضير قُتل به ، وإذا قتل رجل من النضير
 رجلا من قريظة أدى مائة وسق [من - ^٦] تمر ، فلما بعث النبي
 صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا : ادفعوه ^٧
 ١٠ إلينا نقتله ، فقالوا : بيننا وبينكم [النبي صلى الله عليه وسلم - ^٨] ، فأنوه
 فنزلت " وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط " ، [والقسط - ^٩] : النفس
 بالنفس ، ثم نزلت " احكم الجاهلية يغيون " - انتهى .

وهذا نص ما عندهم من التوراة في القصاص ، قال في السفر الثاني : وكل
 من ضرب رجلا فمات فليقتل قتلا ، وإذا تشاجر رجلان فأصابا ^{١١} امرأة
 ١٥ حبلى فأخرجها ^{١٢} جنينها ولم تكن الروح حلت في السقط بعد ، فليغرم على قدر
 ما يلزمه زوج المرأة ، وليؤد ما حكم عليه الحاكم ، فإن كانت الروح حلت في
 السقط فالنفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن واليد باليد والرجل بالرجل

(١) زيد من ظ و السن و الطبرى (٢) زيد من السن و الطبرى (٣) زيد في
 الطبرى فقط : في ذلك (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقيم من ظ .
 (٦) زيد من ظ و السن (٧) في ظ : ادفعوا (٨) زيد من ظ و السن ، إلا أن
 " صلى الله عليه وسلم " ليس في ظ (٩) زيد من السن (١٠) في ظ : فاصاب
 (١١) في ظ : وأخرجها .

والجراحة بالجراحة واللطمة باللطمة؛ وقال في السفر الثالث بعد ذكر
الاعباد في الأصحاح السابع عشر: ومن قتل إنسانا يقتل، ومن قتل
بهيمة يدفع إلى صاحبها مثلها، والرجل يضرب صاحبه ويؤثر فيه أثارا
يعاب به يصنع به كما صنع، والجروح قصاص: الكسر بالكسر والعين
بالعين والسن بالسن، كما يصنع الإنسان بصاحبه كذلك يصنع به، هـ
القضاء واحد لكم وللذين يقبلون إلى؛ وقال في الثاني: إذا ضرب الرجل
عين عبده أو أمته ففقاها فليعتقه بدل عينه، وإذا قلع سن عبده أو أمته
فليعتقه بدل سنه - وذكر أحكاما كثيرة، ثم قال: ومن ذبح للأوثان فيهلك،
بل لله وحده؛ و^٢ قال في الرابع: ومن يقتل نفسا لا يقتل إلا بيينة
عادلة، ولا تقبل شهادة شاهد واحد على قتل النفس، ولا تقبلوا رشوة ١٠
في إنسان يجب عليه القتل بل يقتل، ولا تأخذوا منه رشوة ليهرب إلى
قرية [إلى - ^٧] الملجأ ليسكنها إلى وفاة الحبر العظيم، ولا تنجسوا الأرض
التي تسكنونها، لأن الدم ينجس الأرض، والأرض التي يسفك فيها
الدم ^٨ لا يغفر ^٩ لتلك الأرض حتى يقتل القاتل الذي قتل؛ وقال في
الخامس: ولا يقتل من قد وجب عليه القتل إلا^١ بشهادة رجلين، ١٥

(١) في الأصل وظ: العشر، والأحكام الآتية إنما هي في الأصحاح الرابع
والعشرين فيما عندنا من نسخ التوراة (٢) في ظ: بلغ (٣) من ظ، وفي
الأصل: ثم (٤) في ظ: لا يقبل (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده في ظ: شهادة
شاهد واحد على قتل النفس ولا تفعلوا (٧) زيد من ظ (٨-٨) في ظ: ليغفر.
(٩) من ظ، وفي الأصل: لا.

لا يقتل بشهادة رجل واحد ، وإذا رجتم فالذى يُشَهِدُ عليه فليبدأ برجه
 الشهود أولاً ثم يبدأ به جميع الشعوب ، وأهلكوا الذين يعملون الشر
 واستأصلوهم من بينكم ، وإن شهد رجل على صاحبه شهادة زور / يقوم
 الرجلان قدام الحبر والقاضى فيفحصون^١ عن أمرهما فحصاً شديداً ، فإن
 وجدوا رجلاً شهد شهادة زور يصنعوا^٢ به مثل ما أراد أن يصنع باخيه ،
 ونحواً الشر من بينكم ، وعاقبوا بالحق لسمع الذين يتقون فيفزعوا ولا يعودوا
 أن يفعلوا مثل هذا الفعل القبيح بينكم ، ولا تشفق أعينكم^٣ على الظالم ، بل
 يكون قضاؤكم نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل .
 ولما كانت هذه الآيات كلها - مع ما فيها من الأسرار - ناقضة

١٠. أيضاً لما ادعوا من البتة بما ارتكبه من الذنوب من تحريف كلام الله
 وسماع الكذب وأكل السحت والإعراض عن أحكام التوراة والحكم
 بغير حكم الله ، أتبعها ما^٤ أتى به عيسى عليه السلام الذى ادعى فيه النصارى
 البتة الحقيقية والشركة فى الإلهية ، وقد أتى بتصديق التوراة فى الشهادة على
 من خالفها من اليهود بالتبرئ^٥ من الله ، مؤكداً لما فيها من التوحيد الذى
 ١٥ هو عماد الدين وأعظم آياتها التى أخذت عليهم بها العهود وضعت فى
 تابوت الشهادة^٦ الذى كانوا يقدمونه أمامهم فى الحروب ، فإن كانوا
 باقين على ما فيه من الميثاق نصرُوا وإلا خذلُوا ، وناسخاً لشريعتهم مجازاة لهم
 (١) فى ظ : فيخصبون - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : يصنعون (٣-٣) فى
 ظ : لا سفق لى عينكم - كذا (٤) فى ظ : بما (٥) فى ظ : من التبر - كذا .
 (٦) سقط من ظ .

من جنس ما كانوا يعملون من التحريف ، و شاهدا^٢ على^٣ من أطراه بالضلال فقال : ﴿ و قفينا ﴾ إلى آخرها ، وكذا [كل - ٢] ما بعدها من آياتهم إلى آخر السورة ، لا تخلو آية منها من التعرض^٤ إلى نقض^٥ دعواهم لها بذكر ذنب ، أو ذكر عقوبة عليه ، أو ذكر تكذيب لهم من كتابهم أو نبيهم ، والمعنى : أوجدنا^٦ التقفية ، وهى اتباع شيء [بشيء - ٣] تقدّمه^٧ ، فيكون هـ

أتيا في قفاه لكونه وراءه ، وإقارؤه في مظهر العظمة لتعظيم شأن عيسى عليه السلام ﴿ على آثارهم ﴾ أى النبيين الذين يحكمون بالتوراة ، وذكر الأثر يدل على أنهم كانوا قد تركوا دينهم ، لم يبق منه إلا رسم خفي ﴿ بعيسى ﴾ ونسبه إلى أمه إشارة إلى أنه لا^٨ والد له تكذيبا لليهود ، وإلى أنه عبد محبوب تكذيبا للنصارى ، فقال : ﴿ ابن مريم مصدقا ﴾ ١٠

أى عيسى عليه السلام فى الأصول وكثير من^٩ الفروع ﴿ لما بين يديه ﴾ أى عما أتى به موسى عليه السلام قبله ﴿ من التوراة ﴾ وأشار إلى أنه ناسخ لكثير من أحكامها بقوله : ﴿ وأتينا^{١٠}ه الانجيل ﴾ أى أنزلناه بعظمتنا عليه كما أنزلنا التوراة على موسى عليه السلام .

و [لما - ٢] كان فى الإنجيل المحكم الذى يفهمه كل أحد ، والمتشابه الذى لا يفهمه إلا الأفراد من خالص العباد ، ولا يقف بَعْدَ فهمه عند حدوده إلا المتقون ، قال مبينا لحاله : ﴿ فيه ﴾ أى آتينا^٩ إياه بحكمتنا وعظمتنا كائنات^{١٠}

(١) فى ظ : شاهدوا (٢) من ظ ، وفى الأصل : عن (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) فى ظ : اوجبتا (٦) فى ظ : يقدمه (٧) سقط من ظ . (٨) من ظ ، وفى الأصل : فى (٩-٩) فى ظ : بعظمتنا الايتا - كذا .

فيه (هدى) أى وهو المحكم، يهتدى به كل أحد^١ سمعه إلى صراط مستقيم (ونور^٢) أى حسن يان كاشف للشكالات^٣، لا يدع بذلك الصراط لبسا.

ولما كان الناسخ للشيء بتغيير حكمه قد يكون مكذبا له، أعلم
 ه أنه ليس كذلك، بل هو مع^٤ النسخ للثورة مصدق لها فقال - أى^٥
 مينا لحال الإنجيل عطفًا على محل "فيه هدى" - : (ومصدقاً)
 أى الإنجيل بكامله (لما بين يديه) ولما كان الذى نزل قبله كثيرا، عين^٦
 المراد بقوله: (من التوراة) فالأول صفة لعيسى عليه السلام، والثانى
 صفة لكتابه، بمعنى أنه هو^٧ والتوراة والإنجيل متصادقون، فكل من
 ١. الكتابين يصدق الآخر وهو يصدقهما، لم يتخالفوا فى شيء، بل هو
 متخلق^٨ بجميع ما أنى به.

ولما كان المتقون خلاصة الخلق، فهم الذين يُنزلون كل ما فى
 كتب الله من محكم ومتشابه على ما يتحقق به أنه هدى ويتطابق به المتشابه
 والمحكم، وكان قد بين أن فيه من الهدى ما يسهل به رد المتشابه إليه
 ١٥ فصار بعد البيان كله هدى، قال معمما بعد ذلك التخصيص^٩ :
 (وهدى وموعظة للتقين ط) أى كل ما فيه يهتدون به^{١٠} ويتعظون فترق
 قلوبهم ويعتبرون به ويتقنون مترقين من حال عالية إلى حال أعلى منها.

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : للشك (٣) سقط من ظ (٤) من ظ والقرآن المجيد،
 وفى الأصل : مصدق (٥) فى ظ : عنى (٦) من ظ ، وفى الأصل : متخلف .
 (٧) فى ظ : بالتخصيص .

ذكر^١ بعض ما يدل على ذلك من الإنجيل الذي بين ظهراني النصارى الآن وقد مرّجت فيه^٢ كلام بعض^٣ الأناجيل ببعض وأغلب السياق لمتى، وعينت بعض ما خالفه، قال لوقا: وجاء إليه قوم وأخبروه خبر الجليليين الذين خلط يلاطس دماءهم مع دماء ذبائحهم^٤، فأجاب يسوع وقال لهم: لا تظنوا أن أولئك الجليليين^٥ أشدّ خطاً من كل الجليليين^٥، إذا أصابتهم هذه الأوجاع، لا أقول لكم، إن لم تتوبوا كلكم أتم تهلكون مثلهم، وهؤلاء الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سيلوفا وقلّهم أظنون أنهم أكبر جرماً من جميع سكان يروشلیم، كلا أقول لكم، إن لم تتوبوا لجميعكم يهلك، وقال لهم: شجرة تن كانت لواحد مغروسة^٦ في كرمه، جاء يطلب فيها ثمرة فلم يجد، فقال للكرام: ١٠ هذه ثلاث سنين آتى وأطلب فيها^٧ ثمرة فلا أجد، اقطعها لئلا تبطل الأرض، فقال له: يا رب ادعها في هذه السنة^٨ لانكحها وأصلحها، لعلها تثمر في السنة الآتية، فان هي أثمرت وإلا اقطعها. قال متى: ولما نزل من الجبل تبعه^٩ جمع كبير وإذا أبرص قد جاء فسجد^{١٠} له وقال: إن شئت فأنت قادر أن تطهرني، فدّ يده ولمسه وقال [له -^{١١}]: قد شئت فاطهر، ١٥ وللوقت طهر برصه، وقال له يسوع: لا تقل لاحد ولكن امض فأر نفسك

(١) سقط من ظ (٢-٢) من ظ وفي الأصل: بعض كلام (٣) في ظ: دناهم-

كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) في ظ: مغروسة (٦) في ظ: منها.

(٧) في الأصل وظ: وتبعه، والتصحيح من نص الإنجيل (٨) في ظ: سجد.

(٩) زيد من ظ.

للكاهن و قدم قربانا كما أمر موسى للشهادة عليهم - وقال مرقس : بشهادتهم -
 قال لوقا : فداع عنه الكلام وزاد ، واجتمع جمع كثير ليسمعوا منه
 ويستشفوا^١ من أمراضهم ، وأما هو فكان يمشى إلى البرية ويصلي هناك .
 وقال متى : ولما دخل كفرناحوم جاء إليه قائد مائة فطلب إليه قائلاً :
 ٥ يا رب ا فتأى ملقى في البيت مخلع وسقيم جداً ، فقال له : إني آتى وأبرته ،
 فأجاب قائد المائة وقال : يا رب ا لست مستحقاً أن تدخل تحت سقف
 بيتي ، ولكن قل كلمة فقط فيراً فتأى لاني تحت سلطان ، ولي^٢ جند ، إن
 قلت لهذا : اذهب ، ذهب^٣ ، و لآخر : ائت ، آتى^٤ ، ولعبدى : اعمل هذا ،
 عمل^٥ ، فلما سمع يسوع تعجب وقال للذين يتبعونه : الحق أقول لكم اإني^٦
 ١٠ لم أجد مثل هذه الأمانة في إسرائيل ، أقول لكم : إن كثيراً يأتون من المشرق
 والمغرب - وقال لوقا : والشمال واليمين^٧ - يتكثرون^٨ مع إبراهيم^٩ وإسحاق
 ويعقوب^{١٠} ؛ قال لوقا : وكل الأنبياء في ملكوت الله وأتم خارجاً ،
 ويكون الأولون^{١١} آخرين والآخرين أولين ؛ وقال متى : في^{١٢} ملكوت
 السموات ، وبنو الملكوت يلقون في الظلمة البرانية ، الموضع الذي يكون
 ١٥ فيه البكاء و صرير الأسنان ، وقال يسوع^{١٣} لقائد^{١٤} المائة : اذهب كأمانتك

(١) في ظ : ليستشفوا (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده في ظ : هذا (٤) في ظ :
 اني (٥) من ظ ، وفي الأصل : التيمن (٦) في ظ : سكنون (٧) زيد بعده في ظ :
 واسماعيل ، ولم ترد هذه الزيادة في الإنجيل (٨) من ظ ، وفي الأصل :
 الاولين (٩) من ظ ، وفي الأصل : و (١٠) من ظ والإنجيل وفي الأصل :
 يشوع (١١) في ظ : القائد .

يكن لك ، فبرأ الفقى فى تلك الساعة . وقال لوقا : ولما أكل جميع
 كلامه ودخل كفرناحوم ، وكان عبداً لقائد المائة قد قارب الموت
 وكان كريماً عنده ، فلما سمع يسوع أرسل إليه^١ شيوخ^٢ اليهود يسألونه
 المجيء ليخلص عبده ، فلما جاءوا إلى يسوع طلبوا منه باجتهاد وقالوا :
 إنه مستحق أن يفعل^٣ معه هذا ، لأنه محب لأمثنا وهو بنى لنا^٤ كنيسة ، هـ / ٦٧
 فضى^٥ يسوع معهم^٦ ، وفيما هو قريب من البيت أرسل إليه قائد المائة
 أصدقاءه قائلاً : يارب ! لا تعب^٧ فاني لا أستحق أن تدخل^٨ تحت
 سقف بيتي ، من أجل ذلك لم أستحق أن أجيء أنا إليك ، لكن قل كلمة
 فيراً ، لأنى رجل ذو سلطان ونحت يدي جند^٩ فأقول لهذا : امض ،
 فيمضى ، ولاحر : انت ، فيأتى ، فلما سمع يسوع هذا تعجب منه^{١٠} والتفت
 إلى الجمع الذى يتبعه وقال : الحق أقول لكم ! إنى لم أجد فى [بنى -^{١١}] إسرائيل
 [مثل -^{١٢}] هذه الأمانة ، فرجع المرسلون^{١٣} إلى البيت فوجدوا
 المريض قد برأ ، وفى غد كان يسوع ماشياً إلى مدينة اسمها نايين^{١٤} وتبعه
 تلاميذه أجمع وجمع كبير ، فلما قرب من باب المدينة إذا بحمول قدمات
 وحيدا لأمه وكانت أرملة ، وجمع كبير من أهل المدينة معها ، فلما رآها^{١٥}

(١) من ظ ، وفى الأصل : عبدا (٢) من الإنجيل ، وفى الأصل وظ : الى .

(٣) فى ظ : يسوخ (٤) من ظ والإنجيل ، وفى الأصل : تفعل (هـ) سقط من ظ .

(٦ - ٦) فى ظ : معهم يسوع (٧) من الإنجيل ، وفى الأصل : لا تتعن ، وفى

ظ : لا سعد - كذ (٨) فى ظ : يدخل (٩) فى ظ د و ، (١٠) فى ظ : جندى .

(١١) زيد من ظ (١٢) فى ظ : المسلمون (١٣) فى ظ : ماس - كذا .

نظم الدرر (سورة المائدة ٥: ٤٦) ج - ٦

الرب تحن^١ عليها وقال لها: لا تبكى، و تقدم و لمس النعش فوقف
الحاملون له، وقال له^٢: أيها الشاب! لك أقول: قم واجلس! فجلس
الميت وبدأ يتكلم، و دفعه لأمه، و لحقهم خوف^٣ و مجدوا الله قائلين:
لقد قام فينا نبي عظيم، و تعاهد الله شعبه بصلاح، فذاع هذا الكلام في
٥ كل اليهودية و كل الكور التي^٤ حولها. قال متى: و جاء يسوع إلى بيت
بطرس^٥ فظفر إلى حماته^٦ ملقاة تحمى؛ و قال^٧ مرقس: و جاء إلى بيت سمعان
و أندراوس مع يعقوب و يوحنا فرأى^٨ حمة سمعون في حمى شديدة فقالوا
له من أجلها، فقدم^٩ و أمسك يدها و أقامها؛ و قال^{١٠} متى: فس يدها
فتركها^{١١} الحمى و قامت تخدمهم؛ و قال لوقا: و نهضت للوقت تخدمهم^{١٢}،
١٠ فلما كان المساء - قال مرقس: عند غروب الشمس - قدموا إليه مجانين كثيرا،
قال مرقس: و وقف جميع أهل المدينة على الباب، و أبرأ كثيرا ممن به علة
ردية، و أخرج شياطين كثيرة^{١٣}؛ و قال متى: ^{١٤} و كان^{١٥} يخرج الأرواح
بكلمة، و أبرأ كل سقيم لكي يتم ما قيل في أشعياء^{١٦} النبي القائل: إنه أخذ
أمراضنا^{١٧} و حمل أوجاعنا. ^{١٨} و سحرا جدا قام و خرج إلى البرية ليصلي
(١) في ظ: يحزن (٢) في ظ: لها (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و في الأصل:
أق (٥) زيد بعده في الأصل: فزل، و لم تكن الزيادة في ظ و الإنجيل لخذناها.
(٦) في ظ: حماء (٧) في ظ: كان (٨) في ظ: فراو (٩) في ظ: لقد (١٠) في ظ:
فتركها (١١) في ظ: يخدمها (١٢) من الإنجيل، و في الأصل و ظ: كثيرا.
(١٣ - ١٢) في ظ: فكان (١٤) في ظ: اشعب (١٥) في ظ: مرضنا (١٦) و من
هنا يتبدى نص مرقس.

هناك وسمعون ومن معه يطلبونه ، فلما وجدوه قالوا له : إن الجمع يطلبك ، فقال لهم : سيروا بنا إلى القرى والمدن القريبة لنكرز ، فاني لهذا وافيت ، فأقبل يبشر في مجملهم في كل الجليل ويخرج الشياطين ؛ وقال لوقا : وفي نحد اليوم خرج وذهب إلى موضع قفر والجمع يطلبونه ، وجاءوا إليه 'وأمسكوه' لثلاثي ماضي من عندهم ، فقال لهم : إنه ينبغي^٢ أن أبشر^٣ ه في المدن الآخر بملكوت الله ، لاني لهذا أرسلت ، وكان يكرز في مجامع^٤ الجليل ، وكان لما اجتمع إليه جمع ليسمعوا كلام الله كان هو واقفا على بحيرة سجاناسر^٥ ، فرأى سفينتين موقفتين على شاطئ البحيرة والصيدون قد صعدوا عليها ليغسلوا شباكههم ، فصعد إلى إحدهما^٦ التي لسمعان ، وأمر أن يبعدها عن الشط قليلا ، وجلس يعلم في الجمع^٧ من السفينة ؛ ١٠ ولما أكمل كلامه قال لسمعان : تقدم إلى اللج^٨ وألقوا شباككم فقال : يا معلم اقد تعبنا الليل أجمع ولم نأخذ شيئا ، وبكلمتك نحن نلتى شباكتنا ، ولما^٩ فعلوا ذلك أخذوا سمكا كثيرا ، وكادت شباكههم تنخرق ، فأشاروا إلى شركائهم في السفينة الأخرى^{١٠} ليأتوا يعينوهم^{١١} ، فلما جاءوا ملأوا السفينتين حتى كادتا أن تغرقا ، فلما رأى سمعان ذلك خر عند قدمي ١٥ يسوع / وقال له : ابعد عني يا سيدي^{١٢} لاني رجل خاطيء ، لان الخوف اعتراه ٦٨ /

(١ - ١) في ظ : فامسكوه (٢) زيد في الإنجيل : لي (٣) في ظ : السر - كذا . (٤) من ظ والإنجيل ، وفي الأصل : المجامع (٥) من ظ ، وفي الأصل : جاناشر ، وفي الإنجيل : جنيسارت (٦) في الأصل و ظ : احدهما ، ومنى التصحيح نص الإنجيل (٧) في ظ : الجميع (٨) في ظ : البحر (٩ - ٩) في ظ : كما (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ ، وفي الأصل : يعينونهم .

و كل من معه لاجل صيد الحيتان التي اصطادوا، وكذلك يعقوب ويوحنا
 'ابنا زبدي' اللذان^١ كانا صديق سمعان، فقال يسوع لسمعان: لا تخف،
 من الآن تكون^٢ صيادا تصيد الناس، و قربوا السفن إلى الشط و تركوا
 كل شيء و تبعوه؛ وقال متى: فلما نظر يسوع إلى الجمع الذي حوله
 ه أمر أن يذهبوا إلى العبر، فجاء إليه كاتب^٣ وقال له: يا معلم ا أتبعك إلى
 حيث تمضي، فقال له يسوع: إن للثعالب أجحارا، و لطير^٤ السماء أوكارا،
 فأما ابن الإنسان فليس له موضع يسند رأسه؛ و^٥ قال لوقا: وقال لآخر:
 اتبعني، فقال: يا رب! ائذن لي أن أمضي أولا و أدفن أبي، فقال له
 يسوع: اتبعني و دع الموتى يدفنوا موتاهم، وقال الآخر^٦ أيضا: بل تأذن
 ١٠ لي أولا أن أرتب أهل بيتي، فقال: ما من أحد يضع يده على سكة^٧
 الفدان و ينظر إلى ورائه يستحق ملكوت الله؛ وقال متى: فلما صعد السفينة
 "تبعه تلاميذه - و قال لوقا: صعد السفينة" هو وتلاميذه و قال لهم: امضوا
 بنا إلى عبر^٨ البحيرة، فساروا و^٩ فيما هم سائرون نام - و إذا اضطراب عظيم
 كان في البحر حتى كادت الأمواج تغطي السفينة - لأن الريح كانت
 ١٥ مضادة^{١٠} لهم - و هو نائم، فتقدم إليه تلاميذه وقالوا: يا رب! - و قال
 (١ - ١) في ظ: انبي ريدي (٢) من ظ و الإنجيل، و في الأصل: اللذين (٣) في
 ظ: يكون (٤) في ظ: كانت (٥) في ظ: لي (٦) في ظ: طير (٧) سقط من
 ظ (٨) من ظ، و في الأصل: لآخر (٩) من الإنجيل، و في الأصل و ظ: فقال .
 (١٠) في ظ: شبكة (١١ - ١١) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٢) في ظ: غير .
 (١٣) في ظ: مصادرة .

مرقس: و كانت رياح عواصف عظيمة، وكانت الأمواج تضرب السفينة
وتدخلها المياه حتى كادت تمتلئ، وهو نائم في مؤخرها على وسادة -
فأيقظوه وقالوا له: يا معلم! نحنا فقد هلكنا! فقال لهم: ما أخافكم! يا قليلي
الإمانة؟ حيثن^١ قام وانتهر الرياح والبحر، فصار هدوءا عظيما؛ ثم قال متى:
فلما صعد السفينة وجاء إلى العبر ودخل مدينته قدم إليه مخلع ملقى على سرير ه
- وفي إنجيل مرقس ولوقا: إنهم أرادوا الدخول به إليه فلم يقدرُوا لكثرة
الجمع، فصعدوا إلى السطح ودلوه بسريره إليه - حيثن^٢ قال للمخلع: قم!
أحمل سريرك؛ و اذهب إلى بيتك! فقام ومضى إلى بيته، فنظر الجمع وتعجبوا
ومجدوا الله الذي أعطى هذا السلطان كذا^٣ للناس؛ وقال يوحنا في إنجيله:
وبعد هذا كان عيد اليهود فصعد يسوع إلى يروشلیم، و كان هناك يروشلیم ١٠
مكان يسمى بالعبرانية بيت الرحمة، و كان فيه خمسة أروقة، و كان خلق
كثير من المرضى مطروحين^٤ فيها وعمى ومقعدون وجافون^٥، فكانوا
يتوقعون تحريك الماء، لأن ملاكا^٦ كان ينزل^٧ إلى الصبغة في حين بعد حين،
و كان يحرك^٨ الماء، و الذي كان ينزل فيه أولا من بعد حركة الماء يبرأ
من كل الوجع الذي به، و كان هنا رجل مقیم منذ ثمان^٩ و ثلاثين ١٥

(١) في ظ: نعماكم - كذا (٢) زبدت الواو بعده في ظ (٣) في ظ: تخينن^٤ (٤) في
ظ: سريرتك (٥) في ظ: هكذا (٦) في ظ: مطروحين (٧) من ظ، وفي
الإنجيل: عسم، وفي الأصل: خافون - كذا (٨) من الإنجيل، وفي الأصل
وظ: ملا - كذا (٩) في ظ: بمنزلة (١٠) في ظ: حرك (١١) من ظ والإنجيل،
وفي الأصل: ثلاث.

سنة، فظفر إليه يسوع ملقى فقال له: 'أتحب' أن تبرأ؟ فقال: نعم يا سيدي! ولكن ليس لى إنسان إذا تحرك الماء يلقينى فى البركة أولاً^١، فالى أن أجيء أنا ينزل قدامى آخر، فقال له: قم، احمل سريرك وامض، فمن ساعته برأ^٢ ونهض حاملاً سريريه، وكان ذلك اليوم^٣ يوم سبت، فقال له اليهود: إنه يوم سبت، ولا يحل [لك - ٤] أن تحمل^٥ سريرك، فأجابهم:

الذى أبرأتى هو قال لى: احمل سريرك وامش، فسألوه: من هو؟ ظم يكن يعلم من هو، لأن يسوع كان قد استتر فى الجمع^٦ الكبير^٧ الذى كان فى^٨ ذلك الموضع، ثم قال: وقال لهم يسوع /: لقد عملت عملاً واحداً

/ ٦٩

ففجئتم بأجمعكم، أعطاكم موسى الحتان وليس هو من موسى ولكنه من الآباء، وقد تحتنون الإنسان يوم السبت لثلاث تنقضوا^٩ سنة موسى،

فليم تدمرون^{١٠} على لإبرأتى^{١١} الإنسان يوم السبت، لا تحكموا بالمحابة^{١٢} ولكن احكموا حكماً عادلاً، ثم قال: فيبينما هو مار رأى رجلاً ولد أعمى فقال تلاميذه: يا معلم! من أخطأ؟ هذا^{١٣} أم أبواه^{١٤} حتى أنه ولد أعمى،

فقال: لا هو ولا أبواه^{١٥}، ولكن لتظهر^{١٦} أعمال الله فيه، ينبغى أن أعمل أعمال من أرسلى ما دام النهار، سيأتى الليل الذى لا يستطيع أحد أن يعمل فيه عملاً^{١٧}، ما دمت فى العالم أنا نور العالم - قال هذا وتقل على التراب

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد بعده فى ظ: فانى (٣) سقط من ظ.

(٤) زيد من ظ (٥) زيد بعده فى ظ: من (٦) فى ظ: الكثير (٧) فى ظ:

واحد (٨) فى ظ: لثلاث ينقضوا (٩) فى ظ: يدمرون (١٠) فى ظ: الابرا - كذا.

(١١) من الإنجيل، وفى الأصل وظ: أبوه (١٢) فى ظ: يظهر.

وصنع من ثقله طينا و طلى به عيني ذلك الأعمى وقال له : امض
 واغتسل في عين سيلوخا^١ التي تأويلها^٢ المبعوثة^٣، فضى وغسلها فناد ينظر،
 فأما جيرانه والذين كانوا يرونه يتسول فقالوا : ليس هو هذا الذي كان
 يجلس و يتسول ، وآخرون قالوا : 'إنه هو ، وآخرون قالوا : 'إنه يشبهه ،
 فأما هو فكان يقول : [إني - °] أنا هو ، فقالوا له : كيف انفتحت عيناك ؟ ه
 فقص عليهم القصة^٢ ، فقالوا : أين هو ذاك ؟ فقال : ما أدري ، فأتوا به إلى
 الفريسيين ، لأن يسوع صنع الطين يوم السبت ، فسأله الفريسيون
 'فأخبرهم ، فقال قوم منهم : ليس هذا الرجل من الله إذ لا يحفظ السبت ،
 وآخرون^٤ قالوا : كيف يقدر رجل خاطئ أن يعمل هذه الآيات فوق
 بينهم لذلك شقاق ، فقالوا للأعمى : ما تقول أنت من أجله ؟ قال لهم : إنه^٦ ١٠
 نبى ، ولم يصدق اليهود أنه كان أعمى حتى دعوا أبويه وسألوها ، فقالا^٧ :
 نحن نعلم أن هذا ولدنا وأنه ولد أعمى ، و^٨ وقعت بين الأعمى وبينهم
 محاربة ، كان آخر ما^٩ قالوا له^٨ : أنت ولدت بالخطايا وأنت تعلمنا !
 وأخرجوه . وقال متى : واجتاز^٩ يسوع هناك فرأى إنسانا جالسا على
 التعشير اسمه متى فقال له^٩ : اتبعنى ، 'فترك كل شيء' 'واقام' و تبعه . ١٥
 [وقال لوقا : و بعد هذا خرج فنظر إلى عشار اسمه لاوى جالسا على المكس ،

(١) في ظ : سلوخا (٢) سقط من ظ (٣) من نص الإنجيل ، وفي الأصل وظ :
 التعوبة (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : انى .
 (٧) في ظ : فقالوا (٨-٨) في ظ : قالوه (٩) في ظ : اختار (١٠ - ١٠) سقط
 ما بين الرقمين من ظ والإنجيل (١١ - ١١) في ظ والإنجيل : ققام .

فقال له: اتبعنى، فترك كل شيء وقام وتبعه - ١ [، وصنع له لاوى فى بيته
 وليمة عظيمة، وكان جمع كثير من العشارين و ٢ آخرين متكئين معه .
 وقال مرقس: ثم خرج إلى شاطئ البحر واجتمع إليه جمع كبير، وعليهم،
 وعند مضيه رأى [لاوى - ١] ابن حلفى جالسا على العشارين فقال
 له: ٥ اتبعنى، فقام وتبعه، وبينما هو متكئ فى بيته - وقال متى: وبينما
 هو متكئ فى بيت سمعان - جاء عشارون ١ ١ وخطاة كثيرون ١١، فالتكأوا
 مع يسوع وتلاميذه، فلما نظر الفريسيون ١١ قالوا لتلاميذه: لما ذا
 معلمكم يأكل مع العشارين والخطاة؟ فلما سمع يسوع قال لهم: الأصحاء
 لا يحتاجون إلى طبيب، لكن ذوو الأسقام، اذهبوا فاعملوا ما هو، إنى
 ١٠ أريد رحمة لا ذبيحة، لم آت لأدعو الصديقين لكن الخطاة ١٢ للتوبة . وقال
 لوقا: وطلب إليه واحد من الفريسيين أن يأكل معه، فدخل بيت ذلك
 الفريسي وجلس، وكان فى تلك المدينة امرأة خاطئة، فلما علمت أنه
 متكئ فى بيت ذلك الفريسي أخذت قارورة طيب ووقفت ١٢ من ورائه
 عند رجله باكية، وبدأت ١١ تبل قدميه بدموعها وتمسحها بشعر رأسها،
 (١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) فى الأصل: آخرين متكئون، وفى ظ:
 آخرون ملبون - كذا (٤) فى ظ: كثير (ه) من الإنجيل، وفى الأصل: خلفا،
 وفى ظ: حلقا - كذا (٦ - ٦) فى ظ: فقالوا (٧) فى ظ: بينهما (٨) فى ظ: فيما .
 (٩ - ٩) فى إنجيل متى: البيت - فقط (١٠) من ظ و الإنجيل، وفى الأصل:
 مشاؤون - كذا (١١ - ١١) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٢) فى ظ: الخطا .
 (١٣) فى ظ: قعدت (١٤) فى ظ: بدت .

و كانت تقبل قدميه و تدنهما^١ بالطيب، فلما رأى ذلك الفريسي الذي دعاه فكر في نفسه قائلاً: لو كان هذا نبياً علم ما هذه و أنها خاطئة^٢، فأجاب يسوع و قال له: يا سمعان! غريمان عليهما لإنسان^٣ دين، على أحدهما خمسة^٤ دينار و على الآخر خمسون، و ليس^٥ لهما ما يرفيان فوهب لهما، / فأيهما أكثر حباً له؟ فقال: أظن الذي وهب له الأكثر، فقال له: بالحق حكمت؛ ه ثم التفت إلى المرأة و قال: [يا - ٦] سمعان! دخلت بيتك فلم تسكب على رجلي ماء و هذه بكت رجلى بالدموع و مسحتهما بشعر رأسها، أنت [لم - ٦] تقبلني و هذه منذ دخلت لم تكف^٧ عن تقبيل قدمي، أنت لم تدفن رأسي بزيت و هذه دهنت بالطيب قدمي، لأجل ذلك أقول لك: إن خطاياها مغفورة لها، لأنها أحبت^٨ كثيراً، ثم قال لها: اذهبي بسلام! ١٠ إيمانك^٩ خلصك؛ و كان بعد ذلك يسير إلى كل مدينة و يكرز و يبشر بملكوت الله و معه الاثنا عشر^{١٠} و نسوة كن أبرأهن من الأمراض و الأرواح الخبيثة: مريم التي تدعى المجدلانية التي أخرج منها سبعة شياطين، و يونا امرأة خوزي خازن هيرودس^{١١}، و آخر كثيرات. و قال متى: حيثما جاء إليه تلاميذه^{١٢} يوحنا قائلين: لما ذا نحن و الفريسيون نصوم كثيراً و تلاميذك ١٥

(١) في ظ: يدنهما (٢) في ظ: خطيئة (٣) في ظ: الإنسان (٤-٤) في ظ «و». (ه) في ظ: لم يكن (٦) زيد من ظ (٧) في ظ: فلم تسكب (٨) من ظ، و في الأصل: احب (٩) في ظ: ابائك (١٠) زيد بعده في ظ: من (١١) من الإنجيل، و في الأصل و ظ: الاثني عشر (١٢) زيد بعده في الإنجيل: و سوسنة (١٣) من الإنجيل، و في الأصل و ظ: تلاميذه.

لا يصومون؟ فقال لهم يسوع: ^١ لا يستطيع بنو العرس ^٢ أن ينوحوا ما دام العريس معهم، وستأتي أيام إذا ارتفع العريس عنهم حينئذ يصومون؛ ليس أحدا يأخذ خرقة جديدة يجعلها في ^٣ ثوب بال، لأنها تأخذ ^٤ ملاءها من الثوب فيصير؛ الخرق أكبر، وقال مرقس: إنه لا يرفع ^٥ إنسان ثوبا باليا بخرقة جديدة إلا مد الجديد البالي فيخرقه؛ وقال متى: ولا تجعل ^٦ خمر جديدة في زقاق عتيق ^٧ فتتشق الزقاق وتهلك وتهراق ^٨ الخمر، لكن تجعل خمر ^٩ جديدة في زقاق جدد فيتحفظان جميعا؛ و ^{١٠} قال لوقا: وما من أحد يشرب قديما فيحب الجديد للوقت لأنه يقول: إن القديم أطيب. وقال متى: وفيما هو يكلمهم إذا رئيس قد جاء إليه ساجدا قائلا: إن ابنتي ماتت ^{١١} الآن، تأتي فضع يدك عليها فتحي ^{١٢} فقام يسوع وتبعه تلاميذه، فاذا ^{١٣} امرأة بها نزيف دم منذ اثنتي عشرة ^{١٤} سنة؛ قال مرقس: أعيت من الأطباء، أنفقت كل مالها، لم تجد راحة بل تزداد وجعا، فلما سمعت بيسوع - قال متى: جاءت من خلفه ومست طرف ثوبه - فالتفت يسوع فرآها فقال لها: ^{١٥} ثقي يا ابنة! إيمانك خلصك، فبرئت المرأة ^{١٦} من تلك الساعة، وجاء يسوع إلى بيت الرئيس؛ [و - ^{١٧}] قال مرقس: ولم يدع أحدا يتبعه إلا ^{١٨} بطرس

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) من الإنجيل، وفي الأصل وظ: العريس.
(٣) سقط من ظ (٤) في ظ: فتصير (٥) في ظ: لا يرق (٦) في ظ: تراق (٧) من ظ: وفي الأصل: نخرة (٨) في ظ: سمحت - كذا (٩) زيدت الواو بعده في الأصل وظ: ولم تكن في الإنجيل فحذفناها (١٠) في ظ: وإذا (١١) من الإنجيل، وفي الأصل: اثني عشر، وفي ظ: اثني عشرة (١٢) في ظ: بقي (١٣) في ظ: في (١٤) زيدت الواو من ظ (١٥) تكرر في الأصل.

و يعقوب و يوحنا أخا يعقوب - انتهى . فنظر إلى الجمع مضطرين ، فقال لهم : اخرجوا ، لم تمت الجارية لكنها نائمة ، فضحكوا منه ، فلما خرج الجمع دخل وأمسك يدها^١ فقامت الجارية ؛ وقال مرقس : وأخرج جميعهم وأخذ معه أبا الصية وأمها والذين معه ، ثم دخل إلى الموضع الذى فيه الصية موضوعة ، وأخذ يدها وقال لها : طليثا^٢ ! قومي ، الذى ه تأويله : يا صية ! لك أقول : قومي ، فللوقت قامت الصية ومشيت ، وكان لها^٣ اثنتا عشرة^٤ سنة ، فبهتوا وعجبوا عجباً عظيماً ، فأمرهم كثيراً أن لا يُعلِّموا أحداً بهذا ، وقال : أطعموها تأكل ؛ وقال متى : وخرج خبرها^٥ في جميع تلك الأرض .

ولما كان التقدير : آتيناه ذلك لينتهى^٦ أهل التوراة عما نسخ منها ، ١٠ عطف عليه قوله : ﴿ و ليحكم ﴾ في قراءة^٧ حمزة بكسر اللام والنصب ، والتقدير على قول الجماعة بالإسكان/ والجمع والجزم : فليته أهل^٨ التوراة عما نسخ منها وليحكم ﴿ اهل الانجيل ﴾ وهم أتباع عيسى عليه السلام ﴿ بما أنزل الله ﴾ أى الواحد الاحد الذى له جميع صفات الكمال ﴿ فيه ﴾ من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و من غير ذلك بما أودعناه ١٥ إياه من الأحكام والمواظظ الجسام .

ولما كان التقدير : فن انتهى فأولئك هم المسلمون ، ومن حكم بما

(١) في ظ : يدها (٢) من الإنجيل ، وفي الأصل : طليبي ، وفي ظ : طليبي - كذا .

(٣ - ٢) في ظ : اثني عشر (٤) في ظ : خبرها (٥) في ظ : لتنتهى (٦ - ٦) سقط

ما بين الرقين من ظ .

أنزل الله فيه فأولئك هم المفلحون ، عطف عليه قوله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه ، فله كل شيء وليس لأحد معه شيء ، و كل شيء إليه مفتقر ، ولا افتقار له إلى شيء فيه أو فى غيره ؛ وهو غير منسوخ ، تدينا بتركه أو الشهوة دعت^١ ﴿ فأولئك ﴾ أى البعداء عن كل خير البغضاء ﴿ هم الفاسقون ه ﴾ [أى - ٢] المختصون بكمال الفسق ، فان كان تدينا كان كفرا ، وإن كان لاتباع الشهوات كان مجرد معصية ، لأن الحظوظ و الشهوات تحمل على الخروج عن دائرة الشرع مرة بعد أخرى ، فن ترك الحكم تكذيبا فقد جمع الدركات الثلاث : ستر^٣ الدلائل فتقل^٤ من درجة النور إلى دركة الظلام ، فانكسب ١٠ فى مهواة الخروج من المحاسن . فانحط إلى أقبح المساوى ؛ والتعبير بالوصف المؤذن بالعراقة فى مأخذ الاشتقاق معلم بأن المراد بكل واحد منها الكفر ، لحقق أن المراد منه الشرعى لا مطلق الستر غاية التحقيق ، فبين بوصفه بالظلم أنه ستر لما ينبغي إظهاره ، وبالفسق أنه بلغ فى كونه فى غير موضعه النهاية حتى خرق جميع دائرة المأذون فيه فخرج منها ، وهذا إشارة إلى ١٥ ذنوب أهل الإنجيل ليتج نقص دعواهم البتة والمحبة ، لأن المعنى : ومن الواضح بكتابتك الذى جعل مهيمنا على جميع الكتب أنهم خالفوا أحكامه^٥ فهم فاسقون ، أى خارجون عما من شأنه الاستقرار فيه لنقصه . فواقعون فى الظلمة الموجبة لوضع الشيء فى غير موضعه المقتضية للتغطية و الستر ، وقدم الوصف بالكفر لأن السياق لمن حرف الكلم عن^٦ موضعه ، وغير

(١-١) فى ظ : الشهوة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : ثم (٥) فى ظ : فسقط (٦) فى ظ : هذه (٧) فى ظ : لأحكامه (٨) من ظ ، وفى الأصل : من .

ما كتب من محكم أحكام التوراة من الحدود، وذلك هو التغطية التي هي معنى الكفر، لأنه من الظلام، كما أن الفسق سبب الظلم لأنه الخروج عما من شأنه النفع، فكان الآخر أولاً في المعنى والاول نهاية في الحقيقة، والآية دالة على أن فيه أحكاماً، وكذا قوله تعالى في آل عمران "ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم" وهذا هو الحق، وأعظم ما غير تحريم السبت الذي كان أعظم شعارهم فأحله، وغير أيضاً غير ذلك من أحكامهم؛ قال فيما رأيته من ترجمة إنجيل متى: سمعتم ما قيل للأولين: لا تقتل، فإن من قتل وجبت عليه لائمة الجماعة، ومن قال لأخيه: أحق، فقد وجبت عليه نار جهنم، إن أنت قدمت قربانك على المذبح وذكرت هناك أن أخاك واجد عليك فدع قربانك هناك قدام المذبح، وامض أولاً وصالح أخاك، وحينئذ فانت وقدم قربانك، كن متفهماً من خصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق، لئلا يسلبك الخصم إلى الحاكم، والحاكم إلى المستخرج و تلقى في السجن؛ وفي إنجيل لوقا: إذا رأيتم سخابة تطلع من المغرب قلتم: إن المطر يأتي؛ فيكون كذلك، وإذا هبت ريح الجنوب قلتم: سيكون حر، يا مراؤن^١ اتحسنون تمييز وجه السماء والأرض ١٥ وهذا الزمان كيف "لا تميزونه"، ولا تحكمون بالصدق من قبل نفوسكم!

(١) آية ٥ (٢-٢) من ظ، وفي الأصل: فاعظم (٣) من ظ، وفي الأصل: في (٤) في ظ: لا يقبل (٥) في ظ: قيل (٦) في ظ: ذكر (٧) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ و الإنجيل فحذفناها (٨) من ظ، وفي الأصل: متضمناً - كذا (٩) في ظ: ذهبت (١٠) من الإنجيل، وفي الأصل وظ: مروان. (١١-١١) من الإنجيل، وفي الأصل: تميزونه، وفي ظ: يميزونه.

لأنك إذا ذهبت مع خصمك إلى الرئيس فأعطه ما يجب^١ عليك في الطريق تتخلص منه، لئلا يذهب بك إلى الحاكم فيدفعك الحاكم إلى المستخرج ويلقيك المستخرج في السجن؛ وقال متى: الحق الحق أقول لك إنك لا تخرج من هناك حتى تؤدي آخر فلس عليك، سمعتم ما قيل للأولين: لا تزني^٢، وأنا أقول لكم: إن كل من نظر إلى امرأة [و-٢] اشتهاها فقد زنى بها في قلبه، إن شككتك عينك اليمنى فاقطعها وألقها، لأنه خير لك أن تهلك أحد أعضاءك ولا تلقى جسدك كله في جهنم،^٣ قيل: إن من طلق امرأته فيدفع لها^٤ كتاب الطلاق، وأنا أقول لكم: إن من طلق [امرأته - ٥] من غير كلمة زنا فقد جعلها زانية، ومن تزوج مطلقة فقد زنى، وأيضا سمعتم ما قيل للأولين: لا تخط في يمينك، وأوف للرب قسمك، وأنا أقول لكم: لا تحلفوا البتة لا بالسما فأنها^٦ كرسى الله، ولا^٧ بالأرض لأنها موطى^٨ قدميه، ولا يروشلیم فأنها مدينة^٩ الملك^{١٠} العظيم، ولا برأسك لأنك لا تقدر تصنع شعرة يضاء أو سوداء، ولتكن كلمتكم: نعم نعم ولا^{١١} لا، وما زاد على ذلك فهو من الشر، سمعتم ما قيل: العين بالعين والسن بالسن، وأنا أقول لكم: لا تقاوموا الشر، ولكن من لطمك على خدك اليمين فحول له الآخر،

(١) في ظ: تجب (٢) في ظ: لا يزن (٣) زيدت الواو من ظ (٤) في ظ: واحد من (٥) زيدت الواو في الإنجيل (٦) في ظ: له (٧) زيد من ظ والإنجيل (٨) من ظ، وفي الأصل: فسأني (٩) سقط من ظ (١٠) في ظ: توطى (١١) في ظ: تدمته - كذا (١٢) من ظ والإنجيل، وفي الأصل: للاعظم - كذا (١٣) زيدت الواو في ظ.

و من أراد خصومتك و أخذ ثوبك فدع له رداءك، و من سخر منك ميلا
فامض معه اثنين؛ قال لوقا: و كل من سألك فأعطه، و من أراد أن
يقترض منك فلا ترده، و لا تطلب من الذي يأخذ مالك، و كما تحبون
أن يصنع الناس بكم كذلك فاصنعوا أتم بهم؛ و قال متى: سمعتم ما قيل:
أحب قريبك و أبغض عدوك، و أنا أقول لكم: حبوا أعداءكم و باركوا
لاغبيكم، و أحسنوا إلى من أبغضكم - و قال لوقا: يبغضكم - و صلوا
[على - ٢] من يطردكم و يحزنكم، لكيما تكونوا بنى أيكم الذى فى السماوات،
لأنه المشرق شمس على الأخيار و الأشرار، و الممطر^٢ على الصديقين و الظالمين،
و إذا أحببتهم من يحبكم فأى أجر لكم؟ أليس العشارون^٤ يفعلون مثل ذلك؟
و إن سلمتم على إخوانكم فقط فأى فضل عملتم؟ أليس كذلك؟^٥ يفعل العشارون^{١٠}
و قال لوقا: إن كنتم إنما تحبون^٦ من يحبكم فأى أجر لكم؟ إن الخطاة يحبون
من يحبهم، و إن صنعتم الخير مع من يحسن إليكم فأى فضل لكم؟ إن
الخطاة هكذا يصنعون، و إن كنتم إنما تقرضون من تظنون أنكم تأخذون
العوض منه فأى فضل لكم؟ إن الخطاة أيضا يقرضون الخطاة^٧ لكي يأخذوا^٨
منهم العوض، لكن حبوا أعداءكم و أحسنوا إليهم، و كونوا رحما^{١٥}
مثل أبيكم فهو رؤوف؛ و قال متى: كونوا أتم كاملين مثل أبيكم السمائي
فهو كامل. ثم قال فى الفصل الثالث و الثلاثين^٩: و فى ذلك الزمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: المطر (٤) فى ظ: العشارون (٥) فى
ظ: ذلك (٦) فى ظ: بمعمون - كذا (٧-٧) فى ظ: لكن تأخذوا (٨) فى
ظ: الثانى، و أما فيما عندنا من الأناجيل فهنا الفصل الثانى عشر.

مر يسوع في سبت بالزروع و جاع تلاميذه ، فبدأوا^١ يفركون سنبلا
و يأكلون - و في لوقا: كان تلاميذه يقطعون السنبل و يفركون بأيديهم
و يأكلون - فلما أبصرهم الفريسيون قالوا له: ها هو ذا تلاميذك يعملون
ما لا يحل في السبت - و في لوقا: لما ذا تفعلون ما لا يحل أن يفعل في
السبت - فقال [لهم -^٢]: أما قرأتم ما صنع داود^٣ لما جاع هو و الذين
معه^٤ كيف دخل إلى بيت الله و أكل خبز التقدمة^٥ الذي لا يحل أكله
إلا للكهنة^٦ قال مرقس: و أعطى الذين كانوا معه ، ثم قال لهم: السبت
من أجل الإنسان كان^٧ و لم يخلق الإنسان من أجل السبت ؛ قال متى:
أول^٨ ما^٩ قرأتم في التاموس أن الكهنة في السبت في الهيكل ينجسون السبت
١٠ و ليس عليهم جناح^{١٠} و^{١١} أقول لكم: إن ههنا^{١٢} أعظم من الهيكل لو كنتم
تعلمون ما هو مكتوب ، إنى أريد الرحمة لا^{١٣} الذبيحة ، لِمَ تحكمون على من
لا ذنب له^{١٤} و قال لوقا: و دخل بيت^{١٥} أحد الرؤساء/ الفريسيين في يوم^{١٦} سبت
ليأكل خبزا و هم كانوا يرصدونه^{١٧} فاذا إنسان به استسقاء ، فقال يسوع
للكهنة و الفريسيين: هل يحل أن يقرأ^{١٨} في السبت ؟ فسكتوا فأخذه و أبرأه
١٥ ثم قال لهم: من منكم يقع ابنه في بئر يوم السبت و لا يصعده في الوقت ؟
فلم يقدروا أن يجيبوه عن هذا ؛ ثم قال متى: فجاء^{١٩} الفريسيون ليجربوه^{٢٠}

/ ٧٣

- (١) في ظ: فبدأ (٢) زيد من ظ و الإنجيل (٣) زيدت الواو بعده في ظ (٤) في
ظ: بالقدمة (٥) في ظ: كانه (٦) من ظ ، و في الأصل « و » (٧) في ظ: قاما .
(٨) سقط من ظ (٩) في ظ: هنا (١٠) في ظ: الا (١١) في ظ: يرضونه .
(١٢) في ظ: يبروا (١٣-١٢) في ظ: الفريسيين ليخزنوه - كذا .

قائلين: هل يحل^١ للإنسان أن يطلق امرأته لأجل [كل - '] كلمة؟ أجاب:
 "أما قرأتكم^٢ أن الذي خلق في البدء خلقهما ذكرا وأنثى، من أجل ذلك
 يترك الإنسان أباه وأمه ويلصق بامرأته، ويكونان كلاهما جسدا
 واحدا، وليس هما اثنين لكن جسد واحد، وما زوجه الله لا يفرقه
 الإنسان - وقال مرقس: لا يقدر إنسان يفرقه - قالوا له: لما إذا أمر موسى
 أن يعطي^٣ كتاب الطلاق وتخلي^٤؟ قال لهم: موسى من أجل قسوة
 قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم - وفي مرقس^٥: إنهم^٦ سألوه فقال^٧
 لهم: بماذا^٨ أوصاكم موسى؟ قالوا^٩: أمر أن يكتب كتاب الطلاق وتخلي^{١٠}،
 قال لهم يسوع: من أجل قسوة قلوبكم كتب لكم^{١١} موسى هذه الوصية،
 من البدء لم يكن هكذا، وأقول لكم: من طلق امرأته من غير^{١٢} زنا ١٠
 فقد ألجأها إلى الزنا، ومن تزوج مطلقة فقد زنى؛ وفي إنجيل مرقس:
 وفي البيت أيضا سأله التلاميذ عن هذا فقال لهم: من طلق امرأته
 وتزوج أخرى فقد زنى عليها، وإن هي خلت زوجها وتزوجت آخر فهي
 زانية؛ وفي لوقا: كل من يطلق امرأته ويتزوج أخرى فهو يزني، وكل
 من تزوج مطلقة من زوجها فهو يزني؛ قال متى: فقال له التلاميذ: إن ١٥
 كان هكذا علة الرجل مع امرأته بخير^{١٣} له أن لا يتزوج، فقال لهم:
 ما كل أحد يستطيع هذا الكلام إلا الذين قد أعطوا، الآن خصيان ولدوا

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٢) تأخر في ظ عن «ان الذي» (٤) من
 ظ والإنجيل، وفي الأصل: تعطى (٥) في ظ: يحل (٦) زيد بعده في الأصل:
 لا، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٧) في ظ: قال (٨) من ظ، وفي الأصل:
 بما (٩) في ظ: محلى - كذا (١٠) في ظ: أجل (١١) في ظ: فهو خير .

من بطون أمهاتهم، وخصيان أخصام^١ الناس، وخصيان أخصوا نفوسهم
 من أجل ملكوت السماوات، ومن استطاع أن يحتمل فليحتمل .
 ولما^٢ ذكر سبحانه الكتابين، ذكر ختامهما^٣ وتامهما، وهو ما أنزل
 إلى هذا النبي الأمي من الفرقان الشاهد على جميع الكتب التي قبله،
 ٥ فقال تعالى: ﴿ وانزلنا ﴾ أي بعظمتنا ﴿ اليك ﴾ أي خاصة ﴿ الكتب ﴾
 أي الكامل في جمعه؛ لكل ما يطلب منه وهو القرآن ﴿ بالحق ﴾ أي
 الكامل الذي لا يحتاج إلى شيء يتمه، ثم مدحه بمدح الأنبياء الذين تقدموه^٤
 فقال: ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ أي تقدمه^٥ .

ولما كانت الكتب السماوية من شدة تصادقها كالشيء الواحد،
 ١٠ عبر بالمفرد لإفادته ما يفيد الجمع وزيادة دلالة على ذلك فقال:
 ﴿ من الكتب ﴾ أي الذي جاء به الأنبياء من قبل ﴿ ومهيئا ﴾ أي شاهدا
 حفيظا مصدقا وأميناً رقيباً ﴿ عليه ﴾ أي على كل كتاب تقدمه - كما قاله
 البخاري في أول الفضائل من الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي
 هذه الصفة^٦ بشارة لحفظه سبحانه لكتابنا حتى لا يزال بصفة الشهادة، فإن الله
 ١٥ تعالى استحفظهم^٧ كتبهم فعبجزوا عنها، فخرها محرفوم^٨ وأسقطوا منها^٩
 وأسقط مسرفوم، فتكفل هو سبحانه بحفظ كتابنا فكان قima عليها، فما كان
 فيها موافقا [له - ١٠] فهو حق، وما كان فيها مخالفا فهو إما^{١١} منسوخ

(١) في ظ : احصاهم (٢) في ظ : لمن (٣) في ظ : ختامهم (٤) في ظ : جميعه .
 (٥) في ظ : تقدموا (٦) في ظ : يقدمه (٧) سقط من ظ (٨) في ظ : سيحفظهم .
 (٩-١٠) سقط ما بين الرقين من ظ (١٠) زيد من ظ .

أو مبدل فلا يعتبر، بل يحكم بما في كتابنا لأنه ناسخ لجميع الكتب،
والآتي به مرسل إلى جميع العالمين، / فقلته ناسخة لجميع الملل، فأتج هذا / ٧٤
وجوب الحكم بما فيه على^١ المؤلف والمخالف بشرطه^٢؛ فلذا قال مسييا
عما قبله: ﴿ فاحكم بينهم ﴾ أي بين جميع أهل الكتب، فغيرهم من باب
الأولى ﴿ بما أنزل الله ﴾ أي^٣ الملك الذي له الأمر كله^٤ إليك في هذا
الكتاب^٥، النسخ لكتبهم المهيمن عليها في إثبات ما أسقطوه منها من
أمرهم باتباعك ونحو ذلك من أوصافك ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ فيما
خالفه منحرفين ﴿ عما جاءك ﴾ وبينه بقوله: ﴿ من الحق ﴾.

ولما كان كل من كتبهم^٦ من عند الله، كان كأنه قيل: كيف
يكون الحكم بكتبهم الذي يصدقه كتابنا انحرافا عن الحق؟ عل ذلك ١٠
دالا على النسخ بقوله: ﴿ لكل ﴾ أي لكل واحد ﴿ جعلنا ﴾ أي بعظمتنا
التي نفعل بها^٧ ما نشاء من نسخ وغيره، ثم خصص الإيهام بقوله:
﴿ منكم ﴾ أي^٨ يا أهل الكتب ﴿ شرعة ﴾ أي ديننا [موصلا -^٩ إلى
الحياة الأبدية، كما أن الشرعة موصلة إلى الماء الذي به الحياة الدنيوية
﴿ ومنهاجا^{١٠} ﴾ أي طريقا واضحا مستتيرا ناسخا لما قبله، وقد جعلنا شرعتك ١٥
ناسخة لجميع الشرائع، وهذا وأمثاله - مما يدل على أن كل مشرع^{١١}
مختص بشرع وغير متعبد بشرع من قبله - محمول على الفروع، وما دل

(١) في ظ: عن (٢) من ظ، وفي الأصل: فشرطه (٣-٢) سقط ما بين الرقين
من ظ (٤) سقط من ظ (هـ) في ظ: كتابهم - كذا (٦) زيد من ظ (٧) في
ظ: مشرع.

على^١ الاجتماع كأنه شرع لكم من الدين محمول على الأصول
 ﴿ولو شاء الله﴾ أى الملك الأعظم المالك^٢ المطلق الذى له التصرف التام
 و الأمر الشامل العام أن يجمعكم على شىء واحد ﴿لجعلكم أمة﴾ أى
 جماعة متفقة يؤم بعضها بعضا ، و حقق المراد بقوله : ﴿واحدة﴾ أى على
 دين واحد ، و لم يجعل شيئا من الكتب ناسخا لشيء^٣ من الشرائع ، لأن
 الكل بمشيئته ، و لا مشيئة لأحد سواه إلا بمشيئته ﴿ولكن﴾ لم يشأ ذلك ،
 بل شاء أن تكونوا على شرائع مختلفة ﴿ليلوكم﴾ أى ليعاملكم معاملة
 المبلى المختبر ﴿فيما أنتم﴾ أى أعطاكم و قسم بينكم من الشرائع المختلفة
 ليرز^٤ إلى الوجود ما تعملون^٥ فى ذلك من اتباع و إذعان اعتقادا أن ذلك
 ١٠ مقتضى الحكمة الإلهية ؛ فترجعون عنه إذا قامت البراهين بالمعجزات على
 صدق ناسخه ، و نهضت الأدلة البينات على صحة دعواه بعد طول الإلف
 له و إخلاد النفوس إليه و استحكامه بمرور الأعصار و تقلب الأدوار ؛
 أو زبغ و ميل اتهام و تجويزا كما فعل أول المتكبرين إبليس ، فتثرون
 الركون إليه و العكوف عليه لم تابعة الهوى و الوقوف عند مجرد الشهوة .
 ١٥ و لما كان فى الاختبار أعظم تهديد ، سبب عنه قوله :
 ﴿فاتقوا الخیرت^٦﴾ أى افعلوا فى المبادرة إليها بغاية الجهد فعل من يساق
 شخصا يخشى العار بسبقه له ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿الى الله﴾ أى الشارع
 لذلك ، لا إلى غيره ، لأنه الملك الأعلى ﴿مرجعكم جميعا﴾ و إن اختلفت
 (١) فى ظ : من (٢) فى ظ : الملك (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل :
 سبه - كذا (٥) فى ظ : ليبر - كذا (٦) فى ظ : يعلمون .

شرائعكم، حسا في القيامة، ومعنى في جميع أموركم في الدارين ﴿ فينبئكم ﴾
 أى يخبركم إخباراً عظيماً ﴿ بما كنتم ﴾ أى بحسب اختلاف^١ الجبلات؛
 ولما كان في تقديم الظرف إبهام، [و - ٣] كان الإفهام بعد
 الإبهام أوقع في النفس، قال ﴿ فيه تختلفون لا ﴾ أى تجددون الخلاف
 مستمرين عليه، ويعطى كلاماً يستحقه، ويظهر سر الاختلاف وفائدة هـ
 الوفاق، والاتلاف.

ولما كان الأمر بالحكم فيما مضى لكونه مسيئاً عما قبله من إنزال
 الكتاب على الأحوال المذكورة، أعاد الأمر به^٢ سبحانه مصرحاً بذلك
 لذاته لا لشيء آخر، ليكون الأمر به^٣ مؤكداً غاية / التأكيد بالأمر به
 مرتين: مرة لأن الله أمر به، وأخرى لأنه على وفق الحكمة، فقال ١٠
 تأكيداً له وتوحيها بعظيم شأنه وتحذراً من الأعداء فيما يلقونه* من الشبه
 للصد عنه: ﴿ وان ﴾ أى احكم بينهم بذلك لما قلنا من السبب^٤ وما ذكرنا
 من* العلة في جعلنا لكل ديناً، ولأننا قلنا آمرين لك أن ﴿ احكم بينهم ﴾
 أى أهل الكتب وغيرهم ﴿ بما أنزل الله ﴾ أى المختص بصفات الكمال،
 لأنه يستحق أن يتبع أمره لذاته، وبين أن مخالفتهم له وإعراضهم عنه ١٥
 إنما هو مجرد هوى، لأن كتابهم داع إليه، فقال: ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾
 أى في عدم التقيد^٥ به ﴿ واحذرهم ان يفتوك ﴾ أى يخاطوك بكذبهم

(١) من ظ، وفي الأصل: خبراً (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو لتستقيم
 العبارة (٤) زيد بعده في الأصل: والاختلاف، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.
 (هـ) من ظ، وفي الأصل: يتبعونه (٦) في ظ: السبت (٧) في ظ: في (٨) في
 ظ: التقيد.

على الله و اقترائهم و تحريفهم الكلم و مرءاتهم مخالطة تملك ﴿ عن بعض
 ما انزل الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه ، فلا وجه أصلا للعدول عن أمره
 ﴿ اليك فان تولوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم الإعراض عما حكمت
 به بينهم مضادين لما دعت إليه الفطرة الأولى من اتباع الحق و دعت
 ٥ إليه كتبهم من اتباعك ﴿ فاعلم انما يريد الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة
 ﴿ ان يصيهم ﴾ لأنه لو أراد بهم الخير لهداهم إلى القبول الذى يطابق
 عليه شاهد العقل بما تدعو إليه الفطرة الأولى و النقل بما فى كتبهم ، إما
 من الامر بذلك الحكم بعينه ، وإما من الامر باتباعك ﴿ ببعض ذنوبهم ﴾
 أى التى هذا منها ، وأهمه زيادة فى استدراجهم و إضلالهم و تحذيرا لهم
 ١٠ من جميع مساوى أعمالهم ، لئلا يعلوا عين الذنب الذى أصيبوا به ، فيحملهم
 ذلك على الرجوع عنه ، و يصير ذلك كالإلجاء ، أو يكون إيهامه بالتعظيم
 كما أن التذكير يفيد التعظيم ، فيؤذن السياق بتعظيم هذا التولى و بكثرة
 ذنوبهم و اجترائهم على مواقعتها .

و لما كان التقدير: فانهم بالتولى فاسقون ، عطف عليه: ﴿ و ان كثيرا
 ١٥ من الناس ﴾ أى هم و غيرهم ﴿ لفسقون ٥ ﴾ أى خارجون عن
 دائرة الطاعات و معادن السعادات ، متكلفون لأنفسهم إظهار ما فى بواطنهم
 من خفي الحيلة بقوة ؛ و لما كان من المعلوم أن من أعرض عن حكم الله
 أقبل و لا بد على حكم الشيطان الذى هو عين الهوى الذى هو دين أهل
 الجهل الذين لا كتاب لهم هاد و لا شرع ضابط ، سبب عن إعراضهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : التوالى (٢) فى ظ : خارجين .

الإنكار عليهم بقوله: ﴿الحكم الجاهلية﴾ أى خاصة مع أن أحكامها لا يرضى بها عاقل، لكونها لم يدع إليها كتاب، بل إنما هي مجرد أهواء وهم أهل كتاب ﴿يغنون^١﴾ أى يريدون باعراضهم عن حكمك مع ما دعا إليه كتابهم من اتباعك^٢، وشهد به^٣ كتابك بالعجز عن معارضته من وجوب رسالتك إلى جميع الخلائق، وقراءة^٤ ابن عامر بالالتفات إلى ه الخطاب أدل^٥ على الغضب^٦.

ولما كان حسن الحكم تابعا لإتقانه، وكان إتقانه دائرا على صفات الكمال من تمام العلم وشمول القدرة وغير ذلك، قال - معلما أن حكمه أحسن الحكم عاطفا على ما تقديره^٧: فمن أضل منهم -: ﴿ومن﴾ ويجوز أن تكون الجملة حالا من واو^٨ يغنون، أى^٩ يريدون ذلك والحال أنه يقال^{١٠}: من^{١١} ﴿احسن من الله﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿حكما﴾ ثم زاد في تفريعهم بكثافة الطباع وجهود الأذهان ووقوف الأفهام بقوله معبرا بلام البيان إشارة إلى^{١٢} المعنى بهذا الخطاب: ﴿لقوم﴾ أى فيهم نهضة وقوة محاولة لما يريدونه ﴿بوقنون^{١٣}﴾ / أى يوجد منهم اليقين يوما ما^{١٤} ٧٦ / وأما غيرهم فليس بأهل للخطاب فكيف بالعتاب^{١٥} إنما عتابه شديد العقاب، وفي ذلك أيضا غاية التبكيت لهم والتقييح عليهم من حيث أنهم لم يزالوا يصفون أهل الجاهلية بالضلال، وأن دينهم لم ينزل الله به

(١) من ظ، وفي الأصل: ادعايك (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: قرا (٤) من ظ، وفي الأصل: دل (٥) في ظ: العطب (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) في ظ: او (٨) في ظ: قناد - كذا (٩) زيد بعده في ظ: ان .

من سلطان، وقد عدلوا في [هذه - ١] الأحكام إليه تاركين جميع ما أنزل^٢ الله من كتابهم والكتاب الناسخ له، فقد ارتكبوا الضلال بلا شبهة على علم، وتركوا الحق المجمع عليه.

ولما بين عنادهم وأن عداوتهم لأهل هذا الدين التي حملتهم على هذا الأمر العظيم ليس بعدها عداوة، نهى من اتسم بالإيمان عن موالاتهم، لأنه لا يفعلها بعد هذا البيان مؤمن ولا عاقل، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أقروا بالإيمان؛ ولما كان الإنسان لا يوالى غير قومه إلا باجتهاد في مقدمات^٥ يعملها وأشياء يتجنب بها إلى أولئك الذين يريد^٦ أن يوالىهم، أشار إلى ذلك بصيغة الافعال فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ أي إن ذلك لو كان يتأتى بسهولة لما كان ينبغي لكم أن تفعلوه، فكيف وهو

لا يكون إلا يذل الجهد! ﴿الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ أي أقرباء تفعلون معهم ما يفعل القريب مع قريبه، وترجون منهم مثل ذلك، وهم أكثر الناس استخفافاً بكم وازدراء لكم؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُ﴾ أي كل فريق منهم يوالى بعضهم بعضاً، وهم جميعاً متفقون - بجامع^٧ الكفر وإن اختلفوا في الدين - على عداوتكم يا أهل^٨ هذا الدين الخنفي! ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ أي يعالج فطرته الأولى^٩ حتى يعاملهم معاملة الأقرباء ﴿فَإِنَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ لأن الله غفى عن العالمين، فن والى أعداءه تبرأ منه وركله إليهم؛ ثم علل ذلك (١) زيد من ظ (٢) زيد بعده في الأصل: من، ولم تكن الزيادة في ظ لخذفناها. (٣) في ظ: الذي (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: مقدماته (٦) في ظ: يريدون. (٧) في ظ: بجامع (٨) في ظ: هل.

'تزهيدا فيهم و ترهيبا' لتوليهم بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق والحكمة البالغة ، وكان الأصل : لا يهديهم ، أو لا يهديه ، ولكنه أظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿ لا يهدى القوم الظالمين ٥ ﴾ أى الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ، فهم يمشون في الظلام ، فذلك اختاروا غير دين الله و والوا من لا تصلح موالاته ، و من لم يرد الله ٥ هدايته لم يقدر أحد أن يهديه ، و نقي الهداية عنهم دليل على أن العبرة في الإيمان القلب ، إذ معناه أن هذا الذى يظهر من الإقرار^٢ بمن يواليهم ليس بشئ^٣ ، لأن^٢ الموالى لهم^٢ ظالم بموالاته لهم ، و الظالم لا يهديه الله ، فالموالى لهم لا يهديه الله فهو كافر ، وهكذا كل^٢ من كان يقول أو يفعل ما يدل^٥ دلالة ظاهرة على كفره و إن كان يصرح^٦ بالإيمان - والله ١٠ الهادى ، و هذا تغليظ من الله و تشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين و اعتزاله - كما قال صلى الله عليه و سلم ٥ 'لا تראى ناراهما' ، و منه^٢ قول عمر لأبى موسى رضى الله عنهما حين اتخذ كاتباً نصرانياً : لا تكرموهم إذ أهانهم الله ، و لا تأمنوهم إذ خونهم الله ، و لا تدنؤم إذ أقصام الله^٢ ، و روى أن أبا موسى رضى الله عنه^٨ قال : لا قوام للبصرة إلا به ، ١٥

(١-١) فى ظ : ترهيبا فيهم و ترغيبا (٢) من ظ ، و فى الأصل : قرار (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) فى ظ : دل ، و زيد بعده فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٦) من ظ ، و فى الأصل : يقرح . (٧-٧) فى ظ : لا ترى نارهما - كذا ، و الرواية المذكورة فى سنن أبى داود - الجهاد ، و سنن النسائي - القسامة (٨) فى ظ : عنهم .

فقال عمر رضى الله عنه : مات النصراني - والسلام ، يعنى هب أنه مات
فما كنت صانعا حينئذ فاصنعه الساعة .

ولما علل بذلك ، كان سببا لتمييز الخالص الصحيح من المغشوش
المريض ، فقال : ﴿ فترى ﴾ أى ' قسب عن أن الله لا يهدى متوليهم أنك
ترى ﴾ (الذين فى قلوبهم مرض) أى فساد / فى الدين كابن أبى وأصحابه -
٧٧ / ٥ أخزاهم الله تعالى ﴿ يسارعون ﴾ أى ' بسبب الاعتماد عليهم دون الله^٢
﴿ فيهم ﴾ أى فى موالاة أهل الكتاب حتى^٢ يكونوا من شدة
ملا بستهم كأنهم مطروفون لهم^٢ كأن هذا الكلام الناهى لهم كان إغراء ،
و يعتلون^٢ بما لا يعتل به إلا مريض الدين من النظر إلى مجرد السبب فى
١٠ النصرة عند خشية الدائرة ﴿ يقولون ﴾ أى قائلين اعتمادا عليهم وهم
أعداء الله باعتذارا عن موالاتهم ﴿ نخشى ﴾ أى نخاف خوفا بالغيا
﴿ ان تصيينا دآثرة ﴾ أى مصيبة محيطة بنا ، والداوثر : التى تخشى ،
والدوائر : التى ترجى .

ولما نصب سبحانه هذا الدليل الذى يعرف الخالص من المغشوش ،
١٥ كان فعلهم هذا للخالص^٢ سببا فى ترجى أمر من عند الله ينصر به دينه ،
إما الفتح أو غيره مما أحاط به عليه و كوّته^٢ قدرته يكون سببا^٤ لندمهم ،
فلذا^٤ قال : ﴿ ففسى الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه فلا يطلب النصر
إلامنه ﴿ ان يأتى بالفتح ﴾ أى باظهار^٢ الدين على الأعداء ﴿ او امر من عنده ﴾
(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) فى ظ : يعلنون (٤) فى
ظ : تحيط (٥) فى ظ : يخشى (٦) فى ظ : الخالص (٧) فى ظ : لويته (٨-٨) فى
الأصل : الذمهم فلذا ، وفى ظ : لسيدهم فكذا - كذا (٩) فى ظ : اظهار .
بأخذه (٤٧) ١٨٨

بأخذهم قتلاً بأيديكم أو بإخراج اليهود من أرض العرب أو بغير ذلك فيكشف لهم الغطاء .

ولما كانت المصيبة عند الإصباح أعظم، عبر به وإن كان المراد التعميم [فقال: -١] ﴿ فيصبحوا ﴾ أى فيسبب^٢ عن كشف غطائهم أن يصبحوا، والاحسن في نضبه ما ذكره^٣ أبو طالب العبدى في شرح الإصحاح للفارسى من أنه جواب 'عبي' إلحاقاً لها بالتمنى لكونها للطمع وهو قريب منه، ويحسنه أن الفتح^٤ وندامتهم المترتبة عليه عندهم من قيل الحال، فيكون النصب إشارة إلى ما يخفون من ذلك، وهو مثل ما يأتى إن شاء الله تعالى في توجيه قراءة حفص عن عاصم في غافر "فاطلع"^٥ - بالنصب ﴿ على ما أسروا ﴾ .

ولما كان الإسرار لا يكون إلا لما يخشى من إظهاره فساد، وكان يطلق على ما دار بين جماعة [خاصة -١] على وجه الكتمان عن غيرهم، بين أنه أدق^٦ من ذلك وأنه على الحقيقة منعتهم خوفهم من غائلته^٧ وغرته عندهم أن يبرزوه إلى الخارج فقال: ﴿ في أقسم ﴾ أى من تجوز محو هذا الدين وإظهار غيره عليه ﴿ ندمين ط ﴾ أى ثابت لهم ١٥ غاية الندم في الصباح وغيره ﴿ ويقول الذين آمنوا ﴾ من رفعه عطفه على^٨ معنى "ندمين"^٩ فإن أصله: يندمون، ولكنه عبر بالاسم إعلالاً بما بدوام ندمهم

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : تسبب (٣) في ظ : ذكر (٤) في ظ : بالفتح .
(٥) آية ٣٧ (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : غائلته - كذا (٨-٨) من ظ ، وفي الأصل : عطف عليه (٩) في ظ : النادمين .

بشارة بدوام الظهور لهذا الدين' على كل دين ، أو على " يقولون
 نخشى"، ومن أسقط الواو جعله حالا ، ومن نصبه جاز أن يعطفه على
 " يصبحوا" أى يكون ذلك سببا لتحقق المؤمنين أمر المنافقين بالمسارعة
 فى أهل الكتاب عند قيامهم سرورا بهم والندم عند خذلانهم ومحقتهم ،
 ٥ فيقول بعض المؤمنين لبعض تعجبا من حالهم واغبطا بما من الله
 عليهم به من التوفيق فى الإخلاص مشيرين إلى المنافقين تنديها وإنكارا :
 ﴿ أَهْلَآءَ ﴾ أى الحقيرون ﴿ الذين اقسوا بالله ﴾ أى وهو الملك الأعظم
 ﴿ جهد إيمانهم ﴾ أى مبالغين فى ذلك اجترأ على عظمته ﴿ انهم لمعكم ﴾
 أيها المؤمنون ! ويجوز أن يكون هذا القول من المؤمنين لليهود فى
 ١٠ حق المنافقين حيث قاسموهم^٢ على النصرة ؛ ثم ابتدأ جوابا من بقية
 كلام المؤمنين أو من كلام الله لمن كأنه قال : / فماذا يكون حالهم ؟
 / ٧٨ فقال : ﴿ حطت ﴾ أى^٣ فسدت فسقطت ﴿ اعمالهم فاصبحوا ﴾ أى
 فتسبب عن ذلك أنهم صاروا ﴿ خسرين ٥ ﴾ أى دائمى الخسارة بتبعهم
 فى الدنيا بالأعمال وخيبة الآمال ، وجنائتهم فى الآخرة الوبال ، وعبر
 ١٥ بالإصباح لأنه لا أقبح من مصابحة السوء لما فى ذلك من البغته بخلاف
 ما ينتظر ويؤمل .

ولما نهى^٤ عن موالاتهم وأخبر أن فاعلها منهم ، نفي المجاز
 مصرحا بالمقصود فقال مظهرها لنتيجة ما سبق : ﴿ بآيها الذين امنوا ﴾

(١) من ظ ، وفى الأصل : الداعى (٢ - ٢) فى ظ : بحيث سموهم - كذا .
 (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : البعث (٥) فى ظ : انهى .

أى أقرؤا بالإيمان^١ من يوالهم^٢ منكم - هكذا كان الأصل ، ولكنه صرح^٣ بأن ذلك^٤ ترك الدين فقال : (من يرتد) ولو على وجه خفى - بما أشار إليه الإدغام فى قراءة من سوى المدنيين وابن عامر (منكم عن دينه) أى^٥ الذى معناه موالاته أولياء الله ومعاداة أعداء الله ، فيوالون أعداءه ويتركون أوليائه ، فيغضهم الله ويغضونه ، ويكونون أعزة على^٥ المؤمنين أذلة على الكافرين ، فالتغنى عنهم (فسوف يأتى الله) أى الذى له الغنى المطلق والعظمة البالغة مكانهم وإن طال المدى بوعده صادق لا خلف فيه (بقوم^٥) أى^٦ يكون حالهم ضد حالهم ، يثبتون على دينهم^٦ ، وهم أبو بكر والتابعون له بإحسان - رضى الله عنهم .

^٧ ولما كانت محبته أصل كل سعادة قدمها فقال : (يحبهم) فيثبتهم^{١٠} عليه ويثيبهم بكرمه أحسن الثواب (ويحبونه^٨) فيثبتون عليه ، ثم وصفهم بما بين ذلك فقال : (أذلة) وهو جمع ذليل^٩ ، ولما كان ذلهم هذا إنما هو الرفق ولين الجانب لا الهوان ، كان فى الحقيقة عزاً ، فأشار^٩ إليه بحرف الاستعلاء مضمناً له معنى الشفقة ، فقال^{١٠} مينا أن تواضعهم عن علو منصب وشرف^{١١} : (على^٩ المؤمنين) أى لعلهم أن الله يحبهم^{١٥} (اعزة على الكافرين^{١٢}) أى يظهرون^{١٣} الغلظة والشدة عليهم لعلهم أن الله خاذلهم ومهلكهم وإن اشتد أمرهم وظهر علوهم وقهرهم ، فالآية

(١) من ظ ، وفى الأصل : يوالهم (٢ - ٢) فى ظ : بذلك (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : معادة (٥) زيد بعده فى ظ : يحبهم ويحبونه (٦) من ظ ، وفى الأصل : دينه (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : أشار (٩) زيد قبله فى ظ : أذلة (١٠) من ظ ، وفى الأصل : يظهر كل - كذا .

من الاحباك : حذف أولا البغض وما يشره لدلالة الحب عليه ، وحذف
ثانيا الثبات لدلالة الردة عليه ؛ ثم علل ذلك بقوله : (يجاهدون) أى
يوقعون الجهاد على الاستمرار لمن يستحقه من غير ملال ولا تكلف
كالمناقضين ، وحذف المفعول تكميلا ودل عليه مؤذنا بأن الطاعة محيطة
بهم فقال : (فى سبيل الله) أى طريق الملك الاعظم الواسع المستقيم
الواضح ، لا لشيء غير ذلك كالمناقضين .

ولما كان المناقضون يخرجون فى الجهاد ، فصلهم منهم بقوله :
(ولا) أى والحال أنهم لا (يخافون لومة) أى واحدة من لوم
(لآئم) وإن كانت عظيمة وكان هو عظيما ، فبسبب ذلك هم صلاب
١٠ فى دينهم ، إذا شرعوا فى أمر من أمور الدين^٢ - أمر بمعروف أو نهى عن
منكر - كانوا كالسماير المحماة ، لا يروّعهم قول قاتل ولا اعتراض معترض ،
ويفعلون فى الجهاد فى ذلك جميع^٣ ما تصل^٤ قدرتهم وتبلغ قوتهم إليه
من إنكال^٥ الأعداء وإهانتهم ومناصرة الأولياء ومعاضدتهم ، وإيسوا
كالمناقضين يخافون لومة^٦ أوليائهم من اليهود فلا يفعلون وإن كانوا مع^٧
١٥ المؤمنين شيئا ينكبههم .

ولما كانت هذه الأوصاف من العلو فى رتب المدح بمكان لا يلحق ،
قال مشيرا إليها / بأداة البعد واسم المذكر : (ذلك) أى الذى تقدم من

(١) زيد بعده فى ظ : به (٢) فى ظ : نسب (٣) فى ظ : النهى (٤) فى ظ : كالسماير .
(٥-هـ) من ظ ، وفى الأصل : جميع ذلك (٦) فى ظ : يصل (٧) فى ظ : انكالا .
(٨) فى ظ : لوم (٩) فى ظ : من .

أوصافهم العالية (فضل الله) أى الخارى لكل كمال (يؤتبه) أى
الله لأنه خالق لجميع أفعال العباد (من يشاء^١) أى فليذل الإنسان
كل الجهد فى طاعته لينظر إليه [هذا النظر -^٢] برحمته (والله) أى
الذى له الإحاطة الكاملة (واسع) أى محيط بجميع أوصاف الكمال ،
فهو يعطى من سعة ليس لها حد ولا يلحقها أصلا نقص^٣ (عليم^٤) أى هـ
بالغ العلم بمن يستحق الخير ومن يستوجب غيره ، وبكل ما يمكن علمه^٥ .
ولما نفى سبحانه ولايتهم بمعنى المحبة^٦ وبمعنى النصرة^٧ وبمعنى القرب
بكل اعتبار ، أنتج ذلك حصر ولاية كل من يدعى الإيمان فيه وفى
أوليائه فقال : (انما وليكم الله) أى لأنه القادر^٨ على ما يلام الولي ،
ولا يقدر غيره على شيء من ذلك إلا به سبحانه ؛ ولما ذكر الحقيق^{١٠}
باخلاص الولاية له معلما بأفراد المبتدئ أنه الأصل فى [ذلك -^٩] وما عداه
تبع ، أتبعه من تعرف^{١١} ولايته سبحانه بولايتهم بادئا بأحقهم فقال :
(ورسوله) وأضافه إليه إظهارا لرفعه (والذين آمنوا) أى أوجدوا
الإيمان وأقروا به ، ثم وصفهم بما يصدق دعواهم الإيمان فقال :
(الذين يقيمون الصلوة) أى تمكينا لوصلتهم بالخالق (ويؤتون الزكاة)^{١٥}
إحسانا إلى الخلائق ، وقوله : (وهم ركعون^{١٢}) يمكن أن يكون معطوفا على
" يقيمون " أى^{١٣} ويكونون^{١٤} من أهل الركوع ، فيكون فضلا مخصصا

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بعض (٣) فى ظ : حكه (٤-٤) سقط ما بين الرقین
من ظ (٥) فى ظ : قادر (٦) من ظ ، وفى الأصل : لأنه (٧) فى ظ : يعرف .
(٨-٨) فى ظ : يكون .

'بالمؤمنين المسلمين'، وذلك لأن اليهود والنصارى لا ركوع في صلاتهم - كما مضى يانه في آل عمران، ويمكن أن يكون حالا من فاعل الإيتاء؛ وفي أسباب النزول أنها نزلت في علي رضي الله عنه، سأله سائل وهو راكع فطرح له خاتمه. وجمع وإن كان السبب واحدا ترغيا في مثل فعله من فعل الخير والتعجيل به لئلا يظن أن ذلك خاص به.

ولما كان التقدير: فمن يتول غيرهم فأولئك حزب الشيطان، وحزب الشيطان هم الخاسرون، عطف عليه: ﴿ومن يتول الله﴾ أى يجتهد في ولاية الذى له مجامع العز ﴿ورسوله﴾ الذى خلقه القرآن ﴿والذين آمنوا﴾ وأعاد ذكر من خص الولاية بهم تبركا بأسمائهم ١٠ وتصريحا بالمقصود، فانهم الغالبون - هكذا كان الأصل، ولكنه أظهر ما شرفهم به ترغيا لهم في ولايته فقال: ﴿فان حزب الله﴾ أى القوم الذين يجمعهم على ما يرضى الملك الأعلى ما حزبه أى اشتد عليهم فيه ﴿هم الغالبون﴾ أى لا غيرهم، بل غيرهم مغلوبون، ثم إلى النار محشورون، لانهم حزب الشيطان.

١٥ ولما نبه سبحانه على العلل المانعة من ولاية الكفار وحصر الولاية فيه سبحانه، أنتج ذلك قطعاً قوله منها على علل أخرى موجهة للبراءة منهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أفروا بالإيمان، ونبه بصيغه الافتعال على أن من

(١ - ١) في ظ: بالمسلمين (٢) في ظ: ان (٣) في ظ: عاد (٤) زيدت الواو بعده في ظ (٥) في ظ: الذى.

بوالهم^١ يجاهد عقله على ذلك اتباعا لهواه فقال: ﴿ لا تتخذوا الذين اتخذوا ﴾
 أى بغاية الجِدِّ والاجتهاد منهم ﴿ دينكم ﴾ أى الذى هرفكم الله به
 ﴿ هزوا ولعبا ﴾ ثم بين المنهى عن موالاتهم بقوله: ﴿ من الذين ﴾ .

[ولما كان المقصود بهم منح العلم ، وهو كاف من غير حاجة إلى تعيين
 المؤتى ، بنى للجهول قوله - ١ : ﴿ اوتوا الكتب ﴾ ٢ ولما كان تطاول ه
 الزمان له تأثير فيما عليه الإنسان من طاعة أو عصيان^٢ ، [و - ٢] كان
 الإيتاء المذكور لم يستغرق زمانا قبل^٣ قال: ﴿ من قبلكم ﴾ يعنى أنهم
 فعلوا الهزو عنادا بعد تحققهم صحة الدين .

ولما خص عم فقال: ﴿ والكفار ﴾ أى / [من - ٣] عبدة
 الأوثان الذين لا علم لهم نُقِلَ عن الأنبياء ، وإنما استروا ما وضع لعقولهم ١٠
 من الأدلة فكانوا ضالين ، وكذا غيرهم ، سواء علم أنهم يستهزؤن
 أولا ، كما أرشدت إليه [غير - ٢] قراءة البصريين والكسائي بالنصب
 ﴿ أولياءه ﴾ أى فان الفريقين اجتمعوا على حسدكم وازدراءكم ، فلا تصح
 لكم موالاتهم أصلا .

ولما كان المستحق لموالاته^٤ شخص - إذا تركه وإلى غيره - يسعى ١٥
 فى إهاتته ، حذرهم وقوعهم بموالاتهم^٥ على ضد^٦ مقصودهم فقال :

- (١) من ظ ، وفى الأصل: بوالهم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
 (٣-٢) - سقط ما بين الرقمن من ظ (٤-٤) من ظ ، وفى الأصل: الزمان القليل .
 (ه) فى ظ: لموالاته (٦) زيد بعده فى ظ: تركهم (٧) - سقط من ظ .

(١' واتقوا الله) من له الإحاطة الكاملة ، فان من والى غيره عاده ،
ومن عاداه ملك هلاك لا يضار معه (ان كنتم مؤمنين ٥) أى راضين
فى الإيمان بحيث صار لكم جيلة وطبعا ، فان لم تخافوه بأن تتركوا ما نهاكم
عنه فلا إيمان .

٥ ولما عم فى يان استهزائهم جميع الدين ، خص روحه وخالسته
وسره فقال : (واذا ناديتكم) أى دعا بعضكم الباقين إلى الإقبال إلى
الندى وهو المجتمع ، فأجابه الباقون بغاية الرغبة ، ومنه دار الندوة ،
أو يكون المعنى أن المؤذن كلم المسلمين برفع صوته كلام من هو
معهم فى الندى بالقول فأجابه بالفعل ، فكان ذلك مناداة - هذا أصله ،
١٠ فعبر بالغاية التى يكون الاجتماع بها فقال مضمنا له الانتهاء :

(الى الصلوة) [أى ٦] التى هى أعظم دعائم الدين ، وموصل إلى الملك
العظيم ، وعاصم بجله المتين (اتخذوها) على ما لها من العظمة والجد
والبعد من الهزء بغاية همهم وعزائمهم (هزوا ولجبا) فيتعمدون
الضحك والسخرية ويقولون : صاحوا كصياح العير - ونحو هذا ، وبين
١٥ سبحانه أن سبب ذلك عدم انتفاعهم بعقولهم فكأنهم لا عقول لهم ،
وذلك لأن تأملها - فى التطهر لها وحسن حال فاعلها عند التلبس بها
من التخلّى ١٠ عن الدنيا جملة والإقبال على الحضرة الإلهية ، والتخلّى

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : د (٣) سقط من
ظ (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) من ظ . وفى الأصل : لها (٦) زيد من ظ .
(٧-٧) فى ظ : ته المتن - كذا (٨) فى ظ : عملهم (٩) فى ظ : فيتعمدون .
(١٠) من ظ . وفى الأصل : المصلى (١١) فى ظ : بالتخلّى .

بالقراءة^١ لأعظم الكلام، والتخضع لملك الملوك الذي لم تخف^٢ عظمته على أحد، ولا نازع قط في كبريائه وقدرته منازع - بمجرد كافي في اعتقاد حسنهما وجلالهما وهيبتهما وكماها فقال: ﴿ذلك﴾ أي الأمر العظيم الشناعة ﴿بأنهم قوم﴾ وإن كانوا أقوىاء لهم قدرة على القيام في الأمور ﴿لا يعقلون ه﴾ أي ليست لهم هذه الحقيقة ه ولو كان لهم شيء من عقل لعلوا أن النداء بالفم أحسن من التبويق^٣ وضرب الناقوس بشيء لا يقاس، وأن التذلل بين يدي الله بالصلاة أمر لا شيء أحسن منه بوجه، وللأذان من الأسرار ما تعجز عنه الأفكار، منه أنه جعل تسع عشرة كلمة، ليكشف الله به عن قائله خزنة النار التسعة عشر^٤، وجعلت الإقامة إحدى عشرة كلمة رجاء أن يكون ١٠ معتقدها رفيقا لأحد عشر: العشرة المشهود لهم بالجنة، وقطبهم وقطب الوجود كله النبي صلى الله عليه وسلم، وناهيك أن من أسرار الله أنه جمع الدين كله أصولا وفروعا - كما يفت ذلك في كتابي والإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان .

ولما كانت النفوس نزاعة إلى الهوى، عمية عن المصالح، جامحة^٥ ١٥ عن الدواء بما وقفت عنده من النظر إلى [زينة - ٦] الحياة الدنيا، وكان الدليل على سلب العقل عن أهل الكتاب دليلا على العرب بطريق الأولى، وكان أهل الكتاب لكونهم أهل علم لا ينهض بمحاجتهم

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) في ظ : لم يخف (٣) من ظ ، أي النفخ في البوق، وفي الأصل : الصوين - كذا (٤) سقط من ظ (ه) في ظ : حاحه - كذا . (٦) زيد من ظ .

إلا الأفراد من خالص العباد ، قال تعالى دالاً على ما ختم به الآية من
عدم عقلهم أمراً لأعظم خلقه ببيكيتهم^٢ و تويخهم و تقريعهم : ﴿ قل ﴾
و أنزلهم بمحل البعد فقال مبكتا لهم يكون العلم لم يمنعمهم / عن الباطل :
﴿ يا أهل الكتب ﴾ أى من اليهود والنصارى ﴿ هل تنقمون ﴾ أى
تسكرون و تكرهون و تعيبون ﴿ منّا إلا ان آمنّا ﴾ أى أوجدنا الإيمان^٣
﴿ بالله ﴾ أى لما له من صفات الكمال التى ملأت الاقطار و جاوزت
حد الإكثار ﴿ و ما أنزل النبا ﴾ أى لما له من الإعجاز فى حالات الإطناب
و التوسط و الإيجاز ﴿ و ما أنزل ﴾

٨١

و لما كان إنزال الكتب و الصحف لم يستغرق زمان المضى ، أثبت
١٠ الجار فقال : ﴿ من قبل لا ﴾ [أى - ٤] لما شهد له كتابنا ، وهذه
الاشياء التى آمنّا بها لا يحيد فيها عاقل ، لما لها من الأدلة التى وضوحها
فوق الشمس ، فحسنها لا شك فيه و لا لبس ﴿ و ان ﴾ أى آمنّا كلنا مع
أن [أو و - ٤] الحال أن ﴿ اكثركم ﴾ قيد به إخراجاً لمن يؤمن منهم
بمادل عليه التعبير بالوصف ﴿ فسقون ه ﴾ أى عريقون^٥ فى الفسق ،
١٥ و هو الخروج عن دار السعادة بحيث لا يمكن منهم رجوع إلى المرضى
من العبادة ، فبين أنهم لا ينقمون من المؤمنين إلا المخالفة^٦ ، و المخالفة
إنما هى بإيمان المسلمين بالله و ما أمر به ، و كفر أهل الكتاب بجميع
ذلك مع علمهم بما تقدم لهم أن من آمن [بالله - ٤] كان الله معه ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تبكيتهم (٣) فى ظ : لايمان (٤) زيد من ظ .
(٥) فى ظ : غريقون (٦) فى ظ : المخالفين .

فصره على كل^١ من يناويه، وجعل مآله إلى الفوز الدائم، وأن من كفر
تبرأ منه فأهلكه في الدنيا، وجعل مآله إلى عذاب لا ينقضي^٢ سعيره،
ولا ينصرم أنينه وزفيره، ومن ركب ما^٣ يؤديه إلى ذلك على علم منه
واختيار لم يكن أصلاً أحد أضل منه ولا أعدم عقلاً، وتخصيص
النقم بما صدر من المؤمنين يمنع عطف^٤ "وإن" على "إن" "أنا". ٥
ولما أنزلهم^٥ سبحانه إلى عداد البهائم بكونهم^٦ ينسبونهم إلى الشر،
بجعلهم إياهم موضع الهزء واللعب^٧ و بكونهم ينظرون إلى أى من خالفهم،
فيعدون منه وينفرون عنه من غير أن يستعملوا ما امتازوا به عن^٨ البهائم
في أن المخالف ربما كان فيه الدواء، والمكروه قد يؤول إلى الشفاء،
والمحجوب^٩ يجر إلى العطب والتوى، بين لهم أن تلك رتبة سنية ومنزلة ١٠
علية بالنسبة إلى ما هم فيه، فقال على سبيل التنزل وإرخاء العنان: ﴿ قل ﴾
أى يا من لا ينهض بمحاجتهم لعلهم ولددهم غيره لما جبلت عليه من قوة
الفهم ثم لما أنزل عليك^{١١} من العلم ﴿ هل انبشكم ﴾ أى أخبركم إخباراً
متقناً معظماً جليلاً ﴿ بشر من ذلك ﴾ أى الأمر الذى تقمتموه علينا
مع كونه قيماً وإن تعاميتم [عنه - ١٢]، ووحده حرف الخطاب إشارة ١٥
إلى عمى قلوبهم وأن هذه المقايسة لا يفهمها^{١٣} حق الفهم إلا المؤيد بروح

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: لا تنقضي (٣) في ظ: بما (٤) من
ظ، وفي الأصل: الزمهم (٥) في ظ: لكونه (٦) من ظ، وفي الأصل: العجب.
(٧) من ظ، وفي الأصل: من (٨) في ظ: الجنون (٩) من ظ، وفي الأصل:
دالت - كذا (١٠) في ظ: أليك (١١) في ظ: جليلاً (١٢) زيد من ظ (١٣) في
ظ: لا يقيهما.

من الله (مثوبة) أى جزاء صالحا يرجع إليه، فان المثوبة للخير كما أن العقوبة للشر، وهى مصدر ميمي كالميسور والمعقول، ثم نوه بشرفه بقوله : (عند الله) أى المحيط بصفات الجلال والإكرام، ثم رده أسفل سافلين يانا لأنه استعارة تهكمية على طريق تحية^٢ بينهم ضرب

٥. وجيع . بقوله - جوابا لمن كأنه قال : نعم - : (من^٣) أى مثوبة من (لعنه الله) أى أبعد (الملك الأعظم -^٤) وطرده (وغضب عليه) أى أهلكه، ودل على اللعن والغضب بأمر محسوس فقال : (وجعل) ودل على كثرة المعلنين بجمع الضمير فقال : (منهم) أى بالمسخ على معاصيهم (القردة) تارة (و الخنازير) أخرى،

١٠. و التعريف للجنس، و قال ابن قتيبة : إن التعريف يفيد ظن أنهم لم ينقرضوا بل توالدوا حتى كان منهم أعيان ما تعرفه من النوعين، فما أبعد من كان منهم هذا من أن يكونوا أبناء الله وأحباؤه ! ثم عطف - على قراءة الجماعة - [على -^٥] قوله " لعنه الله^٦ " سبب ذلك بعد أن قدم المسبب اهتماما به لصراحته^٧ فى المقصود، مع ان اللعن والغضب سبب حقيقى،

٨٢ / ١٥ و العبادة سبب ظاهرى، / فقال : (و عبد الطاغوت^٨) و قرأه حمزة بضم الباء على أنه جمع، و الإضافة عطف على القردة، فهو - كما قال فى القاموس - اللات و العزى و الكاهن و الشيطان و كل رأس ضلال و الأصنام و كل ما عبد من دىن الله و مرده أهل الكتاب، للواحد و الجمع، فلعوت^٩ من :

(١) فى ظ : تهكمية (٢) فى ظ : من (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ . (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ فخذفناها (٦) من القاموس، وفى الأصل و ظ : فلعوت، وفى اللسان : وأصل وزن طاغوت طغيوت على =

طفوت^١، و كل هذه المعاني تصلح ههنا، أما اللات و العزى و غيرها
 بما لم يعبدوه صريحا فلتحسينهم^٢ دين أهله حسدا للإسلام^٣، و قد عبدوا
 الآوثان في كل زمان حتى في زمان موسى عليه السلام كما في نص التوراة:
 ثم بالغوا في النجوم لاستعمال السحر فشاركوا الصابئين في ذلك . فعنى
 الآية: تنزلنا إلى أن نسبتمكم لنا إلى الشر^٤ صحيحة، و لكن لم يأت كتاب بلعنا ه
 و لا بالفضب علينا و لا مسخنا قرده و لا خنازير، و لا عبدنا غير الله منذ
 أقبلنا عليه، و أتم قد وقع بكم جميع ذلك، لا تقدرون أن تبرؤوا من شيء
 منه، فلا يشك عاقل أنكم شر منا و أضل، و العاقل من إذا دار أمره^٥
 بين شرين لم يختار إلا أقلهما شرا، فثبت كالشمس صحة دعوى أنهم قوم
 لا يعقلون، و لذلك ختم الآية بقوله: ﴿ أولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ١٠
 الموصوفون باللعن و ما معه ﴿ شر مكانا ﴾ و إذا كان ذلك لمكانهم فاظنك
 بأنفسهم، فهو كناية عن نسبتهم إلى العراقة في الشر ﴿ و اضل ﴾ أى
 ممن نسبهم إلى الشر و الضلال، و سلم لهم ذلك فيهم^٦ إرخاء للعنان قصدا
 للإبلاغ في البيان ﴿ عن سوء ﴾ أى قصد و عدل ﴿ السيل ه ﴾ أى
 الطريق، و يجوز أن تكون الإشارة في ذلك إلى ما دل عليه الدليل الأول ١٥
 من عدم عقلهم و لا تنزل حيثنذ، و إنما قلت: إنهم لا يقدررون على إنكار شيء.

= فعلاوت، ثم قدمت الياء قبل الفين محافظة على قائلها فصارت طيفوت و وزنه خطوت .

- (١) من القاموس، و فى الأصل: طفوا، و فى ظ: صعود - كذا (٢) من ظ،
 و فى الأصل: فلتحسين (٣) من ظ، و فى الأصل: للإسلام (٤) سقط من ظ .
 (هـ) سقط ما بين الرقين من ظ (٦-٦) فى ظ: أوامرة (٧) فى ظ: فهم .
 (٨) فى ظ: لما .

من ذلك ، لأن في نص التوراة التي بين أظهرهم في السفر الخامس : قالرب
يقول لكم و يأمركم أن تكونوا له شعبا حيبا ، و تحفظوا^١ جميع وصاياه
و تعملوا بها ، فانه يرفعكم فوق جميع الشعوب ، وإذا جزتم الأردن انهبوا
الحجارة التي أمركم بها اليوم على جبل^٢ عبل^٣ و كلسوها بالكلس ، و ابنوا
هناك مذبحا من حجارة لم يقع عليها حديد ، و لكن ابنوا الحجارة كاملة
لم تقطع ، و قربوا / عليها ذبائح كاملة أمام الله ربكم ، و كلوا هناك
و افرحوا أمام الله ربكم ، و اكتبوا على تلك الحجارة جميع آيات هذه
السنة . ثم عين موسى رجالا يقومون على جبل إذا جازوا^٤ الأردن و يهتفون
بصوت عال و يقولون لبني إسرائيل : ملعونا يكون الذي^٥ يتخذ أصناما
١. مسبوكة و أوثانا منحوتة أمام الرب . و الشعب كلهم يقولون : آمين !
ملعونا يكون من ينقل حد صاحبه و يظلمه في أرضه ، و يقول الشعب
كلهم : آمين ! ملعونا يكون من يضل الأعمى عن الطريق ، و يقول الشعب
كلهم : آمين ! ملعونا يكون من يحيف على المسكين و اليتيم و الارملة في
القضاء ، و يقول الشعب كلهم : آمين^٦ - إلى أن قال : ملعونا يكون^٧ كل
١٥ من لا يثبت على عهد آيات هذه التوراة و يعمل بها ، و يقول الشعب^٨ كلهم :
آمين ! ثم قال : و إن أتم لم تسمعوا قول الله ربكم و لم تحفظوا^٩ و لم تعملوا
بجميع سننه و وصاياه التي أمركم بها اليوم ، ينزل بكم هذا اللعن الذي أقص

(١) من ظ ، و في الأصل : تحفظون (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و في
الأصل : جبل ، و في التوراة : عيبال ، و هو قريب مما أثبتناه من ظ (٤) في ظ :
جازوا (٥) في ظ : التي (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) في ظ : يقول
من - كذا (٨) في الأصل و ظ : لا تحفظوا - كذا .

عليكم كله و يدرككم العقاب ، و تكونوا ملعونين في القرية ، ملعونين^١
 في الحرب ، و يلعن / نسلكم و ثمار أرضكم ، و تكونون ملعونين إذا دخلتم
 ٨٣ / و ملعونين إذا خرجتم ، ينزل بكم الرب البلاء و الحشرات ، و ينزل بكم
 الضربات الشديدة ، و بكل شيء تمدون أيديكم إليه لتعملوه حتى يهلككم
 و يتلفكم صريعا من أجل سوء أعمالكم و ترككم لعبادتي^٢ ، و يسلط عليكم
 هذه الشعوب حتى تهلكوا ، و^٣ تكون السماء التي فوقكم عليكم^٤ شبه النحاس ،
 و الأرض تحتكم^٥ شبه الحديد ، و يكسرکم الرب بين يدي أعدائكم ،
 تخرجون إليهم في طريق واحدة و تهريرون في سبعة طرق ، و تكونون مثلاً
 و قرعاً لجميع مملكات الأرض ، و^٦ تكون جيفكم ما كلاً^٧ لجميع السباع
 و طيور السماء و لا يذب أحد عنكم ، تكونون^٨ مقهورين مظلومين مغصوبين ١٠
 كل أيام^٩ حياتكم ، يسي بذك و بناتك شعب آخر و تنظر^{١٠} إليهم و لا تقدر
 لهم على خلاص ، و تكون^{١١} مضطهداً مظلوماً طول عمرك يسوقك الرب ،
 و يسوق^{١٢} ملكك الذي ملكه عليك إلى شعب لم يعرفه أبوك ، و تعبد هناك
 آلهة أخرى عملت من خشب و حجارة ، و تكون مثلاً و عجباً ، و يفكر
 فيك كل من يسمع خبرك في جميع الشعوب التي يقرکم الله فيها ، تزرع^{١٣} ١٥
 كثيراً و تحصد قليلاً ، و يتعظم عليك سكانك و يصيرون فوقك ، هذا اللعن

(١) في ظ : مغلوبين (٢) في ظ : لعبادي (٣) من ظ ، وفي الأصل : او .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥-٥) في ظ : يكون جيلكم كاملاً - كذا .
 (٦) في ظ : يكونون (٧) زبدت الواو بعده في ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل :
 تنتظر (٩) من ظ ، وفي الأصل : يسوقك (١٠) في ظ : يزرع .

كله يلزمك و ينزل بك و يدركك حتى تهلك ، لأنك لم تقبل قول الله ربك ، ولم تحفظ سنته و وصاياه التي أمرك بها ، و تظهر فيك آيات و عجائب و في نسلك إلى الأبد ، لأنك لم تعبد الله ربك و لم تعمل بوصاياه ، و يصير أعداؤك دق الحديد على عنقك ، و يسلط الله عليك شعبا يأتبك و أنت جائع ظمآن عريان فقير ، قد أعوزك كل شيء يحتاج إليه ، و تخدم أعداءك ، و يسرع إليك مثل طيران النسر شعب لا تعرف نعتهم ، شعب وجوههم صفيقة^١ ، لا تستحي من الشيوخ و لا ترحم الصبيان ، و يضيق عليك في جميع قراك حتى يظفر^٢ بسوراتك المشيدة التي تتوكل^٣ عليها و تثق بها في كل أرضك ، و تضطر حتى تأكل لحم ولدك ، و الرجل المدلل منك المفق^٤ تنظر عيناه إلى أخيه و خليله و إلى من بقى من ولده جائعا ، لا يعطيهم من لحم ابنه الذي يأكله^٥ لأنه لا يبقى عنده شيء من الاضطهاد^٦ و الضيق الذي يضيق عليك عدوك ، و إن لم تحفظ و تعمل بجميع الوصايا و السنن التي كتبت في هذا الكتاب و تتقى الله ربك و تهب^٧ اسمه^٨ المحمود المروء يخلصك^٩ الرب بضربات موجعة ، و يبتليك بها و يبتلي نسلك من بعدك ، و يبقى ١٥ من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التي كانت قد صارت مثل نجوم السماء ،

(١) في ظ : يخدم (٢) في ظ : ضعيف (٣) من ظ ، وفي الأصل : تظفر (٤) من ظ ، وفي الأصل : توكل (٥) أي المنعم المرفه ، وفي الأصل و ظ : المفق . (٦) زبدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لخدفتاها (٧) من التوراة - الأصحاح الثامن و العشرين ، وفي الأصل و ظ : يا كل (٨) في ظ : الاطهاد . (٩) في الأصل و ظ : تهاب (١٠) من ظ ، وفي الأصل : اسمك (١١) في ظ : شخطك .

لأنك لم تسمع قول الله ، كما فرحتم الرب وأنتم عليكم [وكثرتم-^١]
 [كذلك يفرح الرب لكم-^٢] ليستأصلكم بالعقاب والنكال ، ويدمر عليكم
 ويتلفكم ، ويحملون عن الأرض التي تدخلونها لثروتها^٣ ، ويفرقكم
 الرب بين جميع الشعوب - هذه أقوال العهد التي أمر الله بها موسى أن
 يعاهد^٤ بني إسرائيل في أرض موآب سوى العهد الذي عاهدكم^٥ بحوريب ، ه
 فان قالوا^٦: نحن لم نقض بعد موسى عليه السلام حتى يلزمنا هذا اللعن
 المشروط بنقض العهد ! قيل: قد شهد عليكم بذلك ما بين أيديكم من كتابكم ،
 فانه قال في آخر أسفاره ماضه : وقال الرب لموسى : قد دنت أيام وفاتك
 فادع يسوع^٧ و^٨ قوما في قبة الزمان لآمره بما أريد ، وانطلق يسوع^٩
 وموسى وقاما في قبة الزمان ، وظهر الرب في قبة الزمان بعمود من ١٠
 سحاب ، وقام عمود من سحاب في باب^{١٠} قبة الزمان ، وقال / الرب لموسى :
 أنت مضطجع منقلب إلى آباتك ، فيقوم هذا الشعب فيضل ويتبع آلهة
 أخرى آلهة الشعوب التي تدخل وترى وتسكن بينها ، ويخالفني ويبطل
 عهدي^{١١} الذي عهدته ، ويشعل غضبي عليه في ذلك اليوم ، وأخذلهم
 وأدير وجهي عنهم ، ويصيرون مأكلا لأعدائهم ، ويصيدهم شر شديد ١٥
 وغم طويل ، لأنهم تبعوا الآلهة الأخرى ، فاكتب لهم الآن هذا^{١٢} التسييح
 وعلبه بني إسرائيل وصيره في أفواههم ، ليكون هذا التسييح شهادة على

٨٤ /

(١) زيد من ظ (٢) زيد من التوراة (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده في
 الأصل وظ ، ولم تكن في التوراة فحذفناها (٥) في الأصل وظ : عاهدكم (٦) في
 ظ : قال (٧-٧) في ظ : واع يسوع - كذا (٨) في ظ : يسوع (٩) زيدت
 الواو بعده في ظ .

بنى إسرائيل ، لأنى مدخلهم الأرض التى أقسمت لآبائهم ، الأرض التى
تقل السمن والعسل ، وبأكلون ويشبعون و يتلذذون ، و يتبعون الآلهة
الآخري و يعبدونها ، و يغضبونى و يطولون عهدى ، فاذا نزل بهم هذا
الشر الشديد و الغوم يتلى عليهم هذا التسييح للشهادة ، و لا تعدمه أفواه
٥ ذريتهم ، لأنى عالم بأهوائهم و كل ما يصنعونه هنا اليوم قبل أن أدخلهم
الأرض التى أقسمت لآبائهم ، و كتب موسى هذا التسييح ذلك اليوم و علمه
بنى إسرائيل - و ذكر بعد هذا كله ما ذكرته عند " انا اوحينا اليك
كما اوحينا إلى نوح " و النبيين " فى النساء فراجعهم ؛ ثم قال : أنصق أيتها
السما فأتكلم ، و لتسمع الأرض النطق من فى لأنها ترجو كلامى عطشانة ،

١٠ و كتل " الندى ينزل قولى و كالطر على النخيل و شبه الضباب على
العشب " ، لأنى دعوت باسم الرب أبدا و بالتعظيم لله الرب العدل و ليس عنده
ظلم ، الرب البار الصادق ، أخطأ أولاد الأنجاس ، الجيل المتعوج المنقلب ،
و بهذا " كافأوا الرب ، لأنه شعب جاهل و ليس بحليم ، أليس الرب
استخلصك و خلقك ! اذكروا أيام " الدهر و تفهموا ما مضى من سنى
١٥ جيلا بعد جيل ، استخبر أباك فيخبرك ، و شيوخك فيفهموك " ، حين قسم
العلى للامم " بنى آدم الذين فرقهم " ، أقام حدود الامم على عدد الملائكة " ،

(١) فى ظ : يطلبون (٢) سقط ما بين الرقين من ظ ، و رقم هذه الآية ١٦٣ -
(٣) من ظ ، و فى الأصل : كل (٤) من ظ و التوراة ، و فى الأصل : الشعب .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : هذا (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : يفهموك (٨) فى
ظ : القسم (٩) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : الامم (١٠) زيدت الواو بعده
فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى التوراة فحذفناها (١١) فى التوراة : بنى إسرائيل -
راجع الأصحاح الثانى و الثلاثين منها .

وصار^١ جزء الرب شعبه^٢، يعقوب^٣ جبل ميراثه، إسرائيل فأرواه في البرية من عطش الحر حيث لم يكن ماء، وحاطه وأدبه وحفظه مثل حدة العين، وكشل النسر حيث قل^٤ عشه وإلى فراخه اشتاق، فنشر أجنحته وقلهم وحملهم على صلبه، الرب وحده ساقهم ولم يكن معهم إله^٥ آخر، وأصعدهم إلى علو الأرض وأطعمهم من ثمر الشجر وغذاهم عسلا من حجر، من الصخرة أخرج لهم الزيت، ومن سنن البقر ولبن الغنم وشحم الخراف والكباش والثيران والجداء ولب^٦ القمح، أكل يعقوب المنصوص، حين شحم وغلظ^٧ وعرض، ترك الإله الذي خلقه وبعد من الله مخلصه، يقول الله: أسخطوني مع الغرباء بأوثانهم وأغضبوني حين ذبحوا للشياطين^٨ ولم يقربوا لإله الآلهة ولم يعرفه الجيل^٩ الجديد الذين^{١٠} أتوا ونسوا^{١١} آباءهم.

هذا ما أردت ذكره من التوراة في الشهادة على لزوم اللعن والغضب لهم بعبادتهم^{١٢} الطواغيت، وقد صدق الله قوله فيها وأتم كلماته - وهو أصدق القائلين - بما وقع لهم بعد وفاة موسى عليه السلام ثم بعد يوشع^{١٣} عليه السلام مع ما تقدم لهم في أيام يوشع^{١٤} عليه السلام من عبادة بعلين^{١٥}

(١) من ظ، وفي الأصل: صاروا (٢) في ظ: شعبة (٣) زبدت الواو بعده في الأصل وظ، ولم تكن في التوراة لحذفها (٤) في الأصل وظ: يضل - كذا. (٥) - قط من ظ (٦) من ظ والتوراة، وفي الأصل «ل» كذا (٧) من ظ: وفي الأصل: خلط (٨) في ظ: الشياطين (٩) من ظ، وفي الأصل: الذي (١٠) في ظ: نسبوا (١١) من ظ، وفي الأصل: لعبادة (١٢) في ظ: موسى (١٣) من ظ، وفي الأصل: موسى (١٤) في ظ: يعبدون، وفي التوراة: بعل قنور - راجع الأصحاح الخامس والعشرين من السفر الرابع.

الصنم كما مضى^١ عند قوله تعالى "واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم"^٢

ذكر ما يصدق ذلك من سفر يوشع، قال : / ودعا يوشع جميع
 بنى إسرائيل^٣ وقال^٤ لهم : أنا قد شخت وطعنت في السن، وأتم قد رأيتم
 ما صنع الله بهذه الشعوب، إنه أهلكهم من بين أيديكم، وإن الله ربكم
 ٥ هو تولى حروبكم وظفركم، قد علمت أنى قسمت^٥ لكم الشعوب التى بقيت،
 فأما عند النهر الأعظم فى مغارب الشمس فقد قسمتها لكم، والله ربكم
 يهزمهم^٦ ويهلكهم من أمامكم وترثون أرضهم كما قال الله ربكم، ولكن
 تقووا^٧ جدا واعملوا بجميع ما كتب فى سفر موسى عند الرب، أهلك الرب
 من أمامكم شعوبا عظيمة ولم يثبت لكم إنسان إلى اليوم، الرجل منكم
 ١٠ يهزم ألف رجل، لأن الله^٨ ربكم معكم وهو يجاهد عنكم^٩ كما قال لكم،
 فاحترسوا لأنفسكم^{١٠}، إن أتم خالطتم الشعوب الذين^{١١} بقوا بينكم وصرتهم لهم
 أختانا^{١٢} صاروا لكم نخاها وعثرات وأسته فى أصدافكم وصنارات فى
 أعينكم حتى تهلكوا من الأرض الصالحة التى أعطاكم الله ربكم، وأما^{١٣}
 أنا فسار فى طريق أهل الأرض كلهم، وقد تعلمون يقينا من كل قلوبكم
 ١٥ وأنتمسكم أنه ما سقطت كلمة واحدة من الكلام الذى وعدكم الله ربكم،

(١) سقط من ظ (٢) سورة ٢، آية ٩٣ (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٤) من سفر يوشع، وفى الأصل وظ : لم اقسام (٥) فى ظ : يكرمكم (٦) فى
 ظ : اتقوا - كذا (٧) فى ظ : الرب (٨-٨) تكرر ما بين الرقيين فى ظ بعد
 "بقوا بينكم" (٩) من ظ : وفى الأصل : الذى (١٠) فى ظ : أحيانا (١١) من ظ ،
 وفى الأصل : انما .

و كما تم كل الكلام الصالح الذى وعدكم الله به كذلك ينزل بكم كل اللعن
 حتى تهلكوا و تبيدوا إن أتم عصيتم و تعديتم على ميثاق الله بكم و الوصايا
 التى أوصاكم بها ؛ و جمع جميع بنى إسرائيل إلى سحام و أقامهم أمام الرب
 فى قبة الزمان و قال : اسمعوا قول الله إله إسرائيل : كان آباؤكم سكانا
 فى مجاز النهر فى الدهر الأول ، ترح أبو إبراهيم و ناحور^٢ ، وكانوا يعبدون ه
 هناك آلهة أخرى ، و عهدت إلى إبراهيم أنيكم و أخرجه من مجاز النهر
 و سترته فى أرض كنعان كلها ، و أكثر ذريته و رزقه إسحاق ابنا ،
 و رزقت إسحاق يعقوب و عيسو ، و أعطيت عيسو جبل ساعير ميراثا ،
 فأما يعقوب و بنوه فقلوا إلى مصر ، و أرسلت موسى و هارون و عاقبت
 أهل مصر و أكثر فى أرضهم من الآيات و الأعاجيب^١ ، و من بعد ١٠
 ذلك أخرجه من أرض مصر ، و شق لهم الرب بحر سوف و أجاز إياكم فيه مشيا ،
 فلما أراد المصريون أن يمحذوا ألقب^٢ البحر عليهم و غرقهم ، و رأت
 أعينكم ما صنعت بأهل مصر ، ثم أتيت بكم المفازة و سكتموها أياما كثيرة ،
 و أتيت بكم أرض الامورانيين الذين^٣ يسكنون عند مجاز الاردن ،
 و حاربكم و دفعتمهم إليكم ، و وثب عليكم بالاق بن صفور ملك الموآيين^٤ ، ١٥
 و حارب^٥ إسرائيل [فأرسل - ^٦] فدعا بلعام^٧ بن بعور^٨ ليلعنكم ،
 و لم يسرنى أن أسمع قول بلعام ، و لكن باركت عليكم و نجيتكم من يديه ،
 (١) سقط من ظ (٢) فى ظ : ما خورق - كذا (٣) فى ظ : اقبلت (٤-٥) فى ظ :
 عرقم و رايت عينكم - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٦) فى ظ : المورانيين .
 (٧) زيد بعده فى ظ : الى (٨) زيد من ظ (٩-٩) فى ظ : فغاروا - كذا .

ثم جزتم^١ نهر الاردن وأنتم أهل أريحا فخاربكم أهلها والأموريون -
ثم عد بقية الطوائف^٢ السبع^٣ - فدفعتم إليكم أجمعين ، وأعطيتكم أرضا
لم تعملوا فيها ، فاتقوا الرب واعبدوه بالبر والعدل ، واصرفوا عن قلوبكم
الفكر في عبادة الآلهة الأخرى التي عبدها آباؤكم عند مجاز النهر و^٤ في
أرض مصر ، واعبدوا الرب وحده ، وإن كان يشق عليكم أن تعبدوا
الرب اختاروا لأنفسكم يوما هذا من تعبدون^٥ ، أتحبون أن تعبدوا الآلهة^٦
التي^٧ عبدها آباؤكم عند مجاز نهر الفرات أم آلهة الأموريين الذين
سكنتم بينهم أما أنا وأهل بيتي فانا^٨، عبيد الله الرب ، فأجاب الشعب
وقالوا : حاشا لله أن نجتنب عبادة الرب ونعبد الآلهة / الأخرى لأن الله
١٠ ربنا هو الذي أخرجنا من أرض^٩ مصر وخلصنا من العبودية ، وأكمل
الآيات والأعاجيب أمامنا ، وحفظنا في^{١٠} كل الطرق التي سلكناها ،
وقوانا على جميع الشعوب التي حاربناها. لذلك نعبد الرب لأنه هو الإله وحده
وهو إلهنا ، فقال : انظروا^{١١} العلمكم^{١٢} تجتنبون عبادة [الله -^{١٣}] و تعبدون
الآلهة الغريبة ، فيغضب الرب عليكم وينزل بكم البلاء ويهلككم من بعد
١٥ إنعامه عليكم ، فقال الشعب : لا يكون لنا عبادة أخرى غير عبادة الله ،
ربنا ، قال يشوع^{١٤} : أشهدتم على أنفسكم : أتم الذين اخترتم عبادة الرب

/٨٦

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : الطائفة (٣) في الأصل وظ : السبعة (٤) في ظ : لم تعملوا .
(٥) في ظ : يعبدون (٦) من ظ ، وفي الأصل : الآله (٧) في الأصل وظ :
الذي (٨) من ظ ، وفي الأصل : عبد (٩) في ظ : فانما (١٠) من ظ ، وفي
الأصل : أهل (١١) من ظ ، وفي الأصل : به (١٢) في ظ : لكم (١٣) زيد
من ظ (١٤-١٤) في ظ : ويقول يسوع .

قالوا

قالوا له^١: شهد ا فاول ما دخل عليهم الدخيل أنهم لم يستأصلوا الكفرة
و غالطوهم في أيام يوشع؛ قال في سفره^٢: فصعد رسول الرب من
الجلجال إلى سجين وقال لى إسرائيل: هكذا يقول الرب: أنا الذى أصعدتكم
من أرض مصر وأتيت بكم الأرض التى أقسمت لأبائكم^٣، وقلت^٤: إني
لا أبطل^٥ عهدي إلى الأبد، وأمرتكم أن لا تعاهدوا أهل هذه الأرض،^٥
ولكن استأصلوا مذايحهم، ولم تقبلوا ولم تطيعوني، وأنا أيضا قد قلت:
إني لا أهلكهم من أمامكم، ولكن تكون لكم آلهتهم عشرة، فلما قال
رسول الرب لى إسرائيل هذا القول رفع القوم أصواتهم بالبكاء ودعوا اسم
ذلك الموضع تحناد^٦ أى موضع البكاء، وذبحوا هناك ذبائح للرب؛
وتوفى يشوع بن نون عند الرب ابن مائة وعشرين سنة، ودفن في حد^٧
ميراثه بسرح^٨ التى في جبل إفرائيم عن يسار جبل جعس^٩، وكل ذلك
الحقب أيضا قبضوا، ونشأ من بعدهم حقب لم يعرف الرب^{١٠}، ولم يعرف
أعماله التى عملها، وارتكب بنو إسرائيل السيئات أمام الرب واجتنبوا
عبادة الله إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر، وتبعوا آلهة الشعوب
التى حولهم وسجدوا لها وعبدوا بعلا وأشترائا^{١١} الصنمين، وغضب الرب على^{١٥}
بنى إسرائيل، وسلط عليهم المنتهين، ودفعهم إلى أعدائهم، ولم يقدروا

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: بما (٣) في ظ: سفر (٤-٤) سقط ما بين الرقين
من ظ (٥-٥) في ظ: لا بطل (٦) في سفر القضاة: بوكيم (٧) من سفر يوشع، وفي
الأصل و ظ: بمسرح - كذا (٨) من سفر يوشع، وفي الأصل: مصاص، وفي
ظ: عقاص - كذا (٩) من ظ، وفي الأصل: استملا، وفي سفر القضاة: عشثاروث.

أن^١ يثبتوا لأعدائهم ، وكلما كانوا يخرجون إلى الحرب كانت يد^٢ الرب
 عليهم بالعقاب والبلاء كما قال لهم الرب وكما أقسم لآبائهم ، واضطروا
 وضاق بهم جدا ، فصير^٣ الرب عليهم قضاة ، وأعان قضائهم وخلصهم
 من أيدي أعدائهم ، وكان الرب يسمع أنينهم وما يشكون من المضيقيين
 عليهم والمزعجين لهم ، فلما توفيت قضائهم رجعوا إلى الفساد كآبائهم ،
 وعبدوا الأصنام وسجدوا لها ، ولم ينقصوا من سوء أعمالهم الأولى
 وطرقهم الرديئة ، فاشتد غضب الرب على بني إسرائيل وقال : لأن
 الشعب اعتدوا الوصية التي أوصيت آباءهم ، ولم يسمعوا قولي ، لا أعود
 أن أهلك إنسانا بين أيديهم من الشعوب التي خلف يشوع بعد وفاته ،
 ١٠ ليجرب الرب بها بني إسرائيل هل يحفظون طرق الرب كما حفظ آباؤهم
 أولا ؟ فلذلك ترك الرب هذه الشعوب ولم يهلكهم^٤ سريعا ، ولم يسلمها
 في يدى يشوع ، والذين تركوا خمسة رؤساء أهل فلسطين وجميع
 الكنعانيين والصيديانيين والحاوانيين والذين يسكنون جبل لبنان ومن
 جبل بني حرمون إلى مدخل حماة^٥ ليجرب بهم بني إسرائيل ، و^٦جلس
 ١٥ بنو إسرائيل^٦ بين يدى الأمورانيين وبقية القبائل ، وزوجوا بنينهم من
 بناتهم و^٧زوجوا بناتهم^٧ من بنينهم وعبدوا آلهتهم ، وارتكب بنو إسرائيل
 السيئات أمام الرب ونسوا صنيع^٨ الرب إلههم^٨ وعبدوا بعلا وأشترائا^٩ ،

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : ايد (٣) في ظ : فصيروا (٤) في ظ : لم يهلكوا .
 (٥) في ظ : حملة (٦-٧) في ظ : جلسوا بني إسرائيل (٧-٧) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٨) من سفر القضاة ، وفي الأصل و ظ : اليهم (٩) في ظ : اشتراتا .
 ٢١٢ (٥٣) و اشتد

واشتد غضب الرب على بني إسرائيل و دفعهم إلى كوشان الآتيم^١ ملك^٢ حران ، فاستعبدوهم ثمانى^٣ سنين ، ودعا بنو إسرائيل الرب^٤ متضرعين ، وصير الرب لهم مخلصا ، وخلصهم عشايا^٥ بن قز أخو كلاب الأصغر ، فأعانه الرب و صار حكما لبني إسرائيل فخرج إلى الحرب ، و أسلم الرب في يده كوشان الآتيم ، واستراحت الأرض من الحرب أربعين سنة ، و توفي عشايا^٦ بن قز ، و عاد بنو إسرائيل في سوء أعمالهم أمام الرب ، فقوى الرب عليهم ملك موآب ، و استمروا هكذا في كل حين ينقضون ، و سنة^٧ الرب كل قليل يرفضون ، و لا يستقيمون إلا بقدر ما ينسون حرارة النقم و يذوقون لذادة النعم - و لو لا خوف الإطالة الموجبة للسامة^٨ و الملالة لذكرت من ذلك كثيرا من الكتب التى بين أيديهم ، لا يقدر^٩ون ١٠ على إنكار ما يلزمهم بها من الفضيحة و العار - و الله الموفق .

و لما تم ذلك عطف سبحانه على^{١١} " و اذا ناديتم الى الصلوة " قوله دالا على استحقاقهم لللعن و على ما أخبر به من شرم و ضلالهم بما فضحهم به من سوء أعمالهم دلالة على صحة^{١٢} دين الإسلام باطلاع شارع^{١٣}ه عليه أفضل الصلاة و السلام على خفايا الأسرار : (و اذا جاءكم) أى أيها ١٥ المؤمنون هؤلاء المنافقون من الفريقين ، و إعادة ضمير الفريقين عليهم لأنهم في الحقيقة منهم ، ما أفادتهم دعوى^{١٤} الإيمان شيئا عند الله ، و العدول إلى

(١) في سفر القضاة : رشعنايم (٢) من ظ ، و في الأصل : بملك (٣) في ظ : ثلاث (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : عيسا قال (٦) في ظ : عسا بال (٧) في ظ : لسنة (٨) في ظ : الاسامة - كذا (٩) في ظ : سو - كذا (١٠) في ظ : دعوة .

خطاب المؤمنين دال على عطفه على ما ذكرت ، وفيه إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم في لحن القول ، فلا يقتر بخداعهم ولا يسكن إلى مكرم بما أعطى من صدق الفراسة و صحة التوسم ﴿ قالوا أمنا ﴾ أى لا نتقروا بمجرد قولهم الحسن الخالى عن البيان بما يناسبه من الأفعال ه فكيف بالمقترن بما ينفه منها ، وقد علم أن الفصل بين المتعاطفين بالآيتين السالفتين لا يضر ، لكونهما علة للمعطوف عليه ، فهما^١ كالجزء منه .

ولما ادعوا الإيمان كذبهم^٢ سبحانه في دعواهم بقوله مقربا لماضيهم من الحال رجاء لهم غير الدخول^٣ ، لأنها تكاد تظهر ما هم^٤ مخفوه ، فوجب التوقع^٥ للتصريح بها : ﴿ وقد ﴾ أى قالوا ذلك والحال أنهم قد ﴿ دخلوا ﴾ أى إليكم ﴿ بالكفر ﴾ مصاحبين له متلبسين به^٦ .

ولما كان المقام يقتضى لهم بعد الدخول حسن الحال ، لما يرون من سمت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجليل وكلامه العذب و دينه العدل و هديه الحسن ، فلم يتأثروا^٧ لما عندهم من الحسد الموجب للعناد ، أخبر عن ذلك بأبلغ من الجملة التى أخبرت بكفرهم تأكيذا^٨ للأخبار ١٥ عن ثباتهم على الكفر ، لأنه أمر ينكره العاقل فقال : ﴿ وهم ﴾ أى من عند أنفسهم لسوء ضمائرهم و جبلاهم من غير سبب من أحد منكم ، لا منك و لا من أتباعك ﴿ قد خرجوا به^٩ ﴾ أى الكفر بعد دخولهم و رؤية ما

(١) فى ظ : وها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : هو (٤-٤) فى ظ : يوجب الرفع (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : فلم يتأثر (٧) من ظ ، وفى الأصل : كيدا .

رأوا من الخير، دالا على قوة عنادهم^١ بالجملة الاسمية المفيدة للثبات،
وذكر المسند إليه مرتين، وهم بما أظهروا يظنون أنه يخفى ما أضمروا.
^٢ ولما كان في قلوبهم من الفساد و المكر بالإسلام وأهله ما يطول
شرحه، نبه عليه بقوله^٣: ﴿ والله ﴾ أى المحيط [بجميع -^٤] صفات الكمال
وبكل شيء علما وقدره ﴿ اعلم ﴾ أى منهم وعن توسم فيهم النفاق^٥
﴿ بما كانوا ﴾^٦ أى بما فى جبلاتهم من الدواعى العظيمة للفساد^٧ ﴿ يكتمون ﴾^٨
أى من هذا وغيره فى جميع أحوالهم من أقوالهم^٩ / وأفعالهم .
ولما كذبهم فى دعوى الإيمان، أقام سبحانه الدليل على كفرهم، فقال^{١٠}
مخاطبا لمن له الصبر^{١١} التام، مفيدا أنه أطلعه صلى الله عليه وسلم على ما
يعلم منهم^{١٢} بما يكتمونونه من ذلك تصديقا لقوله تعالى " ولتعرفنهم فى لحن
القول " ^{١٣} " إطلاعا هو كالرؤية ، عاطفا " على ما تقديره : وقد أخبرنا غيرك
من المؤمنين بما نعلم منهم من ذلك ، وأما أنت فقرى ما فى قلوبهم بما
آتيناك من الكشف : ﴿ وترى ﴾ أى لا تزال^{١٤} يتجدد لك ذلك
﴿ كثيرا منهم ﴾ أى اليهود والكفار منافقهم ومصارحهم .

ولما كان التعبير بالعجلة لا يصح هنا ، لأنها لا تكون إلا فى شيء ١٥
له وقتان : وقت لائق ، و وقت غير لائق ، والإثم لا يتأتى^{١٦} فيه ذلك ،

(١) فى ظ : عندهم (٢-٣) تأخر ما بين الرقين فى ظ عن " بما كانوا " (٣) زيد
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : بصفات (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٦) فى ظ : أحوالهم (٧) فى ظ : بقواه (٨) من ظ ، وفى الأصل : من (٩) فى
ظ : النصر (١٠) سورة ٤٧ آية ٣٠ (١١) فى ظ : عطفا (١٢) فى ظ : لا يزال .
(١٣) فى ظ : لا يثنى .

قال: ﴿يسارعون﴾ أى يفعلون فى تهالكهم على ذلك فعل من يتأظر خصما فى السرعة فيما 'هو فيه' محق^٢ وعالم بأنه فى غاية الخير، وكان الموضع^٣ لأن يعبر^٤ بالضمير فيقال: فيه - أى الكفر، فعبّر عنه تعميما وتعليقا للحكم بالوصف [إفادة - ^٥] لأن كفرهم عن حيلة هى فى غاية الرداءة ٥ بقوله: ﴿فى الاثم﴾ أى كل ما يوجب إثما من الذنوب، وخص منه أعظمه فقال: ﴿والعدوان﴾ أى مجاوزة الحد فى ذلك الذى أعظمه الشرك، ثم حقق الأمر وصوره بما يكون لوضوحه دليلا على ما قبله من إقدامهم^٦ على الحرام الذى لا تمكن^٧ معه صحة القلب أصلا ولا يمكنهم إنكاره فقال: ﴿واكلهم السحت^٨﴾ أى الحرام الذى يستأصل البركة من أصلها^٩ فيمحقتها، ومنه الرشوة، وكان هذا دليلا على كفرهم لأنهم لو كانوا مؤمنين ما أصرروا على شيء من ذلك، فكيف بجميعه! فكيف بالمسارعة فيه! ولذلك استحقوا غاية الذم بقوله: ﴿لبئس ما كانوا﴾ وبما كانوا [يزعمون - ^{١٠}] العلم، عبر عن فعلهم بالعمل فقال: ﴿يعملون هـ﴾ . ولما كان المنافقون من الآمين وأهل الكتاب قد صاروا شيئا واحدا ١٥ فى الانحياز إلى المصالحين من أهل الكتاب، فأنزل فيهم سبحانه هذه الآيات على وجه يعم غيرهم، حتى تبينت أحوالهم وانكشف زينهم ومخالهم، أنكر - على من يودعونهم أسرارهم و يمنحونهم مودتهم وأخبارهم من علمائهم وزهادهم - عدم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، لكونهم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: بحق (٣-٣) فى ظ: لا يغير (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: لا قرانهم (٦) فى ظ: لا يمكن (٧) زيد بعده فى ظ: ليستاصلها .

جديرين بذلك لما يزعمونه من اتباع كتابهم فقال: ﴿ لو لا ﴾ أى هلا
و 'الم لا' ﴿ ينههم ﴾ أى يحدد لهم النهى ﴿ الربّيون ﴾ أى المدعون للتخلي
من الدنيا إلى سبيل الرب ﴿ و الاجار ﴾ أى العلماء ﴿ عن قولهم الاثم ﴾
أى الكذب الذى يوجه^١ وهو يجمع له ﴿ و اكاهم السحت^٢ ﴾ و ذلك
لأن^٣ قولهم للمؤمنين " امنا " و قولهم لهم " انا معكم انما نحن ه
مستهزءون " لا يخلو عن كذب ، و هو محرم فى توراتهم و كذا اكاهم
الحرام ، فما سكوتهم عنهم فى ذلك إلا لتمرنهم على المعاصى و تمردهم فى
الكفر و استهاتهم بالجرأة على من لا تخفى^٤ عليه خافية ، و لا يبقى لمن
عاداه باقية .

و لما كان من طبع الإنسان الإنكار^٥ على من خالفه^٦، و كانت
الفطرة الأولى مطابقة لما أتت به الرسل من قباحة الكذب و ما يتبعه
من الفسوق ، و كان الإنسان لا ينزل عن تلك الرتبة العالية إلى السكوت
عن الفاسقين فضلا عن تحمين أحوالهم إلا بتدرب^٧ طويل و تمرن عظيم،
حتى يصير له ذلك كالصفة التى صارت بالتدريب صنعة يألّفها و ملكة^٨
لا / يتكلّفها ، فجعل ذنب المرتكب للعصية غير راسخ ، لأن الشهوة تدعوه ١٥ / ٨٩
إليها ، و ذنب التارك^٩ للنهى راسخا لأنه لا شهوة له تدعوه إلى الترك ، بل معه
١-١ فى ظ : الا (٢) فى ظ : توجه (٣) من ظ ، وفى الأصل : ان (٤) سقط
من ظ (٥) فى ظ : لا يخفى (٦) من ظ ، وفى الأصل : خافه (٧) فى ظ :
بتدريب (٨) من ظ ، وفى الأصل : ملة (٩) فى ظ : النار - كذا .

حامل من الفطرة السليمة تحته على النهي، فكان أشد حالا : قال :
 ﴿ لبئس ما ﴾ ولما كان ذلك في جلاتهم، عبر بالكون فقال :
 ﴿ كانوا يصنعون ه ﴾ أى في سكوتهم عنهم و سماعهم منهم .

ولما لم تزل الدلائل على ' إبطال دعوى أهل الكتاب في النبوة
 ٥ و المحبة تقوم^٢ ، و جيوش البراهين تنجد^٣ ، حتى انتشبت^٤ فيهم سهام
 الكلام أتى انتشاب ، قال تعالى معجبا من عامتهم بعد تعيين خاصتهم،
 معلما بأنهم لم يقنعوا بالسكوت عن المنكر حتى تكلموا بأنكره ، مشيرا إلى
 سفول رتبهم و دناءة منزلتهم^٥ بأداة التانيث : ﴿ و قالت اليهود ﴾ معبرين
 عن^٦ البخل و العجز جرأة و جهلا بأن قالوا ذاكرين اليد لأنها موضع
 ١٠ القدرة و إفاضة الجود و النصره : ﴿ يد الله ﴾ أى الذى يعلم كل عاقل
 أن له صفات الكمال ﴿ مغلوله^٧ ﴾ أى فهو لا يبسط الرزق غابة
 [البسط -^٨] ، و هذا كناية عن البخل و العجز من غير نظر إلى مدلول
 كل من ألفاظه^٩ على حياله^{١٠} أصلا ، كما قال تعالى ” ولا تجعل يدك
 مغلوله الى عنقك ولا تبسطها كل البسط^{١١} “ ولم يقصد من ذلك
 ١٥ غير الجود و ضده ، لا غل و لا عنق و لا بسط أصلا ، بل صار هذا الكلام
 عبارة عما وقع مجازا عنه ، كأنها متعقبان^{١٢} على معنى واحد ، حتى لو جاد^{١٣}

(١) زيد بعده في ظ : دعوى (٢) في ظ : يقوم (٣) في ظ : تنحر (٤) في ظ :
 تشبهت (٥) في ظ : منزلهم (٦) في ظ : على (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) أى على
 انفراد (٩) سورة ١٧ آية ٢٩ (١٠) من ظ . و فى الأصل : متعقبان (١١) فى
 ظ : حاز .

الآقطعُ إلى المنكب لقليل^١ [له - ٢] ذاك ، ومثل هذا كثير في الكتاب
والسنة ، منه الاستواء^٣ ، وقالت : في السماء^٤ ، المراد منه - كما قاله
العلماء - أنه ليس بما يعبد المشركون من الأوثان ، قال في الكشف :
ومن لم ينظر في علم البيان عَمِيَ عن تبصر محجة^٥ الصواب في تأويل
أمثال هذه الآية ، ولم يتخلص عن يد الطاعن إذا عبث به .

ولما نطقوا بهذه الكلمة^٦ الشنعاء ، فاهوا بتلك الداهية الدهياء ،
أخبر عما جازاهم به سبحانه على صورة ما كان العرب يقابلون به من يستحق
الهلاك من الدعاء ، فقال معبرا بالمبنى للفعول إفادة لتحم الوقوع و تعلما
لنا كيف ندعو عليهم ، ولم يسيه عما قبله بالفاء تقوية^٧ له على تقدير سؤال
سائل : (غلت ايديهم) دعاء مقبولا وخبرا صادقا ، عن كل خير ،
فلا تكاد تجد فيهم كريما ولا شجاعا ولا حاذقا في فن ، وإن كان ذلك لم يظهر^٨ له

(١) من ظ ، وفي الأصل : ليقل (٢) زيد من ظ (٣) إشارة إلى ما ورد عن معاوية
السلمي في حديث طويل قال فيه : وبينما جارية لي ترعى غنيمات لي في قبل أحد
والجوانية فاطمت عليها اطلاعة فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة ، وأنا رجل
من بني آدم يأسف - وفي رواية : آسف - كما يأسفون ، لكنني صككتها صكة ،
قال : فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : ألا أعتقها ؟ قال :
ابعث إليها ، قال : فأرسل إليها بخاء بها فقال : أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال :
فمن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : أعتقها فانها مؤمنة - راجع مسند الإمام
أحمد ٤/ ٤٤٨ و ٤٤٩ (٤) زيد بعده في ظ : له (٥) في ظ : بحجة (٦) سقط من
ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : الكلمات (٨) في ظ : مقويه (٩) في ظ : فلا يكاد .
(١٠) في ظ : لم يظهر .

ثمرة ﴿ ولعنوا ﴾ أى أبعادوا مطرودين عن الجنب الكريم ﴿ بما قالوا ﴾
و المعنى أنهم كما رأوا أحوال المنافقين المفضى في التوراة بأنها إثم
و أقروا عليها، فكذلك نطق بعضهم بكلمة الكفر التى لا أظفح منها،
و سكت عليه الباقر فشاركوه، و لما كان الغل كناية عن البخل
٥ و عدم الإتيان، و كان الدعاء 'بغلهم و لعنهم' متضمنا أن الأمر ليس
كما قالوا، ترجمه سبحانه بقوله ٢: ﴿ بل يده ﴾، و هو منزه عن الجارحة
و عن كل ما يدخل تحت الوهم 'مبسوطثن لا' مشيرا بالثنية إلى غاية
الجود، ليكون رد قولهم و إنكاره ٣ بأبلغ ما يكون في قطع تعنتهم
و تكذيب قولهم.

١٠ و لما كان معنى هذا إثبات ما نفوه على أبلغ الأحوال، قال مصرحا
بالمقصود معرفا أنه في إنفاقه مختار فلا غرر أن يبسط لبعض دون بعض:
﴿ ينفق ﴾ و لما كان إنفاقه سبحانه تحقيقا للاختيار على أحوال متباينة بحيث
/ ٩٠ أنها تقوت الحصر، أشار إلى التعجب ٦ / من ذلك بالتعبير بأداة الاستفهام
و إن قالوا: إنها في هذا الموطن شرط، فقال: ﴿ كيف ﴾ أى كما
١٥ ﴿ يشاء ﴾ أى على أى حالة أراد دائما من تقدير و بسط و غير ذلك.

و لما كان قولهم هذا غاية في العجب لأن كتابهم كافٍ في تقييده
بل تقييح ما هو دونه في الفحش، فكيف و قد انضم إلى ذلك ما أنزل
في القرآن من واضح البيان، قال سبحانه عاطفا على "و ترى كثيرا منهم"

(١-١) في ظ: بلعنهم و غلام (٢) من ظ، و في الأصل: مضمنا (٣) سقط من
ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) في ظ: ابلاغه (٦) في ظ: التعجب.

مؤكداً لمضمون ما سبق من قوله ” و من يرد الله فتنه فلن تملك
 [له - ١] من الله شيئاً “ بأنه جعل سبب هذا القول منهم ما أتاهم من
 الهدى الأكل في هذا الكتاب المعجز على لسان هذا النبي الذي ^٢ هم
 به أعرف منهم بأبنائهم : (و ليزيدن كثيراً منهم) أى ^٣ ممن أراد الله
 فتنته ، ثم ذكر فاعل الزيادة [فقال - ٤] : (ما أزل إليك) أى على ما ^٥
 له من النور وما يدعو إليه من الخير (من ربك) أى المحسن إليك
 بكل ما ينفعك دنيا وأخرى (طغياناً) أى تجاوزاً عظيماً عن ^٦ الحد تمتلئ
 منه الأكوان في كل إثم و شأناً ^٧ ، و ^٨ ذلك بما جره إليهم داء الحسد ،
 لأنهم كلما رأوه سبحانه قد زاد إحسانه إليك طعنوا في ذلك الإحسان ،
 و هو - لما له من الكمال و علو الشأن - يكون الطعن فيه من أعظم ^٩
 الدليل عليه و البرهان ، فيكون أعدى العدوان (و كفراً) أى ستراً لما
 ظهر لعقولهم من النور ، و دعت إليه كتبهم من الخير ، و هذا كما يؤذى
 الحفّاش ضياء الصباح ، و كلما قوى ^{١٠} الضياء زاد أذاه ، و في هذا إياس من
 توبتهم و تأكيد ^{١١} لعداوتهم و زجر عن موالاتهم و مودتهم ، أى إنهم
 لا يزدادون بحسن و عظمك و جميل تلاوتك عليهم الآيات إلا شقاقاً ^{١٢}
 ما وجدوا قوة ، فان ضمفوا فتفاقاً .

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢) في ظ : الذين (٣) من ظ ، و في
 الأصل : هو (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) زيد بعده في ظ : هذا (٧) في
 ظ : شأن (٨) زيد بعده في الأصل : في ، و لم تكن الزيادة في ظ لخذلتها .
 (٩) في ظ : ترقو (١٠) في ظ : تأكيداً .

ولما كان الإخبار باجتماع كلتهم على شقاوة الكفر ربما أحدث
خوفا من كيدهم، نفي ذلك بقوله: ﴿وَالْقِيَا﴾ أى بما لنا من العظمة
الباهرة ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أى اليهود ﴿الْعِدَاوَةِ﴾ ولما كانت العداوة - وهى
أن يعدو بعضهم إلى أذى بعض - ربما زالت بزوال السبب، أفاد أنها
ه لازمة لا تنفك بقوله: ﴿وَالْبَغْضَاءِ﴾ أى لأمور^٢ باطنية وقعت في قلوبهم
وقرّع الحجر الملقى من علو ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ^٣﴾ .

ولما كان ذلك مفيدا لوهمهم ترجمه بقوله: ﴿كَلِمَاتٍ أَوْقَدُوا﴾ على
سبيل التكرار لأحد من الناس ﴿نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ أى باحكام أسبابها
وتفتح جميع أبوابها ﴿أَطْفَأَهَا﴾ أى خيَّب قصدهم في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
١٠ أَى الَّذِي لَهُ جَمِيعُ صِفَاتِ الْكَمَالِ . فَلَا تَجِدُهُمْ فِي بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادِ إِلَّا فِي
الذِّلِّ وَتَحْتَ الْقَهْرِ ، وَأَصْلُ^٢ استعارة النار لها ما في كل منهما من التسلط
والغلبة والحرارة في الظاهر و الباطن ، مع أن المحارب يوقد النار في
موضع عال ليجتمع إليه أنصاره ، ولقد قام لعمري دليل المشاهدة
على صدق ذلك بغزوة قينقاع ثم النصير ثم قريظة ، والقبائل الثلاث
١٥ بالمدينة لم يتناصروا^٦ ولم ينصروا^٦ ، ثم غزوة^٧ خيبر وأهل فدك و^٨ وادى
القرى وهم متقاربون ولم يتناصروا ولم ينصروا^٨ ، هذا فيما في خاصتهم،

(١) زيد بعده في الأصل: ما ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٢) في ظ :
الامور (٣) من ظ ، وفي الأصل: أصله (٤) في ظ : موقد (هـ) في ظ : عليه .
(٦-٦) سقط هاتين الرقيبتين من ظ (٧) في ظ : غزوا - كذا (٨) سقط
من ظ .

و أما في غير ذلك فقد ألبوا الأحزاب وجمعوا القبائل و أنقنوا^١ في أمرهم على زعمهم المكاييد ، ثم أطفأ الله نارهم حسا و معنى بالريح و الملائكة ، و ألزمهم^٢ خزيمهم و عارهم و جعل الدائرة عليهم ، و ساق جيش المنون على أيدي المؤمنين إليهم ، و إلى ذلك و أمثاله من أذاهم الإشارة بقوله : ﴿ و يسمعون ﴾ أى يوجدون مجتهدين / اجتهد الساعى على سبيل ه ٩١/ الاستمرار بما يوجدون من المعاصى من كتمان ما عندهم من الدليل على صحة الإسلام و غير ذلك من أنواع الاجرام ﴿ فى الارض ﴾ أى كل^٣ ما قدروا عليه بالفعل و الباقي بالقوة .

و لما كان الإنسان لكونه^٤ محل النقصان لا ينبغي أن يتحرك فضلا عن أن يمشى فضلا عن أن يسعى إلا بما يرضى الله ، و حينئذ لا ينسب ١٠ الفعل إلا إلى الله لكونه آمرا به خالقا له ، فكانت نسبة السعى إلى الإنسان دالة^٥ على الفساد ، صرح به فى قوله : ﴿ فسادا^٦ ﴾ أى للفساد أو ذوى فساد ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الذى له الكمال كله ﴿ لا يحب المفسدين^٧ ﴾ أى لا يفعل معهم فعل المحب ، فلا ينصر لهم جيشا ، و لا يعلى لهم كعبا^٨ ، و لا يصلح لهم شأنا ، و بذلك توعدهم سبحانه فى التوراة أنهم إذا خالفوا أمره سلط ١٥ عليهم من عذابه بواسطة عباده و بغير واسطتهم ما يفوت الحصر - كما مضى ذلك قريبا^٩ عما بين أيديهم من التوراة بنصه .

(١) فى ظ : ايقنوا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : كلها (٤) فى ظ : بالقوة - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : دالا (٦) فى ظ : كلمة (٧) فى ظ : تعريبا .

ولما أثبت بقوله "وليزیدن" أنهم كانوا كفرة^١ قبل إتيان هذا الرسول عليه السلام، وكرر ما أعده^٢ لهم من الحزى الدائم على^٣ نحو ما أخبرهم به كتابهم، وعظمهم ورتبهم سبحانه استعطافا لهم لثلا يأسوا من روح الله على عادة منه في رحمته لعباده ورافقه بهم بقوله تعالى عاطفا على ٥ ما تقديره: فلو أنهم كفوا عن هذه الجرائم العظام لاضمحلت صغارهم فلم تكن^٤ لهم سيئات: (ولو ان) ولما كان الضلال من العالم أجمع، قال: (أهل الكتب) أي^٥ الفريقين منهم.

ولما كان الإيمان أساس جميع الأعمال، قدمه إعلاما بأنه لا نجاة ٦ لأحد إلا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم، هذا مع أنه حقيق بأشتداد العناية ١٠ به^٦ لمبالغتهم في كتمان ما عندهم منه صلى الله عليه وسلم فقال: (أمنوا) أي بهذا النبي الكريم وما أنزل إليه من هذا الهدى (واتقوا) أي ما هددوا به في كتابهم على ترك الإيمان به على حسب ما دعاهم إليه كتابهم كما في قصة إسماعيل وغيرها إلى أن كان آخر ما فارقهم عليه موسى عليه السلام^٧ في آخر كتابهم التصريح بنبوته عليه السلام^٨ والإشارة إلى أن ١٥ اتباعه أحق من اتباعه فقال: جاء ربنا من سيناء، وشرق^٩ من ساعير، وتبدى من جبال فاران، فأضاف الرب إليهم، وجعل الإتيان من جبال فاران - التي هي مكة، لا نزاع لهم في ذلك - تبديا وظهورا أي لا خفاء

(١) في ظ: كغيره (١) في ظ: اعد (٢) زيد بعده في الأصل: ما، ولم تكن الزيادة في ظ لخذناها (٤) في ظ: فلم يكن (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: يخلو - كذا (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) في ظ: سرق.

به بوجه ، ولا ظهور آثم منه ﴿ لكفرنا ﴾ وأشار إلى 'عظيم جرائمهم' بمظهر العظمة ﴿ عنهم سيئاتهم ﴾ أى التى ارتكبوها قبل مجيئه وهى^{١٠} بما يسوء ، أى يشتد تنكر النفس [له - ٢] أو تكرهها ، وأشار إلى سعة رحمته و أنها لا تضيق عن شيء أراده بمظهر العظمة فقال : ﴿ ولادخلنهم ﴾ أى بعد الموت ﴿ جنت النعيم ﴾ أى بدل ما هم فيه من هذا الشقاء ٥ الذى لا يدانيه شقاء .

و لما كان المعنى : ما فعلوا ذلك ، فالزمنام الخزى فى الدنيا والعذاب الدائم فى الآخرة . و كان هذا إجمالاً لحالتهم الدنيوية والآخرية ، وكان محط نظرهم الأمر الدنيوى ، رجع - بعد إرشادهم إلى إصلاح الحالة الآخرية لأنها أهم فى نفسها - الى سبب قولهم تلك الكلمة الشنعاء^{١٠} : ١٠
والداهية^{١١} القبيحة الصلحاء ، وهو تقدير^{١٢} الرزق عليهم ، وبين أن السبب إنما هو من / أنفسهم فقال : ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة ﴾ أى قبل إززال الإنجيل بالعمل بجميع ما دعت إليه من أصل وفرع وثبات عليها وانتقال عنها ﴿ والانجيل ﴾ أى بعد إزاله كذلك ، وفى إقامة أقامة التوراة الداعية إليه ﴿ وما أنزل إليهم من ربهم ﴾ أى المحسن إليهم من أسفار ١٥ الأنبياء المبشرة بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ومن القرآن بعد إزاله ، وفى إقامة جميع ذلك ، لأنه مبشر به وداع إليه ﴿ لاكلوا ﴾ أى لتيسر^{١٣} لهم الرزق ، وعرب "من" لأن المراد يان جهة المأكول

(١ - ١) فى ظ : جميع جرائمهم (٢) فى ظ : هو (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الشنيعة (٥) زيد بعده فى ظ : الصلحاء (٦) فى ظ : تعبير (٧) من ظ ، وفى الأصل : ليسر .

لا الأكل (من فوقهم) .

و لما كان [ذلك - '] كناية عن عظم التوسعة ، قال موضحا له
معبرا بالأحسن ليفهم غيره^٢ بطريق الأولى : (و من تحت أرجلهم^١)
أى تيسرا واسعا جدا متصلا^٢ لا يحصر ، أو يكون كناية عن بركات
السما و الأرض ، فين ذلك أنه ما ضريحهم بالذل و المسكنة إلا تصديقا^٣
لما تقدم إليهم به في التوراة ، قال مترجمها في السفر الخامس - الدعاء
والبركات : وإن أتم سمعتم قول الله ربكم وحفظتم وعلمتم بجميع الوصايا
التي أمركم بها اليوم^٤ ، يصيركم الرب فوق جميع الشعوب ، فتصرون إلى
هذا الدعاء ، يبارك لكل امرئ منكم في القرية والحقل ، يبارك^٥ في أولادكم
١٠ و أرضكم ، يبارك^٦ لكم في بهائمكم و ما يضع^٧ في أقطاع^٨ بقركم وأحزاب^٩
غنمكم ، و يبارك فيكم إذا دخلتم و يبارك فيكم إذا خرجتم ، و يدفع
إليكم الله أعداءكم أسارى ، يخرجون إليكم في طريق واحد و يهربون منكم
في سبعة طرق ، يأمر الله ببركاته في أهراكم و في جميع الأشياء التي
تمدون أيديكم إليها ، و ينظر إليكم جميع شعوب الأرض و يعلنون أن
١٥ اسم الرب عليكم و قد و ستم^{١٠} به فيخافونكم ، و يزيدكم الرب خيرا و يبارك
في ثمار أرضكم ، يفتح الله ربكم أهراء السماء و يهبط المطر على أهله في
زمانه ، و تتسلطون على شعوب كثيرة و لا يتسلط عليكم أحد ،
و يصيركم الرب رأسا و لا يصيركم ذنبا ، و تصيرون فوق و لا تصيرون

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : غير (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين
من ظ (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : يطلع (٦ - ٦) في ظ : بعدكم و اعراب .
(٧) في ظ : و ستم .

أسفل إذا علمتم^١ بجميع وصايا الله ربكم ولم تروغوا عنها يمنة ولا يسرة،
ولا تتبعوا الشعوب ولا تعبدوا آلهتها، وإن أتم لم تسمعوا قول الله
ربكم ولم تحفظوا ولم تعملوا بجميع سننه ووصاياه التي أمركم^٢ بها اليوم،
ينزل بكم هذا اللعن الذي أقص^٣ عليكم كله، ويدرككم العقاب، وتكونون
ملعونين^٤ في القرية - إلى آخر اللعن الذي تقدم قريبا، وقال في الثالث: إذا ه
سلكتم بستی^٥ وحفظتم وصاياي وعلمتم^٦ بها، أديم أقطاركم في وقتها،
وتبذل^٧ الأرض لكم غلاتها، وتبذل لكم الشجر ثمارها، ويدرك الدراسات
القطاف، [والقطاف - ^٨] يدرك الزرع، وتأكلون خبزا وتشبعون
وتسكنون أرضكم مطمئين، ولا يكون من يخرجكم، وأصرف عن أرضكم
السباع الضارية، وتطردون أعداءكم، الخمسة منكم يهزمون^٩ مائة، والمائة ١٠
منكم يهزمون عشرة آلاف، وتقع أعداؤكم قتلى بين أيديكم في الحرب، وأقبل
إليكم وأكثركم وأديم مقدسى بينكم ولا أدبر عنكم، بل أكون [معكم - ^{١٠}]
وأسير بينكم، وإن [لم - ^{١١}] تطيعوني وتسمعوا قولي ولم تعملوا بهذه
الوصايا وأبطلتم عهودي، أنا أيضا أصنع بكم مثل صنيعكم، وأمر بكم
البلايا والبرص والبهق المقشر الذي لا يبرأ، والسل^{١٢} الذي يطفى البصر ١٥
ويهلك النفس، ويكون تعبك في الزرع باطلا، وذلك لأن أعداءكم
يأكلون ما تزرعون، وأنزل بكم غضبي، ويهزمكم أعداؤكم، ويتسلط

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: امر (٣) في ظ: افصل (٤) في ظ: ملعونون (٥) في
ظ: سبيل (٦) في ظ: علمتم (٧-٧) في ظ: لكم الأرض (٨) زيد من التوراة.
(٩) من ظ، وفي الأصل: يهزمه (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ: السيل.

عليكم / شتاؤكم^١، و تهزمون^٢ من غير أن يهزمكم أحد، وأصير السماء فوقكم
 مثل الحديد، و الأرض تحتكم مثل النحاس، و لا تغل لكم أرضكم غلاتها،
 و لا ثمر الشجر ثمارها، و أرسل عليكم السباع الضارية فهلككم و تهلك
 بهائمكم، و يستوحش الطرق منكم، و أسلط عليكم الموت و أدفنكم إلى
 أعدائكم، و تأكلون و لا تشبعون، و تصيرون إلى ضيق حتى تأكلوا
 لحوم بناتكم، و أخرب^٣ منازلكم، و أفرقكم بين الأمم، و تخرب قراكم،
 فخبثت تهوى الأرض أسباتها، و تسبت^٤ كل أيام وحشتها ما لم تسبت^٥
 حيث^٦ كنتم فيها عصاة لا تسبتون، و الذين يقولون منكم ألقى في قلوبهم
 فرجة، و يطردهم^٧ صوت ورقة تحرك. و يهربون^٨ من صوت الورقة كما
 ١٠ يهربون من السيف، و يعنفون بأثمهم و يعاقبون^٩ بأثم آبائهم، و من
 بعد ذلك تنكسر قلوبهم الغلف.

و لما كان ماضى من ذمهم ربما أنهم أنه لكلهم، قال مستأنفا
 جوابا لمن يسأل عن ذلك: (منهم) أى أهل الكتاب (امة) أى
 جماعة هى جديرة بأن تقصد (مقتصدة^١) أى مجتهدة فى العدل لا غلو
 ١٥ و لا تقصير، و هم الذين هدام الله الاسلام بحسن تحريمهم و اجتهادهم
 (و كثير منهم) أى بنى إسرائيل (سآء ما يعملون ع) أى ما أسوأ^٢

(١) جمع شانى^١ و فى الأصل: شنائكم، و فى ظ: سيئاتكم - كذا (٢) فى ظ:
 تهزمون (٣) فى ظ: الحرب (٤) فى ظ: تسبب (٥) من ظ، و فى الأصل:
 كنت (٦) فى ظ: يطردهم (٧-٧) سقط ما بين الرقین من ظ (٨) من ظ، و فى
 الأصل: البسوا - كذا.

فعلهم الذى هم [فيه - ١] مستمرون على تجديده، فقيه معنى التعجيب،
والتعبيرُ بالعمل لأنهم يزعمون أنه لا يصدر منهم إلا عن علم، وهم الذين
حرفوا الكلم عن مواضعه، وارتكبوا العظائم فى عداوة الله ورسوله .
ولما آثم ذلك سبحانه وعلم منه أن من أريدت^٢ سعادته يؤمن
ولا بد، ومن أريدت شقاوته لا يؤمن أصلاً، ومن أقام ما أنزل عليه^٣ ه
سعد، ومن كفر بشيء منه شقى، وكان ذلك ربما قرع عن الإبلاغ،
قرن بقوله تعالى " يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر،"
قوله حاثاً على الإبلاغ لإسعاد من أريد^٤ للسعادة، وهم الأمة المقتصدة
منهم : إن كانوا قليلاً، وكذا إبلاغ [جميع - ١] من^٥ عدام :
(يا أيها الرسول) أى [الذى - ١] موضوع أمره البلاغ (بلغ) أى ١٠
أوصل إلى من أرسلت إليهم (ما أنزل إليك) أى كله (من ربك)
أى المحسن إليك بانزاله غير مراقب أحداً، ولا خائف شيئاً، لتعلم ما
لم تكن تعلم، ويهدى^٦ على يدك من أراد الله هدايته، فيكون لك^٧
مثل أجره .

ولما كان إبلاغ ما يخالف الأهواء من الشدة على النفوس بمكان لا يعلمه ١٥
إلا ذوو الهمم العالية والأخلاق الزاكية، كان المقام شديد الإقتضاء لتأكيد
الحث على الإبلاغ، فدل على ذلك بالاعتراض بين الحال والعامل^٨ فيها،
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : أريد (٣) فى ظ : إليه (٤) فى ظ : يريد (٥) فى ظ :
ما (٦) من ظ : القرآن الكريم، وفى الأصل : اليك (٧) فى ظ : تهدى (٨) فى
ظ : ذلك (٩) فى ظ : الحاصل .

بالتعير بالفعل الدال على داعية 'هى الردع' بأن قال: (وإن لم تفعل) أى وإن لم تبلغ جميع ذلك، أو إن لم تعمل به (فأبلغت رسالته^١) لأن [من -^٢] المعلوم أن 'ما' تقع^٣ على كل جزء مما أنزل، فلو ترك منه حرف واحد صدق نفي البلاغ لما أنزل، ولأن بعضها ليس بأولى بالإبلاغ من بعض، فمن أغفل شيئاً منها فكأنه أغفل الكل، كما أن من لم يؤمن [ببعضها لم يؤمن -^٤] بكلمها، لإدلاء^٥ كل 'منها بما' يديه^٦ الآخر، فكانت لذلك فى حكم شيء واحد، والمعنى: فلنجازيتك^٧، ولكنه كنى بالسبب عن المسبب إجلالاً^٨ له صلى الله عليه وسلم وإفادة لأن^٩ المواخذة تقع^٣ على الكل، لأنه يقتضى باتقاء الجزء .

١٠. ولما تقدم أنهم يسعون الحروب . ويسعون فى إيقاع أشد الكروب، وكان ذلك^٩ - وإن وعد سبحانه باتخاذه عند إيقاده - لا يمنع من تجويز أنه لا يحمّد إلا بعد قتل ناس وجراح آخرين، وكان / كأنه قيل: إذا بلغ ذلك وهو ينقص أديانهم خيف عليه، قال: (والله) أى بلغ أنت والحال أن الذى أمرك بذلك^{١٠} هو الملك الأعلى الذى ١٥ لا كفوء له (بصمك) أى يمتك منعا تاما (من الناس^{١١}) أى من أن يقتلوك قبل إتمام البلاغ وظهور الدين، فلا مانع^{١٢} 'من إبلاغ' شيء منها لأحد من الناس كاتنا من كان .

(١-١) فى ظ: من اللوق (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: يقع (٤) فى ظ: الإدلاء .
(٥-٥) فى ظ: منه إنما (٦) من ظ، وفى الأصل: يليه (٧) من ظ، وفى الأصل: فلنجازيتكم (٨) من ظ، وفى الأصل: اجلا - كذا (٩) سقط من ظ .
(١٠-١٠) من ظ، وفى الأصل: لا بلاغ .

ولما آذن ضمان العصمة بالمخالفة المؤذنة بأن فيهم من لا ينفعه
 البلاغ فهو لا يؤمن ، فلا يزال يبغي الغوائل ، أقر على هذا الفهم بتعليل
 عدم الإيمان بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لا أمر لغيره ﴿ لا يهدى
 القوم الكافرين ﴾ أى المطبوع على قلوبهم فى علم الله مطابقة لقوله
 ” ومن يرد الله فتنه فان تملك له من الله شيئا “ و يهدى المؤمنين فى علمه^٥
 المشار إليهم^٢ فى قوله ” و يغفر لمن يشاء “ والحاصل أنه تبين^٢ من الآية
 الإرشاد إلى أن اترك^٢ البلاغ سيين : أحدهما خوف فوات النفس ،
 والآخر خوف فوات ثمرة الدعاء ، ففى الأول بضمان العصمة ، والثانى
 بختام الآية ، أى ليس عليك إلا البلاغ ، فلا يحزنك من لا يقبل ، فليس
 إعراضه لقصور فى إبلاغك ولا حظك ، بل لقصور^٥ إدراكه وحظه ،^{١٠}
 لأن الله حتم بكفره وختم على قلبه لما علم من فساد طبعه ، والله لا يهدى
 مثله ، وتلخيصه : بلغ ، فمن [أجابك بمن -^١] أشير إليه - فيما سلف من
 غير الكثير الذين يزيدهم ما أنزل إليك عصى على عمام ومن الأمة المقتصدة
 وغيرهم - فهو حظه فى الدنيا والآخرة ، ومن أبى فلا يحزنك أمره ،
 لأن الله هو الذى أراد ضلاله ، فالتقدير : بلغ ، فليس عليك إلا البلاغ ،^{١٥}
 وإلى الله الهدى والضلال ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين ويهدى
 القوم المؤمنين ، أو^٢ فإذا بلغت هدى بك^٢ ربك من أراد إيمانه ، ليكتب
 لك مثل أجرهم ، وأضل من شاء كفرانه ، ولا يكون عليك^٢ شئ من

(١) من ظ ، وفى الأصل ؛ عليهم (٢-٢) فى ظ : بقوله (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 بين (٤) فى ظ : الترك (٥) فى ظ : القصور (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ .

وزرهم^١، إن الله لا يهدي القوم الكافرين، والمعنى كما تقدم: يعصمك^٢ من أن ينالوك بما يمنحك من الإبلاغ حتى يتم دينك و يظهر^٣ على الدين كله كما وعدتك، وعلى مثل هذا دل كلام إمامنا الشافعي رحمه الله، قال في الجزء الثالث من الآم: ويقال - والله أعلم: إن أول ما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم "اقرأ باسم ربك الذي خلق" ثم أنزل^٤ عليه بعدها ما لم يؤمر^٥ فيه بأن يدعو إليه المشركين، فمرت لذلك مدة، ثم يقال: أتاه جبريل عليه السلام عن الله عز وجل بأن يعلمهم نزول الوحي عليه، ويدعوهم إلى الإيمان، فكبر ذلك عليه وخاف التكذيب وأن يُستأول، فنزل عليه^٦ "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس": من قبلهم^٧ أن يقتلوك حتى تبلغ^٨ ما أنزل إليك - انتهى^٩. ولقد وفي سبحانه بما ضمن ومن أوفى منه وعدا وأصدق قولا! فلما آمم الدين وأرغم أنوف المشركين، أخذ فيه السم الذي تناوله^{١٠} بخير قبل سنين فتوفاه^{١١} شهيدا كما أحياه سعيدا^{١٢}؛ روى الشيخان: البخاري في الهبة، ومسلم في الطب، وأبو داود في اللديات عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها، فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك، فقال: ما كان الله

(١) في ظ: ودهم (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: تظهر (٤-٤) سقط من ظ.
(٥) من ظ، وفي الأصل: قتلهم، وزيد قبله في ظ: فقال يعصمك (٦-٦) في ظ:
يقبلون حتى يبلغ (٧) في ظ: تناه (٨) من ظ، وفي الأصل: فتوفاه (٩) في ظ:

- ٩٥ / ليلسطك^١ على ذلك - أو قال: على^٢ - فقالوا: ألا تقتلها؟^٣ قال: لا^٤، فمازات
أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو داود: هي أخت
مرحب اليهودي، قال الحافظ عبد العظيم المنذرى في مختصر سنن أبي داود:
وذكر غيره أنها بنت أخي مرحب . أن اسمها زينب بنت الحارث، وذكر
الزهري أنها أسلمت، ولأبي داود والدارمي - وهذا لفظه - عن أبي سلمة ه
- وهو ابن عبد الرحمن بن عوف - قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأكل الهدية ولا يقبل الصدقة، فأهدت [له -^٥] امرأة من يهود خيبر
شاة مصلية فتناول منها، وتناول [منها -^٦] بشر بن البراء، ثم رفع
النبي صلى الله عليه وسلم يده ثم قال: إن هذه تخبرني أنها مسمومة، فمات
بشر بن البراء رضى الله عنه، فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال^٧: ١٠
ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: إن كنت نيا لم يضرك [شيء -^٨]،
وإن [كنت -^٩] ملكا أرحمت الناس منك، قال أبو داود: فأمر بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت^{١٠} . زاد الدارمي: فقال في مرضه:
ما زلت^{١١} من الأكلة التي أكلت بخير، فهذا أوان^{١٢} انقطاع أبهري -
وهذا مرسل . قال البيهقي: ورويناه عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو^{١٣} ١٥
(١) من ظ وسنن أبي داود وصحيح مسلم، وفي الأصل: ليلسط (٢ - ٢) في
ظ: قال لا تقتلها (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ وسنن الدارمي - باب
ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من كلام الموقى (٥) زيد من السنن .
(٦) ليس في السنن (٧) من سنن أبي داود - كتاب الديات، وفي الأصل و ظ:
فقلت (٨) في ظ: ما زالت (٩) في الأصل: عمر، والتصحيح من ظ والتهذيب:
وهو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي .

عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال البيهقي : [و - ١] يحتمل أنه لم يقتلها في ١ الابتداء ، ثم لما مات بشر أمر ٢ بقتلها . وقصة هذه الشاة عن أبي هريرة رواها البخاري في الجزية و المغازي و الطب ، و الدارمي في أول المسند بغير هذا السياق - كما مضى في البقرة في قوله تعالى ” و قالوا ٥ لن تمسنا النار الا اياما معدودة “ و قد مضى في أول هذه السورة عند قوله ” فاعف عنهم و اصفح ان الله يحب المحسنين “ شيء منه . و لابي داود ٥ و الدارمي عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث أن يهودية من أهل خير سميت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم الذراع فأكل منها ، و أكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ٦ : ارفعوا أيديكم ، و أرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى اليهودية فدعاها ، فقال لها ٣ : أسميت هذه الشاة ؟ قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : أخبرتني هذه في يدي - للذراع ، قالت : نعم ، قال : فما أردت ؟ قالت : قلت : إن كان نيا فلن يضره ، و إن لم يكن ١٥ نيا استرحنا منه ، ففعا عنها ٧ رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يعاقبها ، و توفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، و احتجم رسول الله صلى الله عليه و سلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة ، حجه أبو هند

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : فمن (٣) سقط من ظ (٤) آية ٨٠ (٥) و اللفظ له . (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من سنن أبي داود - كتاب الديات ، و في الأصل و ظ : عنه .

بالقرن و الشفرة^١ ، و هو مولى لبنى يياضة من الأنصار . قال الدارمي :
 و هو من بنى ثمامة - [و هم - ٢] حتى من الأنصار ، قال المنذرى : و هذا
 منقطع ، الزهرى لم يسمع من جابر بن عبد الله ، و فى غزوة خيبر من
 تهذيب السيرة لابن هشام : فلما اطمأن^٣ رسول الله صلى الله عليه و سلم
 أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية و قد هـ
 سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟
 فقيل لها : الذراع ، فأكثر فيها من السم ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ،
 فلما / وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم تناول الذراع
 فلاك منها مضغة فلم يسفها^٤ ، و معه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ
 منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأما بشر فأساغها ، و أما
 رسول الله صلى الله عليه و سلم فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى
 أنه مسموم ، ثم دعاها^٥ فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت :
 بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكا استرحت منه ،
 و إن كان نبيا فسيخبر^٦ ، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و مات
 بشر من أكلته التى أكل ، و ذكر موسى بن عقبة أن بشر^٧ رضى الله عنه ١٥
 لم يسغ^٨ لقمته حتى أساغ النبي صلى الله عليه و سلم لقمته^٩ و قال بعد

(١) فى ظ : السفرة (٢) زيد من مقدمة سنن الدارمي ، و زيد موضعه فى ظ :
 و هى (٣) من ظ و السيرة ١٨٩ / ٢ ، و فى الأصل : اطال - كذا (٤) فى ظ :
 فلم تسعها (٥) فى السيرة : دعا بها (٦) فى ظ : فيستخبر (٧) فى ظ : بشر (٨) من
 ظ ، و فى الأصل : لم يسوغ (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ .

أن أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم : والذي أكرمك ! لقد وجدت ذلك
 في أكلتي [١ -] أكلت ، فما منعتني أن ألقظها إلا أني أعظمت أن
 أنقصك طعامك ، فلما أسغت ما في فيك لم أكن لأرغب بنفسى^٢ عن
 نفسك . وقلتُ من خط شيخنا حافظ عصره أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر
 ٥ الكنانى الشافعى^٣ ما نصه : وأخرج الحافظ أبو بكر أحمد بن عمر بن
 عبد الخالق البزار فى مسنده المشهور : وأبو القاسم سليمان بن أحمد بن
 أيوب الطبرانى فى معجمه الكبير من حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه
 قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل من هدية حتى يأمر
 صاحبها أن يأكل منها للشاة التى أهديت له بخير . قال شيخنا الحافظ
 ١٠ أبو الحسن الهيثمى : رجاله ثقات ، قلت : وذكر محمد بن إسحاق فى السيرة
 الكبرى وكذلك الواقدى فى المغازى - انتهى . وقال ابن إسحاق :
 وحدثني مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المولى قال : كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ودخلت عليه أم بشر
 بنت البراء بن معرور تعود : يا أم بشر ! إن هذا الأران^٤ وجدت انقطاع أبهرى
 ١٥ من الأكلة التى أكلت^٥ مع أخيك بخير ، قال : فان كان المسلمون ليرون أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة .
 ولابن ماجه فى الطب عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لا يزال^٦ ، يصيبك
 [فى -]^٧ كل عام وجع من الشاة المسمومة التى أكلت ، قال : ما أصابنى
 (١) زيد من ظ (٢) فى ظ : نفسى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : مات .
 (٥) من ظ وسيرة ابن هشام ١٨٩/٢ ، وفى الأصل : لاوان (٦) من ظ وسنن
 ابن ماجه ، وفى الأصل : لا يزال (٧) زيد من السنن .

شيء منها إلا وهو مكتوب على آدم في طيته . و للبخاري في آخر المغازي
عن عائشة رضي الله عنها أن تنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في
مرضه الذي مات فيه : يا عائشة ! ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت
بخير ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم . قال ابن فارس
في المجمل : الأبهري عرق مستبطن الصلب ، والقلب متصل به ، وهو قوله ه
صلى الله عليه وسلم : هذا أوان قطعت أبهري ، و عبارة المحكم : عرق في
الظهر ، يقال : هو الوريد في العنق ، وبعضهم يجعله عرقاً مستبطن الصلب
وقال ثابت بن عبد العزيز في كتاب خلق الإنسان : وفي الصلب الوتين ،
وهو عرق أبيض غليظ كأنه قصبه ، وفي الصلب الأبهري والأبيض وهما
عرقان ، / وقال الزبيدي^٢ في مختصر العين : والأبهريان عرقان مكتفا الصلب ، ٩٧/ ١٠
وقيل : هما الأكحلان . وقال الفيروز آبادي في قاموسه : والأبهري : الظهر
وعرق فيه ووريد العنق والأكحل والكلية ، والوتين : عرق في القلب
إذا انقطع مات صاحبه . وقال ابن الفرات في الوفاة من السيرة من تاريخه :
قال الحرشي : العرق^٢ في الظهر يسمى الأبهري ، وفي اليد الأكحل ، وفي
العنق الوريد ، وفي الفخذ النساء ، وفي الساق الأبهيل ، وفي العين الشبان ، ١٥
(١) وهو المشهور بثابت بن أبي ثابت أبي محمد اللغوي ، واختلف في اسم أبيه فذكر في
إنباه الرواة ٢٦١/١ : واسم أبيه أبي ثابت سعيد ، وقيل : محمد ؛ وقال في التعليق
عليه : زاد في إشارة التعيين « وقيل : عبد العزيز ، وهو الصحيح » (٢) هو أبو بكر
محمد بن الحسن بن مدحج الأندلسي ، واسم مختصره : الاستدراك على كتاب العين .
(٣) سقط من ظ .

و هو عرق واحد ، كله يسمى الجدول . و قال ابن كيسان أيضا : هو الوتين
 في القلب و الصافن . و قال الإمام أبو غالب ابن التياتي^١ الأندلسي في كتابه
 المواعظ : إسماعيل أبو حاتم : الأبر عرق^٢ في الظهر ، يقال : هو
 الوريد في العنق ، ثم^٣ قال : و الأبر عرق^٤ مستبطن المتن^٥ ؛ الأصمعي :
 ه و في الصلب الأبر و هو عرق ؛ صاحب العين : الأبران الأكلان ،
 و يقال : هما عرقان مكتفا الصلب من جانبيه^٦ . و^٧ قال صلى الله عليه
 وسلم : ما زالت أكلة خير تعادني^٨ كل عام فالآن حين قطعت
 أبري - يعني عرقى ، و يقال : الأبر عرق مستبطن الصلب ، و إذا
 انقطع فلا حياة بعده . و^٩ هذا اللفظ الذي ذكره رواه البخاري و الطبراني
 ١٠ عز عائشة رضي الله عنها . و معنى تعادني^{١١} : تناظرني و تحالفني ، من
 العديد بمعنى الند الذي هو المثل المضاد و المنافر ، أى إني كلما زدت
 في جسمي صحة^{١٢} ، نقصته بما لها من الضر و الأذى .

ولما أمر سبحانه بالتبليغ [العام - ٧] ، أمره بنوع منه على وجه
 يؤكد ما ختمت به آية التبليغ من عدم الهداية لمن حتم بكفره^{١٣} ،
 ١٥ و يبطل^{١٤} - مع تأكيده - هذه الدعوى : قولهم : نحن أبناء الله^{١٥} و أحباؤه^{١٦} ،
 فقال مرها لهم بعد ما تقدم من الترغيب في إقامته : ﴿ قل يآهل الكتاب ﴾

(١) من إنباء الرواة ٢٥٩/١ . و في الأصل : التياتي ، و في ظ : البياتي - كذا ،
 و هو تمام بن غالب اللقوي (٢) في ظ : عناق (٣) سقط من ظ (٤) في ظ :
 التين (ه) في ظ : جانبه (٦) في ظ : تعادني ، و في لسان العرب : تعاودني .
 (٧) زيد من ظ (٨) في ظ : تبطل (٩) في ظ : احبا .

أى من اليهود و النصارى ﴿ لستم على شئ ﴾ أى 'سار' أو ' يعتد به
من دنيا و لا آخرة ، لأنه لعدم ثقته لبطلانه لا يسمى شيئا أصلا
﴿ حتى تقيموا ﴾ أى بالعمل بالقلب و القلب ﴿ التوراة و الانجيل ﴾
و ما^٢ فيها من^٣ الإيمان بيسى ثم بمحمد عليها الصلاة و السلام بالإشارة
إلى كل منها بالخصوص بنحو ما تقدم فى^٤ الإشراق من^٥ ساعير
و الظهور من فاران ، و^٦ بالإشارة بالعموم إلى تصديق كل من أى بالمعجز ،
و صدق ما قبله من منهاج الرسل ﴿ و ما أنزل ﴾ .

و لما كان ما عندهم إنما أوتى إليهم بواسطة الأنبياء ، عداه بحرف
الغاية فقال : ﴿ اليكم من ربكم^٧ ﴾ أى المحسن إليكم بانزاله على السنة
أنبيائكم من البشارة بهما ، و على لسان هذا النى العربى^٨ الكريم بما يصدق ١٠
ما قبله ، فأنهم يعلمون ذلك و لكنهم يحدونه .

و لما كان السياق لأن أكثرهم مالك ، صرح به دالا بالعطف على
غير معطوف عليه أن التقدير : فليؤمنن به من أراد الله منهم ، فقال :
﴿ و ليزيدن كثيرا منهم ﴾ أى ما عندهم من الكفر بما فى كتابهم
﴿ ما أنزل إليك من ربك ﴾ المحسن إليك بانزاله ﴿ طغيانا ﴾ تجاوزا شديدا ١٥
للحد ﴿ و كفراج ﴾ أى سترا لما دل عليه العقل .

و لما كان صلى الله عليه و سلم شديد الشفقة على خلق الله ، سلّاه
فى ذلك بقوله : ﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن إعلام الله لك بذلك / قبل وقوعه
[ثم عن وقوعه^٩] كما أخبر أن تعلم أنه^{١٠} بارادته و قدرته ، فقال^{١١} لك :

(١ - ١) فى ظ : ساو - كذا (٢) فى ظ : بما (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى
ظ : الاسراق ما (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : فيقال .

لا (تاس) أى تحزن (على القوم الكافرين ه) أى على فوات العريقين
فى الكفر لأنهم لم يضرُوا إلا أنفسهم لأن ربك العليم القدير لو علم
فيهم خيرا لأقبل بهم إليك ، والحاصل أنه ختم هذه الآية بمعلول الآية
التي قبلها ، 'فكأنه قيل : بلغ' ، فان الله هو الهادى المضل ، فلا تحزن
ه على من أدبر .

ولما كان ما مضى فى هذه السورة غالبا فى فضائح أهل الكتاب
لا سيما اليهود ^٢ يان أنهم عضوا^٣ على الكفر ، و مردوا على الجحد ،
و تمرنوا على البهت ، و عتوا عن أوامر الله ، كان ذلك موجبا لأنه
ربما حدث فى الخاطر أنه إن آمن منهم أحد ما يقبل^٤ ، أو لأن يقولوا هم :
١٠ ليس فى دعائنا حيتند فائدة فلا تدعنا ، أخبر أن الباب مفتوح^٥ لهم و لغيرهم
من جميع أهل الملل ، وأنه ليس بين الإنسان و بين أن يكون من أهله
إلا عدم الإخلاص ، فاذا أخلص أذن فى دخوله [و - ٦] نودى
بقوله^٦ ، أو يقال - و هو أحسن : لما أخبر عن كثير منهم بالزيادة فى
الكفر ، رغب القسم الآخر على وجه بهم غيرهم ، أو يقال : إنه لما طال
١٥ الكلام معهم . [كان ٦] ربما ظن أن الأمر ترغيا و ترهيا و أمرا
و نهيا خاص بهم ، فوقع الإعلام بأنهم و غيرهم من جميع الفرق فى ذلك
سواء ، تشريفا لمقدار هذا النبي الكريم بعموم الدعوة و إحاطة الرسالة

(١-١) تكرر ما بين الرقین فی ظ غیر أن فی التکرار « کانه » مکان « فکانه »
(٢) سقط من ظ (٣) فی الأصل : عسوا ، و فی ظ : عضبوا - کذا (٤) فی ظ :
لم یقبل (٥) من ظ . و فی الأصل : مفتوحا - کذا (٦) زید من ظ (٧) فی
ظ : بقوله .

فقال سبحانه: ﴿ ان الذين امنوا ﴾ أى قالوا: آمنا ﴿ و الذين هادوا ﴾
 أى اليهود ﴿ و الصبؤن ﴾ أى القائلون بالاثوثان الساموية و الاصنام
 الأرضية ﴿ و النصرى ﴾ أى الذين يدعون اتباع المسيح عليه السلام .
 و لما كان اليهود قد عبدوا الاصنام متقربين بها إلى النجوم فى
 استنزال الروحانيات انهماكا فى السحر الذى جاء فيهم موسى عليه السلام ٥
 بابطاله ، و كان ذلك هو معنى دين الصابئة ، فرق بين فريق بنى إسرائيل بهم
 مكثفيا بهم عن ذكر بقية المشركين لما مضى فى البقرة ؛ و لما سبق فى
 هذه السورة من ذم اليهود بالنقض لليثاق و الكفر و اللعن و القسوة
 و تكرار الحياثة و إخفاء الكتاب و المسارعة فى الكفر و النفاق و التخصيص
 بالكفر و الظلم و الفسق و غير ذلك من الطامات ما يسدّ الاسماع ، كان ١٠
 قبول توبتهم جديرا بالإنكار ، و كانوا هم ينكرون عنادا فلاح العرب من آمن
 منهم و من لم يؤمن ، فاقضى الحال كون الفريقين فى حيز التأكيد ، و لم يتقدم
 للصابئة ذكر هنا أصلا فأخرجوا منه تنبيها على أن المقام لا يقتضيه
 لهم ، فابتدئ بذكرهم اعتراضا و دل على الخبر [عنهم بخبر - ٢] " إن ٢ " ،
 أو أنه لما كان المقام للترغيب فى التوبة ، و جعل هؤلاء مع شناعة حالهم ١٥
 بظهور ضلالهم كمن لا إنكار لقبول توبته ، كان غيرهم أولى بذلك ، و لما كان
 حال النصارى مشتبها ، جعلوا فى حيز الاحتمال للعطف على اليهود ؛ لما
 (١) فى ظ : سد (٢) زيد من ظ (٣) و أطال الكلام فى توجيهه الألوسى فراجع
 روح المعاني ٢/ ٣٥٥ ، و ساق ابن حيان فيه ثلاثة أوجه فراجع البحر المحيط ٣/ ٥٣١ .
 (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ لحذفها .

تقدم من ذمهم ، و على الصابئة لحنه حالهم بأنهم مع أن أصل دينهم صحيح لم يبلغ ذمهم السابق في هذه السورة مبلغ ذم اليهود (من آمن)
 أى منهم مخلصا من قلبه^١ ، و لعله ترك الجار إعرافا في التعميم (بالله)
 ٩٩ / أى الذى / له جميع الجلال و الإكرام (و اليوم الآخر) أى الذى يبعث
 ٥ فيه العباد بأرواحهم و أشباحهم ، و يبعث [من - ٢] ذكره على
 الزهادة^٢ و ألحد في العبادة ، و بالإيمان به يحصل كمال المعرفة بالله تعالى
 باعتقاد كمال قدرته^٣ (و عمل صالحا) أى صدق إيمانه القلبي بالعمل
 بما أمر به^٤ ، ليجمع بين فضيلتي العلم و العمل ، و يتطابق الجنان مع
 الأركان (فلا خوف عليهم) يعتقد به في دينا و لا في آخرة
 ١٠ (و لا هم) أى خاصة (يحزنون)^٥ أى على^٦ شىء فات ، لأنه لا يفوتهم
 شىء يؤسف عليه أصلا ، و أما غيرهم فهم في الحزن أبدا ، و^٧ في
 الآية تكذيب لهم في قولهم " ليس علينا في الامين سيل " المشار
 إليه في هذه السورة بنسبتهم إلى أكل السحت في غير موضع ، و في
 نصوص التوراة الموجودة بين أظهرهم الآن أعظم ناصح^٨ لهم في ذلك
 ١٥ كما سبق في أوائل البقرة ، و قال في السفر الرابعع منها عند ذكر
 التيه^٩ و وصاياهم إذ أدخلهم^{١٠} الأرض المقدسة ، و مكنهم فيها بأشياء

(١) في ظ : قبله (٢) زيد و لا بد منه (٣) في ظ : الزهاد (٤ - ٥) سقط ما بين
 الرقين من ظ (٥ - ٥) في ظ : امرته (٦) زيد بعده في الأصل : كل ، ولم تكن
 الزيادة في ظ لخذفناها (٧) سقط من ظ (٨) سورة ٣ آية ٨٥ (٩) في ظ :
 واضح (١٠) في ظ : اليهم - كذا (١١) في ظ : دخلتم ، و زيد بعده فيه : إلى .

منها القربان : و إن سكن بينكم رجل غريب يقبل إلى أو بين أولادكم لاحقابكم و يقرب قربانا^١ لرحم قنار الذبيحة للرب يفعل كما فعلتم أتم، و لتكن السنة واحدة لكم و للذين يقبلون إلى^٢ و يسكنون بينكم سنة جارية لاحقابكم إلى الأبد، و الذين يقبلون إلى من الغرباء يكونون أمام الرب مثلكم، و لتكن^٣ لكم سنة واحدة و حكومة واحدة لكم و للذين^٤ يقبلون إلى^٥ و يسكنون معكم .

و لما كانت هذه البشارة - [الصادقة -^٤] من العزيز العليم الذي أهل الكتاب أعرف الناس به لمن آمن كائنا من كان - موجبة * للدخول في الإيمان و التعجب ممن لم يسارع إليه ، و كان أكثر أهل الكتاب إنما يسارعون في الكفر ، كان الحال مقتضيا لتذكر ما مضى من قوله تعالى ١٠ " و لقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل و بعثنا منهم^٦ اثني عشر نقيبا " و زيادة العجب منهم مع ذلك ، فأعاد سبحانه الإخبار به مؤكدا له تحقيقا لأمره و تفضيها لشأنه ، و ساقه على وجه يرد دعوى البتوة و المحبة ، ملتفتا مع التذكير بأول قصصهم^٧ في هذه السورة إلى أول السورة " اوفوا بالعقود " و عبر في موضع الجلالة بنون العظمة ، و جعل بدل التقباء الرسل فقال ١٥ مستأنفا : ﴿ لقد اخذنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ ميثاق بني اسرائيل ﴾ أى على الإيمان بالله ثم بمن يأتي بالمعجز مصدقا لما عنده^٨ بحيث يقوم

(١) في ظ : قربا - كذا (٢) في ظ : لكن (٣) زيد بعده في ظ : من (٤) زيد من ظ (٥) في الأصل و ظ : موجب - كذا (٦) من ظ و القرآن الكريم سورة ٥ آية ١٢ ، و في الأصل : منكم (٧) في ظ : قصصه (٨) في ظ : عندهم .

الدليل على أنه من رسل^١ الله الذين تقدم أخذ العهد عليهم بالإيمان بهم^٢،
 ودل على عظمة الرسل بقوله في مظهر العظمة: ﴿وارسلنا إليهم رسلاً^٣﴾
 أى لم نكتف^٤ بهذا العهد، بل^٥ لم نخلهم من بعد موسى من الرسل
 الذين يروونهم الآيات ويحددون لهم أوامر الرب إلى زمن عيسى عليه السلام؛
 ٥ روى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه - البخارى في بنى إسرائيل^٦
 ومسلم في المغازى - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كانت
 بنو إسرائيل تسوسهم^٧ الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي
 بعدى، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا^٨
 بيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم - انتهى.

١٠ ومع ذلك فلم يخل لهم زمان طويل من الكفر [لا - ٧] في زمن
 موسى ولا في زمن من بعده من الأنبياء عليهم السلام، حتى قتلوا كثيراً
 من الرسل^٩ وهو معنى قوله^{١٠} - جواباً لما ذكرناه قال: ما فاعوا بالرسول - :
 ﴿كلما جاءهم رسول﴾ أى من أولئك الرسل أى رسول كان
 / ﴿بما لا تهوى أنفسهم لا﴾ أى شئ لا تحبه نفوسهم محبة تنساقط بها إليه،
 ١٥ خالفوه، فكأنه قيل: أى مخالفة؟ فقل: ﴿فريقاً﴾ أى من الرسل ﴿كذبوا﴾
 أى كذبهم بنو إسرائيل من غير قتل، ودل على شدة بشاعة القتل وعظيم
 شناعته بالتعبير بالمضارع تصويراً للحال الماضية وتنبها على أن هذا دينهم

(١) في ظ: رسول (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: لم يكتف (٤) راجع كتاب
 الأنبياء (٥) في ظ: برسوسهم (٦-٦) من ظ و صحيح البخارى، وفي الأصل:
 قافراً - كذا (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) تكرر ما بين الرقعين في ظ بعد
 « ما فعلوا بالرسول » .

و هو أشد من التكذيب فقال : ﴿ و فريقا يقتلون في ﴾ أى مع التكذيب
 و ليدل على ما وقع منهم ' في سم ' النبي صلى الله عليه و سلم ، و قدم
 المفعول للدلالة على انحصار أمرهم في حال التكذيب و القتل ، فلا حظ
 لهم في تصديق مخالف^٢ لأهويتهم ﴿ و حسبوا ﴾ أى لقلة^٣ عقولهم
 مع مباشرتهم لهذه العظام التي ليس بعدها شيء ﴿ ألا تكون ﴾ أى ه
 توجد ﴿ فتنة ﴾ أى أنه لا يصيبهم بها عذاب في الدنيا و لا آخرة
 في الآخرة ، بل استحقوا بأمرها ، فلا تعجب أنت من جرأتهم في
 ادعائهم أنهم أبناء الله^٤ و أحباؤه ؛ و قرئ : تكون - بالرفع تزيلا للحسان
 منزلة^٥ العلم فتكون مخففة من الثقيلة^٦ التي للتحقيق^٧ ، و بالنصب كان الحسان
 على بابه ، و ' أن ، على بابها خفيفة ناصبة^٨ للفعل ، لأن القاعدة - كما ذكر ١٠
 الواحدى - أن^٩ الأفعال على ثلاثة أضرب : فعل للثبات و الاستقرار
 كالعلم و التيقن و اليان^{١٠} ، تقع بعده الثقيلة دون الخفيفة ؛ و فعل للزلزلة
 و الاضطراب^{١١} كالطمع و الخوف و الرجاء ، فلا يكون بعده إلا الخفيفة
 الناصبة للضارع ؛ و فعل يقع على وجهين كحسب : تارة تكون بمعنى

(١-١) في ظ : من سهم (٢) في ظ : تحليف - كذا (٣) في ظ : لخفة (٤) في
 ظ : انهم (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : بمنزلة (٧-٧) سقط ما بين الرقبن من
 ظ (٨) من ظ ، و في الأصل : فأنصبته ، و في روح المعاني ٢ / ٣٥٨ : و قرأ
 أبو عمرو و حمزة و الكسائي و يعقوب « ان لا تكون » بالرفع على أن ' ان ' هي المخففة
 من الثقيلة ، و أصله : أنه لا تكون ، تنقف ' أن ' و حذف ضمير الشأن (٩) في
 ظ : لان (١٠) في ظ : الثبات (١١) من ظ ، و في الأصل : الاضراب .

طمع فتصب^١، وتارة بمعنى علم قترع^٢؛ فان رفع هنا كان الحسان بمعنى العلم عندهم لقوة عنادهم، وإن نصب كان بمعنى الطمع لأنهم عالمون بأن قتلهم لهم خطأ؛ فتزل القراءتان على فريقين - والله أعلم، وأيضا فقراءة الرفع تفيد تأكيد حسابهم المفيد لعدم خوفهم بزيادة عمام (فعموا) أى فتسبب عن إدلالهم إدلال الولد والمحبوب جهلا منهم وحماسة بظنهم أنهم لا تالهم فتنة أنهم ووجد عمام العمى الذى لا عمى فى الحقيقة سواء، وهو انطلاس البصائر فافها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور، حتى فى زمن موسى عليه السلام (وصموا) أى بعده؛ وبعد يوشع عليها السلام، لأن الصمم أضر من العمى، فصاروا ١٠. كمن لا يهتدى إلى سبيل أصلا، لأنه لا بصر له بعين ولا قلب ولا سمع (ثم تاب الله) أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال (عليهم) أى فرجعوا إلى الحق وتكرر لهم ذلك (ثم عموا) أى فى زمن المسيح عليه السلام (وصموا) أى بعده.

ولما كان الإتيان بالضمير مفهوما لأن ذلك عنهم كلهم، أعلم سبحانه ١٥ أن ذلك ليس كذلك بقوله: (كثير منهم) إلا أن سؤقه للعبارة هذا المساق يدل على أن من لم يكفر منهم كان منزلا غير راسخ القدم فى الهدى - والله أعلم، وربما دل عليه قوله: (والله) أى المحيط بكل شئ. قدرة وعلما (بصير بما يعملون) أى وإن دق وإن كانوا

(١) فى ظ: فينصب؛ (٢) فى ظ: فرفع (م) فى ظ: وجدوا (٤ - ٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (ه) فى ظ: متزلزلا.

يظنون أنهم أسسوا^١ عملهم على علم ، وقد مضى في قوله ” من لعنه الله و غضب عليه “ ما يشهد لهذا من عبادتهم بعلا الصنم و غيره من الأصنام مرة بعد مرة .

١٠١ / ولما أخبر تعالى بفساد أعمالهم ، دل على ذلك بقوله مستفتحاً^٢ مينا من حال النصراني ما بين من حال اليهود ، و مؤكداً لحتم آية التبليغ^٥ بما ينقض دعواهم في البتة و المحبة : (لقد كفر) أى ستر ما دل عليه النقل و هدى إليه العقل (الذين قالوا ان الله) أى على ما له من نعوت الجلال و الجمال (هو المسيح) فبين بصيغة فعل - التى لا مانع من أن تكون للفعول - بُعْدَهُ عما ادعوه فيه ، ثم أوضح ذلك بقوله : (ابن مريم^٦)
إيضاحاً لا خفاء معه .

١٠

ولما كانت دعوى الاتحاد الذى هو قول يعقوبية أشد في الكفر و أننى للاله من دعوى التثليث الذى هو قول النسطورية و الملكية القائلين بالاقانيم ، قدمها و بين تعالى أنهم خالفوا فيها أمر المسيح الذى ادعوا أنه^٢ الإله فقال : (وقال) أى قالوا هذا الذى كفروا به و الحال أنه قال لهم (المسيح) [ضغطة عليهم و دعاء إلى ما هو الحق - ٤] (يبنى اسراييل)^{١٥} أى الذى كان يتشرف بعبادة الله و تسميته بأنه عبده (اعبدوا الله) أى الملك الأعظم [الذى - ٤] كل شئ تحت قهره ، فأمرهم بأداء الحق لاهله مذكراً لهم بعظمته ، ثم ذكرهم بأحسانه و أنه و إياهم في ذلك شرع

(١) من ظ ، و في الأصل : أسسوا - كذا (٢) من ظ ، و في الأصل : مستنتجاً - كذا (٣) في ظ : انفتح - كذا (٤) زيد من ظ .

واحد ، فقال مقدما لما يتعلق به لانه أهم لإنكارهم له ﴿ ربى وربكم ﴾ فلم يطيعوا الإله الحق 'ولا' الذى ادعوه إليها : فلا أضل منهم ولا أسفه ؛ قال أبو حيان فى النهر : وهذا الذى ذكره الله تعالى عنه هو ٢ مذكور فى إنجيلهم يقرؤنه ولا يعملون به ، وهو قول المسيح : يا معشر بنى المعمودية - وفى رواية : يا معشر الشعوب - قوموا بنا إلى أبى وأبيكم وإلى ٣ إلهى وإلهكم ومخلصى ومخلصكم - انتهى . وقد أسلفت أنا فى آل عمران وغيرها عن الإنجيل كثيرا ٤ من شواهد ذلك ، و يأتى فى هذه السورة وغيرها كثير منه .

١٠ ولما أمرهم بما يفهم منه الإخلاص لله تعالى فى العبادة لما ذكر من جلاله وأن ما سواه مربوب ، ولانه أغنى الأغنياء ، فمن أشرك به شيئا لم يعتد ٥ له بعبادة ، علل ٦ ذلك بقوله : ﴿ انه من يشرك ﴾ أى الآن أو ٧ بعد الآن فى زمن من الأزمان ﴿ بالله ﴾ أى الذى تفرد بالجلال فى عبادة أو فيما هو محتص به من صفة أو فعل ٨ ﴿ فقد حرم الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا أمر لأحد معه ﴿ عليه الجنة ﴾ أى منعه من دخولها ٩

١٥ منعا عظيما متحتما .

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : الحق ، ولم تكن الزيادة فى ظ والنهر لحذفناها - راجع البحر المحيط ٣/ ٥٣٤ (٣) سقط من النهر . (٤) فى ظ : كثير (٥) من ظ ، وفى الأصل : ما (٦) فى ظ : لم يعتد (٧-٧) من ظ ، وفى الأصل : بعبادة (٨) فى ظ : أى (٩) فى ظ : ضله (١٠) من ظ ، وفى الأصل : دخول الجنة .

ولما كان المنع من دار السعداء 'مفهما لكونه' في دار الأشقياء،
صرح به فقال: (وما يؤنه) أى محل سكناه (النار) ولا جرت عادة
الدنيا بأن^١ من نزل به ضيم يسعى في الخلاص منه بأنصاره وأعدائه،
نفي ذلك سبحانه مظهرا للوصف المقتضى لشقاوتهم تعليلا وتعميما فقال:
(وما للظلمين) أى لهم لظلمهم (من انصاره) لا بداء ولا بشفاعة ولا هـ
مقاومة بمجاهرة ولا مساترة، لأن من وضع عمله في غير موضعه فكان
ماشيا في الظلام، لا تمكنه^٢ أصلا مقاومة، من هو في آثم ضياء، وهذا
على التهديد على الكفر فلا يصح أن يكون على مطلق المعصية ولو كانت
كبيرة، فبطل قول المعتزلة.

ولما انقضى هذا النقض، وقدمه لأنه كما مضى أشد، أتبعه بإبطال ١٠
دعوى التثليث بقوله مبدا من تلك النتيجة نتيجة أخرى: (لقد كفر
الذين قالوا) بجماعة على الكلام المتناقض وعدم حياه / (ان الله)
أى على ما له من العظمة التي منها الغنى المطلق (ثالث) أى واحد
(ثلاثة) أى كلهم آلهة^٣، وأما القائل بأنه ثالث بالعالم فلا يكفر.

١٠٢ /

ولما أعلم بكفرهم، أشار إلى إبطاله كما أشار إلى إبطال الأول كما ١٥
سلف بما لا يخفى على أحد، تحقيقا لتلبسهم بمعنى الكفر الذي هو ستر ما
هو ظاهر فقال: (وما) وأغرق في النفي كما هو الحق واقتضاه المقام
فقال: (من اله الآله واحد) أى قالوا ذلك والحال أنه لا يصح

(١-١) في: ١: مغنا للكون (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: لا يمكنه (٤) في ظ:
مقامه (هـ) من ظ، وفي الأصل: اله.

و لا يتصور في العقل أن يكون الإله متعددًا لا تحقيقًا ولا تقديرًا بوجه
من الوجوه، لا يكون إلا واحدًا بكل اعتبار، وهو الله تعالى لا غيره، وقد
بين عيسى عليه السلام في الإنجيل الذي بين أظهرهم أنه لا يصح أن يكون
الإله إلا واحدًا - بالمعتمد من أدلة ذلك عند محقق أهل الأصول وهو برهان
التمايز المشار إليه في كتابنا بقوله تعالى " لو كان فيهما إلهة إلا الله
لفسدنا " فقال مترجمهم في إنجيل متى : حيث أنى إليه - أى عيسى عليه السلام -
بأعنى أخرس^٢ به شيطان ، فأبراه حتى أنه تكلم وأبصر ، فبهت الجمع
كلهم وقالوا : لعل هذا هو ابن داود ! فسمع الفريسيون فقالوا : هذا لا يخرج
الشياطين إلا بباعل زبول رئيس الشياطين ، فلما علم مكرهم قال لهم : كل
١٠ مملكة تنقسم على ذاتها تخرب ، و كل مدينة أو بيت ينقسم لا يثبت ،
فإن كان الشيطان يخرج الشيطان * فقد انقسم فكيف يقوم ملكه ؟ فإن
كنت أنا أخرج الشياطين * بباعل زبول فأبناؤكم بما^٦ تخرجونهم ! من
أجل هذا هم يكونون^٧ عليكم ، وإن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين
فقد قربت منكم ملكوت الله ، وكيف يستطيع أحد أن يدخل بيت
١٥ القوى ويخطف متاعه إلا أن يربط القوى^٨ أولاً ، حيث يذهب بيته . وقال
مرقس^٩ : وأما^{١٠} الكتبة الذين^{١١} أتوا من يروشلیم فقالوا : إن بعل زبول
معه ، وباركون^{١٢} الشياطين يخرج الشياطين ؛ فدعاهم وقال لهم : كيف

(١) في ظ : لانه (٢) سورة ٢١ آية ٢٢ (٣) من ظ ، وفي الأصل : اخر - كذا .
(٤) في ظ : لا تثبت (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) في ظ : بماذا (٧) في
ظ : يحكون (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفي الأصل : قش (١٠-١٠) في ظ :
الكهنة الذي (١١) بمعنى الرئيس والكبير ، وقد يأتي تفسيره بعد .

يقدر شيطان أن يخرج شيطانا ١ وكل ملكة تنقسم لا تثبت تلك الملكة ،
 فاذا اختلف أهل البيت لا يثبت ذلك البيت ، وإن كان الشيطان الذي
 يقاوم بقيته و ينقسم فلن يقدر أن يثبت ، لكن له اقتضاء ، لا يقدر أحد
 أن يدخل بيت ١ القوي و ينتهب بيته إلا أن يربطه ٢ أولا ، و ينتهب
 متاعه ، الحق أقول لكم ١ ٢ إن كل ٢ شيء يغفر ٢ لبي الناس من الخطايا ه
 و التجديف الذي يجدفونه ٣ ، و المجدفين على روح القدس ليس يغفر لهم
 إلى الأبد ، بل يحل بهم العقاب الدائم ، لأنهم يقولون : إن معه روحا
 نجسا . قال متى : من ليس معي فهو ٢ على ٢ ، و من لا يجمع معي فهو ٢
 يفرق ، من أجل هذا أقول لكم : إن كل خطيئة و تجديف يترك للناس ،
 و التجديف على روح ١ القدس لا يترك ، و ١ من يقل كلمة على ابن الإنسان ١٠
 يترك ٢ له ، و الذي يقول على روح القدس لا يترك له في هذا الدهر
 و لا في الآتي ، إما ٤ أن تصيروا الشجرة الجيدة و ثمرتها جيدة ، و إما
 أن تصيروا الشجرة الرديئة و ثمرتها رديئة ، لأن من الثمرة تعرف الشجرة ،
 يا أولاد الأفاعي ! كيف ١ تقدرون أن تتكلموا ١ بالصلاح و أتم أشرار !
 إنما يتكلم الفم من فضل ما في القلب ، الرجل الصالح من كنزه الصالح يخرج ١٥
 الصلاح ، و الرجل الشرير من كنزه الشرير يخرج ١ الشر ، أقول لكم ١ : إن
 [كل - ١٠] كلمة يتكلم بها الناس بطالة يعطون عنها جوابا في يوم

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : تربطه (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٤) زيد بعده في ظ : لكم (هـ) من ظ ، و في الأصل : تجدفونه (٦) في ظ : الروح .

(٧) في الأصل و ظ : لا يترك ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل (٨) في ظ : الا .

(٩-١) في ظ : تقدرون أن تتكلموا (١٠) زيد من ظ .

الدين ، لأنك من كلامك تبرّر ، و من كلامك يحكم عليك . و في إنجيل
لوقا : و فيما هو يتكلم إذا رفعت امرأة من الجمع صوتها و قالت : طوبى
لبطن الذى حملتك ، و لثدى الذى أرضعتك ، فقال [لها - ١] : مهلا طوبى
لمن يسمع كلام الله و يحفظه - انتهى . حيثئذ ٢ أجابه قوم من الكتبة
و الفريسيين قائلين : نريد يا معلم أن نرى آية ، أجابهم و قال لهم :
الجيل الشرير الفاسق يطلب آية فلا يعطى آية إلا آية يونان النبى ؛ قال لوقا :
فكما ٣ كان فى يونان آية لأهل نينوى ، كذلك يكون ابن الإنسان لهذا الجيل
آية - انتهى . رجال نينوى يقومون فى الحكم و يحاكمون هذا الجيل ، لأنهم
تابوا بكرىزة يونان - و قال لوقا : بانذار يونان - و ههنا أفضل من
١٠ يونان ، ملكة التيمن تقوم ٤ فى الحكم مع هذا الجيل و تحاكمه ،
لأنها أتت من أقصى الأرض لتسمع من حكمة سليمان ، ٥ و ههنا أفضل
من سليمان ٦ ، إن الروح النجس إذا خرج من الإنسان يأتى أمكنة ليس
[فيها - ١] ماء ، يطلب راحة فلا يجد . فيقول حيثئذ : أرجع إلى بيتي
الذى خرجت منه ، فيأتى فيجد المكان فارغا مكنوسا مزينا ، فيذهب
١٥ حيثئذ و يأخذ معه سبعة أرواح أخر شرار منه و يأتى و يسكن هناك ،
فتصير آخره ذلك الإنسان شرار ٧ من أوليته ٨ ، و هكذا يكون لهذا
[الجيل - ٢] الشرير - انتهى . و التجديف هو الكفر بالنعم ، و يونان :

(١) فى الإصل : إذا ، و سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : صعيد - كذا .
(٤) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : فلما (٥) فى ظ : يقوم (٦ - ٦) سقط
من ظ (٧) زيد بعده فى ظ : منه (٨) فى الأصل و ظ : اوليته - كذا (٩) فى ظ :

يونس عليه السلام ، و الكريزة - بينها لوقا بأنها الإنذار ، و التيمن :
 اليمن ، و الأركون - بضم الهمزة و الكاف بينهما راء مهملة ساكنة :
 الكبير ، و يروشليم - بفتح التحتانية و ضم ' المهملة ثم شين معجمة :
 بيت المقدس ، و باعل زبول - بموحدة و عين مهملة و زاي و موحدة .
 هذا الدليل على التوحيد و أن الشركه في الإلهية لا تصح أصلا ، و أما ه
 الدليل على عدم شركه كل من عيسى و أمه عليهما السلام بخصوصهما
 فسيأتي تقريره بقوله تعالى " كانا يأكلن الطعام " و المراد من ذلك كله
 أنه متى دخلت الشركه أنى النقص فعلا أو إمكنا^٢ ، و من اعترته شائبة
 نقص لم يصح كونه إلها .

و لما أخبر أنهم كفروا ، وأشار إلى نقض قولهم ، كان أنسب ١٠
 الأشياء بعده^٣ أن يعطف عليه ترهيبهم ثم ترغيبهم فقال تعالى :
 ﴿ وان لم ينتهوا ﴾ أى الكفرة بجميع أصنافهم^٤ ﴿ عما يقولون ﴾ أى من هاتين
 المقاتلتين وما داناها^٥ ﴿ ليسن ﴾ أى مباشرة من غير حائل ﴿ الذين كفروا ﴾
 أى داموا على الكفر ، و بشر سبحانه بأنه يتوب على بعضهم بقوله :
 ﴿ منهم عذاب اليم^٦ ٥ ﴾ .

١٥

و لما كان من شأن العاقل أنه لا يقدم على باطل ، فإن وقع ذلك
 منه و شعر^٧ بنوع ضرر يأتي بسببه بادر إلى الإقلاع عنه ، تسبب عن هذا
 الإنذار - بعد بيان العوار - الإنكار عليهم في عدم المبادرة إلى التوبة إيضا

(١) من ظ ، و في الأصل : بضم (٢) في ظ : ذيلول (٣) في ظ : مكنا (٤) من ظ ،
 و في الأصل : بعد (٥) في ظ : اوضاعهم (٦) في ظ : داناها (٧) في ظ : شغب .

لأن معنى كفروا: داموا^١ عليه ، فقال : ﴿ افلا يتوبون ﴾ أى يرجعون
بعد هذا الكفر الذى لا أوضح من بطلانه ولا أين من فسادة و الوعيد
الشديد ﴿ الى الله ﴾ أى المتصف بكل وصف جميل ﴿ ويستغفرونه ﴾
أى يطلبون منه غفران ما أقدموا عليه من العار البين العوارى و لما
كان التقدير : فانه ثواب حكيم ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾^٢ ويجوز
أن يكون التقدير : و الحال أن المستجمع لصفات الكمال أزلا و أبدا
﴿ غفور ﴾ أى بليغ المغفرة ، يمحو الذنوب فلا يعاقب عليها ولا يعاتب
﴿ رحيم ﴾^٣ أى بالغ الإكرام لمن أقبل إليه .

/ ١٠٤

ولما أبطل الكفر كله بآثبات أفعاله من إرساله وإنزاله وغير ذلك
١٠ من كماله ، و أثبت التوحيد على وجه عام ، أتبع ذلك تخصيص ما كفر به
المخاطبون بالإبطال ، فكان ذلك دليلا خاصا بعد دليل عام ، فقال تعالى على
وجه الحصر فى الرسلية ردا على من يعتقد فيه الإلهية واصفا له
بصفتين لا يكونان إلا لمصنوع^٤ مربوب : ﴿ ما المسيح ﴾ أى الممسوح
بدهن القدس المطهر المولود لأمه^٥ ﴿ ابن مريم الا رسول ﴾ و بين
١٥ أنه ما كان بدعا من كان قبله من إخوانه بقوله : ﴿ قد خلت من قبله الرسل ﴾^٦
أى فما من خارقة له ، و^٢ إلا و قد كان مثلها أو أعجب منها لمن قبله
كآدم عليه السلام^٧ فى خلقه من تراب ، و موسى عليه السلام^٨ فى قلب العصى
(١) من ظ ، و فى الأصل : اداموا (٢) زيد بعده فى ظ : أى (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : اقتل - كذا (٥) فى ظ : المصنوع (٦) فى الأصل و ظ : لانه .
(٧-٧) تكرر ما بين الرقعتين فى ظ .

حبة تسعى - ونحو ذلك .

ولما كفروا بأمه أيضا عليها السلام بين ما هو الحق في أمرها فقال: (وامه صديقة^١) أى بليغة الصدق في نفسها والتصديق لما ينبغى أن يصدق، فرتبتها تلى رتبة الأنبياء، ولذلك تكون من أزواج نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة . وهذه الآية من أدلة من قال: إن مريم عليها السلام لم تكن نية، فانه تعالى ذكر أشرف صفاتها في معرض الرد على من قال بالهيتها إشارة إلى بيان ما هو الحق في اعتقاد مالها من أعلى الصفات، وأنه من رفع احدا منها فرق ذلك فقد أطراه، ومن نقصه عنه فقد ازدراه، فالقصد العدل بين الإفراط والتفريط باعتقاد أن أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة، وأكمل صفات ١٠ أمه الصديقة .

ولما كان المقام مقام البيان عن نزولها عن رتبة الإلهية، ذكر أبعد الأوصاف منها فقال: (كانا يا كلن الطعام^٢) . وخص الأكل لأنه مع كونه ضعفا لازما ظاهرا هو أصل الحاجات المعترية للإنسان، فهو تنبيه على غيره، و^٣ من الأمر الجلى أن الإله لا ينبغى أن يدنو إلى جنبه عجز ١٥ أصلا، وقد اشتمل قوله تعالى "وقال المسيح" وقوله "كانا يا كلن الطعام - ٤" على أشرف أحوال الإنسان وأخسها، فأشرفها عبادة الله، وأخسها الاشتغال عنها بالأكل الذى هو مبدأ الحاجات .

(١) فى ظ : العد (٢) فى ظ : بعد (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ والقرآن الكريم (٥) فى ظ : تبدأ - كذا .

ولما أوضح ما هو الحق في أمرهما حتى ظهر كالشمس بُعْدُهما عما ادعوه فيها، أتبعه التعجب^١ من تمام قدرته على إظهار الآيات و على الإضلال بعد ذلك البيان فقال: ﴿ انظر كيف نبين لهم الآيات ﴾ أى نوضح أيضا شافيا العلامات التي من شأنها الهداية إلى الحق والمنع من الضلال^٢، ولما كان^٣ المعنى عن هذا البيان في غاية البعد، أشار إليه بأداة التراخي فقال: ﴿ ثم انظر أئني ﴾ أى كيف ومن أين^٤، ولما كان العجب قبولهم^٥ للصرف وتأثرهم به، لا كونه من صارف معين، بنى للفعل قوله: ﴿ يؤفكون^٦ ﴾ أى يصرفون عن الحق و يان الطريق صرف من لا نور له أصلا من^٧ أى صارف كان، فصرفهم^٨ في غاية السفول،^٩ و يان الآيات^{١٠} في غاية العلو^{١١}، فبينها بون عظيم.

ولما نفي عنهما الصلاحية لرتبة الإلهية للذات، أتبعها نفي ذلك من حيث الصفات، فقال منكرا مصرحا بالإعراض عنهم إشارة إلى أنهم ليسوا أهلا للقبال عليهم: ﴿ قل ﴾ أى للنصارى أيها الرسول^{١٢} الأعظم ﴿ اتعبدون ﴾^{١٣} ونبه على أن كل شيء دونه، وأنهم اتخذوه وسيلة إليه ١٥ / ١٠٥ بقوله: ﴿ من دون الله^{١٤} ﴾ / ونبه باثبات الاسم الأعظم^{١٥} على أن له جميع الكمال، و عبر عما عبده بأداة^{١٦} ما لا يعقل تنيها على أنه سبحانه هو^{١٧} الذى

(١) في ظ: التعجب (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: قولهم (٤) في ظ: يصرفهم.
(٥) - (٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (٦) في ظ: الرسل (٧-٧) تكرر ما بين الرقنين في الأصل. وسقط "من دون الله" من ظ، و زيد بعده في الأصل: أى، ولم يكن الزيادة في ظ لحذفنا (٨) في ظ: مناداة (٩) تقدم في ظ على "سبحانه".

أفاض عليه^١ ما رفته عن ذلك الحيز^٢، ولو شاء لسلبه عنه فقال:
 ﴿ ما لا يملك لكم ضرا ﴾ أى من نفسه فتخشوه ﴿ ولا تقوا^٣ ﴾ أى
 فترجوه، ليكون لكم نوع عذر أو شبهة، ولا هو سميع بسمع كل ما يمكن
 سماعه بحيث^٤ يغيب المضطر إذا استغاث به فى [أى -^٥] مكان كان، ولا عليم
 يعلم كل ما يمكن علمه بحيث يعطى على حسب ذلك، وكل ما يملك ه
 من ذلك فبتمليك الله^٦ له كما ملككم من ذلك ما شاء.

ولما نفى عنه ما ذكر تصريحاً وتلويحاً، أثبتة لنفسه المقدسة كذلك
 فقال: ﴿ والله ﴾ أى والحال أن الملك الذى له الأسماء الحسنی
 والصفات العلی : الكمال كله ﴿ هو ﴾ أى خاصة ﴿ السميع العليم ﴾
 وهو وحده الضار النافع، يسمع منكم هذا القول ويعلم هذا المعقد^٧.
 السیئ، وإما قرن بالسمیع العليم، دون البصیر لإرادة التهديد لمن عبد
 غيره، لأن العبادة قول أو فعل،^٨ ومن الفعل^٩ ما محله القلب وهو
 الاعتقاد، ولا يدرك بالبصر بل بالعلم، والآية - كما ترى - من الاحتباك:
 دل بما أثبتة لنفسه [على سبيل القصر -^{١٠}] على نفيه فى الجملة الأولى عن
 غيره، وبما فناه فى الجملة الأولى عن غيره على إثباته له - والله الموفق . ١٥
 ولما قامت الأدلة على بطلان قول اليهود ثم [على -^{١١}] بطلان
 مدعى النصارى، ولم يبق لأحد علة، أمره صلى الله عليه وسلم أن
 ينهى الفريقين عن الغلو بالباطل فى أمر عيسى عليه السلام: اليهود

(١) فى ظ : اليه (٢) فى ظ : الخبر (٣) من ظ ، وفى الأصل : بعيشه (٤) زيد
 من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : العقد (٧-٧) سقط ما بين الرقین من ظ .

بإزاله عن رتبته، والنصارى رفعه عنها بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾
أى عامة ﴿لَا تَقْلُوا﴾ أى تجاوزوا الحد علوا ولا نزولا
﴿فى دينكم﴾.

ولما كان الغلو ربما أطلق على شدة الفحص عن الحقائق
و استنباط الحقى من الأحكام و الدقائق من خبايا النصوص، نفى ذلك
بقوله: ﴿غير الحق﴾ وعرفه ليفيد أن المبالغة فى الحق غير منهى عنها،
وإنما المنهى عنه تجاوز دائرة الحق بكاملها، ولو نكر لكان من جاوز
حقا إلى غيره واقعا فى النهى، كمن جاوز الاجتهاد فى الصلاة النافلة
إلى الجسد فى العلم النافع، ولو قيل: باطلا، لأن أن المنهى عنه
١٠ المبالغة فى الباطل، لا أصله ومطلقة.

ولما نهام أن يضلوا بأنفسهم، نهام أن يقلدوا فى ذلك غيرهم
فقال: ﴿ولا تتبعوا﴾ أى فاعلين فعل من يجتهد فى ذلك ﴿اهواء قوم﴾
أى هواء مع ما لهم من القوة، فكانوا أسفل سافلين، والهوى
لا يستعمل إلا فى الشر ﴿قد ضلوا﴾ ولما كان ضلالهم غير مستغرق
١٥ للزمان الماضى. أدخل الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أى من قبل زمانكم
هذا عن منهاج العقل فصبروا على ضلالهم وأنسوا بما تبادوا عليه فى
محالهم ﴿واضلوا﴾ أى لم يكفهم ضلالهم فى أنفسهم حتى أضلوا غيرهم
﴿كثيرا﴾ أى من الناس بتباديهم فى الباطل من التلث و غيره حتى

(١) فظ: على (٢) - قط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: زمانهم (٤) من
ظ، وفى الأصل: من.

ظن حقا (و ضلوا) أى بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بمنازلة
 الشرع (عن سوء) أى عدل (السيل) أى الذى لا سبيل فى
 الحقيقة غيره ، لأن الشرع هو الميزان القسط والحكم العدل ، وهذا
 إشارة إلى أنهم [إن - ٢] لم ينتهوا كانوا على محض التقليد لأسلافهم
 الذين هم فى غاية البعد / عن النهج^٢ وترك الاهتداء بنور العلم ، وهذا ١٠٦/
 غاية فى التبكيت ، فإن تقليدهم لو كان فيما يشبه الحق كان جهلا ،
 فكيف وإنما هو تقليد فى هوى .

ولما نهام^٣ عن ذلك وقبحه عليهم . علله محذرا منه بقوله تعالى
 بانيا^٤ للفعول ، لأن الفاعل معروف بقرينة^٥ من هو على لسانهما : (لعن)
 و وصفهم بما نبه على علة لعنهم بقوله : (الذين كفروا) و صرح بنسبتهم ١٠
 تعيينا لهم و تبكيثا^٦ و تقريرا فقال : (من بنى إسرائيل) و أكد هذا
 اللعن و نفحه بقوله : (على لسان داود) أى الذى كان على شريعة
 موسى عليه السلام ، و ذلك باعتدائهم فى السبت فصاروا قردة (و عيسى
 ابن مريم) أى الذى نسخ شرع موسى عليه السلام ، بكفرهم بعد المائدة
 فسخوا خزائر ، لأنهم^٧ خالفوا النبيين معا ، فلا هم تعبدوا بما دعاهم إليه ١٥
 داود عليه السلام من شرعهم الذى هم مدعون التمسك به ، و عارفون

(١) زيد بعده فى ظ : ان (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : النهج (٤) من ظ ،
 وفى الأصل : العلم (٥) من ظ . وفى الأصل : يشبهه (٦) من ظ ، وفى الأصل :
 نهوام (٧) فى ظ : بياقاه (٨) من ظ ، وفى الأصل : لقرية - كذا (٩) سقط
 من ظ (١٠ - ١٠) . تأخر ما بين الرقيين فى الأصل عن « كما مضى » .

بأن ما دعاهم إليه منه^١ حقاً ، ولا هم خرجوا عنه إلى ما أمروا بالخروج
إليه على لسان موسى عليه السلام في بشارته به^٢ متقدين بطاعته ، فلم يبق^٣
لهم علة من التقيد به ولا التقيد^٤ بحق دعاهم إليه غيره ، فلم قطعاً أنهم
مع الهوى كما مضى ، [و -] لم ينفعهم مع نسبتهم إلى^٥ واحدة من^٦
الشريعتين نسبتهم إلى إسرائيل عليه السلام ، فانه لا نسب لأحد عند الله
دون التقوى لا سيما في يوم الفصل إذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو إلا المتقين .

ولا أخبر بلعنهم^٧ وأشار إلى تعليقه بكفرهم ، صرح بتعليقه بقوله :
(ذلك) أى اللعن التام (بما) أى بسبب ما^٨ (عصوا) أى
١٠ فعلوا في ترك أحكام الله فعل العاصي على الله (وكانوا يعتدون^٩) أى
كانت مجاوزة الحدود التى حدها الله لهم خلقاً .

ذكر الإشارة إلى لعنهم في الزبور والإنجيل ، قال في المزمور
السابع والسبعين^{١٠} من الزبور : أنصت^{١١} يا شعبي لوصاياي^{١٢} ، قروا أسماعكم
إلى قول فى ، فاني أفتح بالأمثال فى ، وأنطق بالسرائر الأزلية التى
١٥ سمعناها و عرفناها وأخبرنا آباؤنا بها ولم يخفوها عن أبنائهم ليعرفوا الجيل
الآتى تساييح^{١٣} الرب وقوته وعجائبه التى صنعها ، أقام شهادته فى يعقوب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فلم يبق (٣) فى ظ : التعبد (٤) زبدت الواو من
ظ (٥ - ٥) من ظ ، وفى الأصل : اسرال - كذا (٦) فى ظ : تلعنهم (٧) والنص
الآتى إنما هو فى المزمور الثامن والسبعين فيما عندنا من نسخ الزبور (٨) من ظ ،
وفى الأصل : انصب (٩) من ظ ، وفى الأصل : لوصاى (١٠) فى ظ : بتساييح .
٢٦٠ (٦٥) وجعل

وجعل ناموسا في إسرائيل كالذى أوصى آباءنا ليعلموا أبناءهم ، لكيما يخبر الجيل
 الآخر البنين الذين يولدون و يقومون ، و يعلمون أيضا بنيتهم أن يجعلوا
 توكلهم على الله ولا ينسوا أعمال الرب ، و يتبعوا 'وصاياهم' لئلا يكونوا كآبائهم
 الجيل المنحرف المخالف الخلف الذى لم يثق قلبه ولم يؤمن بالله المفرج
 عنه ، بنو إفرام الذين أوتروا و رفعوا^١ عن قسيتهم و انهزموا في يوم القتال^٥
 لأنهم لم يحفظوا عهد الرب ولم يشاؤا أن يسيروا في سبله ، و نسوا حسن^٢
 أعماله و صنائمه التى أظهرها^٣ قدام آبائهم ، العجائب التى صنعها بأرض
 مصر في^٤ مزارع صاعان ، فلق البحر و أجازهم و أقام المياه كالزقاق ، هدام^٦
 بالنهار في الغمام و في الليل أجمع بمصايح [النار -^٧] ، فلق صخرة في البرية
 و سقام منها كاللجج^٨ العظيمة ، أخرج الماء من الحجر فجرت المياه كجرى^٩
 الأنهار ، و عاد الشعب أيضا في الخطيئة ، و أسخطوا / العلى حيث لم يكن
 ماء^{١٠} ، جربوا الله في قلوبهم بمسألة الطعام لنفوسهم ، و قذفوا^{١١} على الله و قالوا :
 هل يقدر أن يصنع لنا مائدة في البرية ، لأنه^{١٢} ضرب الصخرة فجرت المياه
 و فاضت الأودية ، هل يستطيع أن يعطينا خبزا أو يعد مائدة لشعبه ، سمع
 الرب فغضب و اشتعلت النار في يعقوب ، و صعد الرجز^{١٣} على إسرائيل^{١٤}
 لأنهم لم يؤمنوا بالله ولا رجوا خلاصه ، فأمر السحاب من فوق
 (١-١) في ظ : و صاياهم ليكون - كذا (٢) في ظ : ذحرا (٣) في ظ : احسن .
 (٤) زيد بعده في ظ : الرب (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : عراهم .
 (٧) زيد من ظ (٨) في ظ : كاللجج - كذا (٩) في الأصل : مدحوا ، و في ظ :
 قدموا - كذا (١٠) في ظ : لان .

وافتحت أبواب السماء وأنزل لهم المن لياكلوا، أعطاهم خبز السماء،
أكله الإنسان، أرسل إليهم صيدا ليشبعوا، أهاج ريح التيمن^١ من السماء
وأتى بقوة العاصف^٢، وأنزل اللحم مثل التراب وطيور السماء ذات الأجنحة
مثل رمل البحار، يسقطن في محالهم حول خيامهم، فأكلوا وشبعوا جدا،
ه أعطاهم شهورتهم ولم يحرمهم إرادتهم، فبينما الطعام في أفواههم إذ غضب الله
نزل عليهم قتل في كثرتهم وصرع^٣ في مختارى إسرائيل، ومع هذا
كله أخطأوا^٤ إليه أيضا ولم يؤمنوا بمجائته، فبليت^٥ بالباطل أيامهم،
وتصرمت عاجلا سنوهم، فحين قتلهم رغبوا إلى الله وعادوا وابتكروا
إليه وذكروا أن الله معينهم وأن الله العلي مخلصهم، أحبوه بأفواههم
١٠ وكذبوه^٦ بألسنتهم، ولم تخلص له قلوبهم ولم يؤمنوا بعهده، وهو رحيم
رؤوف، يغفر ذنوبهم ولا يهلكهم، ويرد كثرة سخطه عنهم ولا يبعث
كل رجزه، وذكر أنهم لحم وروح يذهب ولا يعود. مرارا كثيرة
أخطأوه في البرية وأغضبوه في أرض ظامنة^٧، وعادوا [و-^٨] جربوا^٩ الله
وأخطأوا قدوس إسرائيل، ولم يذكروا يده في يوم نجاتهم^{١٠} من
١٥ المضطهدين^{١١} - انتهى .

هذا بعض ما في الزبور، وأما الإنجيل فطافح بذلك؛ منه ما في

- (١) في ظ : اليمن (٢) في ظ : العاطف (٣) من ظ والزبور . وفي الأصل :
صرح (٤) في ظ : خطأوا (ه) في ظ : بليت (٦) من ظ ، وفي الأصل : كذبوهم .
(٧) من ظ ، وفي الأصل : ظامنة (٨) زبدت الواو من ظ (٩) في ظ : احربوا .
(١٠) في ظ : نخلهم (١١) في ظ : المضطرين .

إنجيل متى ، قال : و انتقل يسوع من هناك و جاء إلى عبر^١ الجليل ، و صعد إلى الجبل و جلس هناك ، و جاء إليه جمع كبير معهم^٢ خرس و عمى و عرج و عسم و آخرون كثيرون^٣ ، فخررا عند رجله فأبرأهم ، و تعجب الجمع لأنهم نظروا الخرس يتكلمون و^٤ الصم يسمعون^٥ ، و العرج يمشون^٦ و العمى يبصرون ، و مجدوا إله إسرائيل ، و إن يسوع دعا تلاميذه و قال لهم : إني آتحن^٧ ٥ على هذا الجمع ، لأن لهم معي^٨ ثلاثة أيام^٩ ههنا ، و ليس عندهم ما يأكلون ، و لا أريد أطلقهم صياما لئلا يضيعوا في الطريق ؛ قال مرقس : لأن منهم من جاء من بعيد - انتهى . قال له التلاميذ : من أين نجد^{١٠} من خبز القمح في البرية ما يشبع هذا الجمع ؟ فقال لهم يسوع : كم عندكم من الخبز ؟ فقالوا : سبعة أرغفة و يسير من السمك^{١١} ، فأمر الجمع أن يجلس على الأرض و أخذ السبع خبزات و السمك^{١٢} و بارك و كسر و أعطى تلاميذه ، و ناول^{١٣} التلاميذ الجمع ، فأكل جميعهم و شبعوا و رفعوا فضلات الكسر سبع قفاف مملوءة^{١٤} ، و كان الذين^{١٥} أكلوا نحو أربعة آلاف رجل " سوى النساء " و الصبيان ، و أطلق الجمع و صعد^{١٦} السفينة^{١٧} و جاء إلى تخوم مجدل - و قال مرقس : إلى نواحي ما بونا^{١٨} - و جاء القريسيون ١٥

- (١) في ظ : غير (٢) سقط من ظ (٣) من الإنجيل ، وفي الأصل و ظ : كثير .
 (٤-٤) في الإنجيل : العسم يصحون (٥) في ظ : يسعون (٦) في ظ : اعحف .. كذا .
 (٧) في ظ : مع (٨) من ظ ، وفي الأصل : سمك (٩) في ظ : تناول (١٠) في ظ : الذي (١١-١١) في ظ : يسوى النسوان - كذا (١٢) في ظ : صعدوا .
 (١٣) العبارة من هنا إلى « والزنادقة يجرّبونه » سقطت من ظ (١٤) في الإنجيل : دلمانوتا .

و الزنادقة يجربونه ويسألونه أن يريهم آية من السماء ، فأجابهم يسوع
قائلا : إذا كان المساء قلت : / إن السماء صاحية - لا حرارها ، و بالغداة
تقولون^١ : اليوم شتاء - لا حرار جو السماء العبوس ، أيها المراؤون ! تعلمون
آية هذا الزمان ، الجليل الشرير الفاسق يطلب آية ، و لا يعطى إلا آية
٥ يونان النبي - و تركهم و مضى ؛ ثم جاء التلاميذ إلى العبر و نسوا أن يأخذوا
خبزا - قال مرقس : و لم يكن في السفينة إلا رغيف واحد - و إن
يسوع قال لهم : انظروا و تحرزوا من خمير الفريسيين و الزنادقة - و قال
مرقس : و خمير هيرودس^٢ - فكروا قائلين : إنا^٣ لم نجد خبزا ، فلم يسوع
فقال لهم : لماذا^٤ تفكرون في نفوسكم يا قليلي الامة ؟ إنكم ليس معكم
١٠ خبز ، أما تفهمون و^٥ لا تذكرون الخمس خبزات خمسة آلاف و كم سلا^٦
أخذتم ؟^٧ و السبع خبزات لأربعة آلاف ، و كم قفة أخذتم ؟^٨ لماذا لا تفهمون ؟
لأنى لم أقل لكم من أجل الخبز ، حيثئذ فهموا أنه^٩ لم يقل لهم أن
يتحرزوا من خمير الخبز ، لكن من تعليم الزنادقة و الفريسيين ، و^{١٠} قال
لوقا : تحرزوا^{١١} لأنفسكم من خمير الفريسيين الذى هو الرياء^{١٢} ، لأنه ليس
١٥ خفى إلا سيظهر ، و لا مكتوم إلا سيعلم ، الذى تقولونه^{١٣} فى الظلام سيسمع
فى النور ، و الذى وعيتموه فى الآذان سوف ينادى به على السطوح ،
(١) فى ظ : يقولون (٢) من ظ ، وفى الأصل : هيرودس - كذا (٣) فى ظ :
إنما (٤) فى ظ : فإذا (٥) من الإنجيل ، وفى الأصل و ظ : او (٦) سقط من ظ .
(٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من الإنجيل ، وفى الأصل و ظ : انهم (٩) فى
ظ : تحرزوا (١٠) فى ظ : الزقا (١١) فى ظ : يقولونه .

أقول لكم: ^١يا أجبائي لا تخافوا من يقتل الجسد، وبعد ذلك ليس له أن يفعل أكثر، خافوا من ^٢إذا قتل ^٣له سلطان أن يلقي في نار جهنم - وسيأتي بقية الإشارة إلى لعنهم ^٤في سورة الصف إن شاء الله تعالى، والعسم ^٥جمع أعسم ^٦ - بمهملتين، وهو من ^٧في يده أو قدمه اعوجاج، أو يده يابسة .

ولما علل تعالى لعنهم بعضيائهم وغلوهم ^٨في الباطل، بينه مخصصا ^٩للعلماء منهم بزيادة تهديد، لأنهم مع كونهم على المنكر لا يهتدون غيرهم عنه، مع أنهم أجدر من غيرهم بالنهي، فصاروا على منكرين شديدي ^{١٠}الشناعة، وسكوتهم عن النهي مغو ^{١١}لأهل الفساد ومغريهم ولغيرهم على الدخول فيه ^{١٢}والاستكبار منه فقال تعالى: ﴿ كانوا لا يتناهون ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا، وبين ^{١٣}إغراقهم في عدم المبالاة بالتكثير في سياق النفي فقال: ﴿ عن منكر ﴾ .

[ولما كان الفعل ما كان من الأعمال عن داهية من الفاعل سواء كان عن علم أو لا، عبر به إشارة إلى أن لهم في المناكر غرام من غلبته الشهوة، ولم يبق لهم نوع علم، فقال: ﴿ فعلوه ^{١٤} ﴾ - ^{١٥}] : ولما كان من طبع الإنسان النهي عن كل ما خالفه طبعاً أو اعتقاداً، لا سيما إن تأيد بالشرع، فكان لا يكف ^{١٦}عن ذلك إلا بتدريب النفس ^{١٧}عليه لغرض ^{١٨}

(١) في ظ : من (٢) في ظ : قيل (٣) في ظ : الفهم (٤) في ظ : القسم (٥) في ظ : قسم (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : علوتهم (٨) في ظ : مخلصه (٩) في ظ : احذر (١٠) من ظ ، وفي الأصل : شدي - كذا (١١) في ظ : مغلو (١٢) في ظ : ما بين الحاجزين من ظ (١٣) في ظ : لا يكلف (١٤) في ظ : التنفس (١٥) في ظ : بعض .

فاسد آداه إليه، أكد مقسماً^١ معبراً بالفعل الذى يعبر به عما قد لا يصحبه علم ولا يكون إلا عن داهية عظيمة فقال: ﴿لئس ما كانوا﴾ أى^٢ جيلة وطبعا ﴿يفعلون﴾ إشارة إلى أنهم لما تكررت فضائحهم [و تواترت قبائحهم -^٣] صاروا إلى حيز ما لا يتأتى منه العلم .

٥. ولما أخبر باقرارهم على المناكر، دل على ذلك بأمر ظاهر منهم لازم ثابت دائم مقوض لبنيان دينهم، فقال موجهها بالخطاب^٤ لأصدق الناس فراسة وأوفرهم علماً وأثبتهم توسماً وفهما: ﴿ترى كثيراً منهم﴾ أى [من -^٥] أهل الكتاب؛ ولما كان الإنسان لا ينحاز إلى حزب الشيطان إلا بمنازعة الفطرة^٦ الأولى السليمة، أشار إلى ذلك بالفعل فقال:

١٠٩/ ١٠٠. ﴿يتولون﴾ أى يتبعون بغاية جهدهم ﴿الذين كفروا﴾ أى المشركين مجتهدين فى ذلك مواظبين عليه، وليس أحد منهم ينهزم عن ذلك ولا يقبضه عليهم، مع شهادتهم عليهم بالضلال ثم وأسلافهم^٧ إلى أن جاء هذا التنبؤ الذى كانوا له فى غاية الانتظار وبه فى نهاية الاستبشار، وكانوا يدعون الإيمان به^٨ ثم خالفوه، فمنهم من استمر على المخالفة ظاهراً وباطناً، ١٥ ومنهم من ادعى أنه تابع واستمر على المخالفة باطناً، فكانت موالاته للمشركين دليلاً على كذب دعواه ومظاهرة^٩ لما أضمره من المخالفة وأخفاه . ولما كان ذلك منهم ميلاً مع الهوى بغير دليل أصلاً قال:

- (١) فى ظ : بمقسماً (٢) سقط من ظ (ب) زيد من ظ (٤) فى ظ : المناكرة .
(٥) فى ظ : ليلتان (٦) فى ظ : الخطاب (٧) من ظ ، وفى الأصل : الفطر .
(٨) من ظ ، وفى الأصل : أسلافهم (٩) فى ظ : فكانت (١٠) فى ظ : مظهر .

(لبس ما قدمت) أى تقديم^١ النزول للضيف (لهم انفسهم) أى التى
من شأنها الميل مع الموي^٢، ثم بين المخصوص بالذم - وهو ما قدمت - بقوله :
(إن سخط الله) أى وقع سخطه بجميع ما له من العظمة (عليهم)
ولما كان من وقع السخط عليه يمكن أن يزول [عنه - ٣٠] ، قال مبينا
أن مجرد وقوعه جدير بكل هلاك : (وفى العذاب) أى الكامل من ه
الإبدى فى الدنيا والاكر فى الآخرة (هم تخذلون^٣) .
ولما كان هذا دليلا على كفرهم ، دل عليه بقوله : (ولو)
أى فعلوا ذلك مع دعواهم الإيمان والحال أنهم لو (كانوا) أى كلهم
(يؤمنون) أى يوجد منهم إيمان (بالله) أى الملك الأعلى الذى له
الإحاطة بكل شئ (والنبي) أى الذى له الوصلة التامة بالله ، ولذا ١٠
أتبعه بقوله : (وما أنزل إليه) أى من عند الله أعم من القرآن وغيره
إيمانا خالصا من غير نقاس (ما اتخذوهم) أى المشركين مجتهدين فى
ذلك (أولياء) لأن مخالفة الاعتقاد تمنع الوداد ، فمن كان منهم^٤
ياقيا على يهوديته ظاهرا وباطنا ، فالآلف فى النبي ، لكشف سريره للعهد ،
أى النبي الذى ينتظرونه ويقولون : إنه غير محمد صلى الله عليه وسلم . ١٥
أو للحقيقة ، أى لو كانوا يؤمنون بهذه الحقيقة - أى حقيقة النبوة -
ما والوهم ، فإنه لم يأت نبي إلا بتكفير المشركين - كما أشار إلى ذلك صلى الله
عليه وسلم بقوله : الانبياء أولاد^٥ علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ،
(١) فى ظ : تقدم (٢) زيد من ظ (٣ - ٢) فى ظ : فمنهم من كان (٤) فى ظ :
أى (ه) من ظ ، وفى الأصل : أولات - كذا :

كما سألني قريبا في حديث أبي هريرة، يعنى - والله أعلم - أن شرابهم وإن اختلفت في الفروع ففهي متفقة في الأصل وهو التوحيد؛ وإن كان منهم قد أظهر الإيمان فالمراد بالنبي في إظهار زبغه وميله وحيفه بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنه نهى عن موالاة المشركين، بل عن متاركتهم، ولم يرض إلا بمقارعتهم ومعاركتهم.

ولما أفهمت الشرطية عدم إيمانهم، استثنى منها منها موضع الفسق^٢ موضع عدم الإيمان^٣ على أنه الحامل عليه فقال: (ولكن كثيرا منهم فسقون^٤) أى متمكنون في خلق المروق من دوائر الطاعات.

ولما دل كالشمس ميلهم إلى المشركين دون المؤمنين على أنهم في

١٠ / ١١٠ غاية العداوة لهم، صرح تعالى / بذلك على طريق الاستنتاج^٥، فقال دالا

على رسوخهم في الفسق: (لتجدن أشد الناس^٦) أى كلهم (عداوة

للذين آمنوا^٧) أى أظهروا الإقرار بالإيمان فكيف بالراشخين فيه (اليهود)

قدمهم لأنهم أشد الفريقين لأنه لا أقبح من ضال على علم (والذين

اشركوا^٨) إما جمعهم من الاستهانة بالأنبياء^٩ هؤلاء جهلا وأولئك عنادا

١٥ وبغيا، فعرف أن من صدق في إيمانه لا يواليهم بقلبه ولا بلسانه،

و أنهم ما اجتمعوا على الموالاة إلا لاجتماعهم في أشدية العداوة لمن

(١) زيد بعده في ظ: منهم (٢) زيد بعده في الأصل: أنهم ذلك، ولم تكن الزيادة

في ظ لحذفها (٣) في ظ: بالفسق (٤ - ٤) في ظ: عليه (ه) في ظ: الاستفتاح.

(٦) زيد بعده في الأصل: عداوة، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٧) في ظ: الذين

فلا ثبت - كذا (٨) في ظ: ابتدائه.

آمن، فهذه الآية تعليل لما قبلها، كأنه قيل: هب أنهم لا يؤمنون بالله والنبي، وذلك لا يقتضى مودة المشركين فلم^١ والوهم حيثذ؟ فقيل: لأن الفريقين اجتمعوا فى أشدية العداوة للذين آمنوا.

ولما أخبر تعالى بأبعد الناس مودة لهم، أخبر بضدهم فقال^٢:

(ولتجدن أقرهم) أى الناس (مودة للذين آمنوا) أى أوجدوا^٣ ٥

الإيمان بالقلب واللسان (الذين قالوا) [و-^٤] فى التوريك^٥ على

قولهم إشارة إلى أنهم ما كانوا على حقيقة النصرانية (انا نصرى^٦) أى

قلقة اهتمامهم بالدنيا بمجرد قولهم ذلك ولو لم يكونوا عريقين^٧ فى الدين

وإقبالهم على علم الباطن، ولذلك علله بقوله: (ذلك بان منهم قسيسين)

أى مقبلين على العلم، من القس، وهو ملامة الشيء وتبعه (ورهبانا) ١٠

أى فى غاية التخلّى من الدنيا؛ ولما كان التخلّى منها موجبا للبعد من الحسد،

وهو سبب لمجانبة التكبر^٨ قال: (وانهم لا يستكبرون^٩) أى لا يطلبون

الرفعة على غيرهم و^{١٠} لا يوجدونها.

ولما كان ذلك علة فى الظاهر ومعلولا فى الباطن لركة^{١١} القلب قال:

(١) فى ظ: فلما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: وجدوا (٤) زيدت الواو من

ظ: (٥) من ظ - بمعنى الحمل، وفى الأصل: التورية، وفى البحر المحيط ٤/ ٤:

وفى قوله تعالى «الذين قالوا انا نصرى» إشارة إلى أنهم ليسوا متمسكين بحقيقة

النصرانية بل ذلك قول منهم وزعم (٦) فى ظ: غريقين (٧) فى ظ: الكفر.

(٨) فى ظ: لوقد.

﴿ واذا سمعوا ﴾ أى أتباع النصرانية ﴿ ما أنزل الى الرسول ﴾ أى الذى ثبتت رسالته بالمعجز، فكان من شأنه أن يبلغ ما أنزل إليه للناس ﴿ نرى أعينهم ﴾ ولما كان البكاء سببا لامتلاء العين بالدمع وكان الامتلاء سببا للفيض الذى حقيقته السيلان بعد الامتلاء، عبر بالسبب ٥ عن السبب فقال: ﴿ تفيض من الدمع ﴾ أصله: يفيض دمعها ثم تفيض هى دمعاً^٢، فهو من أنواع التمييز، ثم علل الفيض بقوله: ﴿ بما عرفوا من الحق ﴾ أى وليس لهم غرض دنيوى يمنعهم عن قبوله، ثم بين حالهم فى مقامهم بقوله: ﴿ يقولون ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ ائنا ﴾ أى بما سمعنا ﴿ فاكتبنا ﴾ .

١٠ ولما كان من شأن الشاهد إحضار القلب وإلقاء [السمع - ٣] والقيام التام بما يتلى عليه ويندب إليه قال: ﴿ مع الشهدين ٥ ﴾ أى أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، فإن تقويتنا على ذلك ليست إلا إليك ﴿ وما ﴾ أى ويقولون: ما، أى أى شئ حصل أو يحصل ﴿ لنا ﴾ حال كوننا ﴿ لا تؤمن بالله ﴾ أى الذى لا كفوء له ولا خير إلا منه ﴿ وما ﴾ أى وبما ﴿ جاءنا من الحق ٥ ﴾ ١٥ أى الأمر الثابت الذى مهما عرض على الواقع / طابقه الواقع سواء كان حالاً أو ما ضياً أو آتياً .

/ ١١١

ولما كانوا يهضمون أنفسهم، عبروا بالطمع الذى لا نظر معه لعمل

(١) فى ظ : اتبعوا (٢) فى ظ : دمعها (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ ، وفى الأصل : الانومن .

قَالُوا

٢٧٠

فقالوا: ﴿ ونطمع ان يدخلنا ربنا ﴾ أى بمجرد إحسانه، لا بعمل منا،
ولجريرهم فى هذا المضمار عبروا بجمع ' دون ' فى ' فى قولهم:
﴿ مع القوم الصالحين ﴾ هضما لأنفسهم وتعظيما لرتبة الصلاح .
ولما ذكر قولهم الدال على حسن اعتقادهم وجميل استعدادهم،
ذكر جزاءهم عليه فقال: ﴿ فاثابهم الله ﴾ أى الذى له جميع صفات ه
الكمال ﴿ بما قالوا ﴾ أى جعل ثوابهم على هذا القول المستند إلى خلوص
النية الناشئ عن حسن الطوية ﴿ جنت تجرى ﴾ ولما كان الماء لو استغرق
المكان أفسد، أثبت الجار فقال: ﴿ من تحتها الانهر ﴾ ولما كانت
اللذة لا تكمل إلا بالدوام قال: ﴿ خلدين فيها ﴾ .

ولما كان التقدير: لإحسانهم، طرد الأمر فى غيرهم فقال: ﴿ وذلك ﴾ ١٠
أى الجزاء العظيم ﴿ جزاء المحسنين ﴾ أى كلهم، واختلفوا فى هذه
الواقعة بعد اتفاقهم على أنها فى النجاشى وأصحابه، وذلك مبسوط فى
شرحى لنظمى للسيرة النبوية، فمن ذلك أنه لما قدم جعفر بن أبى طالب
رضى الله عنه^٧ من مهاجرة الحبشة مع أصحابه رضى الله عنهم قدم معهم
سبعون رجلا بعثهم النجاشى رضى الله عنه^٨ وعن الجميع وفدا^٩ إلى رسول الله ١٥

(١) من ظ، وفى الأصل: مع (٢) فى النسختين: من - كذا، وفى البحر
٨/٤: و ' مع ' على بابها من المعية، وقيل: بمعنى فى (٣) من ظ، وفى الأصل:
على (٤) العبارة من هنا إلى " تحتها الانهر " ساقطة من ظ (ه - ه) فى الأصل:
استعرف كان - كذا (٦) من ظ، وفى الأصل: لاتعمل (٧-٧) سقط ما بين
الرقين من ظ (٨) فى ظ: وفد .

صلى الله عليه وسلم، [عليهم -^١] ثياب الصوف، اثنان وستون من الحبشة،
 وثمانية من أهل الشام، وهم بحيرا الراهب وأبرهة وإدريس وأشرف
 وثمامة^٢ وقثم^٣ ودريد وأمين، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 سورة يس إلى آخرها، فبكوا^٤ حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا:
 ٥ ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى! فأنزل الله فيهم هذه الآية^٥
 "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا^٦ اليهود والذين أشركوا ولتجدن
 أقربهم مودة للذين آمنوا^٧" - إلى آخرها، ذكر ذلك^٨ الواحدى في أسباب
 النزول بغير سند، ثم أسند عن سعيد بن جبير في قوله تعالى^٩ "ذلك بان
 منهم قسيسين ورهبانا" قال^{١٠}: بعث التجاشى إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من خيار^{١١} أصحابه ثلاثين رجلا، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يس فبكوا، فزلت فيهم هذه الآية^{١٢}. وإذا نظرت مكاتبات النبي
 صلى الله عليه وسلم للولك ازددت بصيرة في صدق هذه الآية^{١٣}، فانه ما كاتب^{١٤}
 نصرانيا إلا آمن، أو كان لنا ولو لم يسلم كهرقل^{١٥} والمقوقس وهودة^{١٦}
 ابن على وغيرهم، وغايتهم أنهم ضنوا^{١٧} بملكهم، وأما غير النصارى
 ١٥ فأنهم كانوا على غاية الفظاظة ككسرى فانه مزق كتابه صلى الله عليه
 وسلم ولم يحز رسوله بشيء، وأما اليهود فكانوا جيران الانصار ومواليهم

(١) زيد من ظ والبحر المحيط ٤/ ٣ (٢) من البحر، وفي الأصل وظ:
 تمام (٣) في ظ: قيم (٤) في ظ: فيكون (٥) في ظ: الآيات (٦-٦) سقط ما بين
 الرقيين من ظ (٧) في ظ: قاله (٨) في ظ: اخبار (٩) من ظ، وفي الأصل:
 ثلاثون (١٠) في ظ: كانت (١١) في ظ: كبرقل - كذا (١٢) من تاج العروس،
 وفي الأصل: هودة (١٣) في ظ: حسوا.

وأجابهم^١، ومع ذلك فأحوالهم^٢ في العداوة^٣ غاية، كما هو واضح في السير، مبين جدا في شرحى لنظمى للسيرة، وكان السر في ذلك - مع ما تقدم من باعث الزهد - أنه لما كان عيسى عليه السلام أقرب الأنبياء^٤ زما من زمن النبي صلى الله عليه وسلم / كان المتتمون إليه ولو كانوا كفرة / أقرب الأمم مودة لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم^٥، وإلى ذلك يشير ما رواه الشيخان في الفضائل عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم^٦ قال: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، الأنبياء أولاد^٧ علات - وفي رواية: أبناء، وفي رواية^٨: إخوة لعلات^٩ - أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وليس بيني وبينه - وفي رواية: وليس بيني وبين عيسى - نبي، وفي رواية لمسلم: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة، قالوا: كيف يا رسول الله! قال: الأنبياء إخوة من علات^{١٠}، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، فليس بيننا نبي.

ولما ذكر سبحانه تعالى جزاء المطيعين المبادرين إلى الإذعان ترغيا، ذكر جزاء من^{١١} لم يفعل فعلهم ترهيبا فقال: ﴿والذين كفروا﴾ أي استروا ما أوصخته له عقولهم من الدلالة على صحة ما دعتهم إليه الرسل ١٥ ﴿وكذبوا﴾ أي عنادا ﴿بآيتنا﴾ أي بالعلامات المضافة لعظمها إلينا ﴿اولئك﴾ أي البعداء من الرحمة ﴿أصحاب الجحيم﴾ أي الذين لا يتفكرون^{١٢}.

(١) سقط من ظ (٢-٣) في ظ: بالعداوة (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ.
(٤) في ظ: اولات (٥) زيد بعده في ظ: أبناء (٦) في ظ: العلات (٧) زيدت الواو بعده في صحيح مسلم (٨) في ظ: لمن (٩) في ظ: لا يتفكرون.

عنها، لا غيرهم من العصاة المؤمنين وإن كثرت كبارهم .
ولما مدح سبحانه الرهبان ، وكان ذلك داعيا إلى الترهّب^١ ، وكانت
الرهانية حسنة^٢ بالذات قيحة بالعرض ، شريفة في^٣ المبدأ دنية^٤ في المآل ،
فانها مبنية على الشدة والاجتهاد في الطاعات والتورع عن أكثر المباحات ،
٥ و الإنسان مبنى على الضعف مطبوع على النقائص ، فيدعوه طبعه ويساعده
ضعفه إلى عدم الوفاء بما عاقد عليه ، ويسرع بما له من صفة العجلة إليه ،
فيقع في الحياة كما قال تعالى ” فما رعوها حق رعايتها “ عقب ذلك بالنهاى
عنها في هذا الدين والإخبار [عنه * -] بأنه بناء على التوسط رحمة منه
لأهله ولطفاً بهم تشريعاً لنبيهم صلى الله عليه وسلم ، ونهاهم عن الإفراط فيه
١٠ والتفريط فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى وجد منهم الإقرار
بذلك ﴿ لَا تَحْرَمُوا ﴾ أى تمنعوا أنفسكم بنذر أو يمين أو غيرهما تصديقا
لما أقررتم به ، ورغبتهم في امتثال أمره بأن جعله موافقا لطباعهم ملائما
لشهواتهم فقال : ﴿ طَيِّبْت مَّا ﴾ أى المطيبات وهى اللذائذ التى^٦
﴿ أحل الله ﴾ وذكر هذا الاسم الأعظم مرغبا في ذلك ، فان الإقبال
١٥ على المنحة يكون على مقدار المعطى ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ لَكُمْ ﴾ أى
وأما هو سبحانه فهو منزّه عن الأغراض ، لا ضرر^٧ يلحقه ولا نفع ،
لأن له الغنى المطلق .

ولما أطلق لهم ذلك ، حثهم على الاقتصاد . وحذرهم من مجاوزة الحد

(١) فى ظ : الترغيب (٢) فى ظ : حسنت (٣-٢) فى ظ : الدانية - كذا .

(٤) سورة ٥٧ آية ٢٧ (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : ضرر .

إفراطاً و تفريطاً فقال: ﴿ ولا تعتدوا ﴾ فدل بصيغة الاقتمام على أن الفطرة الأولى مبنية على العدل، فعدولها عنه لا يكون إلا بتكلف، ثم علل ذلك بقوله مؤكداً لاستبعاد أن ينهى عن الإمعان في العبادة:

﴿ ان الله ﴾ أى وهو الملك / الأعظم ﴿ لا يحب المعتدين ﴾ أى ١١٣ /

لا يفعل فعل المحب من الإكرام للفرطين في الورع بحيث يحرمون ما هـ أحللت، ولا للفرطين فيه الذين يحللون ما حرمت، أى يفعلون فعل المحرم من المنع وفعل المحلل من التناول، وما ذكر من سبب نزول الآية واضح في ذلك؛ روى الواحدى في أسباب النزول بسنده^٢ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

[يا رسول الله - ٦-] إني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت إلى النساء^٣ وإني ١٠

حرمت على اللحم، فزلت "لا تحرموا طيبت ما أحل الله لكم"، ونزلت "وكلوا مما رزقكم الله" - الآية. وأخرجه الترمذى في التفسير من جامعه وقال:

حسن غريب، ورواه^٤ خالد الحذاء^٥ عن عكرمة مرسلًا. وقال الواحدى:

وتبعه عليه بغوى: قال المفسرون: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم

فذكر الناس و وصف القيامة ولم يزد لهم على التخويف فرق الناس وبكوا، ١٥

فاجتمع عشرة من الصحابة رضى الله عنهم في بيت عثمان بن مظعون

(١) في ظ: لا (٢) في الأصل: للاستبعاد، وفي ظ: الاستبعاد (٣) لمن ظ، وفي

الأصل: بسند (٤) زيد في ظ: الى، وليست الزيادة في رواية الترمذى (هـ) سقط

من ظ (٦) زيد من جامع الترمذى (٧) زيد بعده في الجامع: وأخذتني شهوتى.

(٨ - ٨) في ظ: لخالد الحذاءى - كذا.

الجمحي ، وهم أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود
وعبد الله بن عمرو^١ وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد
ابن الأسود و سلمان الفارسي ومقل بن مقرن ، و اتفقوا على أن يصوموا
النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك^٢
٥ ولا يقربوا النساء والطيب^٣ أو يلبسوا المسوح ويرفضوا^٤ الدنيا ويسيحوا
في الأرض^٥ ويترهبوا ويحبوا^٦ المذاكير ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لهم : ألم أنبأ^٧ أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟ قالوا : بلى
يا رسول الله ! وما أردنا^٨ إلا الخير ، فقال : إني لم أومر^٩ بذلك ، إن
لأنفسكم عليكم حقا ، فصوموا وأفطروا .^{١٠} وقوموا وناموا ، فاني أقوم
١٠ وأناام ، وأصوم وأفطر^{١١} ، وآكل^{١٢} اللحم والدسم ، ومن رغب عن سنتي
فليس مني ؛ ثم جمع الناس فخطبهم فقال : ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام
والطيب والنوم وشهوات الدنيا ! أما^{١٣} ! إني لست آمركم أن تكونوا
قسيسين ورهبانا ، فانه ليس في ديني ترك اللحم^{١٤} والنساء ولا اتخاذ
الصوامع ، وإن سياحة أمتي الصوم ، ورهبانيتهم^{١٥} الجهاد ، و" اعبدوا الله
(١) في ظ : عمر ، وما في الأصل هو الصواب كما ورد في بعض الأحاديث : أراد
رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا (٢) هو الدسم من اللحم
والشحم (٣-٣) في ظ : لبس المنسوج و ترفضوا - كذا (٤-٤) سقط ما بين
الرقين من ظ (٥) أي يقطعوا (٦) من ظ ، وفي الأصل : ألم أنبأ (٧) في ظ :
ما أردت (٨) من ظ ، وفي الأصل : لم آمر (٩) في ظ : كلوا (١٠) في ظ :
او ما (١١) سقط من ظ (١٢) في ظ : رهبانيتها .

ولا تشركوا به شيئاً وحجوا واعتمرُوا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
وصوموا رمضان، فانما هلك من كان قبلكم بالشديد، شددوا فشد الله
عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع، فأنزل الله تعالى هذه
الآية^١، فقالوا: يا رسول الله! فكيف نصنع بأيماننا التي^٢ حلفنا عليها؟
وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى ه
”لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم“ - الآية^١، ولا تعارض بين الخبرين
لإمكان الجمع بأن يكون الرجل [١١-٢] سمع تذكير النبي صلى الله
عليه وسلم سأل^٣، ولولم يجمع صح أن يكون كل منهما سياً، فالشيء الواحد
/ قد يكون له أسباب جمّة، بعضها أقرب من بعض، فمن الأحاديث الواردة
في ذلك ما روى البغوي بسنده من طريق ابن المبارك في كتاب الزهد ١٠
عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون رضى الله عنه أتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال: ائذن [لنا - ٥] في الاختصاص^٤، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: ليس منا من خصى ولا اختصى، إن خصاء^٥
أمتي الصيام، فقال: يا رسول الله! ائذن لنا في السياحة، فقال:
إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله. فقال: يا رسول الله! ائذن لنا في ١٥
الترهب^٦، فقال: إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد انتظاراً للصلاة.

- (١) من ظ، وفي الأصل: الآيات (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد
من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ وكتاب الزهد - رقم الحديث ٨٤٥.
(٦-٦) في كتاب الزهد: بالاختصاص (٧) في ظ: خصى، وفي كتاب الزهد:
إختصاص (٨) في ظ: الرهب.

و للشيخين و الترمذى و النسائى و الدارمى عن سعد بن أبى وقاص
 رضى الله عنه ^١ أيضا قال : أراد عثمان بن مظعون ^٢ [أن - ^٣] يتقبل فيها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو أذن له - وفى رواية : ولو أجاز له -
 التبتل لاختصينا ^٤ . و للدارمى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أيضا
 ٥ قال : لما كان من أمر عثمان بن مظعون رضى الله عنه ^٥ الذى كان عن
 ترك النساء بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عثمان ! إني
 لم أؤمر بالرهانية ، أرغبت عن ستنى ؟ قال : لا يا رسول الله ! قال : إن
 من ستنى أن أصلى و أنا م^٦ و أصوم و أنكح و أطلق ، فمن رغب
 عن ستنى فليس منى ، يا عثمان ! إن لأهلك عليك حقا ، و لعينك عليك
 ١٠ حقا ، قال سعد : فوالله لقد كان أجمع رجال من المؤمنين ^٧ على أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هو أقر عثمان على ما هو عليه [أن - ^٨]
 تختصى فتبتل . و قال شيخنا ^٩ ابن حجر ^٩ فى تخرىج أحاديث الكشف :
 و روى الطبرانى من طريق ابن جريج عن مجاهد قال : أراد رجال منهم
 عثمان بن مظعون و عبد الله بن عمرو أن يتبتلوا و يخصوا أنفسهم و يلبسوا
 ١٥ المسوح ^{١٠} . و من طريق ابن جريج عن عكرمة أن عثمان بن مظعون و على

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد من صحيح مسلم - النكاح (٣) من ظ
 و الصحيح . و فى الأصل : اختصينا (٤) من مسند الدارمى - كتاب النكاح ،
 و فى الأصل و ظ : من (٥) زيد بعده فى ظ : و أصلى . و ليست الزيادة فى
 الدارمى (٦) فى الدارمى : المسلمين (٧) سقط من ظ (٨) زيد من الدارمى .
 (٩) سقت هذه الرواية فى الدر المنثور للسيوطى و زيد فيه : فنزلت : ” يا أيها
 الذين آمنوا لا تحرموا طيبت ما أحل الله لكم “ - و الآية التى بعدها .

ابن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الأسود و سلماً مولى أبي حذيفة^٢
 في جماعة رضى الله عنهم^٣ تبتلوا فجلسوا في البيوت، [واعتزلوا النساء -^٤]
 ولبسوا المسوح، وحرموا طيبات الطعام واللباس^٥، وهموا بالاختصاص،
 وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فزلت "يأيها الذين آمنوا لا تحرموا
 طيبات ما أحل الله لكم" - الآية، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال: إن لأنفسكم عليكم حقاً^٦، فصوموا وأفطروا وصلوا وناموا،
 فليس منا من ترك سنتنا^٧. وللترمذى عن سمرة رضى الله عنه أن النبي
 صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل^٨. وقرأ قتادة "ولقد أرسلنا رسلاً من
 قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية^٩". وللنسائي عن عائشة رضى الله عنها
 نحوه وأشار إليه الترمذى، والطبرانى في الأوسط عن أنس بن مالك ١٠.
 رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالبائة
 وينهى عن التبتل نهياً شديداً^{١١} يقول^{١٢}: تزوجوا الودود الولود، فاني
 مكافئ بكم الأمم^{١٣} يوم القيامة. ومنها ما روى الشيخان عن عبد الله

(١) في ظ: سالم (٢) في ظ: حديجة - كذا (٣-٣) موضعه في الدر المنثور:
 وقدامة (٤) زيد من ظ و الدر المنثور (٥) زيد في الدر المنثور: إلا ما يأكل
 ويلبس السياحة من بنى إسرائيل (٦) من الدر المنثور، وفي الأصل وظ: اجتمعوا.
 (٧) زيد في الدر المنثور: ولأعينكم حقاً وإن لأهلكم حقاً (٨) زيد في الدر المنثور:
 فقالوا! اللهم صدقنا واتبعنا ما أنزلت مع الرسول (٩) زيد في الجامع بعده:
 وزاد زيد بن أوزم في حديثه (١٠) سورة ١٣ آية ٣٨ (١١-١١) سقط ما
 بين الرقيين من ظ (١٢) من ظ، وفي الأصل: الانبياء.

رضى الله عنه أنه قال: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لنا شيء - وفي رواية: نساء، وفي رواية: كنا 'ونحن' شباب - قلنا: يا رسول الله! ألا نستخصي؟^٢ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن نتكح المرأة بالثوب، ثم قرأ علينا عبد الله^٣: "يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم" - الآية . ومنها ما روى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إني رجل شاب، وإني أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء - قال النساء^٤: "أفأختصي" - فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك 'فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك' [فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك - ^٥] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة! جف القلم بما أنت لاق، فأختص^٥ على ذلك أو ذر - وقال النساء^٥: أو دع . ومنها ما روى الشيخان وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء^٥ ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم - 'وفي رواية مسلم والنسائي أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في ظ: الانختص (٣) سقط من صحيح البخاري وثبت في صحيح مسلم (٤) من ظ و صحيح البخاري، وفي الأصل: شباب (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) من سنن النسائي، وفي الأصل وظ: فأختص، وليست هذه الزيادة في صحيح البخاري (٧) زيد من صحيح البخاري (٨) في ظ: فأختص .

- في السر - فلما أخبروا كأنهم تقالوها^١ فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فاني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر^٢ ولا أفطر، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا؛ وفي رواية: وقال بعضهم لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش؛ فبلغ^٥ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا^١ وفي رواية: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: أتم الذين قلتم كذا وكذا^١ أما^٢ والله إني^٣ لأخشاكم لله وأتقاكم له^٤ لكني أصوم وأفطر وأصلي؛ وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. والمبهمون^٦ في الحديث - قال شيخنا في مقدمة شرحه للبخاري - هم ابن مسعود وأبو هريرة وعثمان بن مظعون، وسيأتي مفرقا ما يشير إلى ذلك، يعني ما قدمته أنا، قال: وقيل: هم^٦ سعد^١ ابن أبي وقاص وعثمان بن^٢ مظعون وعلي بن أبي طالب، وفي مصنف عبد الرزاق من طريق سعيد بن^٣ المسيب أن منهم عليا وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهم، وقال شيخنا في تخریج أحاديث الكشف: ١٥ إن [هذا - ^٤] أصل ما رواه الواحدی عن المفسرين، وللشيخين والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به^٥ فافعلوا منه ما استطعتم، فانما
- (١) أي عدوها قليلا (٢) سقط من ظ (٣) - سقط ما بين الرقین من ظ .
(٤) تقدم في ظ على « أصوم وأفطر » (٥) في ظ : الفهمون (٦) في ظ : أنهم .
(٧) زيد من ظ .

أهلك الذين^١ من قبلكم كثرة^٢ / سؤلهم و اختلافهم على^٣ أنبيائهم،^٤ و في رواية: ذروني ما تركتكم، فانما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤلهم و اختلافهم على أنبيائهم^٥، و لأبي داود عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم .
 ه و للامام أحمد في المسند عن أنس^٦ رضي الله عنه و الحاكم في علوم الحديث في [فن - ١] الغريب - و هذا لفظه - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، و لا تبغض^٧ عبادة [الله - ١] إليك، فان المنبت لا أرضا قطع^٨ و لا ظهرا أبقى^٩. المتين^{١٠}: الصلب الشديد، و الإيغال: المبالغة، و المنبت -

١٠ بنون و موحدة و فوقانية مشددة هو الذي "انقطع ظهرة"، و روى

البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال إن الدين يسر^{١١}، و لن يشاد^{١٢} الدين [أحد - ١٣] إلا غلبه، فسددوا و قاربوا و أبشروا؛ و في بعض الروايات: و^{١٤} القصد القصد تبلغوا . و لمسلم و ابن ماجه - و هذا لفظه - عن حنظلة الكاتب التيمي الأسدي^{١٥} رضي الله عنه قال: كنا

(١) في ظ: الذي (٢) تكرر في الأصل (٣) في ظ « و » (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) وقع في ظ: ابن عباس - خطأ (٦) زيد من ظ (٧) في ظ: لا ينقص - كذا (٨-٩) في ظ: ولا اظهر لا نفي - كذا (٩) زيد بعده في ظ: الشديد (١٠-١١) في ظ: يقطع ظهر (١١) من صحيح البخاري - كتاب الإيمان، و في الأصل: يسير، و في ظ: يشرون - كذا (١٢) في ظ: لم يشاد (١٣) زيد من الصحيح (١٤) سقط من ظ (١٥) وقع في ظ: الاسدي .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا الجنة والنار حتى كانا رأى العين^١، فقممت إلى أهلى [وولدى -^٢] فضحكت ولعبت^٣، [قال -^٤] : فذكرت الذى كنا فيه ، فخرجت فلقيت^٥ أبا بكر رضى الله عنه فقلت^٥ : نافقت نافقت ! فقال أبو بكر : إنا لنفعله ، فذهب حنظلة فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا حنظلة ! لو كنتم كما تكونون عندى لصاغتكم الملائكة على فرشكم أو على طرقكم ، يا حنظلة ! ساعة وساعة . ولفظ مسلم من طرق^٦ جمعت متفرقها^٧ عن حنظلة - وكان من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم - قال : لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة ! قال : سبحان الله ! ما تقول^٨ ؟ قلت : تكون^٩ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم * يذكرنا بالنار والجنة كانا رأى عين ، فاذا خرجنا من ١٠ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم * عافسنا^٩ الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرا ، قال أبو بكر رضى الله عنه : [فوالله -^{١٠}] إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، * قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و ما ذاك ؟ قلت : * يا رسول الله ! انكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كانا رأى ١٥

(١) من ظ و سنن ابن ماجه - كتاب الزهد ، وفي الأصل : عين (٢) زيد من السنن .
(٣) فى ظ : لعنت - كذا (٤) من ظ و السنن ، وفي الأصل : كان (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦ - ٦) فى ظ : جمعة متفرقة (٧) فى ظ : يقول (٨) فى ظ : يكون (٩) أى حاولنا ومارسنا واشتغلنا (١٠) زيد من ظ و الصحيح لمسلم - كتاب التوبة (١١) تكرر فى الأصل .

عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج و الأولاد و الضيعات ،
نسيتا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و الذى نفسى بيده !
[أن - ١] نو تدومون على ما تكونون عندي ١ وفى الذكر لصاغتكم
الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن [باحظلة - ٢] ساعة و ساعة و ساعة -
٥ ثلاث مرات . وفى رواية : قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوعظنا فذكرنا النار - وفى رواية : الجنة و النار - ثم جثت إلى البيت فضاحكت
الصبيان و لاعبت المرأة ، فخرجت فلقيت [أبا بكر قد كرت ذلك له فقال :
و أنا قد فعلت مثل ما تذكر ، فلقينا - ٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقلت : يا رسول الله ! / ناقق حظلة ! فقال : مه ؟ فحدثته بالحديث ، فقال

/ ١١٧

١٠ أبو بكر : و أنا قد فعلت مثل ما فعل ، فقال : يا حظلة ساعة و ساعة ،
فلو كانت تكون ١ قلوبكم كما تكون ٢ عند الذكر لصاغتكم الملائكة حتى
تسلم عليكم فى الطرق . و من هنا تبين لك مناسبة أول المجادلة لآخر الحديد
التي كاع ٣ فى معرفتها الأفاضل ، و كع ٤ عن طلبها لغموضها الأكابر ٥
الأمائل ، و سياتى إن شاء الله تعالى بيان ذلك و إيضاح ما فيه من لطيف
١٥ المسالك ، و من هذه الآية وقع الالتفات إلى قوله تعالى ” احلت لكم
بهيمة الانعام ” و قوله تعالى ” قل احل لكم الطيبات ” و ما ٦ أحسن تصديرها
(١) زيد من ظ و الصحيح لمسلم - كتاب التوبة (٢) العبارة من هنا إلى ثلاث
مرات « ساقطة من ظ (٣) زيد من الصحيح (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين
الرقين من ظ (٦) أى هاب و جبن (٧) أى ضعف (٨) فى ظ : طلبها (٩) فى ظ :
أكابر (١٠) فى ظ : من .

يُأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا - كما صدر أول السورة به ، وقد مضى بيانُ جميع ما مضى في الوفاء بالعقود ، فكان كأنه تعالى قال : أوفوا بالعقود ، فلا تتهاونوا بها فتقضوها ، ولا تبالغوا فيها فتكونوا معتدين فتضعفوا ، فانه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، بل شددوا وقاربوا ، والقصد القصد تبلغوا ، وقال ابن الزبير بعد قوله " ومن الذين قالوا انا نضري اخذنا ميثاقهم " : ه ثم فضل للمؤمنين أعمال الفريقين - أي اليهود والنصارى - ليتبين^٢ لهم فيما نقضوا ، ثم بين تفاديتهم في البعد عن الاستجابة فقال تعالى " لتجدن اشد الناس عداوة^٣ " - الآية . ثم نصح عباده وبين لهم أبوابا منها دخول الامتحان ، وهي سبب في كل الابتلاء ، فقال " لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا " فانكم إن فعلتم ذلك كنتم شارعين لأنفسكم وظالمين - ١٠ انتهى . و " ما احل " شامل لكل ما كانوا أرادوا أن يتورعوا عنه من المآكل والملابس والمناكح والنوم وغير ذلك . ولما كان الحال لما الرموا به أنفسهم مقتضيا للتأكيد ، أمر بالاكل بعد أن نهى عن الترك ليجتمع على إباحة ذلك الأمر والنهي فقال : ﴿ وَكُلُوا ﴾ ورغبهم فيه بقوله : ﴿ يَمَارِزُكُمْ اللَّهُ ﴾ أي الملك الاعظم ١٥ الذي لا يرد عطاؤه .

ولما كان الرزق يقع على الحرام ، قيده " بعد القيد بالتبعض " بقوله : ﴿ حَلَالًا ﴾ ولما كان سبحانه قد جعل الرزق شهيا ، وصفه

(١) زيد بعده في الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٢) في ظ : لينين - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : ليحتم (ه - ه) سقط ما بين الرقين من ظ .

امتنانا^١ وترغيا فقال: ﴿طياس﴾ ويجوز أن يكون قيدا محذرا^٢ بما فيه شبهة تنبيهها على الورع، و يكون معنى طيه تيقن حله، فيكون بحيث تتوفر الدواعي على تناوله [ديناً توفرها على تناول - ٣] ما هو نهاية في اللذة شهوة وطبعاً، وأن يكون مخرجاً لما تعافه النفس مما أخذ في الفساد من الأطعمة لثلا يضر، قال ابن المبارك: الحلال ما أخذ من جهته، والطيب ما غدق ونمي، فأما الطين والجوامد وما لا يغذى فمكروه إلا على جهة التداوي، وأن يكون مخرجاً لما فوق سد الرمق في حالة الضرورة، ولهذا وأمثاله قال: ﴿اتقوا الله﴾ أي الملك الذي له الجلال والإكرام من أن تحلوا حراماً أو تحرموا حلالاً، ثم وصفه بما يوجب رعى عهده ١٠ / ١١٨ والوقوف عند حدوده فقال: ﴿الذي أنتم به مؤمنون ه﴾ أي ثابتون

على الإيمان به، فإن هذا الوصف يقتضي رعى العهود، وخص سبحانه الأكل، والمراد جميع ما نهى عن تحريمه من الطيبات، لأنه سبب لغيره من المتمتع^٤، فلما نزلت - كما نقل البغوي وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما - [هذه الآية - ٣] قالوا: يا رسول الله ١ وكيف نصنع بأيماننا ١٥ التي حلفنا عليها؟ وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه - كما تقدم، فأنزل الله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله﴾ أي على ما له من تمام الجلال ﴿باللغو﴾ وهو ما يسبق إليه اللفظ من غير قصد^٥ ﴿في إيمانكم﴾ على أنى لم أعتمد على

(١) من ظ، وفي الأصل: امتنا (٢) في ظ: محذر - كذا (٣) زيد من ظ . (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: المتمتع - كذا (٦) هو عند الشافعي، وهو المروى عن أبي جعفر وأبي عبد الله وعائشة رضى الله تعالى عنهم - كما في روح المعاني ٢ / ٣٧٠ .

سبب النزول في المناسبة إلا لدخوله في المعنى ، لا لكونه سبباً ، فانه ليس كل سبب يدخل في المناسبة - كما بينته في أول غزوة أحد في آل عمران ، وإنما كان السبب هنا داخلاً في مناسبة النظم ، لأن تحريم ما أحل يكون تارة بنذر و تارة يمين ، والنذر في المباح - وهو مسألتنا - لا ينعقد وكفارته^١ كفارة [يمين - ٢] ، حيث لم تدع الحاجة إلا إلى التعريف ه بالآيمان و أحكامها ، فقسمها سبحانه إلى قسمين : مقصود^٢ و غير مقصود^٣ ، [فأما غير المقصود - ٢] فلا اعتبار به ، و أما المقصود فقسمان : حلف على ماض ، و حلف على آت ، فأما الحلف على الماضي فهو اليمين الغموس التي لا كفارة لها عند بعض العلماء ، و سيأتي في آية الوصية ، و أما الحلف على الآتي - وهو الذي يمكن التحريم به - فذكر حكمه هنا بقوله تعالى : ١٠ ﴿ولكن يؤاخذكم﴾ .

و لما كان مطلق الحلف الذي منه اللغو يطلق عليه عقد لليمين ، أعلم أن المؤاخذة إنما هي بتعمد القلب ، وهو المراد بالكسب في الآية الأخرى ، فعبر بالتفعيل في قراءة الجماعة ، والمفاعلة على قراءة ابن عامر^٤ تنبيهاً على أن ذلك هو المراد من قراءة حمزة والكسائي^٥ بالتخفيف [فقال - ٢] ١٥ ﴿بما عقدتم الآيمان﴾ أي بسبب توثيقها و توكيدها و أحكامها بالجمع

(١) وفي روح المعاني : و تعقيد الآيمان شامل للغموس عند الشافعية وفيه كفارة عندهم (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) سقط من ظ . (٥) من روح المعاني ١ / ٣٧١ ، وفي الأصل : ابن عمر - كذا ، والعبارة من ه والمفاعلة « إلى هنا ساقطة من ظ (٦) زيد في روح المعاني : وابن عياش عن عاصم .

بين اللسان و القلب ، سواء كان على 'أذى الوجه' كما تشير إليه قراءة التخفيف ، أو على أعلاها كما تشير إليه قراءة التشديد ، فلا يحل لكم الحنث فيها إلا بالكفارة بخلاف اللغو فانه باللسان فقط ، فلا عقد فيه فضلا عن تعقيد ، و 'ما' مصدرية .

٥ ولما أثبت المواخذة سبب عنها قوله : ﴿ فكفارتها ﴾ أى الامر الذى يستتر^٢ النكث^٣ والحنث عن هذا التعقيد ، ويزيل أثره بحيث تصيرون^٤ كأنكم ما حلفتم ﴿ اطعام عشرة مسكين ﴾ أى^٥ أحرار^٦ مساكين ، لكل مسكين ربع صاع ، وهو مدمن طعام ، وهو رطل وثلث ﴿ من اوسط ما^٧ ﴾ كان عادة لكم أنكم ﴿ تطعمون اهلكم ﴾ أى^٨ من أعدله فى الجودة والقدر كمية^٩ و كيفية ، فهو مد جيد من غالب القوت ، سواء كان من الحنطة أو من^{١٠} التمر أو غيرها .

ولما بدأ بأقل ما يكفى تخفيفا ورحمة ، عطف على الإطعام ترقيا قوله : ﴿ او كسوتهم ﴾ أى ثوب^{١١} يغطى العورة من قيص أو إزار أو غيرها مما يطلق^{١٢} عليه اسم الكسوة ﴿ او تحرير ﴾ أى إعتاق ﴿ رقة^{١٣} ﴾ أى مؤمنة سليمة عما يحل بالعمل - كما تقدم / فى كفارة القتل - حملا لمطلق الكفارات على ذلك المقيد ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم ما استأذنه أحد فى إعتاق رقة فى كفارة إلا اختبر إيمانها ، هذا ما على المكلف على (١ - ١) فى ظ : دنى الوجه - كذا (٢) فى ظ : اشير (٣) من ظ ، وفى الأصل : يشير (٤) فى ظ : العت كذا (٥) فى ظ : يصيرون (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : حرام (٨) زيد بعده فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها . (٩) فى ظ : والكمية (١٠) فى ظ : نوب (١١) فى ظ : ينطق .

سبل التخير من غير تعيين، و التعيين إليه إذا كان واجداً للثلاثة
أو لاحدها^١، و الإتيان بأحدها^٢ مبرئ من المهددة، لأن كل واحد من
الثلاثة بعينه أخص من أحدها^٣ على الإيهام، و الإتيان بالخاص يستلزم
الإتيان بالعام ﴿فن لم يجد﴾ أى واحداً منها فاضلاً عن قوته و قوت^٤
من تلزمه مؤتة ﴿فصيام﴾ أى فالكفارة صيام ﴿ثلاثة أيام^٥﴾ و لو متفرقة . هـ
و لما تم ذلك، أكدته فى النفوس و قرره بقوله : ﴿ذلك﴾ أى
الأمر العدل الحسن [الذى - ٦] ذكر ﴿كفارة إيمانكم﴾ أى المعقدة
﴿إذا حلفتم^٦﴾ و أردتم نكثها^٧ سواء كان ذلك قبل الحنث أو بعده .
و لما كان التقدير : فافعلوا ما قدرتم عليه [منه ، عطف عليه - ٨]
ثلاثاً تمتهن^٩ الأيمان لسهولة الكفارة قوله : ﴿واحفظوا إيمانكم^{١٠}﴾ أى ١٠
فلا تحلفوا ما وجدتم إلى ذلك سبيلاً ، و لا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم ،
فانه سبحانه عظيم ، و من أكثر الحلف وقع فى المحذور و لا بد ، و إذا
حلفتم فلا تحثوا دون تكفير ، و يجوز للكفر الجمع بين هذه الحاصل
كلها و استشكل ، و حله بما قال الشيخ سعد الدين التفتازانى فى التلويح فى
بحث 'أو' : و المشهور فى الفرق بين التخير و الإباحة أنه يتمتع فى التخير ١٥
الجمع^{١١} و لا يتمتع فى الإباحة ، لكن الفرق ههنا أنه لا يجب فى الإباحة الإتيان
بواحد و فى التخير يجب ، و حيثئذ إن كان الأصل فيه الحظر و ثبت
(١) فى ظ : لاحدهما (٢) فى ظ : بأحدهما (٣) فى ظ : أحدهما (٤) زيد بعده فى
ظ : عياله (٥) فى ظ : تلزمه (٦) من ظ ، و موضعه فى الأصل بياض (٧) سقط
من ظ (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : ثلاثاً تمتهن .

الجواز بعارض الأمر - كما إذا قال : بع من عيدي هذا أو ذاك - يتمتع
الجمع ويجب الاقتصار على الواحد . لأنه المأمور به ، وإن كان الأصل
[فيه - ١] الإباحة ووجب بالأمر واحد - كما في خصال الكفارة -
يجوز الجمع بحكم الإباحة الأصلية ، وهذا يسمى التخيير على سبيل
٥ الإباحة - انتهى .

ولما اشتملت هذه الآيات من البيان على ما يدهش الإنسان كان
كأنه قيل : هل بين كل ما يحتاج إليه هكذا ؟ فبه من هذه الغفلة بقوله :
(كذلك) أى مثل هذا البيان العظيم الشأن (بين الله) [أى - ٢]
على ما له من العظمة (لكم آياته) أى أعلام^٢ شريعته وأحكامه على
١٠ ما لها من العلو باضافتها إليه .

ولما اشتمل ما تقدم من الأحكام والحكم والتدبير والإرشاد والأخبار
بما فيها من الاعتبار على نعم جسيمة وسنن جليلة عظيمة ، [ناسب - ٣]
ختمها بالشكر المُرَبِّي لها في قوله على سبيل التعليل المؤذن بقطعها إن
لم توجد العلة : (لعلكم تشكرون) أى يحصل منكم الشكر بحفظ جميع
١٥ الحدود الآمرة والناهية .

ولما تم بيان حال المأكل^٤ كان داعية إلى المشرب ، احتجج إلى
بيانه ، فبين تعالى^٦ المحرم منه . فلم أن ما عدها مأذون في التمتع به ،
(١) زيد من ظ والتلويح - مبحث « أو » (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي
الأصل : أعلا - كذا (٤) في ظ : إيمانه (٥) سقط من ظ (٦ - ٧) في ظ : فبين
تعليل - كذا .

وذلك محاذي في تحريم شيء مقترن باللازم^٢ بعد^٢ إحلال آخر لما في أول
السورة من تحريم الميتة وما ذكر معها بعد^٢ إحلال بهيمة الأنعام وما معها،
فقال تعالى مذكرا لهم بما أقروا به من الإيمان الذي معناه الإذعان:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أي أقروا به. ونههم / على ما يريد العدو بهم من ١٢٠ /

الشر بقوله تعالى: ﴿أَمَّا الْخَمِرُ﴾ وهي^٢ كل ما أسكر سواء فيه قليله وكثيره^٥،
وأضاف إليها ما وإخاها في الضرر دينا ودنيا وفي كونه سببا للخصام
وكثرة اللفظ المقتضى للحلف والإقسام تأكيدا لتحريم الخمر بالتنبيه على
أن الكل من أفعال الجاهلية، فلا فرق بين شاربها والذابح على النصب
والمعتمد على الأزلام فقال: ﴿والميسر﴾ أي الذي تقدم ذكره في

البقرة ﴿و الانصاب والازلام﴾ المتقدم^٥ أيضا ذكرهما أول السورة، ١٠
والزلم: القدح لا ريش له - قاله البخاري؛ وحكمة ترتيبها [هكذا-^٦]
أنه لما كانت الخمر غاية في الحمل على إتلاف المال، قرن بها ما يليها في
ذلك وهو^٧ القمار، ولما كان الميسر مفسدة المال، قرن به^٨ مفسدة الدين
وهي الانصاب، ولما كان تعظيم الانصاب شركا جليا إن عبدت، وخفيا
إن ذبح عليها دون عبادة، قرن بها نوعا من الشرك الخفي وهو الاستقسام ١٥
بالأزلام؛ ثم أمر باجتنب الكل إشارة وعبرة على آثم وجه فقال:
﴿رجس﴾ أي قذر أهل لأن يبعد عنه بكل اعتبار حتى عن ذكره
سواء كان عينا أو معنى، وسواء كانت الرجسية في الحس أو^٩ المعنى،

(١) من ظ، وفي الأصل: بالانزام (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) في
ظ: هو (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: التعمد (٦) زيد من ظ (٧) في ظ: هي.
(٨) في ظ: «و».

و وحده الخبر للنص على الخمر والإعلام بأن أخبار الثلاثة حذفت وقدرت ،
 لأنها 'أهل لأن؟ يقال في كل واحد منها على حدتها كذلك ، ولا يكفي
 [عنها - ٣] خبر واحد على سبيل الجمع ؛ ثم زاد في التنفير عنها تأكيداً
 لرجسيتها بقوله : ﴿ من عمل الشيطان ﴾ أى المحترق البعيد ، ثم صرح بما
 اقتضاه السياق من الاجتناب فقال : ﴿ فاجتنبوه ﴾ أى تعمدوا أن تكونوا
 عنه في جانب آخر غير جانبه ، وأفرد ؛ لما تقدم من الحكم ، ثم علل بما
 يفهم أنه لا فوز شيء من المطالب مع مباشرتها فقال : ﴿ لعلمكم تفعلونه ﴾
 أى تظفرون بجميع مطالبكم ، روى البخارى في التفسير عن ابن عمر رضى الله
 عنهما قال : لقد حرمت الخمر وما بالمدينة منها شيء ، وفي رواية : نزل
 ١٠ تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ خمسة أشربة ما فيها شراب العنب ، وفي
 رواية عنه : سمعت عمر على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أما
 بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة : من العنب - وفي
 رواية : من الزبيب - والتمر والعسل والخنطة والشعير ، والخمر ما خامر
 العقل . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ما كان لنا خمر غير فضيخكم
 ١٥ هذا ، وإني لقاتم أسقى أباً طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال :
 (١) فى ظ : لأن (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : اسئل ان - كذا (٣) زيد من
 ظ (٤) فى ظ : افر (٥) فى ظ : جامن - كذا (٦) فى ظ : تضحكم - كذا ، والفضيخ
 شراب يتخذ من البسروحدة (٧) زيد بعده فى صحيح البخارى : الذى تسمونه
 الفضيج (٨-٨) فى الصحيح : فاني (٩) فى ظ : اذا (١٠) زيد بعده فى الصحيح :
 وهل بلمتكم الخبر ؟ فقالوا : وما ذاك ؟ قال .

حرمت الخمر ، قالوا : أهرق هذه القلال يا أنس ! فما سألوها عنها
ولا راجعوها بعد خبر الرجل ؛ و^١ في رواية عنه : حرمت علينا الخمر حين
حرمت و ما نجد خمر الأعتاب إلا قليلا ، و عامة^٢ خمرنا البسر^٣ و التمر .
قال الأصهباني : و ذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام .

ولما كانت حكمة النهى عن الانصاب و الازلام قد تقدمت في ه
أول السورة ، و هى أنها فسق ، اقتصر على بيان علة النهى عن الخمر و الميسر
إعلاما بأنهما المقصودان بالذات ، و إن كان الآخريين ما ضما^٤ إلالتا كيد
تحريم هذين - كما تقدم ، لأن المخاطب أهل الإيمان ، و قد كانوا يجتنبين
لذنيك ، فقال مؤكدا لأن الإقلاع عما حصل التماهى فى المرون عليه
يحتاج إلى مثل ذلك : (انما يريد الشيطان) أى بتزيين الشرب و القمار لكم
(ان يوقع بينكم العداوة) .

ولما كانت العداوة قد / تزول أسبابها ، ذكر ما ينشأ عنها بما إذا^٥
استحكم تعسر^٦ أو تعذر زواله ، فقال : (و البغضاء فى الخمر و الميسر)
أى تعاطيها [لأن الخمر تزيل العقل ، فيزول المانع من إظهار الكامن
من الضغائن و المناقشة و المحاسدة ، فربما أدى ذلك إلى حروب طويلة ١٥
و أمور مهولة ، و الميسر يذهب المال فيوجب ذلك الإحقة على من سلبه
ماله و نفص عليه أحواله - ٦] .

ولما ذكر ضررها فى الدنيا ، ذكر ضررها فى الدين فقال :

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ : نهر بالبسر - كذا (٣) فى ظ : هما (٤) فى ظ :
محتاج (٥) فى ظ : بعسر (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

(و يصدكم عن ذكر الله) أى الملك الأعظم الذى لا إله [لكم - ١]
 غيره ولا كفوء له، وكرر الجارتا كيدا^٢ للامر و تغليظا^٣ في التحذير
 فقال: (وعن الصلوة^٤) أما في الحر فواضح، و أما في الميسر فلأن
 الفائز^٥ ينسى يطر^٦ الغلبة، و الخائب^٧ مغمور بهمة، و أعظم التهديد
 ٥ بالاستفهام و الجملة الاسمية الدالة على الثبات بعد التأكيد بالحصر والضم
 إلى فعل الجاهلية و بيان الحكم الداعية إلى الترك و الشرور^٨ المنفرة عن
 الفعل فقال: (فهل اتم متهون^٩) أى قبل أن يقع بكم ما لا تطيقون.
 ولما كان ذلك مألوفاً لهم محبوباً عندهم، وكان ترك المألوف أمر
 من ضرب السيوف، أكد دعوتهم إلى اجتنابه محذراً من المخالفة بقوله
 ١٠ عاطفاً على ما تقديره: فاتتهوا^{١٠}: (واطيعوا الله) أى الملك الأعلى الذى
 لا شريك له ولا أمر لأحد سواه، أى^{١١} فيما أمركم^{١٢} به من اجتناب ذلك،
 و أكد الامر باعادة العامل فقال: (واطيعوا الرسول) أى الكامل في
 الرسالة في ذلك، وزاد في التخويف بقوله: (واحدروا^{١٣}) أى من
 المخالفة، ثم بلغ الغاية [في ذلك - ١] بقوله^{١٤}: (فان توليتم) أى
 ٥ بالإقبال على شيء من ذلك، و أشار بصيغة التفعّل إلى أن ذلك إنما يعمل
 بمعالجة من النفس للفطرة الأولى، و عظم الشأن في ابتداء الجزاء^{١٥} بالذنية

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) في ظ: لامر و تعظيماً (٣-٣) في
 الأصل: نسي سطر، وفي ظ: نسي سطر - كذا (٤) في الأصل: الجانب، وفي
 ظ: الجانب - كذا (٥) في ظ: النشرو - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ،
 وفي الأصل: امرهم (٨) في ظ: لعولك - كذا (٩) في ظ: الجبر.

بالامر بالمعروف فقال: ﴿فاعلموا﴾ أنكم لم تضروا إلا أنفسكم، لأن الحجة قد قامت عليكم، ولم يبق على الرسول شيء^١ لأنكم علمتم ﴿انما على رسولنا﴾ أى البالغ فى العظمة مقدارا يحل عن الوصف باضافته إلينا ﴿البلغ المبين﴾ أى البين فى نفسه الموضح لكل من سمعه ما يراد منه لا غيره، فمن خالف فلينظر ما يأتية من البلاء من قبلنا، وهذا ناظر إلى قوله "بلغ" • ما أنزل اليك من ربك " فكأنه قيل: ما عليه إلا ما تقدم من إلزامنا له به^٢ من البلاغ، فمن^٣ اختار لنفسه المخالفة كفر، والله لا يهدى^٤ من كان مختارا لنفسه الكفر.

ولما كانوا قد سألوا عند نزول الآية عما من شأن الأنفس الصالحة الناضرة للورع المتحرك^٥ للسؤال عنه، وهو من مات منهم وهو يقطعها، ١٠ قال جوابا لذلك السؤال: ﴿ليس على الذين آمنوا و عملوا﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت جناح﴾ فبين سبحانه أن هذا السؤال غير وارد لأنهم لم يكونوا منعوا منها، وكانوا مؤمنين عاملين للصلحات متقين^٦ لما يسنخ الرب من المحرمات، وقد بين ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواد الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: حرمت الخمر ثلاث ١٥ مرات: قدم^٧ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم^٨ عن ذلك^٩،

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) فى ظ: فما (٤) فى ظ: لا يجب (٥) فى ظ: لا تحرك (٦) فى ظ: معينين (٧-٧) فى السند ٢٥١/٢: عنهما.

فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى [عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ١] " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ " - الْآيَةُ ، فَقَالَ النَّاسُ : لَمْ يَحْرَمْ عَلَيْنَا ، إِنَّمَا قَالَ : " إِن فِيهَا إِثْمًا " ،
وَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ حَتَّى [إِذَا - ١] كَانَ يَوْمٌ مِنْ الْأَيَّامِ صَلَّى رَجُلٌ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْمَغْرِبِ نَخْلَطُ فِي قِرَاءَتِهِ ، فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى " فَكَانُوا يَشْرَبُونَهَا حَتَّى يَأْتِيَ أَحَدُهُمْ
الصَّلَاةُ وَهُوَ مُفِيقٌ ، فَتَزَلَتْ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَزْلَامُ " - الْآيَةُ ، فَقَالُوا : انْتَهَيْنَا يَا رَبِّ ! / وَقَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !
نَاسٌ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَاتُوا عَلَى فَرَشِهِمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَأْكُلُونَ
الْمَيْسِرَ وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ رَجْسًا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ! فَأَنزَلَ اللَّهُ " لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ

/ ١٢٢

١٠. آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ " - الْآيَةُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
لَوْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ لَتَرَكُوهَا كَمَا تَرَكْتُمْ . وَلَا يَضُرُّ كَوْنَهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي مَعْشَرٍ
وَهُوَ ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ مُوَافِقٌ لِقَوَاعِدِ الدِّينِ ، وَرَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ سَاقٍ الْقَوْمِ يَوْمَ حُرِّمَتْ الْخَمْرُ فِي بَيْتِ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَمَا شَرَابُهُمْ إِلَّا الْفَضِيخُ :^٩ الْبُسْرُ وَالتَّمْرُ ، وَإِذَا مُنَادٍ يَنَادِي : أَلَا ! إِنْ
الْخَمْرُ قَدْ حُرِّمَتْ ،^{١٠} فَقَالَ [لِى - ١١] أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَخْرَجَ فَاهَرَقَهَا ،

(١) زِيدٌ مِنَ الْمُسْنَدِ (٢) فِي ظ : لَمْ تَحْرَمْ ، وَفِي الْمُسْنَدِ : مَا حَرَّمَ (٣ - ٢) فِي الْمُسْنَدِ :
فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ (٤) مِنْ ظ وَ الْمُسْنَدِ ، وَفِي الْأَصْلِ : يَوْمًا (٥ - ٥) سَقَطَ مَا بَيْنَ
الرَّقِيمِ مِنْ ظ (٦) مِنَ الْمُسْنَدِ ، وَفِي الْأَصْلِ وَ ظ « وَ » (٧) وَسَقِطَتْ هَذِهِ
الرِّوَايَةُ فِيمَا عِنْدَنَا مِنْ نَسْخَةِ الْمُسْنَدِ بِاخْتِلَافِ الْفَاعِلِ وَ زِيَادَةِ شَيْءٍ عَلَى مَا هُنَا .
(٨) مِنْ ظ وَ صَحِيحٌ مُسْلِمٌ - الْأَشْرَبَةُ ، وَالْفِعْلُ لَهُ (٩) مِنْ ظ وَ الصَّحِيحُ ، وَفِي
الْأَصْلِ : الْفَضِيخُ - كَذَا (١٠) زِيدٌ فِي الصَّحِيحِ قَالَ : بَغَرَتْ فِي سَكَكِ الْمَدِينَةِ .
(١١) زِيدٌ مِنَ الصَّحِيحِ .

فهرقتها^١، فقال بعض القوم: قد قتل 'فلان و فلان' و هي في بطونهم؟
فأنزل الله تعالى "ليس على الذين آمنوا و عملوا الصلحـت جناح" - الآية، على
أنه لو لم يرد هذا السبب كانت المناسبة حاصلة، وذلك أنه تعالى لما أباح
الطيب من المأكـل و حرم الخيـث من المشرب، نفى الجناح عن يأكل
ما أذن فيه أو يشرب^٢ عدا ما حرمه. فأتى بعبارة تعم المأكـل و المشرب هـ
فقال: ﴿ فيما طعموا ﴾ أى ما كـلا كان أو مشربا، و شرط ذلك عليهم
بالتقوى ليخرج المحرمات فقال: ﴿ اذا ما اتقوا ﴾ أى أوقعوا جميع التقوى
التي تطلب منهم فلم يطعموا محرما .

ولما بدأ بالتقوى و هي خوف الله الحامل على البعد عن المحرمات،
ذكر أساسها الذي لا تقبل^٣ الا به فقال: ﴿ و آمنوا ﴾ ولما ذكر الإقرار ١٠
باللسان^٤، ذكر مصداقه فقال: ﴿ و عملوا ﴾ أى بما أدام إليه اجتـهادهم
بالعلم^٥ لا اتفاقا^٦ ﴿ الصلحـت ثم اتقوا ﴾ أى فاجتنبوا ما جدد عليهم تحريمه
﴿ و آمنوا ﴾ أى بأنه من عند الله، و أن الله له أن يحوما يشاء و يثبت
ما يشاء، و هكذا كلما تكرر تحريم شيء كانوا يلبسونه .

ولما كان قد نفى الجناح أصلا و رأسا^٧، شرط الإحسان فقال: ١٥
﴿ ثم اتقوا و احسنوا ﴾ أى لازموا التقوى إلى أن أوصلتهم^٨ إلى
مقام المراقبة، و هي الغنى عن رؤية غير الله، فأفهم ذلك أن من لم يبلغ^٩

(١) في ظ : فوقها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقـين من ظ (٣) زيد في ظ : ما .
(٤) في ظ : لا يقبل (٥) في ظ : بالإيمان - كذا (٦ - ٦) في ظ : لا اتفاق .
(٧) في ظ : لها - كذا (٨) من ظ ، و في الأصل : وصاتم (٩ - ٩) في ظ :
لم تبلغ .

[رتبة - ١] الإحسان لا يتمتع أن يكون عليه جناح مع التقوى والإيمان، يكفر عنه بالبلايا والمصائب حتى ينال ما قدر له بما لم يبلغه عمله من درجات الجنان، وبما يدل ٢ على فحاسة التقوى وعزتها أنه سبحانه لما ٣ شرطها في هذا العموم، حث عليها عند ذكر المأكل بالخصوص - ٥ كما مضى فقال "واتقوا الله الذي اتم به مؤمنون"، وهذا في غاية الحث على التورع في المأكل والمشرب وإشارة إلى أنه لا يوصل إلى مقام الإحسان إلا به - والله الموفق؛ ولما كان التقدير: فان الله يحب المتقين المؤمنين، عطف عليه قوله: ﴿والله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿يحب المحسنين﴾ .

١٠ ولما ذكر ما حرم من الطعام في كل حال، وكان الصيد ممن حرم في بعض الأوقات، وكان من أمثل مطعوماتهم، وكان قد ذكر لهم بعض أحكامه عقب قوله "احلت لكم بهيمة الانعام"، "واحل لكم الطيبات" أخذنا في ذكر شيء من أحكامه، وابتدأها - لأنهم خافوا على من مات منهم على شرب الخمر قبل تحريمها^٤ بأنه يتلهم لتمييز الورع منهم ١٥ من غيره - بالصيد في الحال التي حرمه عليهم فيها كما ابتلى إسرائيل في السبت، فكان ذلك سببا لجعلهم^٥ قردة، ومن سبحانه على الصحابة من هذه الأمة بالعصمة عند بلوهم بيانا لفضلهم على من سواهم، / فقال تعالى مناديا لهم

/ ١٢٣

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : يدلك (٣) في ظ : كما (٤-٤) في ظ : باق (٥) في ظ : احلت (٦) في ظ : شيئا (٧) في ظ : شراب (٨) من ظ ، وفي الأصل: تحريمه . (٩) في ظ : بنى (١٠) تكرر في الأصل .

بما يكفهم^١ ذكره^٢ عن المخالفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أوقعوا
الإيمان ولو على أدنى وجوهه، فعم بذلك العالى والدانى ﴿ليلونكم الله﴾
أى يعاملكم معاملة المختبر فى قبولكم تحريم الخمر وغيره المحيط بكل
شئ قدرة وعلما، وذكر الاسم الأعظم إشارة بالتذكير بما له من
الجلال إلى أن له أن يفعل ما يشاء، وأشار إلى تحقير البلوى تسكيننا^٣
للنفوس بقوله^٤: ﴿بشئ من الصيد﴾ أى الصيد فى البر فى الإحرام،
وهو ملتفت إلى قوله ”هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله“ [وشارح
لما ذكر أول السورة فى قوله ”غير محلى الصيد وأنتم حرم -“] الآية،
وما^٥ ذكر بعد المحرمات من قوله ”فكلوا مما أمسكن عليكم“، ووصف
المبتلى به بوصف هو من أعلام النبوة فقال: ﴿تالآ ايدىكم﴾ أى إن^٦
أردتم أخذه سالما ﴿ورماحكم﴾ إن أردتم قتله، ثم ذكر المراد من
ذلك وهو إقامة الحجّة على ما يتعارفه العباد بينهم فقال: ﴿ليعلم الله﴾
أى وهو الغنى عن ذلك بما له من صفات الكمال التى لا خفاء بها عند
أحد يعلم هذا الاسم الأعظم ﴿من يخافه بالغيب﴾ أى بما حجب
به من^٧ هذه الحياة الدنيا التى حجبته عن أن يعرفوه حق معرفته سبحانه،^٨
والمعنى أنه يخرج بالامتحان ما كان من أفعال العباد فى عالم الغيب إلى عالم
الشهادة، فيصير تعلق العلم به تعلقا شهوديا كما^٩ كان تعلقا غيبيا
[لتقوم -] بذلك^{١٠} الحجّة على الفاعل^{١١} فى مجارى عاداتهم^{١٢}، ويزداد من

(١) فى ظ: يكفهم (٢) من ظ، وفى الأصل: ذكر (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ
”و“ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: بما (٧) من ظ، وفى الأصل: لما (٨-٩) فى
ظ: على الفاعل الحجّة (٩) فى ظ: عاداتكم.

له اطلاع على اللوح المحفوظ من الملائكة إيماناً وبقينا و عرفانا ، وقد حقق سبحانه معنى هذه الآية فابتلاهم بذلك عام الحديبية حتى كان ينشاهم الصيد في رحالهم و يمكنهم أخذه بأيديهم .

و لما كان هذا زاجرا في العادة 'عن التعرض' لما وقعت البلوى ه به وحاسما للطمع فيه بمن^٢ اتسم بما جعل محط النداء من الإيمان ، سبب عنه قوله : (فمن اعتدى) أى كلف نفسه مجاوزة^٣ الحد في التعرض له ؛ و لما كان سبحانه يقبل التوبة عن عباده ، خص الوعيد بمن استغرق الزمان بالاعتداء فأسقط الجار لذلك فقال : (بعد ذلك) أى الزجر العظيم (فله عذاب اليم^٤) بما التذ من تعرضه إليه لما عرف بالميل^٥ إلى هذا أنه [إلى ما -^٦] هو أنهى منه كالخمر و ما معها أميل .

و لما أخبرهم بالابتلاء : صرح لهم بما لوح إليه بذكر المخافة من تحريم التعرض لما ابتلاهم به^٦ ، فقال منوها بالوصف الناهى عن الاعتداء : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) و ذكر القتل الذى هو أعم من الذبح إشارة إلى أن الصيد - لما عنده من النفرة المانعة من التمكن من ذبحه - يحبس بأى وجه كان من أنواع القتل فقال : (لا تقتلوا الصيد) أى لا تصطادوا^٧ ما يحل أكله من الوحش ، و أما غير المأكول فيحل قتله ، فانه لاحظ للنفس فى قتله إلا الإراحة من أذاه المراد بالفسق فى قوله صلى الله عليه وسلم : خمس فى الدواب فواسق ، لاجتاج على من قتلها فى حل و لا حرم - و ذكر منهن السبع العادى ، فدل الحكم برفع الجناح عقب الوصف بالفسق

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : بمن (٣) فى ظ : مجاوز (٤) فى ظ : بالمثل (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : لا تصادوا .

على أنه علة الإباحة ، ولا معنى لفسقها إلا إذاها (و اتم حرم ^١) أى محرمون أو ^٢ فى الحرم .

ولما كان سبحانه [عالما - ^٣] بأنه لا بد أن يوافق موافق ^٤ تبعاً لآمره و يخالف مخالف موافقة لمواده ، شرع لمن خالف كفارة تخفيفاً منه على هذه الأمة و رخصاً لما كان على من ^٥ كان من قبلها من الآصار ، ه فقال عاطفاً على ما تقديره : فمن انتهى فله عند ربه أجر عظيم :
/ (ومن قتله منكم متعمداً) أى قاصدا للصيد ذاكراً للأحرام إن كان محرماً ،
و الحرم إن كان فيه عالماً بالتحريم .

ولما كان هذا الفعل العمد موجبا للآثم و الجزاء ، و متى اختل وصف منه كان خطأ موجبا للجزاء فقط ، و كان سبحانه قد عفا عن الصحابة ١٠ رضى الله عنهم العمد الذى كان سبباً لنزول الآية كما فى آخرها ، لم يذكره .
و اقتصر على ذكر الجزاء فقال : (فجز آء) أى فكفارة (مثل ما قتل) أى أقرب الأشياء به شبهاً فى الصورة ^٦ لا النوع ^٧ ، و وصف الجزاء بقوله : (من النعم) لما قتله ^٨ عليه ، ^٩ أى عليه ^{١٠} أن يكافئ ما قتله بمثله ، وهو من إضافة المصدر إلى الفاعل ، هذا على قراءة الجماعة بإضافة د جزاء ، إلى ١٥ . مثل ، و أما على قراءة الكوفيين و يعقوب بتثوين د جزاء ، و رفع د مثل ، فالأمر واضح .

(١) من ظ ، وفى الأصل : أى (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى ظ : قتلها (٥ - ٥) فى ظ : لو يذكره (٦ - ٦) من ظ ، وفى الأصل : كالنوع (٧) من ظ ، وفى الأصل : قتل (٨ - ٨) سقط ما بين الرقعين من ظ .

ولما كان كأنه قيل : بما تعرف المائدة ؟ قال : ﴿ يحكم به ﴾ أى بالجزاء ، ولما كانت وجوه المشابهة بين الصيد وبين النعم كثيرة ، احتاج ذلك إلى زيادة التأمل فقال : ﴿ ذوا عدل منكم ﴾ أى المسلمين ، وعن الشافعى أن الذى له^٢ مثل ضربان : ما حكمت فيه الصحابة ، وما لم تحكم فيه ، فما حكمت فيه لا يعدل إلى غيره لأنه قد حكم به عدلان فدخل تحت الآية ، وهم أولى من غيرهم لأنهم شاهدوا النزول وحضروا التأويل ؛ وما لم يحكموا به يرجع فيه إلى اجتهد عدلين ، فينظر إلى الاجتناس الثلاثة^٣ من الأنعام ، فكل ما^٤ كان أقرب شبها به بوجبه ، فإن كان القتل خطأ جاز أن يكون [الفاعل -^٥] أحد الحكيم ، وإن كان عمدا فلا ، لأنه يفسق به .

ولما كان هذا المثل يساق إلى مكة المشرفة على وجه الإكرام والنفك^٦ رفقا بمساكنها ، قال^٧ مينا لحاله من الضمير فى " به " : ﴿ هديا ﴾ ولما كان الهدى هو ما تقدم تفسيره ، صرح به فقال : ﴿ بلغ الكعبة ﴾ أى الحرم المنسوب إليها ، وإنما صرح بها زيادة فى التعظيم وإعلاما بأنها هى المقصودة بالذات بالزيارة والعمارة لقيام ما يأت ذكره ، تدبج الهدى بمكة المشرفة ويتصدق به على مساكين الحرم^٨ ، والإضافة لفظية لأن الوصف

(١) فى ظ : بم (٢) تأخر فى ظ عن « الضمير فى به » (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : لم يحكم (٥) من ظ والبحر المحيط ٢/٤ ، وفى الأصل : الثلاث (٦-٧) من ظ والبحر ، وفى الأصل : فما (٧) زيد من ظ (٨-٨) فى ظ : قال بمساكنها - كذا .

بشبهه^٥ يبلغ، فلذا وصف بها النكرة .

ولما كان سبحانه رحيمًا بهذه الأمة، خيرها بين ذلك وبين ما بعد فقال^١: ﴿أو﴾ عليه ﴿كفارة﴾ هي ﴿طعام مسكين﴾ في الحرم بمقدار قيمة الهدى، لكل مسكين مد ﴿أو عدل ذلك﴾ أى قيمة المثل ﴿صياما﴾ فى أى موضع تيسر له، عن^٢ كل مد يوم، فأر للتخير لأنه الأصل فيها،^٥ والقول بأنها للترتيب يحتاج إلى دليل .

ولما كان الأمر مفروضاً فى المتعمد قال معلقاً بالجزاء، أى فعليه أن يجازى بما ينقص المال أو يؤلم الجسم ﴿ليذوق وبال﴾ أى ثقل^٢ ﴿أمره^٣﴾ وسوء عاقبته ليحترز^٢ عن مثل ما وقع فيه؛ ولما كان هذا الجزاء محكوماً به فى دار العمل التى لا يطلع أهلها بمجرد عقولهم فيها على^{١٠} غيب، ولا يعرفون عاقبة أمر إلا تخرصاً، طرد الحكم فى غير المتعمد؛ لئلا يدعى المتعمد أنه مخطئ، كل ذلك حمى لحزمة الدين وصونا لحزمة الشرع وحفظاً لجانبه/ ورعاية لشأنه، ولما كان قد مضى منهم قبل نزولها من هذا النوع أشياء . كانوا كأنهم قالوا: فكيف نصنع بما أسلفنا؟ قال جواباً: ﴿عفا الله﴾ أى الغنى عن كل شئ الذى له الإحاطة بجميع^{١٥} صفات الكمال ﴿عما سلف^٣﴾ أى تعمد^٥، أى لكم من ذلك، فمن

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: يقل - كذا (٣) من ظ، وفى الأصل: ليحترز.
(٤) فى ظ: المتعمد، والعبارة من بعده الى « المتعمد » الآتى ساقطة منه .
(٥-٥) من ظ، وفى الأصل: الى تعمدها، وهو متخلل فى الأصل بين « عما » و « سلف »

حفظ نفسه بعد هذا فاز ﴿ ومن عاد ﴾ إلى تعدد شيء من ذلك ولو قل ؛
ولما كان المبتدأ متضمنا معنى الشرط ، قرن الخبر بالقاء إعلاما بالسببية
قال : ﴿ فينتقم الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ منه ﴾ أى بسبب عوده
بما يستحقه من الانتقام .

٥ ولما كان فاعل ذلك متهمًا لحرمة الإحرام والحرم ، و كان
التقدير : فانه قادر عليه ، عطف على ذلك ما اقتضاه المقام من الإتيان
بالاسم الأعظم و وصف العزة فقال : ﴿ واه ﴾ أى الملك [الأعلى - ٢]
الذى لا تدانى عظمته عظمه ﴿ عزيز ﴾ لا يظلب ﴿ ذو انتقام ٥ ﴾
من خالف أمره .

١٠ ولما كان هذا عاما فى كل صيد ، بين أنه خاص بصيد البر فقال :
﴿ احل لكم صيد البحر ﴾ أى اصطيداه ، أى الذى مبناه غالبا على الحاجة ،
و المراد [به - ٢] جميع المياه من الأنهار و البرك وغيرها ﴿ و طعامه ﴾
أى مصيده طريا و قديدا ولو كان طافيا فقه البحر ، وهو الحيتان
بأنواعها وكل ما لا يعيش فى البر ، و ما أكل مثله فى البر .

١٥ ولما أحل ذلك ذكر علة فقال : ﴿ متاعا لكم ﴾ أى إذا كنتم مسافرين
أو مقيمين ﴿ و للزيارة ٤ ﴾ أى يزودونه إلى حيث أرادوا من البر
أو البحر ، و فى تحليل صيد البحر حال الابتلاء من النعمة على هذه الأمة
ما بين فضلها على من كان قبلها من جعل صيد البحر له محنة يوم الابتلاء -

(١) فى ظ : بالسة - كذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : لا يدانى .

(٥) فى ظ : لا يظالب (٦) فى ظ : مصيده (٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

وقه الحد، والظاهر أن المراد بصيد البحر الفعل، لأن ثم أمرين: الاصطياد والاكل، والمراد يان حكمها، فكانه^١ أحل اصطياد حيوان البحر، وأحل طعام البحر مطلقا ما اصطادوه وما لم يصطادوه^٢، سواء كانوا مسافرين أو مقيمين، وذلك لانه لما قدم تحريم اصطياد ما في البر بقوله " لا تقتلوا الصيد و اتم حرم " أتبعه يان [إحلال اصطياد مصيد البحر في حال تحريم ه ذلك، ثم أتبعه يان -^٤] حرمة مصيد البر بقوله: (و حرم عليكم صيد البر) أى اصطاده وأكل^٥ ما صيد منه لكم، وهو ما لا يعيش^٦ له^٧ إلا فيه، وما يعيش فيه^٨ وفي البحر^٩، فإن صيد^{١٠} للحلال^{١١} حل للحرم أكله، فانه غير منسوب إليه اصطاده بالفعل ولا بالقوة (ما دتم حراما^{١٢}) لأن مبنى أمره غالبا في الاصطياد والاكل بما صيد على الترف والرفاهية، ١٠ وقد تقدم أيضا حرمة اصطياد مصيد البر و حرمة الاكل بما صيد منه، و تكرر ذلك بتكرر الإحرام في آية " غير محلى^{١٣} الصيد " وآية " لا تقتلوا الصيد " و اتم حرم " فلا يمارضه مفهوم " ما دتم حراما^{١٤} "، وعبر بذلك ليكون نضا في الحرمة في كل جزء من أجزاء وقت الإحرام إلى تمام التحلل - و اقه أعلم، ولا يسقط الجزاء بالخطأ والجهل كسائر محظورات ١٥ الإحرام .

ولما كان الاصطياد بمجر المصيد إلى حيث يعجز عن الخلاص

- (١) في ظ : فكانها (٢) زيدت الواو بعده في ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : كل (٦) في ظ : لا يعيش (٧ - ٧) سقط ما بين الرقین من ظ . (٨-٨) تكرر ما بين الرقین في الأصل .

منه، وكانت حالة الإحرام أشبه شيء بحالة الحشر في التجرد عن المحيط والإعراض عن الدنيا وتمتعاتها، ختم/ الآية بقوله عطفًا على ما تقديره: فلا تأكلوا 'شيئًا منه' في حال إحرامكم: ﴿واتقوا الله﴾ أى الذى له الأمر كله فى ذلك وفى غيره^٢ من الاصطياد وغيره ﴿الذى إليه تحشرون﴾^٥ ليكون العرض عليه نصب أعينكم فتكونوا مواظبين على طاعته محتزين عن معصيته .

ولما كان الإحرام وتحريم الصيد فيه إنما هو لقصد تعظيم الكعبة، بين تعالى حكمة ذلك و^٢ أنه كما جعل الحرم والإحرام سبيلًا لآمن الوحش والطير جعله سبيلًا لآمن الناس وسبيلًا لحصول السعادة في الدنيا وأخرى، فقال ١٠ مستأنفا يانا لحكمة المنع فى أول السورة من استحلال من يقصدها للزيارة: ﴿جعل الله﴾ أى بما له من العظمة وكآل الحكمة ونفوذ الكلمة ﴿الكعبة﴾ وعبر عنها بذلك لأنها مأخوذة من الكعب الذى به قيام الإنسان وقوامه، ويثبتها مادحا بقوله: ﴿البيت الحرام﴾ أى الممنوع من كل جبار دائما الذى تقدم فى أول السورة أنى منعتكم من استحلال من يؤمّه ﴿قيما للناس﴾ أى فى أمر معاشهم ومعادهم لأنها لهم كالعباد الذى يقوم به البيت، فيأمن به الخائف ويقوى فيه الضعيف ويقصده التجار والحجاج^٢ والعمار فهو عماد الدين والدنيا .

ولما ذكر ما به القوام من المكان، أتبعه ذلك من الزمان فقال: ﴿والشهر الحرام﴾ أى الذى يفعل^٢ فيه الحج وغيره 'يأمن فيه' الخائف*.

(١-١) فى ظ: منه شيئا (٢) سقط من: ظ (٣) فى ظ: كما (٤) فى ظ: استخلاص (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ .

ولما ذكر ما به القوام^١ من المكان والزمان، أتبعه^٢ ما به^٣ قوام الفقراء من شعاره فقال: ﴿والهدى﴾ ثم أتبعه أعزّه وأخصه فقال: ﴿والقلائد^٤﴾ أى والهدى العزيز الذى يقلد فيذبح ويقسم على الفقراء، و فى الآية التفات إلى ما^٥ فى^٦ أول السورة من قوله ”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ“^٧ ولا الشهر الحرام^٨ - الآية، فقوانينها أن من قصدها فى شهر الحرام^٩ لم يتعرض له أحد ولو كان قتل ابنه^{١٠}، ومن قصدها فى غيره ومعه هدى قلده أو لم يقلده أو لم يكن معه هدى وقلد نفسه من لحاء^{١١} شجر الحرم^{١٢} لم يعرض له أحد^{١٣} حتى أن بعضهم يلقى الهدى وهو مضطر فلا يعرض له^{١٤} ولو مات جوعاً، وسواء فى ذلك صاحبه وغيره لأن^{١٥} الله تعالى أوقع فى قلوبهم تعظيمها، لأنه تعالى جبل العرب على الشجاعة ليفتح^{١٦} بهم البلاد شرقاً وغرباً ليظهر عموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلزم من ذلك شدة حرصهم على القتل والغارات، وعلم أن ذلك إن دام بهم شغلهم عن تحصيل ما يحتاجون إليه لعيشهم، فأدى إلى فناءهم، فجعل بيته المكرم وما كان من أسبابه أماناً يكون به قوام معاشهم^{١٧} أو معاشهم^{١٨}، فكان ذلك برهانا ظاهراً على أن الإله عالم بجميع المعلومات^{١٩} وأن له الحكمة البالغة.

(١) تكرر فى الأصل (٢) العبارة من «أتبعه ذلك» إلى هنا تكررت فى ظ مع سقوط الألفاظ التى نبهنا عليها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : ايه (٥) من ظ ، وفى الأصل : لها - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : الحرام ، وزيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : أن .

ولما أخبر بعلّة التعظيم لما أمر بتعظيمه من نظم أمور الناس ، ذكر
 علة^١ ذلك الجعل فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الجعل العظيم الذى تم^٢ أمره
 على ما أراد جاعله^٣ سبحانه ﴿ لتعلموا ﴾ أى بهذا التدبير المحكم^٤
 ﴿ ان الله ﴾ أى^٥ الذى له الكمال كله الذى جعل ذلك ﴿ يعلم ما فى السموات ﴾
 ٥ فلذلك رتبها ترتيباً فصلت به الأيام والليالى ، فكانت من ذلك الشهور
 والأعوام ، وفصل من ذلك ما فصل للقيام / المذكور ﴿ وما فى الارض ﴾ / ١٢٧
 فلذلك جعل فيها ما قامت به مصالح الناس وكف فيه أشدّهم وأفسدّهم
 عن أضعفهم وآمن فيه الطير والوحش ، فيؤدى ذلك من له عقل رصين
 وفكر متين إلى أن يعلم أن فاعل ذلك من العظمة ونفوذ الكلمة بحيث
 ١٠ يستحق الإخلاص فى العبادة وأن يمثل أمره فى إحلال ما أحل
 من الطعام وتحريم ما حرم من الشراب وغير ذلك .

ولما ذكر هذا العلم العظيم ، ذكر ما هو أعم منه فقال : ﴿ وان ﴾
 أى ولتعلموا^٦ أن ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة وعلما الذى فعل
 ذلك قم له ﴿ بكل شيء عليم ٥ ﴾ وإلا لما أثبت جميع مقتضيات ذلك
 ١٥ ونفى جميع موانعه حتى كان ، ولقد اتخذ العرب - كما فى السيرة المشامية^٧
 وغيرها - طواغيت ، وهى بيوت^٨ جعل لها^٩ سدة^{١٠} وحجاباً وهدايا
 أكثرها منها ، وعظمت كل قبيلة ما عندها أشدّ تعظيم^{١١} وطافوا به فلم يبلغ
 (١) من ظ ، وفى الأصل : علمه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 عاجله (٤) من ظ ، وفى الأصل : الحكمة - كذا (٥) فى ظ : ليعلموا (٦) فى ظ :
 الهاشمية (٧-٧) فى ظ : جعلها بها - كذا (٨) فى ظ : تعظيماً .

شيء^١ منها ما بلغ أمر الكعبة المشرفة ولا قارب، ليحصل العلم بأنه سبحانه لا شيء مثله ولا شريك له .

ولما أتج هذا كله أنه على كل شيء قدير لأنه بكل شيء عليم ، وكانت هذه الآية - كما تقدم - ناظرة إلى أول السورة من آية " لا تحلوا شعائر الله " وما بعدها أتم نظر ، ذكر^٢ سبحانه ما اكتف آية " حرمت عليكم الميتة " من الوعيد الذي ختم به ما قبلها والوعد الذي ختمت هي به في هذه الآية على ترتيبه ، سائقا له مساق النتيجة والثمره لما قبله ، يانا لأن من ارتكب شيئا من هذه المنهيات كان حظه ، فقال محذرا ومبشرا لأن الإيمان لا يتم إلا بهما : ﴿ اعلموا إن الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها الذى نهاه عنها ﴿ شديد العقاب ﴾ فليكن عباده على حذر منه ، وأن ١٠ من أوقعه فى شيء منها القدر ، ثم فتح له التوفيق باب الحذر ، فكفر فيما فيه كفارة و تاب ، كان مخاطبا بقوله : ﴿ وان ﴾ أى واعلموا أن ﴿ الله ﴾ أى الذى له الجلال والإكرام مع كونه شديد العقاب ﴿ غفور رحيم ﴾ يقبل عليه ويمحو زلله ويكرمه ، فكان اكتاف أسباب الرجاء سابقا للانذار ولاحقا معلما بأن رحمته سبقت غضبه وأن ١٥ العقاب إنما هو لإتمام رحمته ، قال ابن الزبير : ثم قال : " جعل الله الكعبة " - الآية^٣ ، فنه على سوء العاقبة فى منع البحث على التعليل وطلب الوقوف على ما لعله مما استأثر الله بعلبه ، ومن هذا الباب أتى على بنو إسرائيل فى^٤ (د) فى ظ : نشيط (٢) فى ظ : ذلك (ج) فى ظ : الآية (٤) فى ظ : غلبت (ه) زيد بعده فى ظ : البيت الحرام (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : من .

[أمر - ١] البقرة وغير ذلك؛ وجعل لهذا التنبه إيماء، ثم أعقبه بما يفسره "يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن الأشياء" - الآية، ووعظهم^٢ بحال غيرهم في هذا، وأنهم سألوا فأعطوا ثم امتحنوا، وقد كان التسليم أولى لهم، فقال تعالى "قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين" ثم عرّف عباده أنهم إذا استقاموا فلن يضرهم خذلان غيرهم "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم" - انتهى .

ولما رغب سبحانه و رهب ، علم أنه المجازي وحده ، فأتبع ذلك أنه ليس إلى غيره إلا ما كلفه به ، فأتبع ذلك ولا بد قوله : ﴿ ما على الرسول ﴾ / ١٢٨
أى الذى من شأنه الإبلاغ / ﴿ الا البلغ ﴾ أى بأنه يحل لكم الطعام وغيره

١٠ : ويحرم عليكم الخمر وغيرها ، وليس عليه أن يعلم ما تضرعون وما تظهرون
ليحاسبكم عليه^٣ ﴿ والله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿ يعلم ما تبدون ﴾ أى تجددون إبداءه على الاستمرار ﴿ وما تكتمون ﴾ من إيمان وكفر وعصيان وطاعة وتعبد لقتل الصيد وغيره و محبة للخمر وغيرها وتعق في الدين بتحريم الحلال من الطعام والشراب وغيره إفراطا وتفریطا ،
١٥ : لانه الذى خلقكم و قدر ذلك فيكم فى أوقاته ، فيجازيكم على ما فى نفس الأمر ، من عصى أخذه بشديد العقاب ، ومن أطاعه مضحه حسن الثواب ، و أما الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يحكم إلا بما يظنه بما تبدونه مما لم أكشف له الباطن و أمره فيه بأحرى ، وهذه أيضا ناظرة إلى قوله تعالى

(١) زيد من ظ (٤) من ظ ، ولئى الأهل : وعظ (٢) سقط من ظ (٤) ف
ظ : بامر .

”بلغ ما أنزل إليك من ربك“ :

ولما سبب سبحانه العلم عن كل أحد وألمته لنفسه الشريفة، أخرج ذلك أنه لا أمر لغيره ولا نهى ولا إيجاب ولا نفي، فأخذ سبحانه بين حكمة غامض من الأوامر في إحلال الطعام وغيره من الاصطياد والأكلي من الصيد وغيره والزواج عن الحر وغيرها بأق الأشياء منها طيب ونحيث، وأن الطيب وإن قل خير من الخيث وإن كثر، ولا يميز هذا من ذاك إلا^١ الخلاق العليم، فربما ارتكب الإنسان طريقة شرعها لنفسه ظاناً أنها حسنة فجرت به إلى السيئة وهو لا يشعر فيهلك، كالوهانية التي كانوا غزموا عليها والحر التي دعا شغفهم^٢ بها إلى الإنزال فيها مرة بعد أخرى إلى أن أكد فيها هذا أشد تأكيد، وحذر فيها أبلغ تحذير، فقال ١٠ تعالى صارفاً الخطاب إلى أشرف الرسل صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أنه لا ينهض بمعرفة هذا من الخلق غيره: ﴿ قل لا يستوى الخيث ﴾ أي من المطعومات والطاعمين ﴿ والطيب ﴾ أي كذلك، فإن ما يتوهمون في الكثرة من الفضل لا يوازى النقصان من جهة الخيث.

ولما كان الخيث من الدواب والمعاني أكثر في الظاهر وأيسر ما قبل: ﴿ ولو أعجبك كثرة الخيث ﴾ والخيث والطيب منه جسماني ومنه روحاني، وأخيهما الروحاني وأخيه الشرك، وأطيب الطيب الروحاني وأطيبه معرفة الله وطاعته، وما يكون للجسم من طيب أو خيث^٣.
(١) في ظ: لانه (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: شغفهم (٤) في ظ: الطيبه (٥) من ظ، وفي الأصل: خيث.

ظاهرٌ لكل أحد ، فما خالطه نجاسة صار مستقذراً لأرباب الطباع السليمة ،
وما خالط الأرواح من الجهل صار مستقذراً عند الأرواح الكاملة المقدسة ،
وما خالطه من الأرواح معرفة الله فواظب على خدمته أشرق بأنوار
المعارف الإلهية وابتهج بالقرب من الأرواح المقدسة الطاهرة ، و كما
٥ أن الخبيث و الطيب لا يستويان في العالم الروحاني [كذلك لا يستويان
في العالم الجسماني - ٢] ، و التفاوت بينهما في العالم الروحاني أشد ، لأن مضرة
خبيث الجسماني ٢ قليلة ، و منفعة ٢ طيبه يسيرة ، و أما خبيث ٢ الروحاني
فضرته عظيمة دائمة ، و طيب الروحاني منفعته جليلة [دائمة - ٥] ، و هي
القرب من الله و الانخراط في زمرة السعداء ، و أدل دليل على إرادة

١٠ العصاة و المطيعين قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أي اجعلوا بينكم و بين ما يستخط

الملك الأعظم الذي له صفات الكمال من الحرام وقايةً من الحلال

/ لتكونوا ١ من قسم الطيب ، فانه لا مقرب إلى الله مثل الاتهاء عما حرم -

/ ١٢٩

كما تقدم الإشارة بقوله ” ثم اتقوا و احسنوا “ و يزيد المعنى ٥ وضوحاً

قوله : ﴿ يَأْوِلُ الْآلِبَابِ ﴾ أي العقول الخالصة من شوائب النفس

١٥ فتوثروا الطيب و إن قل في الحس لكثرت في المعنى على الخبيث و إن

كثر في الحس لنقصه في المعنى ﴿ لعلمكم تفلحون ٤ ﴾ أي لتكونوا على رجاء

من أن تفوزوا بجميع المطالب ، و حينئذ ظهر كالشمس مناسبة ٥ تعقيها

(١) من ظ ، و في الأصل : النطيب و الخبيث (٢) زيد كي تستقيم العبارة -

(٣ - ٢) من ظ ي و في الأصل : في قلبه و منافع (٤) من ظ ، و في الأصل :

خبيث (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : ليكونوا (٧) سقط من ظ .

بقوله على طريق الاستئناف والاستنتاج : ﴿ يَتَأَيَّاهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أعطوا من أنفسهم العهد على الإيمان الذى معناه قبول جميع ما جاء به من وقع به الإيمان ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ وذلك لأنهم إذا كانوا على خطر فيما يسرعون وفيما به يتفعمون من المآكل والمشارب وغيرها من الأقوال والأفعال فهم مثله فيما عنه يسألون سواء سألوا شرعه أولا ، لانه ربما أجابهم من لا يضره شيء إلى ما فيه ضررهم مما سألوه ، فانهم لا يحسنون التفرقة بين الخيث والطيب كما فعل بأهل السبت حيث أبوا الجمعة^٢ وسألوه ، فاشتد اعتناقها حيث بقوله ” ان الله يحكم ما يريد “ وبقوله ” ما على الرسول الا البلغ “ فكان كأنه قيل : فابلغكم ياه نخذوه بقبول وحسن اقتياد ، وما لا فلا تسألوا عنه ، وسبب نزولها - كما^١ فى الصحيحين ١٠ عن أنس رضى الله عنه - أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه^٥ بالمسألة^٦ ، فتضب فصعد المنبر فقال^٤ : لا تسألونى اليوم عن شيء إلا يئته لكم - وشرع يكرر ذلك ، وإذ [جاء - ٧] رجل كان إذا لاحى^٨ الرجال يدعى لغير أبيه فقال : يا رسول الله ! من أبى ؟ قال : [أبوك - ٩] حذافة ، ثم أنشأ عمر رضى الله عنه فقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ١٥

- (١) من ظ ، وفى الأصل : نفوسهم (٢) فى ظ : لا يحسبون (٣) فى ظ : لجماعة .
 (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و صحيح البخارى - كتاب الفتن و صحيح مسلم - الفضائل (٦) من الصحيحين ، وفى الأصل وظ : المسألة (٧) زيد من ظ ، وفى الصحيحين : فأفشا - مكان : وإذ جاء (٨) من الصحيحين ، وفى الأصل : لابي ، وفى ظ : لاح - كذا (٩) زيد من الصحيحين .

رسولا ، نعوذ بالله من [سنوء - ١] الفتن . وفي آخرة : فزلت "يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم" وللبخارى في التفسير عن أنس أيضا قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثله قط ، قال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ، لهم حنين ، فقال رجل : من أبي ؟ قال : فلان ، فزلت " لا تسئلوا عن أشياء " - الآية . وللبخارى أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل : من أبي ؟ ويقول الرجل تضل ناقته : أين ناقتي ؟ فأرسل الله فيهم هذه الآية "يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء" حتى فرغ من الآية كلها ، ولابن ماجه مختصرا^١ وللحافظ أبي القاسم ابن عساكر في المواقف فيما أفادهم الحبيب الطبري^٢ في مناقب العشرة وأبي يعلى في مستنده مطولا عن أنس رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان ونحن نرى أن معه جبرئيل عليه السلام حتى صعد المنبر - وفي رواية : فخطب^٣ الناس - [فقال - ٤] : سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء اليوم إلا أخبرتكم - وفي رواية : أنبأتكم به - فما رأيت يرمي ما كان أكثر باكياء منه ، فقال رجل : يا رسول الله - وفي رواية : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله - إنا كنا

(١) زيد بن منهن (٢-٣) في ظن لحافظ وأبو (٣) هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر محب الدين الطبري . من مؤلفاته : الرياض النضرة في فضائل العشرة (٤) زيد من ظ .

١٣٠ /

حديث عهد بجاهلية ، من أبى ؟ قال : أبوك حذافة - لايه / الذى كان يدعى له - وفي رواية : أبوك حذافة الذى تدعى له - فقام إليه آخر فقال : يا رسول الله [١ -] ! أأفى الجنة أنا أم فى النار ؟ فقال : فى النار ، فقام إليه آخر فقال : يا رسول الله ! أعلينا الحج كل عام ؟ - وفي رواية : فى كل عام - فقال : لو قلت : نعم ، لوجبت ، ولو وجبت لم تقوموا بها ، ولو لم تقوموا بها عذبتم ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : رضينا^٢ بالله ربنا بالإسلام ديننا و بمحمد صلى الله عليه وسلم نينا - وفي رواية : رسولا - لا تفضحننا^٣ بسرارنا - وفي رواية : فقام إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ! إنا كنا حديث عهد بجاهلية فلا تبد علينا سرارنا ، أ تفضحننا^٤ بسرارنا - اعف عنا عفا الله عنك^٥ ، فسرى عنه ، ثم التفت إلى الحائط ١٠ فذكر بمثل الجنة و النار^٦ . و للامام أحمد و مسلم و النسائي و الدارقطني و الطبري عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ^٧ خطب - وفي رواية^٨ : خطبنا - رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس ! إن الله [قد - ^٩] فرض عليكم الحج حجوا ، فقال رجل - وفي رواية النسائي : فقال الأقرع بن^{١٠} حابس التميمي - : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى ١٥ قالها ثلاثا ، فقال : من السائل ؟ فقال : فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و الذى نفسى بيده ! لو قلت : نعم ، لوجبت ، " ثم إذا " لا تسمعون و لا تطيعون ، ولكن حجة واحدة - و فى رواية الدارقطني و الطبري :

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : رضيت (٤) فى ظ : فلا تفضحننا (٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : تفضحننا (٦) فى ظ : عنه (٧) زيد بعده فى ظ : فيه (٨) زيد من ظ و بين النسائي - الناسك ، و مستند الإمام أحمد ٥٠٨/٢ (٩) فى ظ " و " (١٠) سقط من ط (١١-١١) فى ظ : اذ .

ولو رجبت ما أطقتموها، ولو لم تطيقوها - وفي رواية الطبري: ولو تركتموه - لكفرتم، فأنزل الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تستلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم" ثم قال: ذروني ما ترككم، فإما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه - وفي رواية: فاجتنبوه .

وهذا الحديث له ألفاظ كثيرة من طرق شتى استوفيتها في كتابي «الاطلاع على حجة الوداع» ولا تعارض بين هذه الأخبار ولو تعذر ردها إلى شيء واحد لما تقدم عند قوله تعالى "لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم" من أن الأمر الواحد قد تعدد أسبابه، بل وكل ما ذكر من أسباب ١٠ تلك وما أشبهه كقوله تعالى "الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة واتوا الزكاة فلبا كتب عليهم القتال" - الآية، يصلح أن يكون سببا لهذه، وروى الدارقطني في آخر الرضاع من سننه عن أبي ثعلبة الخشني وفي آخر الصيد عن أبي الدرداء رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، ١٥ وحرم حرمات فلا تنتهكوها، وحدد حدودا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها؛ وقال أبو الدرداء: فلا تكلفوها، رحمة من ربكم فاقبلوها. وأخرج حديث أبي الدرداء أيضا الطبراني.

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: تركتم (٣) من المسند، وفي الأصل وظ: فأتوا - كذا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) في ظ: فلا تكلفوها . (٦) زيدت الواو بعده في ظ .

ولما كان الإنسان^١ قاصرا عن^٢ علم ما غاب، فكان زجره عن الكشف عما يسوءه زجرا^٣ له عن كل ما يتوقع أن يسوءه، قال تعالى: ﴿ان تبد﴾ أى تظهر^٤ ﴿لكم﴾ باظهار عالم الغيب لها ﴿تسؤكم﴾ ولما كان ربما وقع في وهم متعنت أن هذا الزجر إنما هو لقصد راحة المسؤل عن السؤال^٥ خوفا من عواقبه. قال: ﴿وان تسئلوا عنها﴾ أى تلك الاشياء ه التى تتوقع^٦ مساءتكم عند إبدائها ﴿حين ينزل القرآن﴾ أى / و الملك حاضر ﴿تبد لكم^٧﴾ ولما كان ربما قال: فإله لا يديها سئل عنها أم لا؟ قال: ﴿عفا الله﴾ بما له من الغنى المطلق والعظمة الباهرة وجميع صفات الكمال ﴿عنها^٨﴾ أى سترها فلم يديها لكم رحمة منه لكم وإراحة عما يسوءكم ويثقل عليكم في دين أو دنيا؛ ولما كانت صفاته سبحانه أزلية، لا تتوقف^٩ لواحدة منها على غيرها، وضع الظاهر موضع المضمحل لا يختص بما قبله فقال ^{١٠} نادبا من^{١١} وقع منه ذنب إلى التوبة: ﴿والله﴾ أى الذى له ^{١٢} مع صفة الكمال^{١٣} صفة الإكرام ﴿غفور﴾ أزلا وأبدا يمحو الزلات عينا وأثرا ويعقبها بالإكرام على عادة الحكماء ﴿حليم^{١٤}﴾ أى لا يعجل على العاصي بالعقوبة.

١٥

ولما نهى عن السؤال عنها ليتعرف حالها، علل ذلك بأن غيرهم عرف أشياء وطلب أن يعطاها، إما بأن سأل غيره ذلك، وإما بأن شرعها

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: على (٣) في ظ: زاجرا (٤) في ظ: يظهر (٥) من ظ، وفي الأصل: السؤل (٦) من ظ، وفي الأصل: يتوقع (٧) في ظ: لا توقف. (٨-١٠) في ظ: باديا قبل - كذا (٩-١٠) في ظ: موضع.

و مأل غيره أن يوافقه عليها و هو قاطع بأنها غاية في الحسن فكانت سبب شفاعته فقال : ﴿ قد سألها ﴾ يعنى أمثالها ، ولم يقل : مأل عنها ، إشارة إلى ما أبدته ﴿ قوم ﴾ أى ' أربلوا عزم و بأس و قيام فى الامور .

ولما كان وجود القوم فضلا عن - واهم لم يستغرق زمان القبل ،
 ٥. أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ ولما كان الشئ إذا جاء عن مسألة جديرا^١ بالقبول لاسيما إذا كان من ملك فكيف إذا كان من ملك الملوك .
 فكان رده فى غاية البعد ،^٢ عبر عن استبعاده بأداة البعد^٣ فى قوله :
 ﴿ ثم اصبحوا بها ﴾ أى عقب إتيانهم إياها سواء من غير مهلة ﴿ كافرين ٥ ﴾
 أى ثابتين فى الكفر ، وهذا زجر بليغ لأن يعودوا لمثل ما أرادوا
 ١٠. من تحريم ما أحل لهم ميلا إلى الرهبانية والتعمق فى الدين المنهى عنه
 بقوله " لا تحرموا طيبث ما أحل الله لكم " .

ولما فرغ من زجرهم عن أن يشرعوا لأنفسهم أو يسألوه عن أن يشرع لهم و أن يسألوا من رخصهم بابتدائهم بهذا الشرع عن شئ من الأشياء اعتمادا على أنه ما ابتدأ بذلك إلا و هو غير مخف عنهم شيئا^٤ ينفعهم
 ١٥. ولا مبد لهم شيئا^٥ يضرهم لأنه بكل شئ علم - كما تقدم التنبيه على ذلك ،
 قال معللا [بختام - ٥] الآية التى قبلها : ﴿ ما جعل الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال فلا يشرع شيئا إلا و هو على غاية الحكمة ، وأغرق^٦

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : جدير (٣-٢) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٤) فى ظ : انبيائهم - كذا (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : فى (٧) زيدت
 الواو بعده فى ظ .

في النفي بقوله: (من بحيرة) و أكد النفي بإعادة النافي فقال :
 (ولا حائبة ولا وصيلة ولا حام ^١) دالا بذلك على [أن - ^٢] الإيمان
 قد يقع في شرعه لنفسه ^٢ على الخبيث ^٢ دون الطيب ، وذلك لأن الكفار
 شرعوا لأنفسهم هذا وظنوا أنه من محاسن الأعمال ، فإذا هو عما لا يعبأ
 الله به بل وبما يعذب عليه ، لكونه أوقعهم فيما كانوا معترفين بأنه أقبح القبائح ^٥
 وهو الكذب ، بل في أقبح أنواعه وهو الكذب على ملك الملوك ، [ثم - ^٢]
 صار لهم ديناً ^٥ ، و صاروا أرسخ الناس فيه وهو عين الكفر ، وهم معترفون
 بأنه ما شرعه إلا عمرو بن لحي ^٢ وهو ^٢ أول من غير دين إبراهيم - كما رواه
 الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 إن عمراً أول من غير دين إسماعيل فصب الاوثان في بحر البجيرة وسيب ^{١٠}
 السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامى ^٥ . و رواه عبد بن حميد في مسنده
 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه / وفي آخره : وكان عمرو بن لحي أول
 من حمل العرب على عبادة الأصنام ^٦ ، و رواه البخاري في المناقب من
 صحيحه : مسلم في صفة النار ^٧ عن أنى هريرة رضي الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه ^٨ ^{١٥}
 في النار ، وكان أول من سبب السوائب . قال ابن هشام في السيرة :
 (١) زيد بعده في ظ : الآية (٢) زيد من ظ (٣-٣) - سقط ما بين الرقین من ظ .
 (٤-٤) في ظ : بيعث (٥) من ظ ، وفي الأصل : دنيا (٦) في ظ : الاوثان .
 (٧) في ظ : الكفار (٨) من صحيح البخاري ومسلم - بمعنى الأمعاء ، وفي
 الأصل وظ : قضية - كذا .

و البحيرة عندم الناقة تشق أذنفا فلا يركب ظهرها ولا يجرّ وبرها
 ولا يشرب لبنها إلا ضيف أو^١ يتصدق به و تهمل^٢ لأهتهم . و روى
 البخارى فى المناقب و مسلم فى صفة النار عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة
 التى يمنع درها للطواغيت و لا يحلبها أحد من الناس ، و السائبة التى كانوا
 ٥ يستبونها لأهتهم فلا يحمل عليها شيء . و كذا رواه البخارى أيضا فى
 التفسير و قال: و الوصيلة الناقة البكر تبكر فى أول تاج الإبل ثم تنى
 بعد أنثى ، و كانوا يسيونها لطواغيتهم إن وصلت إحدهما^٣ بالآخرى
 ليس بينهما ذكر . و قال البرهان السفاقي^٤ فى إعرابه : قال أبو عبيد :
 و هى الناقة إذا نتجت خمسة أبطن ، فى الآخر^٥ ذكر ، شقوا^٦ أذنفا و خلوا
 ١٠ سديها لا تركب و لا تحلب - و قيل غير ذلك ، و قال أبو حيان فى النهر :
 قال ابن عباس : السائبة هى التى تسبب للأصنام أى تعق ، و كان الرجل
 يسبب من ماله شيئا فيجىء به إلى^٧ السدنة و هم^٨ خدم آلهتهم فيطعمون
 من لبنها للسبيل ، و الوصيلة - قال ابن عباس - إنها الشاة تنتج سبعة
 أبطن ، فان كان السابع أنثى لم تنتفع^٩ النساء منها بشيء إلا أن تموت
 ١٥ فإياكلها الرجال و النساء ، و إن كان ذكرا^{١٠} ذبحوه و أكلوه [جميعا -] ،

(١) من السيرة . و فى الأصل و ظ « و » (٢) فى ظ : يهلك (٣) من صحيح
 البخارى ، و فى الأصل و ظ : أحدهما - كذا (٤) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم
 المالكي برهان الدين ، من مؤلفاته : إعراب القرآن (٥) و نسب هذا القول فى
 البحر المحيط ٢٨/٤ إلى أبي عبيدة (٦) فى البحر : آخرها (٧) من ظ و البحر ، و فى
 الأصل : شققوا (٨-٨) فى ظ : سرية و هى - كذا (٩) من النهر - راجع البحر
 المحيط ٣٣/٤ ، و فى الأصل و ظ : لم ينتفع (١٠) فى ظ : ذكر (١١) زيد من النهر .
 ٣٢٥ (٨٠) و إن

وإن كان ذكرًا وأثنى قالوا^١: وصلت أخاها^٢، فترك مع أخيها
[فلا تذبح - ٢]، و منافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت اشترك^٣
الرجال و النساء فيها . وقال ابن هشام^٤: والحامى الفحل إذا نتج له^٥
عشر إناث^٦ متتابعات ليس بينهن ذكر، حمى ظهره فلم يركب [ظهره - ٧]
ولم يحز وبره و خلى فى إبله يضرب فيها لا يتففع منه^٨ بغير ذلك . هـ
وقال السفاسقى: قال ابن مسعود و ابن عباس رضى الله عنهم - و اختاره
أبو عبيدة و الزجاج - : هو الفحل ينتج من صلبه^٩ عشرة أبطن^{١٠} فيقولون :
[قد - ١١] حمى ظهره ، فيسيبونه لأصنامهم فلا يحمل عليه شيء .

ولما كانوا قد حرموا هذه الأشياء، وكان التحريم و التحليل من
خواص الإله، وكان لا إله إلا الله، كان حكمهم عليها بالحرمة نسبة لذلك .
١٠ إلى الله سبحانه كذبا، فقال تعالى بعد أن نفي أن يكون جعل^١ شيئا من
ذلك : ﴿ ولكن الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دل عليه^٢ عقلهم من أن الله
ما جعل هذا، لأنهم لا وصول لهم إليه سبحانه و عز شأنه، فلذلك قال :
﴿ يفترون ﴾ أى يتعمدون بجعل هذه الأشياء من تحريم و تحليل
﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ الكذب ﴾ فيحرمون ما لم يحرمه^٣ ١٥

(١) فى ظ : قال (٢) من ظ و النهر، وفى الأصل : اخا (٣) زيد من ظ و النهر .
(٤) فى النهر : فتي (٥) من ظ و النهر، وفى الأصل : اشتر - كذا (٦) ونسب
ابن هشام هذا القول إلى ابن إسحاق (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : ناقة (٩) زيد
من السيرة (١٠) من البحر ٢٩/٤ حيث سبق هذا القول، وفى الأصل و ظ :
صلبة (١١) زيد من ظ و البحر (١٢) من ظ، وفى الأصل : عليهم (١٣) زيد
بعده فى ظ : الله .

و يحللون ما لم يحلله^١ ﴿واكثرهم﴾ أى هؤلاء الذين جعلوا هذه الاشياء
 ﴿لا يعقلون﴾ أى لا يتجدد لهم عقل، وهم الذين ما توا على كفرهم .
 [م - ٢] لما حرموا هذه الاشياء اضطروا إلى تحليل / الميتة فحرموا
 الطيب وأحلوا الخبيث، ولما اتخذوه ديناً واعتقدوه شرعاً ومعنى عليه
 هـ أسلافهم، دعتهم الحظوظ والأنفة من نسبة آبائهم إلى الضلال والشهادة
 عليهم بالسفاهة إلى الإصرار عليه وعدم الرجوع عنه بعد انكشاف قباحته
 وبيان شناعته^٢ حتى أقتى أكثرهم السيف ووطأتهم^٣ الدواهي، فوطأت
 أكتافهم وذللت^٤ أعناقهم وأكتافهم، فقال تعالى دالاً على ختام الآية
 التى قبله^٥ من عدم عقولهم: ﴿واذا قيل لهم﴾ أى من أى قاتل كان
 ١ ولو أنه ربهم، بما ثبت من كلامهم^٦ بالعجز عنه أنه كلامه^٧ ﴿تعالوا﴾
 أى ارفضوا أنفسكم عن هذا الحضيض السافل ﴿إلى ما أنزل الله﴾ أى
 الذى لا أعظم منه، وقد ثبت أنه أنزله بعجزكم عنه ﴿والى الرسول﴾
 أى الذى من شأنه لكونه سبحانه أرسله أن يبلغكم^٨ ما يحبه لكم ويرضاه
 ﴿قالوا حسبنا﴾ أى يكفيننا ﴿ما وجدنا عليه آباءنا﴾ .

١٥ ولما كانوا عالمين بأنه ليس فى آبائهم عالم، وأنه من تأمل أدنى تأمل
 عرف أن الجاهل لا يهتدى إلى شيء، قال منكرنا عليهم موجباً لهم^٩:

(١) فى ظ: لم يحرمه (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: بشاعته (٤) فى ظ: وطنهم .
 (٥) فى ظ: ذلت (٦) من ظ، وفى الأصل: قبل (٧) مسقط من ظ (٨) من
 ظ، وفى الأصل: كلامه (٩) فى ظ: كلامهم - كذا (١٠) فى ظ: يبلغه (١١) من
 ظ، وفى الأصل: من .

(اولو) أى يكفهم ذلك^٢ إذا قالوا ذلك^٣ ولو (كان آباءهم لا يعلمون شيئا)
 أى من الأشياء حق علمه لكونهم لم يأخذوه عن الله بطريق من الطرق
 الواصلة^٤ إليه ، ولما كان من لا يعلم قد يشعر بجهله فيتعلم فيهدى فيصير
 أهلا للاقتداء به ، وقد لا يشعر لكونه جهله حركيا فلا يجوز الاقتداء
 به ، بين أنهم من أهل هذا القسم فقال : (ولا يهتدون^٥) أى لا يطلبون ه
 الهداية فلا توجد هدايتهم إلى صواب ، لأن من لا يعلم لا صواب له ،
 لأنه ليس للهدى آلة سوى العلم ، وأدل دليل على عدم هدايتهم أنهم
 ضيعوا الطيب من أموالهم فاضطرم ذلك إلى أكل الخبيث من الميتة ،
 وأغضبوا بذلك خالقهم فدخلوا النار ، فلا أقبح مما يختاره لنفسه المطبوع
 على الكدر ، ولا أحسن مما يشرعه له رب البشر ، وهذه الآية ناظرة إلى ١٠
 قوله تعالى في سورة النساء " ان يدعون من دونه الا انا و ان يدعون
 الا شيطنا مريدا - إلى قوله : ولأمرنهم فليبتكن أذان الانعام " ^٦
 فالتفت حيثنذ إلى قوله " رجس من عمل الشيطان " أى التفات ،
 ولما كان المانع لهم من قبول الهدى كون ذلك تسفيها لآبائهم ،
 فيعود ضررا عليهم يُستَبَوْن^٦ به على زعمهم ، أعلم الله المؤمنين أن مخالفة ١٥
 الغير في قبول الهدى لا تضرهم أصلا ، بأن عقب آية الإنكار عليهم في
 التقيد بآبائهم لتابعتهم لهم في الكفر بقوله : (يآيها الذين آمنوا) أى
 عاهدوا ربهم ورسوله^٧ على الإيمان (عليكم انفسكم^٨) أى الزموا هدايتهم
 (١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) في ظ : الوصية (٤) في
 ظ : الا (٥) آية ١١٩ (٦) في ظ : يسنون (٧) في ظ : مقابلة (٨) في ظ : رسولهم .

و إصلاحها ؛ ولما كان كانه قيل : إنا ننسب^١ بآبائنا وننسب إليهم ، فربما ضربنا^٢
نسبتنا إليهم عند الله كما جوز أكثم بن الجون الحزاعي أن يضربه شبه
عمرو بن لحي به^٣ حتى سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال :^٤ لا ، إنك^٥
مؤمن وهو كافر - كما في أوائل السيرة^٦ الهشامية^٧ عن أبي هريرة
رضي الله عنه ، وكان ذلك ربما وقف بأحد منهم عن الإسلام قال :

(لا يضركم^٨ من ضل^٩) [أى -^{١٠}] من المخالفين بكفر أو غيره بنسبتكم

إليه ولا بقول الكفار : إنكم سفهت آباءكم ، ولا بغير ذلك من وجوه

/ الضرر ، وحق هدايتهم بشاره لهم بأداة التحقيق فقال مفهما لوجود / ١٣٤

الضرر عند فقد الهداية^{١١} : (إذا اهتديتم^{١٢}) أى بالإقبال على ما أنزل الله

١٠ وعلى الرسول [حتى -^{١٣}] تصيروا علماء و تعملوا^{١٤} بعلمكم فتخالقوا من

ضل ، فان كان موجودا فبالاجتهاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

بحسب الطاقة ، فان لم يستطع رده انتظر به يوم الجمع الأكبر والحوار

الاعظم ، وإن كان مفقودا فبمخالفته في ذلك الضلال وإن كان أقرب

الأقرباء وأولى الأحياء ، وإلا كان الباقي^{١٥} أسفه من الماضي ، وقد كان

١٥ لعمري أحدم لا يتبع أباه^{١٦} إذا كان سفها في أمر دنياه عاجزا عن

(١) في ظ : نسب (٢) في ظ : ضربتنا (٣) سقط من ظ (٤-٥) في ظ : لانك .

(٥) من ظ ، وفي الأصل : السورة (٦) في ظ : الهاشمية (٧-٨) سقط ما بين

الرقمين من ظ (٨) زيد من ظ (٩) زيد بعده في ظ : فقال (١٠) من ظ ، وفي

الأصل : تعلموا (١١) زيد بعده في ظ : في (١٢) زيدت الواو بعده في الأصل ،

ولم تكن في ظ لحذفها .

تحصيلها

(٨١)

٣٢٤

تحصيلها ولا يتحاشى عن مخالفته في طريقته بل يعد الكدح في تحصيلها
والتعمق في اقتناصها وحسن السعى في تمييزها^١ و لطف الحيلة في توسيعها
من معالى الأخلاق وإصالة الرأى وجودة النظر على أن ذلك ظل زائل
وعرض تافه، فكيف لا يخالفه^٢ فيما به^٣ سعادته الأبدية و حياته الباقية
و يأخذ بالحزم في ذلك ويشمر ذيله في أمره ويسهر ليله في إعمال الفكر
و ترتيب النظر فيما أمره الله بالنظر فيه حتى يظهر له الحق فيتبعه، وينتهك
لديه الباطل فيجتنبه، ما ذاك^٤ إلا لمجرد الهوى، وقد كان الحزم العمل^٥
بالحكمة التى كشفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه أحمد والترمذى
و ابن ماجه عن شداد بن أوس رضى الله عنه «الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»^{١٠}
وروى مسلم والنسائى و ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من
المؤمن الضعيف، وفى كل خير أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله
ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كان كذا وكذا -
وقال ابن ماجه : ولا تقل : لو أنى فعلت كذا وكذا - فإن 'لو' تفتح عمل^{١٥}
الشیطان، وفى بعض طرق الحديث : ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل
يعنى : والله ! اعمل عمل الحزمة فأوسع النظر حتى لا تترك أمرا يحتمل^٦
أن ينفعك ولا يضرك إلا^٧ أخذت به، ولا تدع أمرا يحتمل أن يضرك

(١) فى ظ : غير - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) فى ظ : دل (٤) فى
ظ : لا عمل (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، وفى الأصل : يتحمل (٧) فى ظ : إذا .

ولا ينفعلك إلا تجتنبه ، فانك إن فعلت ذلك و غلبك القضاء والقدر
لم نجد في وسعك أمرا تقول : لو أنى فعلته أو تركته ، ولكنك تقول :
قدر الله و ما شاء^٢ فعل ، بخلاف ما إذا لم تنعم^٣ النظر و عملت عمل العجزة
فانك حتما^٤ تقول : لو أنى فعلت كذا وكذا ، لأن الشيطان يفتح لك
ه تلك الأبواب التي^٥ نظر فيها الحازم ، فيكثر لك من 'لو' لأنها مفتاح
عمله ، وليس في الآية ما يتعلق به من يتهاون^٦ في الأمر بالمعروف كما
يفعله كثير من البطلة ؛ روى أحمد في المسند عن [أبي - ^٨] عامر
الأشعري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في أمر رآه :
يا أبا عامر ! ألا غيرت ؟ فقل هذه الآية " يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم
١٠ " لا يضركم من ضل إذا اهتديتم^٩ " ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال : أين ذهبت ؟ إنما هي لا يضركم من ضل من الكفار / إذا اهتديتم ،
/ ١٣٥ و روى أحمد و أصحاب السنن الأربعة و الحارث^{١٠} و أحمد بن منيع و أبو يعلى
أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا أيها الناس ! إنكم^{١١} تقرأون هذه
الآية و تضعونها على غير مواضعها^{١٢} ، و إنى^{١٣} سمعت رسول الله صلى الله
١٥ عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا منكرا^{١٤} فلم يغيروه يوشك أن

(١) في ظ : يقول (٢) في ظ : ان (٣) زيد في ظ : الله (٤) في ظ : تمنع - وهو
مرادف لما في الأصل (٥) في ظ : حيثما (٦) في ظ : الذى (٧) في ظ : تهاون .
(٨) زيد من ظ و التهذيب ، واسم أبي عامر عبد الله بن هانىء ، وقيل : ابن
وهب (٩) في ظ : لا (١٠-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ (١١) هو ابن أبي أسامة
محدث له مسند - راجع تذكرة الحفاظ و معجم المؤلفين (١٢) في ظ : انما (١٣) وفي
رواية أحمد : ما وضعها الله ، وفي رواية له : موضعها (١٤) في ظ : منكرو .

يعتهم^١ الله بعقابه^٢ . قال بغوى : وفي رواية : لتأمرن بالمعروف ولتنهون^٣
عن المنكر أوليستعملن^٤ الله عليكم شراركم فليسومونكم^٥ سوء العذاب ،
ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لكم - والله الموفق .

ولما حكم [الله - ٥] تعالى - وهو الحكم العدل - أنه لا ضرر عليهم

من غيرهم بشرط هدام ، وكان الكفار يعيرونهم^٦ ، قال مؤكدا لما أخبر به ه
ومقررا^٧ لمعناه : ﴿ الى الله ﴾ أى^٨ الملك الأعظم الذى لا شريك له ،
لا إلى غيره ﴿ مرجعكم ﴾ أى^٩ أتم و من يعيركم^{١٠} و يهددكم و غيرهم من
جميع الخلاق ﴿ جميعا فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما مستوفى مستقصى
﴿ بما كنتم تعملون ه ﴾ أى تعددا جبلة و طبعاً ، و يجازى كل أحد^{١١} بما
عمل^{١٢} على حسب ما عمل ، ولا يؤخذ أحدا بما عمل غيره ولا بما أخطأ^{١٣}
فيه أو تاب منه ، وليس المرجع ولا شيء منه إلى الكفار ولا معبوداتهم
ولا غيرهم حتى تخشوا شيئا من غائلتهم^{١٤} فى شيء من الضرر .

ولما خاطب سبحانه أهل ذلك الزمان بأنه نصب المصالح العامة
كالييت الحرام و الشهر الحرام ، وأشار بآية البحيرة و ما بعدها إلى أن
أسلافهم لا وفروا عليهم ما لهم ولا نصحوا لهم فى دينهم ، و ختم ذلك^{١٥}
بقهره للعباد بالموت و كشف الأسرار يوم العرض بالحساب على التقير
و القطمير و الجليل و الخفير ؛ عقب ذلك بآية الوصية إرشادا منه سبحانه

(١-١) فى ظ : بعدا به (٢) من ظ ، وفى الأصل : لتنه (٣) فى ظ : لتستعملن .
(٤) فى ظ : فيسومونكم (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : يعيرونهم (٧) فى ظ :
مقررا (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : يعيركم (١٠-١١) سقط ما بين الرقنين من
ظ (١١) فى ظ : قائلتهم .

إلى ما يكشف سريرة^١ مَنْ خان فيها علما منه سبحانه أن الوفاء في مثل ذلك بقل وحثا لهم على أن يفعلوا ما أمر سبحانه به^٢ لينصحو لمن خلفوه بتوفير المال و يقتدى بهم فيما ختم به الآية من التقوى و السماع و البعد من الفسق و النزاع، فقال تعالى مناديا لهم بما عقدوا به العهد بينهم و بينه ٥ من الإقرار بالإيمان : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أخبروا عن أنفسهم بذلك ﴿شهادة بينكم﴾^٣ هو كناية عن التنازع و التناحر لأن الشهود إنما يحتاج إليهم^٤ عند ذلك، و سبب نزول الآية قد ذكره المفسرون و ذكره الشافعي في الأم فقال : أخبرني أبو سعيد^٥ معاذ بن موسى الجعفري عن [بكير -^٦] بن معروف عن مقاتل [بن حيان -^٧] قال^٨ : أخذت هذا ١٠ [التفسير -^٩] عن مجاهد و الحسن و الضحاك^{١٠} أن رجلين نصرانيين من أهل دارين أحدهما تميمي و الآخر يمانى ، صحبهما^{١١} مولى لقريش في تجارة فركبوا البحر ، ومع القرشي مال معلوم^{١٢} قد علمه أولياؤه من بين آية^{١٣} و بز [ورقة -^{١٤}] فرض القرشي فجعل وصيته إلى الدارين

(١) في ظ : ستره (٢) سقط من ظ (٣) زيد في ظ : اى (٤) في ظ : يحتاج . (٥) من ظ ، وفي الأصل : الفهم (٦) من تفسير الطبرى ١١ / ١٩١ و سنن البيهقي ١٠ / ١٦٥ حيث سبقت هذه الرواية ، وفي الأصل و ظ : أبو سعيد ، و ترجم له في تعجيل المنفعة فقط و لم يصرح بكنيته ولا نسبته (٧) زيد من ظ و الطبرى و السنن (٨) زيد في الطبرى و السنن : بكير قال مقاتل (٩) زيد من الطبرى و السنن (١٠) زيد في الطبرى و السنن : في قول اقه "اثنان ذوا عدل منكم" . (١١) من ظ و السنن ، وفي الأصل : صحبها ، و في الطبرى : صاحبها (١٢) و من هنا أحال البيهقي لفظ هذه الرواية على التي قبلها من طريق إسماعيل بن قتيبة عن أبي خالد يزيد بن صالح عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان (١٣) في ظ : آية - كذا .

فات ، وقبض الداريان المال^١ فدفعاه^٢ إلى أولياء الميت^٣ ، فأنكر القوم
 قلة المال فقالوا للداريين : إن صاحبنا قد خرج معه^٤ بمال^٥ أكثر مما
 أتيتمونا به ، فهل باع شيئاً أو اشتري شيئاً فوضع فيه ؟ أو هل طال مرضه
 فأفق على نفسه ؟ قالوا^٦ : لا ، قالوا : فانكما ختمانا^٧ ، فقبضوا / المال ،
 ١٣٦ / ورفعوا أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله عز وجل هـ
 "يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم^٨ فلما نزلت^٩ أمر النبي صلى الله عليه وسلم ،
 فقاما بعد الصلاة ، حلفا بالله رب السماوات : ما ترك مولاكم^{١٠} من المال
 إلا ما^{١١} أتيناكم به ، فلما حلفا خلى سبيلهما ، ثم إنهم وجدوا بعد ذلك إناه
 من آنية الميت فأخذوا الداريين فقالا : اشتريناه منه في حياته ، فكذباً
 وكلفاً البينة فلم يقدر عليها ، فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٠
 فأنزل الله عز وجل "فان عثر^{١٢} - يعني إلى آخرها ؛ ثم ذكر وقت الشهادة
 و سببها فقال : (إذا حضر) وقدم المفعول تهويلاً^{١٣} - كما ذكر في النساء -
 لأن الآية نزلت لحفظ ماله فكان أهم ، فقال : (اخدمكم الموت) أى
 أخذته أسبابه الموجبة لظنه .

- (١) زيد في الطبرى : و الوصية (٢) من ظ و الطبرى و السنن و في الأصل :
 فدفعوه (٣) زيد في الطبرى و السنن : و جاءا ببعض ماله (٤) سقط من ظ .
 (هـ) من الطبرى و السنن ، و في الأصل : مال ، و في ظ : بماله (٦) في ظ : قالوا .
 (٧-٧) من الطبرى ، و في الأصل : فانكم ختمانا ، و في ظ : فانكم ختيمونا ، و في
 السنن : انكما قد ختنتنا لنا (٨) زيد في الطبرى و السنن : ان يحبسنا من بعد الصلاة .
 (٩) من ظ و الطبرى و السنن ، و في الأصل : مولى (١٠) في ظ : بما (١١) في
 ظ : تهويلاً .

ولما كان الإيهاء إذ ذاك أمرا متعارفا، عرف فقال معلقا بشهادة
كما علق به "إذا" أو مبدلا من "إذا" لأن الزمنين^١ واحد: (حين الوصية)
[أى - ٢] إن أوصى، ثم أخبر عن المبتدأ فقال: (اثنتين) أى
شهادة بينكم فى ذلك الحين شهادة اثنتين (فذا عدل منكم) أى من
ه قبيلتكم العارفين بأحوالكم (أو آخرن) أى ذوا عدل (من غيركم)
أى إن لم تجدوا قريين يضبطان أمر الوصية من كل ما للوصى وعليه،
وقيل: بل هما الوصيان أنفسهما احتياطا بجعل الوصى اثنتين، وقيل:
آخران من غير أهل دينكم، وهو خاص بهذا الأمر الواقع فى السفر
للضرورة لا فى غيره ولا فى غير السفر؛ ثم شرط هذه الشهادة بقوله^٢:
١٠ (إن أقم ضربتم) أى بالأرجل (فى الأرض) أى بالسفر، كأن الضرب
بالأرجل لا يسمى ضربا إلا فيه لأنه موضع الجد والاجتهاد (فأصابكم)
وأشار إلى أن الإنسان هدف لسهام الحداث بتخصيصه بقوله:
(مصيبة الموت) أى أصابت الموصى المصيبة التى لا مفر منها
ولا مندوحة عنها.

١٥ ولما كان قد استشر من التفصيل فى أمر الشهود* مخالفة لبقية
الشهادات، فكان فى معرض السؤال عن الشهود: ماذا يفعل بهم؟ قال
مستأنفا: (تحبسونهما) أى تدعونهما إليكم وتمنعونهما من التصرف لأنفسهما
لإقامة ما تحمله من هذه الواقعة وأدائه؛ ولما كان المراد إقامة البين

(١) فى ظ: الذميين (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: لا مفرما.
(٥) من ظ، وفى الأصل: الشهود.

ولو في أيسر زمن ، لا استغرق زمن البعد بالحبس ، أدخل الجار فقال :
 ﴿ من بعد الصلوة ﴾ أى التى هى أعظم الصلوات ؛ فكانت بحيث
 إذا أطلقت معرفة انصرفت إليها وهى الوسطى وهى العصر ، ثم ذكر
 الغرض من حبسها فقال : ﴿ فيقسمن بالله ﴾ أى الملك الذى له تمام
 القدرة وكمال العلم ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن اليمين إنما تكون ه
 إذا كانا من غيرنا ، فإن كانا مسلمين فلا يمين ، وعن غيره : إن كان
 الشاهدان على حقيقتهما فقد نسخ تحليفهما ، وإن كان الوصيين فلا ؛
 / ثم شرط لهذا الحلف شرطاً فقال اعتراضاً بين القسم والمقسم عليه :
 ﴿ ان ارتبتم ﴾ أى وقع بكم شك فيما أخبرا به عن الواقعة ؛ ثم ذكر
 المقسم عليه [بقوله - '] : ﴿ لا تشتري به ﴾ أى هذا الذى ذكرناه ١٠
 ﴿ ثمتا ﴾ أى لم نذكره ليحصل لنا به عرض ذنبوى وإن كان فى نهاية
 الجلالة ، وليس قصدنا به إلا إقامة الحق ﴿ ولو كان ﴾ أى الوصى الذى
 أفسننا لأجله تبرئة له ﴿ ذا قرى ﴾ أى لنا ، أى إن هذا الذى فعلناه
 من التحرى عادتنا التى أطلعنا فيها ” كونوا قويمين بالقسط شهداء لله “ - الآية ،
 لا أنه فعلنا فى هذه الواقعة فقط ﴿ ولا نكنتم شهادة الله ﴾ أى هذا ١٥
 الذى ذكرناه لم نبدل فيه لما أمر الله [به - '] من حفظ الشهادة
 وتعظيمها ، ولم نكنتم شيئاً وقع به الإشهاد ، ولا نكنتم فيما يستقبل شيئاً
 نشهد به لأجل الملك الأعظم المطلع على السرائر كما هو مطلع على الظواهر ؛
 ثم علل ذلك بما لقنهم إياه ليكون آخر كلامهم ، كل ذلك تغليظاً وتنبهاً
 (١) فى ظ : يكون (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 ذكرنا (٥) فى ظ : تعظيماً .

على أن ذلك ليس كغيره من الأيمان ، فقال تذكرا لهم وتحذيرا من التغيير :
 ﴿ انا اذا ﴾ أى إذا فعلنا شيئا من التبديل أو الكتم ﴿ لمن الأئمين ﴾ فان
 ولما كان المراد مجرد الإطلاع بنى للمفعول قوله : ﴿ عثر ﴾ أى اطلع
 مطلع بقصد أو بغير قصد ؛ قال البغوى : وأصله الوقوع على الشيء أى من
 عثرة الرجل ﴿ على أنها ﴾ أى الشاهدين إن أريد بهما الحقيقة أو الوصين
 ﴿ استحقا دائما ﴾ أى بسبب شيء خافا فيه من أمر الشهادة ﴿ فآخرن ﴾
 أى من الرجال الأقرباء للميت ﴿ يقومن مقامهما ﴾ أى ليفعلا حيث اشتدت
 الريبة من الإقسام عند مطلق الريبة ما فعلا ﴿ من الذين استحق ﴾ أى
 طلب وقوع الحق بشهادة من شهد ﴿ عليهم ﴾ هذا^٢ على قراءة الجماعة ،
 ١٠ و^٢ على قراءة حفص بالبناء للفاعل ، المعنى^٢ : وجد وقوع الحق عليهم ،
 وهم أهل الميت وعشيرته .

ولما كان كأنه قيل : ما منزلة هذين الآخرين من الميت ؟ فقيل :
 هما ﴿ الاولين ﴾ أى الأحقان بالشهادة الأقربان إليه العارفان بتواطن
 أمره ، وعلى قراءة أبى بكر وحمة بالجمع ، كأنه قيل : هما من الاولين
 ١٥ أى فى الذكر وهم أهل الميت ، فهو نعت للذين استحق ﴿ فيقسمن ﴾ أى
 هذان الآخران ﴿ بالله ﴾ أى [الملك - °] الذى لا يقسم إلا به لما له
 من كمال العلم وشمول القدرة ﴿ لشهادتنا ﴾ أى بما يخالف شهادة الحاضرين
 للواقعة ﴿ احق من شهادتهما ﴾ أى أثبت ، فان تلك إنما ثباتها فى الظاهر ،
 وشهادتنا ثابتة فى نفس الامر وساعدها الظاهر بما عثر عليه من الريبة

(١) من ظ ، وفى الأصل : الوصية (٢-٢) تكرر فى الأصل (٣) سقط من ظ .
 (٤) فى ظ : قال (٥) زيد من ظ .

(وما اعتدنا بـ) أى تعمداً فى يميننا مجاوزة الحق (إنا إذا) أى إذا وقع منا اعتداء (لمن الظلمين .) أى الواضعين الشيء^١ فى غير موضعه كمن يمشى فى الظلام، وهذا إشارة إلى أنهم على بصيرة ونور بما شهدوا به، وذلك أنه لما وجد الإناء الذى فقدته^٢ أهل الميت وحلف الداريان بسببه أنهما ما خانا طالبهما، فقالا: كنا اشتريناه منه، فقالوا: هـ
 ألم نقل لكما: هل باع صاحبنا شيئاً؟ فقلتما: لا، / فقالا: لم يكن عندنا يئته فكرهنا أن نقر [لكم-^٣]، فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر فقام اثنان من أقارب الميت فحلفا على الإناء، فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم إليهما، لأن الوصيين ادعيا على الميت البيع فصار اليمين فى جانب الورثة لأنهم أنكروا، وسمى أيمان الفريقين شهادة كما ١٠
 سميت أيمان المتلاعنين شهادة - به على ذلك الشافعى، وكان [ذلك-^٣] لما فى البابين من مزيد التأكيد .

١ ولما تم هذا [على هذا-^٢] الوجه الغريب، بين سبحانه سره فقال: (ذلك) أى الأمر المحكم المرتب بهذا الترتيب بالإيمان وغيرها (ادنى) أى أقرب (ان) أى إلى أن (ياتوا) أى الذين شهدوا أولاً ١٥
 (بالشهادة) أى الواقعة فى نفس الأمر (على وجهها) من غير أدنى ميل بسبب أن يخافوا من الحنث عند الله بعد هذا التغليظ (أو يخافوا) إن لم يمنعهم الخوف من الله (ان ترد) أى تثنى وتعاد

(١) فى ظ: للشئ (٢) من ظ، وفى الأصل: فقد (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: كما (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: على .

{ ايمان } أى من الورثة { بعد ايمانهم ^١ } للثور على ربة فيصبروا
 باقتضاحهم مثلا للناس ، قال الشافعى : وليس في ^٢ هذا رد اليمين ، فإ
 كانت يمين الدارين على ما ادعى الورثة من الحياة ، ويمين ورثة الميت
 على ما ^٣ ادعى الداريان بما وجد في أيديهما وأقرا أنه مال الميت وأنه
 ٥ صار لها من قبله ، فلم تقبل دعواهما بلا بينة ، فأحلف وارثاه ، قال :
 وإذا كان هذا كما وصفت فليست الآية ناسخة ولا منسوخة لأمر الله
 بأشهاد ذوى عدل ومن رضى ^٤ من الشهداء ، هذا ما اقتضى إيلأؤها
 لما قبلها ، وقد نزعها إلى مجموع هذه السورة منازع منها ما تقدم من
 ذكر القتل الذى هو من أنواع الموت عند قصة بنى آدم وما بعدها ،
 ١٠ ثم تعقيب ذلك بالجهاد الذى هو من أسباب الموت ، وقوله تعالى ” وكتبنا
 عليهم فيها ان النفس بالنفس “ - الآية ، ثم ذكره ^٥ أيضا في قوله تعالى
 ” يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم “ وقد جرت السنة الإلهية
 بذكر الوصية عقب مثل ذلك فى البقرة ، ولم يذكر عقب واحدة من
 الآيات المذكورة لزيادتها على آية البقرة بمنازع منها الحلف ، فناسب
 ١٥ كونها بعد آية الايمان ، ومنها تغليظ الحلف والخروج به عما يشاكله من
 القسم على المال بكونه فى زمان مخصوص بعد عبادة مخصوصة ، فناسب
 ذكرها بعد تغليظ أمر الصيد فى حال مخصوص ^٦ وهو الإحرام والخروج
 به عن أشكاله من الأحوال وبعد تغليظ جزائه والخروج به عن أشكاله
 من الكفارات وتغليظ أمر المكان المخصوص وهو الكعبة والخروج

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يرضى (٣) فى ظ : ذكر (٤) فى ظ : مخصوصة .

بها عن أشكالها من السيوت ، وكذا تغليظ الزمان المخصوص وهو الشهر الحرام والخروج به عن أشكاله من الأزمنة ، وكل ذلك لقيام أمر الناس وإصلاح أحوالهم ، وهكذا آية الوصية وما خرج من أحكامها عن أشكاله كله^١ لقيام الأمور / على السداد وإصلاح المعاش والمعاد ، وهي ١٣٩ / ملتفتة إلى أول السورة إذ هي من أعظم العهود ، والوفاء بها من أصعب هـ الوفاء ، و^١ إلى قوله تعالى ” و تعارفوا على البر والتقوى “ وإلى قوله تعالى ” كونوا قومين لله شهداء بالقسط “ انظر إلى ختمها بقوله ” ان الله خير بما تعملون “ وإلى كون هذه في سياق الإعلام بأن الله عالم بالخصيات ، وقوله - عطفًا على ما تقديره : فالزموا ما أمرتكم به وأرشدتكم إليه تفلحوا :

(واتقوا الله) أي ذا الجلال والإكرام^٢ إلى آخرها - ملتفت إلى ١٠ قوله ” وميثاقه الذي واثقكم به “ - الآية ، أي خافوا الله خوفًا عظيمًا يحملكم على أن تجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية لئلا تحلفوا كاذبين أو تخونوا أدنى خيانة (واسموا^٣) أي الموعظة^٤ سمع إجابة وقبول^٥ ذاكرين لقولكم^٦ ” سمعنا واطعنا “ فان الله يهدي المتمسكين بالميثاق (والله) أي الذي له [الكمال كله و - ^٨] تمام الحكمة وكمال العزة والسطوة ١٥ (لا يهدي القوم) أي لا يخلق الهداية في قلوب الذين لهم قدرة على

(١) سقط من ظ (٢) من ظ والقرآن الكريم سورة هـ آية ٨ ، وفي الأصل
 ” و “ (٣) من ظ ، وفي الأصل : كونه (٤) فظ : ذى (هـ) سقط ما بين
 الرقين من ظ (٦) في ظ : المواعظ (٧-٨) من ظ ، وفي الأصل : ذاكر لقوله .
 (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، وفي الأصل : لا يخلقوا .

ما يحاولونه ﴿الفسقين﴾ أي الذين هم خارجون، أي من عاداتهم ذلك على وجه الرسوخ، فهم أبدا غير متقيدين بقيد ولا منضبطين بدائرة عقد ولا عهد .

ولما كان فيها إقامة الشهود^١ حسبهم عن مقاصدهم حتى يفرغوا من هذه الواقعة المبحوث فيها عن خفايا متعلقة بالموت والتغليظ بالتحطيف بعد صلاة العصر ، وكانت ساعة يجتمع فيها الناس وفريقا الملائكة المتعاقبين فينا ليلا ونهارا [مع -^٢] أنها ساعة الاصيل المؤذنة^٣ بهجوم الليل وتقوض النهار حتى كأنه لم يكن ورجوع الناس إلى منازلهم وتركهم لمعاشهم ، وكانت عادته سبحانه بأنه يذكر أنواعا من الشرائع والتكاليف ، ثم يتبعها إما بالإنهيات وإما بشرح أحوال الأنبياء وإما بشرح أحوال القيامة ، ليصير ذلك^٤ مؤكدا لما تقدم من التكاليف ، ولا ينتقل من فن إلى آخر إلا بغاية الإحكام في الربط ، عقبها تعالى بقوله : ﴿يوم يجمع الله﴾ أي الملك الأعظم الذي له الإحاطة الكاملة ﴿الرسل﴾ أي الذين أرسلهم إلى عباده بأوامره ونواهيه إشارة إلى تذكر انصرام هذه الدار وسرعة هجوم ذلك بمشاهدة هذه الأحوال المؤذنة به وبأنه يوم يقوم فيه الأشهاد ،^٥ ويجتمع فيه العباد ، ويفتضح فيه أهل الفساد - إلى غير ذلك من الإشارات لأرباب البصائر والقلوب ، والظاهر أن "يوم" ظرف للضاف المحذوف الدال عليه الكلام ، فإن من المعلوم أنك إذا قلت : خف من

(١) من ظ ، وفي الأصل : أو (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : المودية (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده في الأصل : الرسل ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .

فلان، فإن^١ المعنى: تخف من عقابه ونحو ذلك، فيكون المراد هنا:
واتقوا غضب الله الواقع في ذلك اليوم، أى اجعلوا بينكم وبين سطواته
في ذلك اليوم وقايةً، أو يكون المعنى: اذكروا / هذه الواقعة وهذا
الوقت الذى يجمع فيه الشهود ويحبس المعترف والجود يوم الجمع
الأكبر بين يدي الله تعالى^٢ ليسألهم عن العباد ويسأل العباد عنهم ه
(فيقول) أى للرسل تشريعاً لهم وبياناً لفضلهم وتشريعاً للمحق من
أمرهم وتبكيته للمبطل وتوبيخاً للمفطر منهم والمفطر .

ولما كان مما لا يخفى أصلاً أنهم أجيبوا، ولا يقع فيه نزاع ولا يتعلق
بالسؤال عنه غرض، تجاوز السؤال إلى الاستفهام من نوع الإجابة فقال:
(ما ذا أجبت) أى أى إجابة أجابكم من أرسلتم^٣ إليهم؟ إجابة طاعة ١٠
أو إجابة معصية .

ولما كان المقصود من قولهم بيان الناجي من غيره، وكانت الشهادة
في تلك الدار لا تنفع إلا فيما وافق فيه الإضمار^٤ الإظهار، فكانت
شهادتهم لا تنفع المشهود له بحسن الإجابة إلا أن يطابق ما قاله بلسانه
اعتقاده بقلبه (قالوا) نافين لعلهم أصلاً ورأساً إذا كان موقفاً ١٥
على شرط هو من^٥ علم ما غاب ولا علم لهم به (لا علم لنا^٦) أى على
الحقيقة لأننا لا نعلم إلا ما شهدناه، وما غاب عنا أكثر، وإذا كان الغائب
قد يكون مخالفاً للمشهود، فما شهد [ليس -^٧] بعلم، لأنه غير مطابق .

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : أرسلتكم (٣) في ظ "و" (٤) زيدت الواو
بعده في ظ (٥) في ظ : طابق (٦) من ظ ، وفي الأصل: في (٧) زيد من ظ .

نظم الدرر (سورة المائدة ٥ : ١٠٩ و ١١٠) ج - ٦

للاواقع، ولهذا عللوا بقولهم: ﴿انك انت﴾ أى وحدك ﴿علام الغيوب﴾^١
 أى كلها، تعلمها علما تاما فكيف بما^٢ غاب عنا من أحوال قومنا^٣
 فكيف بالشهادة فكيف بما شهدنا من ذلك^٤ وهذا فى موضع قولهم:
 أنت أعلم^٥، لكن هذا أحسن أدبا، فانهم محوا أنفسهم من ديوان العلم
 بالكلية، لأن كل علم يتلاشى إذا نسب إلى علمه ويضمحل معها^٦ قرن
 بصفته أو اسمه.

ولما كان سؤاله سبحانه للرسول^٧ عن الإجابة متضمنا لتبكيك
 المبطلين وتوبيخهم، وكان أشد الأمم افتقارا^٨ إلى التوبيخ أهل الكتاب،
 لأن تمردهم تعدى إلى رتبة الجلال بما وصفوه سبحانه به^٩ من اتخاذ
 ١٠. الصاحبة والولد، ومن ادعاء^{١٠} الإلهية لعيسى عليه السلام لما أظهر من
 الخوارق التى دعا^{١١} بها إلى الله مع اقترانها بما يدل على عبوديته ورسالته
 ثللا بهتضم حقه أو يُغلى^{١٢} فيه، مع مشاركتهم لغيرهم فى أذى الرسول
 عليهم السلام بالتكذيب وغيره، وكان فى الآية السالفة ذكر الآباء وما
 آثروا للأبناء^{١٣}، ذكر أمر عيسى عليه السلام بقوله مبدلا من قوله
 ١٥. "يوم يجمع [الله - ']" معبرا بالماضى تذكيرا بما^{١٤} لذلك اليوم من
 تحتم^{١٥} الوقوع، وتصويرا لعظيم تحفقه، وتنبها على أنه لقوة قربه كأنه

(١) فى ظ : ما (٢-٢) سقط ما بين الرتين من ظ (٣) فى الأصل : منها، وفى
 ظ : منها (٤) فى ظ : توديه - كذا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : ادعى .
 (٧) فى ظ : دعوا (٨) فى ظ : يمل (٩) فى ظ : للانبياء (١٠) زيد من ظ والقرآن
 الكريم (١١) من ظ ، وفى الأصل : لما (١٢) فى ظ : تحتم .

قد وقع ومضى: ﴿ اذ قال الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ يعيسى ﴾ ثم بينه بما هو الحق من نسبه فقال^١: ﴿ ابن مريم ﴾ .

ولما كان ذلك يوم الجمع الأكبر والإحاطة بجميع الخلائق وأحوالهم في^٢ حركاتهم و سكناتهم ، وكان الحمد هو الإحاطة بأوصاف الكمال ،

أمره بذكر حمده سبحانه على نعمته عنده فقال : ﴿ اذكر نعمتى عليك ﴾ ٥ / ١٤١
أى فى خاصة نفسك ، وذكر ما يدل للعاقل على أنه عبد مربوب فقال :
﴿ وعلى والدتك^٣ ﴾ إلى آخره مشيراً إلى أنه أوجده من غير أب فأراحه بما يجب للآباء من الحقوق وما^٤ يورثون أبناءهم من اقتداء أو اهتداء وإقامة بحقوق أمه ، فأفردته - وهو فى المهد - على الشهادة لها بالبراءة والخصاصة والعفاف^٥ ، وكل نعمة أنعمها سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم ١٠
فهى نعمة على أمه دينا ودنيا .

ولما ذكر سبحانه هذه الأمة المدعوة من العرب وأهل الكتاب وغيرهم بنعمه عليهم فى أول السورة بقوله " اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه^٦ " ، " اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم^٧ " ، وكانت هذه الآيات من عند " لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم " كلها فى النعم ، أخبرهم ١٥
أنه يذكر نعمة الله عليهم بنعمه فى يوم الجمع إشارة إلى أنهم إن لم يذكروا نعمه فى هذه الدار دار العمل بالشكر ، ذكروها حين يذكرهم بها فى ذلك اليوم قسراً^٨ بالكفر ، و^٩ يا لها^{١٠} فضيحة فى ذلك الجمع

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : من (٣) فى ظ : بما (٤) فى ظ :
العقابة (٥) آية ٧ (٦) آية ١١ (٧) فى ظ : قرا - كذا (٨ - ٨) فى ظ : بانها .

الاكبر و الموقف الاهول^١ و ليتبصر أهل الكتاب فيرجعوا عن كفرهم^٢
بميسى عليه السلام : اليهود بالتقصير في أمره ، و النصارى بالغلو في
شأنه و قدره .

و لما كان أعظم الأمور التنزيه ، بدأ به كما فعل بنفسه الشريفة في
كلمة الدخول إلى الإسلام ، و لما كان أعظم ذلك تزيهه أمه عليها السلام
و تصحيح ما خرق لها من العادة في ولادته ، و كان أحكم ما يكون ذلك
بتقوية روحه حتى يكون كلامه طفلاً ككلامه كهلاً ، قدمه فقال معللاً
بذكر قارنا بكل نعمة ما يدل على عبوديته و رسالته ، ليخزي من غلا
[في أمره - ٢] أو قصر في وصفه و قدره^٣ : ﴿ اذ ايدتك ﴾ أى قوتك

١٠ تقوية عظيمة ﴿ بروح القدس قف ﴾ أى الطهر الذى يحى القلوب و يطهرها
من أضرار الآثام ، و منه جبرئيل عليه السلام ، فكان له منه^٤ فى الصغر
حظ لم يكن لغيره ؛ قال الحرالى : و هو يدبسط لروح الله فى القلوب
بما يحببها الله به من روح أمره إرجاعاً إليه فى هذه الدار قبل إرجاع
روح الحياة بيد القبض من عزرائيل عليه السلام ، [ثم - ٢] استأنف
١٥ تفسيره هذا التأييد فقال : ﴿ تكلم الناس ﴾ أى من أردت من عالمهم
و سافلهم ﴿ فى المهد ﴾ أى بما^٥ برأ الله به أمك^٦ و أظهر به
كرامتك و فضلك .

و لما ذكر هذا الفضل العظيم ، أتبعه خارقاً آخر ، و هو إحيائه

(١) من ظ ، و فى الأصل : كفر (٢) زيد من ظ (٣) من ظ . و فى الأصل :
قدرته (٤) فى ظ : و كان (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : عما (٧) من ظ ، و فى
الأصل : أمه .

نفسه وحفظه جسده أكثر من ألف سنة لم يدركه الهرم ، فانه رفع شاباً
وينزل على ما رفع عليه ويبقى حتى يصير كهلاً ، وتسوية كلامه في
المهد بكلامه في حال بلوغ الأشد ، كال العقيل خرقاً لما جرت به العوائد
فقال : ﴿ كهلاً ج ﴾ . ولما ذكر هذه الحارقة ، أتبعها ربح العلم الرباني .
فقال : ﴿ واذ علمتك الكتب ﴾ : أى الخط الذى هو مبدأ العلم و تلقيح
لروح الفهم ﴿ الحكمة ﴾ أى الفهم لحقائق الأشياء والعمل بما يدعو
إليه العلم ﴿ والتوراة ﴾ أى المنزلة على موسى عليه السلام ﴿ والانجيل ﴾
أى المنزل عليك .

ولما ذكر تأييده بروح / الروح . أتبعه تأييده بإفاضة الروح على جسده
١٤٢/ لا أصل له فيها فقال : ﴿ واذ تخلق من الطين ﴾ أى هذا الجنس .
﴿ كهية الطير باذن ﴾ ثم سبب عن ذلك قوله : ﴿ فتنفخ فيها ﴾ أى
في الصورة المهيأة ﴿ فتكون ﴾ أى تلك الصورة التى هيأتها ﴿ طيراً باذن ﴾ .
ثم بإفاضة روح ما على بعض جسده ، إما ابتداءً فى الآلهة كما فى
الذى قبله ، وإما إعادة كما فى الحادث العنى والبرص بقوله :
﴿ وتبرئ الآلهة والارض ﴾ .

١٥

ولما كان من أعظم ما يراد بالسياق تويخ من كفر [به - ^أ]
كرر قوله : ﴿ باذن ع ﴾ ثم برّد روح كامل إلى جسدها بقوله :
(١) فى ظ : حالة (٢) من ظ ، وفى الأصل : لحاق (٣) من ظ ، وفى الأصل :
عيسى (٤) من ظ ، وفى الأصل : جسده (٥) فى ظ : بقوله (٦) من ظ ، وفى
الأصل : هيأها (٧-٧) تكرر ما بين الرقين فى الأصل (٨) زيد من ظ .

﴿واذ تخرج الموتى﴾ أى من القبور فعلا أو قوة حتى يكونوا كما كانوا من سكان البيوت ﴿بأذنى﴾ ثم بعصمة روحه^٢ من أراد قتله بقوله: ﴿واذ كففت بنى اسرائيل عنك﴾ أى اليهود لما هموا بقتاك؛ ولما كان ذلك ربما أوهم نقصا استحلوا قصده به، بين أنه قصد^٣ ذلك كعادة الناس مع الرسل والأكابر من أتباعهم تسلياً لهذا النبى الكريم والتابعين له باحسان فقال: ﴿اذ جئتهم باليئس﴾ أى كلها، بعضها بالفعل والباقي بالقوة لدلالة ما وجد عليه من الآيات الدالة على رسالتك الموجبة لتعظيمك ﴿فقال الذين كفروا﴾ أى غطوا تلك البينات عناداً ﴿منهم ان﴾ أى ما ﴿هَذَا الاسحار مبين﴾ ثم بتأييده ١٠ بالانصار الذين أحياهم ارواحهم بالإيمان وأجسادهم باختراع^٤ المأكول الذى من شأنه فى العادة حفظ الروح، وذلك فى قصة المائدة وغيرها فقال: ﴿واذ أوحيت﴾ أى بالهام باطنا وبإيصال^٥ الأوامر على لسانك ظاهراً ﴿الى الحوارئين﴾ أى الانصار ﴿ان آمنوا بى ورسولى﴾ أى الذى أمرته بالإبلاغ^٦ يعنى إبلاغ^٦ الناس ما أمرهم به، ثم استأنف ١٥ ميئناً لسرعة إجابتهم لجعله محياً^٧ إليهم مطاعاً فيهم بقوله: ﴿قالوا آمنا﴾ . ولما كان الإيمان باطنا فلا بد فى إثباته من دليل ظاهر، و كان

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: عو، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذناها.
(٣) من ظ، فى الأصل: بصد - كذا (٤) فى ظ: عما (٥) فى ظ: اخفى .
(٦) من ظ، وفى الأصل: بالاختراع (٧) فى ظ: إيصال (٨ - ٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) فى ظ: محياً .

في سياق عدّة النعم و الطواعية لوحى الملك الاعظم دلوا عليه بتبام
الانقياد، ناسب المقام زيادة التأكيد باثبات النون الثالثة في قولهم:
(واشهد باننا) بخلاف آل عمران (مسلمون هـ) أى متقادون أتم انقياد،
فلا اختيار لنا إلا ما تأمرنا به، وانظر ما أنسب إعادة "اذ" عند
التذكير بروح كامل حساً أو معنى و حذفها عند الناقص، فأثبتها عند هـ
التأييد بها في أصل الخلق و في الكمال الموجب للحياة الابدية و في تعليم
الكتاب و ما بعده المفيض لحياة الأبد على كل من تخلّق بأخلاقه و في
خلق الطير و هو ظاهر و هكذا إلى الآخر .

ذكرُ شيء مما عَزَى إليه من الحكمة في الإنجيل: قال متى: و كان

يسوع يطوف المدن و القرى و يعلم في مجامعهم و يكرز ببشارة الملكوت ١٠

و يشفي كل الأمراض و الأوجاع، ثم قال: فلما سمع / يوحنا في السجن / ١٤٣ /

بأعمال المسيح أرسل إليه اثنين من تلاميذه قائلاً: أنت هو الآتى

أم تترجى^١ آخر؟ قال لوقا: و في تلك الساعة أبرأ كثيراً من الأمراض

و الأوجاع و الأرواح الشريرة و ذهب النظر لعميان كثيرين^٢، فأجاب

يسوع و قال لهما^٣: إذهبا و أعلما يوحنا بما رأيتما و سمعتما، العميان ١٥

يصبرون و العرج يمشون [و البرص -^٤] يتطهرون و الصم يسمعون

(١) من ظ، و في الأصل: نترعى - هكذا (٢) من إنجيل لوقا، و في الأصل:

كثير، و العبارة من هنا مع هذا اللفظ إلى «أعلما يوحنا» ساقطة من ظ .

(٣) زيد بعده في الأصل: و قال، و لم تكن الزيادة في الإنجيل لحذفناها (٤) زيد

من ظ و الإنجيل .

و الموقى يقومون و المساكين يبشرون^١، فطوبى لمن لا يشك في^٢ ! فلما ذهب
تلميذا^٣ يوحنا بدأ يسوع يقول للجمع من أجل يوحنا: لما ذا خرجتم^٤
إلى البرية تنظرون - قال لوقا: قصبة تحركها^٥، الريح - أم^٦، لما ذا خرجتم
تنظرون؟ إنسانك لباسا ناعما؟ إن^٧ اللباس الناعم يكون في
بيوت الملوك^٨، و قال لوقا: فإن^٩ الذين عليهم لباس المجد و التعم^{١٠} هم في
بيوت الملوك - انتهى. لكن لما ذا خرجتم تنظرون؟ نيا؟ نعم، أقول
لكم: إنه أفضل من هذا الذى كتب من أجله: هو ذا أنا مرسل ملكي
أمام وجهك ليسهل طريقك قدامك، الحق أقول لكم! إنه لم يقم في^{١١}
مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمد^{١٢}، و الصغير في ملكوت السماء
أعظم منه، و جميع الشعب الذى سمع و العشارون شكروا الله حيث
اعتمدوا من معمودية يوحنا، فأما^{١٣} الفريسيون و الكتبة ففعلوا أنهم
رفضوا^{١٤} أمر الله لهم إذ لم يعتمدوا منه؛ قال متى: ثم قال: من له أذنان
سامعتان فليسمع! بماذا أشبه هذا الجيل؟ يشبه صديانا جلوسا في الأسواق،
يصيحون إلى أصحابهم قائلين: زمرنا لكم فلم ترقصوا، و نحنا لكم فلم تيكوا،
١٥ جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فقالوا: معه جنون، جاء ابن الإنسان

(١) من الإنجيل، وفي الأصل: يوسرون، وفي ظ: يوثرون - كذا (٢) في
ظ: تلميذ (٣) من ظ، وفي الأصل: يحركها (٤-٤) سقط ما بين الرقيب
من ظ (٥) في ظ: فإن (٦) في ظ: إن (٧) من الإنجيل، وفي الأصل: النعم،
وفي ظ: نعم (٨) سقط من ظ (٩) في ظ: العهد، وفي الإنجيل: المعمدان،
و سياق تفسيره (١٠) من ظ، وفي الأصل: قال (١١) في ظ: رفضوا.

بأكل ويشرب ، فقالوا : هذا إنسان أكل شرب خليل العشارين و الخطاة ،
 فبررت الحكمة من بينها ، حيث بدأ يعير المدن التي كان فيها أكثر
 قواه ، لأنهم لم يتوبوا ، ويقول ^٢ : الويل لك يا كورزين ! والويل لك
 يا بيت صيدا ! لأن ^٣ القوات اللاتي كن فيكما قديما لو كن في صور
 و صيدا لتابوا بالمسوح و الرماد ، لكن أقول لكم : إن لصور و صيدا ه
 راحة في يوم الدين أكثر منكن ، و أنت يا كفرناحوم لو ارتفعت إلى
 السماء ستهبطين إلى الجحيم ، لأنه لو كان في سدوم هذه القوات التي
 كانت فيك إذن لثبتت إلى اليوم ، و أقول لكم أيضا : إن أرض سدوم
 تجد راحة يوم الدين أكثر منك . ثم قال : و انتقل يسوع من هناك
 و دخل إلى مجعهم و إذا رجل هناك يده يابسة - و قال لوقا : يده ١٠
 اليمنى يابسة - فسأله قائلين : هل يحل أن يشفي في السبت ؟ فقال
 لهم : أي إنسان منكم يكون له خروف ، يسقط في حفرة في السبت ،
 و لا يمسكه و يقيمه ؟ فبكم أحرى الإنسان أفضل من الخروف ، فاذن
 جيد هو فعل الخير في السبت ؛ و قال لوقا : فقال للرجل / اليايس ^٦ اليد :

١٤٤ /

قف في الوسط ، فقام ، و قال لهم يسوع : أسألكم ^٧ : ما ذا ^٨ يحل أن
 يعمل في السبت ؟ خير أم شر ؟ نفس تخلص أم تهلك ؟ فسكتوا ؛
 قال متى : [حيث ^٩ -] قال للإنسان : امدد يدك ، فدها فصحت

(١-١) في ظ : الخطاب فبررت - كذا (٢) في ظ : يقولوا (٣) في ظ : لا ان .
 (٤-٥) في ظ : بينما (٥) في ظ : هذا (٦) تكرر في الأصل (٧) من ظ ، و في
 الأصل : يستلکم (٨) في ظ : ما (٩) تزيد من ظ

مثل الأخرى ، فخرج الفريسيون - قال مرقس : مع أصحاب هيرودس -
متوأمين في إهلاكه ، فلم يسوع و انتقل من هناك و تبعه جمع كثير ،
فشنى جميعهم ، و أمرهم أن لا يظهروا ذلك لكي يتم ما قيل في أشعيا
النبي القائل : ها هو ذا ' فتى الذى هويت ، و حببى الذى به سررت ،
أضع روحى عليه و يخبر الأمم بالحكم ، لا يمارى و لا يصيح و لا يسمع
أحد ' صوته فى الشوارع ، ' قصبة مرضوضة ' لا تكسر ، و سراج
' مطفئ لا يطفأ ' حتى يخرج الحكم ' فى الغلبة ' ، و على اسمه تتشكل
الأمم ؛ ثم قال : و فى ذلك اليوم خرج يسوع من البيت و جلس
جانب البحر ، فاجتمع إليه جمع كبير حتى أنه صعد إلى السفينة و جلس ،
١٠ و كان الجمع كله قياما على الشط ، و كلهم بأمثال كثيرة قائلا : ها هو ذا
خرج الزارع ليزرع ، و فيما هو يزرع سقط البعض على^٦ الطريق ،
فأتى الطير و أكله - و قال لوقا : فديس و أكله طائر السماء - و بعض
سقط على الصخرة حيث لم يكن له أرض كثيرة ، و للوقت شرق
إذ ليس له عمق أرض . و لما أشرقت الشمس احترق ،^٧ و حيث^٨
١٥ لم يكن له أصل يمس ، و بعض سقط فى الشوك^٩ فطلع الشوك^{١٠}
و خنقه ، و قال [مرقس - ٩] : نخنقه بعلوه عليه فلم يأت بشرة^{١١} ؛

(١) فى ظ : هوذا (٢) فى ظ : احدا (٣-٣) فى ظ : قصيبه مرصوصه - كذا .
(٤-٤) فى ظ : متعلق لا يطفى ، و تفسير ' مطفئ ' سيأتي (٥-٥) فى ظ :
بالغلبة (٦) فى ظ : عن (٧-٧) فى ظ : فحيت (٨-٨) سقط ما بين الرقين من
ظ (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : ثمرة .

و قال متى : و بعض سقط في الأرض الجيدة فأعطى ثمره ، للواحد مائة
و للآخر ستين و للآخر^١ ثلاثين - قال لوقا : فلما قال هذا نادى : من له
أذنان سامعتان فليسمع - فقدم إليه تلاميذه وقالوا له : لماذا تكلمهم بالأمثال ؟
فأجابهم و قال : أتم أعطيتم معرفة سرائر ملكوت السماوات - و قال لوقا :
فقال لهم^٢ : لكم أعطى علم سرائر ملكوت الله - وأولئك لم يعطوا ، ه
و من كان له يعطى و يزداد ، و من ليس له فالذى له يؤخذ منه - و قال
لوقا : و الذى ليس له ينزع منه الذى يظن أنه له - فلهذا أكلهم بالأمثال ،
لأنهم^٣ يبصرون فلا يبصرون ، و يسمعون فلا يسمعون و لا يفهمون ،
لكى تم فيهم نبوة أشعيا القائل : سمعا يسمعون فلا يفهمون ، و نظرا
ينظرون فلا يبصرون ، لقد غلظ قلب هذا الشعب ، و ثقلت آذانهم عن ١٠
السماع ، و غمضوا أعينهم لكيلا يبصروا بعيونهم و لا يسمعوا بآذانهم
و يفهموا بقلوبهم و يرجعوا فاشفيهم ، فأما أتم فطوبى لعيونكم ! لأنها
تنظر ، و لآذانكم ! لأنها تسمع ؛ و قال [لوقا - ٩] : و مثل الزرع هذا
هو كلام الله ؛ و قال متى : كل من يسمع كلام الملكوت و لا يفهم يأتي
الشرب فيخطف ما يزرع في قلبه ، هذا الذى زرع على الطريق ، و الذى زرع ١٥
على الصخرة هو الذى يسمع الكلام و للوقت يقبله^٤ بفرح ، و ليس له ؛ فيه
أصل ، لكن في زمان / يسير ، إذا حدث^٥ ضيق أو طرد فللوقت يشك^٦ -

١٤٥ /

- (١) في ظ : و الآخر (٢) في ظ : له (٣) في ظ : لانه (٤) سقط من ظ .
(٥) زدناه بناء على أن الجملة الآتية هي في إنجيل لوقا فقط (٦) في ظ : قبله .
(٧) في ظ : حصل .

وقال مرقس : بسبب^١ الكلمة فيشكون للوقت ؛ وقال لوقا : وهم إنما يؤمنون إلى زمان التجربة ، وفي زمان التجربة يشكون^٢ . والذي يزرع في الشوك فهو الذي يسمع الكلام فيخنى الكلام فيه ؛ وقال لوقا : فتغلب^٣ عليهم هموم هذا الدهر وطلب الغنى ؛ وقال مرقس : ومحنة الغنى وسائر الشهوات التي يسلكونها ، فتخنى الكلمة فلا تثمر^٤ فيهم ؛ وقال متى : فيكون بغير ثمرة ، والذي زرع في الأرض الجيدة هو الذي يسمع الكلام ويفهم ويعطي ثمره ؛ وقال لوقا : وأما الذي وقع في الأرض الصالحة فهم الذين يسمعون الكلمة بقلب جيد فيحفظونها^٥ ويشمرون بالصبر ؛ قال متى : للواحد مائة وللآخر ستين وللآخر ثلاثين . وضرب لهم مثلا آخر قائلا : يشبه ملكوت السماوات إنسانا زرع زرا جيدا في حقله^٦ ، فلما نام الناس جاء عدوه فزرع زوانا في وسط القمح ومضى ، فلما نبت القمح ظهر الزوان ، فجاء^٧ عبيد رب^٨ البيت^٩ فقالوا له : يا سيد ! أليس زرا جيدا زرعت في حقلك^{١٠} ؟ فن أن صار فيه زوان ؟ فقال لهم : عدو فعل هذا ، فقال عبيده : تريد^{١١} أن نذهب فنجمعه ؟ فقال لهم : لا ، لئلا تنقلع معه الحنطة ، دعوها ينبتان جميعا إلى زمان الحصاد ،

(١) وقع في الأصل وظ : نسيت - كذا . ومبنى التصحيح نص الإنجيل (٢) وقع في الأصل وظ : مرقس ، والتصحيح نظرا إلى نص الإنجيل (٣) في ظ : فيغلب . (٤) في ظ : فلا يسمر - كذا (٥) من ظ والإنجيل ، وفي الأصل : فيحفظونها . (٦) في ظ : بحقله (٧-٧) في ظ : عبيده - كذا (٨) من الإنجيل ، وفي الأصل : التبت ، وفي ظ : الرب (٩) في ظ : خلقك (١٠) في ظ : تريد . (١١) في ظ : لا ، لئلا تنقلع معه الحنطة ، دعوها ينبتان جميعا إلى زمان الحصاد ،

[و - '] أقول للحصادين: أولا اجمعوا الزوان فشدوه حزما ليحرقوه،
فأما القمح فاجنوه إلى أهرأى . وضرب لهم مثلا آخر قائلا: يشبه
ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله، لأنها
أصغر الزراريح كلها - وقال مرقس: وهي أصغر الحبوب التي على
الأرض - فإذا طالت صارت أكبر من جميع^٢ البقول وتصير^٣ شجرة ه
- وقال مرقس: وصنعت أغصانا عظاما: وقال لوقا: فمت وصارت
شجرة عظيمة - حتى أن طائر السماء^٤ يستظل تحت أغصانها. وكلمهم بمثل
آخر وقال لهم: يشبه ملكوت السماوات خميرا أخذته امرأة وعجته في
ثلاثة أكيال دقيق فاختمر الجميع؛ وقال مرقس: وكان يقول لهم: هل
يوجد سراج فيوضع تحت مكيال أو سرير، لكن على منارة؛ وقال لوقا: ١٥
ليس أحد يوقد سراجا فيغطيه، ولا يجعله تحت سرير، لكن يضعه على
منارة فيرى نوره كل من يدخل؛ قال مرقس: كذلك ليس خفي إلا سيظهر،
ولا مكتوم إلا سيعلم؛ وقال لوقا: سراج الجسد العين، فإذا كانت
عينك بسيطة لجسدك كله^٥ نير، وإن كانت عينك شريرة لجسدك كله^٦
يكون مظلمًا، احرص أن لا يكون النور الذي فيك ظلامًا، فإن كان
جسدك كله نيرا وليس فيه جزء مظلم فانه يكون كاملا نيرا، كما أن
السراج ينير لك^٧ بلمع ضيائه؛ وقال مرقس: من له أذان سامعتان
^٨فليسمع، وقال لهم: انظروا ما إذا تسمعون، فبالكيل الذي / تكيلون
يكال لكم - وتزادون أيها السامعون^٩ لأن الذي له يعطى^{١٠} ومن ليس
(١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ: القبول ويصير (٣) من ظ والإنجيل، وفي
الأصل: الزمان - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) سقط من ظ .

عنده فالذى عنده يؤخذ منه ، وقال : يشبه ملكوت الله إنسانا يلقى زرعه
على الأرض وينام ، ويقوم ليلا ونهارا و الزرع ينمو و يطول وهو
لا يعلم ، أولا أعشب وبعد ذلك سنبل ، ثم يمتلئ السنبل حتى إذا انتهت
الثمرة حيثئذ يضع المنجل^١ إذ قد دنا الحصاد ؛ قال متى : هذا كله قاله
٥ يسوع للجموع ليم ما قيل في النبي القائل : أفتح فأى بالأمثال وأنطق^٢
بالخفيات من قبل أساس العالم . حيثئذ ترك الجمع وجاء إلى البيت لجاء إليه
تلاميذه وقالوا : فسر لنا مثل زوال الحقل ، أجب : الذى زرع الزرع
الجيد هو ابن الإنسان ، والحقل هو العالم ، والزرع الجيد هو بنو الملكوت ،
والزوان هو^٣ بنو الشر ، والعدو الذى زرعه هو الشيطان ، والحصاد هو
١٠ منتهى الدهر ، والحصادون هم الملائكة ، فكما أنهم يجمعون الزوان أولا ،
وبالنار يحرق ، هكذا يكون منتهى هذا الدهر ، يرسل ملائكته ويجمعون
من مملكته كل الشوك و فاعلى الإثم ، فيلقونهم فى أتون النار ، هناك
يكون البكاء و صرير الأسنان ، حيثئذ يضئ الصديقون مثل الشمس فى
ملكوت أبيهم ، من له أذانان سامعتان فليسمع . و يشبه ملكوت السماوات
١٥ كنزا مخفى فى حقل وجده إنسان^٤ فجأه ، ومن فرحه مضى و باع كل
شئ واشترى ذلك الحقل . و أيضا يشبه ملكوت السماوات إنسانا تاجرا
يطلب الجواهر الفاخر الحسن . فوجد درة كثيرة الثمن^٥ فضى و باع
(١) فى ظ : النخل (٢) فى ظ : انطلق (٣) من ظ و الإنجيل ، وفى الأصل : هم .
(٤) فى ظ : ابن (٥) من الإنجيل ، وفى الأصل و ظ : زرعه (٦) فى ظ : انسانا .
(٧-٧) فى ظ : كبيرة .

كل ماله و اشتراها ، و أيضا يشبه ملكوت السماوات شبكة^١ ألقيت في البحر فجمعت من كل جنس ، فلما امتلأت أطلعوها إلى الشط فجلسوا و جمعوا الخباز في الأوعية ، و الردىء رموه خارجا ، هكذا يكون في انقضاء هذا الزمان ، تخرج الملائكة و يميزون الأشرار من وسط الصديقين ، و يلقونهم في أتون النار ، هناك يكون البكاء و صرير^٥ الأسنان^٢ . فلما أكمل يسوع هذه الأمثال انتقل من هناك و جاء إلى بلدته و كان^٣ يُعَلِّم في مجامعهم حتى أنهم بهتوا و قالوا : من أين له هذه الحكمة و القوة^٤ ؟ و قال مرقس : من أين له هذا التعليم و هذه الحكمة التي أعطاها و القوات التي تكون على يديه - انتهى . أليس هذا ابن^٦ النجار ؟ و قال لوقا : و كان جميعهم يشهدون له و يتعجبون من^٧ كلام النعمة^٨ الذي^٩ كان يخرج من فيه ، و كانوا يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ انتهى . أليس أمه تسمى مريم و إخوته يعقوب و يوسا و سمعان و يهوذا ؟ أليس هو و أخواته^{١٠} عندنا جميعا ؟ فمن أين له هذا كله ؟ و كانوا يشكون فيه ، فان يسوع قال لهم : لا يهان نبي إلا في بلدته و بيته ؟ و قال مرقس : ليس^{١١} يهان نبي إلا في بلدته و عند أنسابه و بيته ؟ و قال لوقا : فقال لهم : ١٥ لعلمكم^{١٢} تقولون لي هذا المثل : أيها الطيب^{١٣} ! اشف نفسك^{١٤} ، و الذي سمعنا

١٤٧ /

(١) في ظ : سمكة (٢) في ظ : الانسان (٣) في ظ : يكون (٤) من ظ و الإنجيل ، و في الأصل : من (هـ-هـ) في ظ : كلامه - كذا (٥) من الإنجيل ، و في الأصل و ظ : أخوته (٦) في ظ : ليس (٧) من ظ ، و في الأصل : لعلمكم ، و في الإنجيل ، على كل حال (٨) من ظ و الإنجيل ، و في الأصل : المتطبيب .

أنك صنعت^١ في كفرناحوم افعله^٢ أيضا ههنا في مدينتك ، فقال لهم :
 الحق أقول لكم ، [إنه لا يقبل نبي في مدينته ، الحق أقول لكم -^٣] ،
 إن الأراامل كثيرة كن في^٤ إسرائيل في أيام إيليا إذ أغلقت السماء ثلاث
 سنين وستة أشهر ، وصار جوع عظيم في الأرض كلها ، ولم يرسل
 إيليا إلى واحدة منهن إلا أرملة في^٥ صارقة^٦ صيدا ، وبرص كثير^٧ .
 كانوا في إسرائيل على عهد اليسع النبي ولم يظهر واحد منهم إلا نعمان
 الشامي ، فامتلا جميعهم غضبا عند ما سمعوا هذا وأخرجوه خارج
 المدينة ، وجاءوا به^٨ إلى أعلى الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه
 ليطرحوه إلى أسفل ، فأما هو فجاز وسطهم ومضى ، ونزل إلى كفرناحوم^٩
 ١٠ مدينة في الجليل^{١٠} ، وكان يعلمهم في السبت و بهتوا من تعليمه لأن
 كلامه كان بسلطان . و^{١١} قال في موضع آخر : وجاء إليه ناس من
 الفريسيين وقالوا له : أخرج فاذهب من ههنا فان هيرودس يريد ليقطلك^{١٢} ،
 فقال لهم : امضوا^{١٣} و قولوا لهذا الثعلب : إني هو ذا^{١٤} أخرج الشياطين
 و أتم الشفاء اليوم وغدا و في اليوم الثالث أكمل ، و ينبغي أن أقيم

(١) من ظ ، وفي الأصل : ضيعته (٢) في ظ : فعله (٣) زيد ما بين الحاجزين من
 ظ (٤) زيد في ظ : بني (٥) سقط من ظ (٦) من الإنجيل ، وفي الأصل :
 صار فيه ، وفي ظ : فيه - كذا (٧) من الإنجيل ، وفي الأصل و ظ : كثير .
 (٨) زيدت الواو بعده في الأصل و ظ ، ولم تكن في الإنجيل لخذناها (٩) في
 ظ : الجبل (١٠) من ظ ، وفي الأصل : بقتلك (١١) في ظ : هوذا - كذا .
 اليوم (٨٨) ٣٥٢

اليوم وغدا، وفي اليوم الآتي^١ أذهب، لأنه ليس يهلك نبي^٢ خارجا عن
 يروشليم، أيا يروشليم^٣ أيا يروشليم^٤ يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين
 إليها! كم من مرة أردت أن أجمع بينك مثل الدجاجة التي تجمع فراخها
 تحت جناحيها فلم يردوا، هو ذا أترك بيتكم خرابا، فسمع هيرودس
 رئيس الربع بجميع ما كان فتخبر، لأن كثيرا كانوا يقولون: إن يوحنا ه
 قام من الأموات، وآخرون يقولون: إن إليا ظهر، وآخرون يقولون:
 نبي من الأولين [قام - °]، فقال هيرودس: أنا قطعت رأس يوحنا،
 فمن هو الذي نسمع عنه هذا، وطلب أن يبصره؟ وفي إنجيل متى: وفي
 ذلك الزمان سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع فقال لغلمانه: هذا
 هو يوحنا المعمدان، وهو قام من الأموات من أجل هذه القوات التي
 يعمل بها. قوله: المعمد، من أعمده - إذا غسله في ماء المعمودية، قوله:
 تبرت، أي صارت برة بالنسبة إليهم، قوله: بعير^٦ المدن، أي يذكر
 ما أوجب لها العار، قوله: القوات جمع قوة وهي المعجزات هنا، قوله:
 الذي هويت، يعني أحبت جدا شديدا، ولفظ الهوى الظاهر أنه يفهم نقصا
 فلا يحل في شرعنا إطلاقه على الله تعالى^٧، قوله: مطفطف، أي ملأه إلى
 رأسه، لا يزال كذلك، قوله: شرق - وزن: فرح، أي ضعف، من:
 (١) من ظ، وفي الأصل: الأولى - كذا (٢) في ظ: ابن (٣-٣) في ظ:
 إنما يروح وسيلة - كذا (٤) من الإنجيل، وفي الأصل: فلم يردوا،
 وفي ظ: فلم يردوا (٥) زيد من الإنجيل (٦) في ظ: البعير - كذا (٧) زيد
 بعده في ظ: إلى.

شرق جريقه، و شرقت الشمس - إذا ضعف ضوءها، قوله : أتون [و - ١]
هو وزن تنور و قد يخفف : أخذود^٢ الجيار و الجصاص^٣، قوله : بسيطة،
أى على الفطرة الأولى، قوله : يروشليم - بتحانية و مهملة و شين معجمة :
بيت المقدس، قوله : ملكوت أيهم، تقدم ما فيه غير مرة .

٥ و لما كان من المقصود بذكر معجزات عيسى عليه السلام تنبيه الكافر
ليؤمن، و المؤمن ليزداد إيماناً، و تسلياً النبي صلى الله عليه وسلم و توييح
اليهود المدعين^٢ أنهم أبناء و أحباء - إلى غير ذلك مما أراد الله، قرعت به
/ الاسماع^٥، و لم يتعلق بما يجب به يوم القيامة عند أمره بذلك غرض
فطوى؛ و لما كان أجل المقاصد تأديب هذه الأمة لئبها عليه السلام لتجته
١٠ عن أن تبدأ^٦ بسؤال أو تقترح عليه شيئاً في حال من الأحوال، ذكر لهم
شأن الحوارين في اقتراحهم بعد ما تقدم من امتداحهم بَعْدَهُمْ في عداد أولى
الوحي و مبادرتهم^٧ إلى الإيمان امتثالاً للأمر ثم إلى الإشهاد على سبيل
التأكيد بتام الانقياد و سلب الاختيار، فقال معلقاً بـ ” قالوا ائنا “ مقرباً
لزمّن تعنتهم من زمن إيمانهم، مذكراً لهذه الأمة بحفظها على الطاعة، و مبكناً
١٥ لبقى إسرائيل بكثرة تقلبهم و عدم تماسكهم إبعاداً لهم عن درجة المحبة
فضلاً عن النبوة، و هذه القصة قبل قصة الإيحاء إليهم فتكون^٨ ” إذ “ هذه

(٢) زيدت الواو من ظ (٢-٢) من القاموس، و في الأصل : الحمار و الحصاد،
و في ظ : الحيار و الحصاد - كذا (٣) في ظ : المدعين - كذا (٤) في ظ : ما .
(٥) في ظ : الاسماء (٦) في ظ : يبدوه (٧) من ظ، و في الأصل : مبادرته (٨) من
ظ، و في الأصل : فيكون .

ظرفا لتلك، فيكون الإيماء إليهم بالأمر^١ بالإيمان في وقت سؤالهم هذه
بعد ابتدائه^٢، ويكون فائدة حفظهم من أن يسألوا آية أخرى كما سألوا
هذه بعد ما رأوا^٣ منه صلى الله عليه وسلم من الآيات: ﴿اذ قال﴾ وأعاد
وصفهم ولم يضره تنصيصا عليهم لبعدهما يذكر من حالهم هذا من حالهم^٤
الأول فقال: ﴿الحواريون﴾ وذكر أنهم نادوه باسمه واسم أمه^٥
فقالوا: ﴿يعيسى ابن مريم﴾ ولم يقولوا: يا رسول الله ولا يا روح
الله، ونحو هذا من التبجيل^٦ أو التعظيم^٦ ﴿هل يستطيع ربك﴾ بالياء
مسندا إلى الرب^٦ وبالتاء الفوقانية مسندا إلى عيسى عليه السلام ونصب
الرب^٦، ومعناها واحد يرجع إلى التهيج والإلهاب^٧ بسبب الاجتهاد
في الدعاء بحيث تحصل الإجابة، وتكون هذه^٨ العبارة أيضا للتلطف^{١٠}
كما يقول الإنسان لمن يعظمه: هل تقدر أن تذهب معي إلى كذا؟
وهو يعلم أنه قادر، ولكنه يكتى بذلك عن أن السائل يجب ذلك
ولا يريد المشقة على^٩ المسؤل ﴿ان ينزل﴾ أى الرب المحسن إليك
﴿علينا مأثدة﴾ وهى الطعام، ويقال أيضا: الخوان إذا كان عليه
الطعام^{١٠}، والخوان شئ يوضع عليه الطعام للأكل، هو فى العموم^{١٥}
بمنزلة السفرة لما يوضع فيه طعام المسافر بالخصوص، وهى من ماله -

(١) من ظ، وفى الأصل: الأمر (٢) من ظ، وفى الأصل: طيه - كذا.
(٣) فى ظ: اراد (٤) فى ظ: حاله (٥) من ظ، وفى الأصل: فقال.
(٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) فى ظ: الإلهاب (٨) فى ظ: بهذه.
(٩) فى ظ: الى (١٠) سقط من ظ،

إذا^١ أعطاه وأطعمه^٢ .

ولما كان هذا ظاهرا في أنها سماوية ، صرحوا به احترازا عما عودهم به صلى الله عليه وسلم من أنه يدعو بالقليل^٣ من الطعام^٤ فيبارك فيه فيعده الله فيكفي [فيه -^٥] القيامة من الناس فقالوا: ﴿من السماء^٦﴾
 هـ أى لا صنع للآدميين فيها لنختص بها عن تقدمنا من الأمم .

ولما كان المقصود من هذا وعظنا وإرشادنا إلى أن لا نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم شيئا^٧ ، اكتفاء بما يرحمنا به ربنا^٨ الذى رحمنا بابتدائنا بارساله إلينا لإيصالنا إليه سبحانه ، وتخويفا من أن نكون مثل من^٩ / ١٤٩ / مضى من المقترحين الذين كان اقتراحهم سبب هلاكهم ؛ دل على ذلك

١٠ بالنزوع من أسلوب الخطاب إلى الغيبة فقال مستأنفا إرشادا إلى السؤال من جوابهم^{١٠}: ﴿قال﴾ ولم يقل: فقلت ﴿اتقوا الله﴾ أى اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الأعظم الذى له الكمال وقاية تمنعكم عن الاجترار^{١١} على الاقتراح ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ أى بأنه قادر وأنى رسوله ، فلا تفعلوا فعل من وقف إيمانه على رؤية ما^{١٢} يقترح
 ١٥ من الآيات .

ولما كانت المعجزات إنما تطلب لإيمان من لم يكن آمن ، وكان في هذا الجواب أتم زجر لهم ، تشوف السامع إلى جوابهم فقيل :

(١ - ١) فى ظ : أطعمه و أعطاه (٢ - ٢) فى ظ : بالطعام (٣) زيد من ظ .
 (٤) فى ظ : السام - كذا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : ما (٧) فى ظ : جوابه .
 (٨) فى ظ : الاخيرا - كذا (٩) من ظ ، وفى الأصل : من .

لم ينتهوا

(٨٩)

٣٥٦

لم يتهوا بل ﴿ قالوا ﴾ إنا لا نريدها لأجل إزالة شك عندنا بل ﴿ نريد ﴾
 مجموع أمور : ﴿ ان ناكل منها ﴾ فانا جياع ؛ ولما كان التقدير : فتحصل
 لنا بركتها ، عطف عليه : ﴿ و تطمئن قلوبنا ﴾ أى بضم ما رأينا منها إلى
 ما سبق من معجزاتك من غير سؤالنا فيه ﴿ ونعلم ﴾ أى بعين اليقين
 وحقه ﴿ ان قد صدقتنا ﴾ أى فى كل ما أخبرتنا به ﴿ ونكون عليها ﴾ ٥
 وأشاروا^١ إلى عمومها بالتبعيض فقالوا : ﴿ من الشهادين ٥ ﴾ أى شهادة
 رؤية مستعجلة عليها بأنها وقعت ، لا شهادة إيمان بأنها جائزة الوقوع
 ﴿ قال عيسى ﴾ ونسبه زيادة فى التصريح به تحقيقا لأنه لا أب له وتسفيها^٢
 لمن أطراه أو وضع من قدره فقال : ﴿ ابن مريم اللهم ﴾ فافتح دعاه
 بالاسم الأعظم ثم بوصف الإحسان فقال : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن ١٠
 إلينا ﴿ انزل علينا ﴾ وقدم المقصود فقال : ﴿ مائدة ﴾ وحقق موضع
 الإنزال بقوله : ﴿ من السماء ﴾ ثم وصفها بما تكون به بالغة العجب
 عالية الرتبة فقال : ﴿ تكون ﴾ أى هى أو يوم نزولها ﴿ لنا عيدا ﴾
 وأصل العيد كل يوم فيه جمع ، ثم قيد بالسرور ، فالمعنى : نعود^٣ إليها
 مرة بعد مرة سرورا بها ، ولعل منها ما^٤ يأتى من البركات حين ترد له ١٥
 عليه السلام - كما فى الأحاديث الصادقة ، ويؤيد ذلك قوله مبدا من " لنا " :
 ﴿ لاولنا و اخرنا ﴾ .

(١) فى ظ : فيحصل (٢) فى ظ : اشار (٣) فى ظ : تسفيه (٤) سقط من ظ .

(٥) فى ظ : يكون (٦) فى ظ : الترتيب (٧) فى ظ : يعود (٨) فى ظ : سرور .

(٩) فى ظ : كما .

ولما ذكر الأمر الدنيوي، أتبعه الأمر الديني فقال: ﴿واية منك ٤﴾
 أى علامة على صدق ﴿وارزقنا﴾ أى رزقا مطلقا غير مقيد بها؛
 ولما كان التقدير: فأت خير المسؤولين، عطف عليه قوله: ﴿وانت
 خير الرزقين ٥﴾ أى فأنك تغني من تعطيه وتزیده، عما يؤمله ويرتجيه
 ٥ بما لا ينقص شيئا مما عندك، ولا تطلب منه شيئا غير أن ينفع نفسه بما
 قوته عليه من طاعتك بذلك الرزق ﴿قال الله﴾ أى الملك المحيطة
 علما و قدرة .

ولما كان ظاهر سؤا لهم من^٢ الاستفهام عن الاستطاعة للاضطراب^٤
 وإن كان للالهاب، أكد^١ الجواب فقال: ﴿انى منزها عليكم ٤﴾ أى
 ١٠ الآن بقدرتي الخاصة بي ﴿فمن يكفر بعد﴾ أى بعد إنزالها ﴿منكم﴾
 / ١٥٠ وهذا السياق مشعر بأنه يحصل^٥ / منهم كفر، وقد وجد ذلك حتى في
 الحوارين على ما يقال في يهودا الإسخريوطى أحدهم الذى دل على
 عيسى عليه السلام، فألقى شبهه عليه، ولهذا^٦ خصه بهذا العذاب فقال:
 ﴿فانى أعذبه﴾ أى على سبيل البتّ والقطع ﴿عذابا لا أعذبه﴾ أى
 ١٥ مثله أبدا فيما يأتى من الزمان ﴿احدا من الغلین ٥﴾ وفى هذا أتم
 زاجر لهذه الأمة عن اقتراح الآيات، وفى ذكر قصة المائدة فى هذه
 السورة التى افتتحت باحلال المآكل واختتمت بها أعظم تناسب، وفى
 ذلك كله إشارة إلى تذكير هذه الأمة بما أنعم عليها بما أعطى نبيها من
 المعجزات ومن عليها به^٧ من حسن الاتباع، وتحذير من كفران هذه النعم
 (١) سقط من ظ (٢) فى ظ: تزيد (٣) فى ظ: فى (٤) من ظ، وفى الأصل:
 الاضطراب (٥) تكرر فى الأصل (٦) فى ظ: لذلك (٧) فى ظ: بها.

المعددة^١ عليهم ، وقد اختلف المفسرون في حقيقة هذه المائدة
وفي أحوالها ؛ قال أبو حيان : و أحسن ما يقال فيه ما أخرجه^٢ الترمذی
في أبواب التفسير عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلی الله علیه وسلم : أنزلت المائدة من السماء خبزاً و لحماً ، و أمروا أن
لا يدخروا لعدو ولا يخونوا ، فخانوا و ادخروا^٣ و رفعوا^٤ لعدو ، ففسخوا^٥
قردة و خنازير - انتهى . قلت : ثم صحح الترمذی وقفه على عمار و قال :
لا نعلم^٦ للحديث المرفوع أصلاً ، غير أن ذلك لا يضره لكونه لا يقال
من قبل الراى ، و لا أعلم^٧ أحداً ذكر عماراً فيمن أخذ عن أهل
الكتاب ، فهو مرفوع حكماً ، و هذا الخبر يؤكد^٨ أن الخبر في الآية
على بابه ، فيدفع قول من قال : إنها لم تنزل ، لأنهم لما سمعوا الشرط ١٠
قالوا : لا حاجة لنا بها ، لأن خبره تعالى لا يخلف و لا يبدل القول لديه ،
و هذا الرزق الذى من السماء قد وقع مثله لآحاد الأمة ، روى البيهقي
في أواخر الدلائل عن أبي هريرة قال : كانت امرأة من دوس يقال لها
أم شريك أسلمت في رمضان ، فأقبلت تطلب^٩ من يصحبها إلى رسول الله
صلی الله علیه وسلم ، فلقيت رجلاً من اليهود فقال : ما لك يا أم شريك ؟ ١٥
قالت^٩ : أطلب رجلاً يصحبني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

(١) في ظ : المعدودة (٢) في ظ : أخرجه (٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ .
(٤) من ظ و جامع الترمذی - أبواب التفسير ، و في الأصل : مسخوا .
(٥) سقط من ظ (٦) في ظ : لا يعلم (٧) في ظ : موكد (٨) من ظ والدلائل ،
و في الأصل : تطلب (٩) في ظ : قالت .

فعالى فأنأ^١ أصحبك، قالت: فانتظرنى حتى أملا^٢ سقائى ماء^٣، قال: معى ماء^٤
 ٢ ما لا تريدین^٢ ماء^٣، فانطلقت معهم فساروا يومهم حتى أمسوا، فزل
 اليهودى ووضع سفرته فتعشى وقال: يا أم شريك! تعالى إلى العشاء!
 فقالت: اسقى من الماء فانى عطشى، ولا أستطيع أن آكل حتى
 ٥ أشرب، فقال لها: لا أسقيك حتى تهودى! فقالت: لا جزاك الله خيرا!
 غربتنى ومنعتنى [أن - ٦] أحمل ماء، فقال: لا والله لا أسقيك
 منه قطرة حتى تهودى، فقالت: لا والله لا أتهود أبدا بعد إذ هدانى الله
 للإسلام؛ فأقبلت إلى بغيرها فعقلته^٧ ووضعت رأسها على ركبته فنامت،
 قالت: فما أيقظنى إلا برد دلو^٨ قد وقع^٩ على جبينى^{١٠}، فرفعت/رأسى
 ١٥ فظنرت إلى ماء أشد يابضا من اللبن وأحلى من العسل، فشربت حتى
 رويت، ثم نضحت على سقائى حتى ابتل ثم ملأته، ثم رفع بين يدى
 وأنا أنظر حتى توارى عنى فى السماء، فلما أصبحت جاء اليهودى فقال:
 يا أم شريك! قلت: والله قد سقائى الله، قال: من أين أنزل عليك؟
 من السماء؟ قلت: نعم، والله لقد أنزل الله على من السماء ثم رفع
 (١) فى ظ: وأنا، وفى الدلائل: أنا - راجع «باب فيما ظهر من الكرامات على
 أم شريك» (٢) ليس فى ظ والدلائل، وموجود فى رواية البيهقى فى الخصائص
 الكبرى (٣ - ٣) فى الدلائل: لا ترددين، وفى الأصل: مالا تريد من، وفى
 ظ: لا تريد من - كذا (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل: معى،
 ولم تكن الزيادة فى ظ والدلائل فحذفناها (٦) زيد من الدلائل (٧) فى ظ:
 فعقلته (٨) زيدت الواو بعده فى الدلائل (٩ - ٩) من الدلائل، وفى الأصل
 وظ: فى جبنى.

بين يدي حتى توارى عني في السماء ، ثم أقبلت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصت عليه القصة ، فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها نفسها فقالت : يا رسول الله ! لست أرضى نفسي لك ولكن بضعى لك فزوجني من شئت ، فزوجها زيدا وأمر لها بثلاثين صاعا وقال : كلوا ولا تكيلوا ، وكان معها عكة سمن هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لجارية لها : بلغى^١ هذه العكة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قولى : أم شريك تقرئك السلام ، وقولى : هذه عكة سمن أهديتها لك ، فانطلقت بها الجارية [إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ٢] فأخذوها ففرغوها ، وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : علقوها ولا توكرها ، فعلقوها في مكانها ، فدخلت أم شريك فنظرت إليها مملوءة سمن ، فقالت : ١٠ يا فلانة !^٣ أليس أمرتك أن^٤ تطلقى بهذه العكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقالت : قد والله انطلقت بها كما قلت ، ثم أقبلت بها أضربها^٥ ما يقطر منها شيء . ولكنه قال : علقوها ولا توكرها ، فعلقتها في مكانها ، وقد^٦ أوكتها أم شريك حين رأتها^٧ مملوءة فأكلوا منها حتى فئت ، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعا لم ينقص منه شيء ، قال : وروى ١٥

(١) من الدلائل ، وفي الأصل : تاقى ، وفي ظ : بلى - كذا (٢) من ظ والدلائل ، وفي الأصل : لرسول (٣) زيد من الدلائل (٤) من ظ والدلائل ، وفي الأصل : فلائ - كذا (٥) سقط من ظ (٦) في الخصائص ٢ / ٥٣ : اصوبها (٧-٧) من الدلائل ، وفي الأصل و ظ : اوكاها شريك حين وآها - كذا .

ذلك من وجه آخر ، ولحديثه^١ شاهد صحيح عن جابر رضى الله عنه .
وروى بإسناده عن أبي عمران الجوني أن أم أيمن هاجرت من مكة إلى
المدينة وليس معها زاد ، فلما كانت عند الروحاء وذلك عند غيوبة الشمس
عطشت عطشا شديدا ، قالت : فسمعت هفيفا^٢ شديدا فوق رأسي ، فرفعت
رأسي فإذا دلو مدلى من السماء برشاء أبيض ، فتناولته يدي حتى استمسكت
به^٣ ، قالت : فشربت منه حتى رويت ، قالت : فلقد أصوم [بعد تلك
الشربة - ^٤] في اليوم الحار الشديد الحر ثم أطوف في الشمس كي أظلم
فما ظممت بعد تلك الشربة . قال^٥ : وفي الجهاد عن البخاري عن أبي هريرة
قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا ،
١٠ وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم^٦ بن عمر بن الخطاب
رضي الله عنهم - فذكر الحديث حتى قال : فاتباع خبيبا - يعني ابن عدي
الأنصاري - بنو الحارث^٧ بن عامر / بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب
قد قتل الحارث بن عامر^٨ يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيرا ، فأخبرني^٩
عبيد الله بن عياض^{١٠} أن ابنة الحارث^{١١} قالت : والله ما رأيت أسيرا قط

/ ١٥٢

(١) في ظ : لحديث في (٢) في الدلائل : حفيفا - والمعنى واحد (٣) سقط من
ظ (٤) زيد من الدلائل (٥) زيد في ظ : ابن ثابت الأنصاري (٦) العبارة من
هنا إلى « ابنة الحارث » ساقطة من ظ (٧-٧) تكرر في الأصل ، وما ورد
التكرار في صحيح البخاري (٨) بين مطري الصحيح : قائله الزهري (٩) من
الصحيح ، وفي الأصل : عاص - كذا (١٠) وقع هنا اختصار ، وراجع لزيد
التفصيل صحيح البخاري - باب « هل يستأجر الرجل » من كتاب الجهاد .

خيرا من خبيب ، والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده
 وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من تمر^١، وكانت تقول : انه لرزق^٢
 من الله^٣ رزق خيبا - الحديث . ومن الأمر الجلى أن عيسى عليه السلام
 بعد أمر الله تعالى له بذكر هذه النعم يقوم في ذلك الجمع فيذكرها
 و يذكر المقصود من التذكير بها ، وهو الثناء على المنعم بها بما يليق بجلاله ، ه
 فيحمد ربه تعالى بمحامد تليق بذلك المقام في ذلك الجمع ، فن أنسب
 الأمور حيثن سؤاله - وهو المحيط علما بمكنونات الضمائر وخفيات
 السرائر إثر^٤ التهديد لمن يكفر - عما كفر به النصارى ، فلذلك قال تعالى
 عاطفا على قوله ” اذ قال الله يعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك “ :
 ﴿ و اذ قال الله ﴾^٥ أى بما له من صفات الجلال والجمال مشيرا إلى ما له ١٠
 من علو الرتبة بأداة النداء : ﴿ يعيسى ابن مريم ﴾ وذلك تحقيقا لانه
 عمل بمقتضى النعمة^٦ وتبكيئا^٧ لمن ضل فيه من النصارى وإنكارا
 عليهم ﴿ انت قلت للناس ﴾ أى الذين أرسلت إليهم من نبى إسرائيل ،
 وكأنه عبر بذلك لزيادة التوبيخ لهم^٨ ، لكونهم^٩ اعتقدوا ذلك وفيهم
 الكتاب ، فكأنه لا ناس^{١٠} غيرهم ﴿ اتخذونى ﴾ أى كلّفوا أنفسكم خلاف ١٥
 ما تعتقدونه^{١١} بالفطرة الأولى^{١٢} فى الله بأن^{١٣} تأخذونى ﴿ و اى الهين ﴾ .

(١) من الصحيح ، وفى الأصل وظ : تمر (٢) من الصحيح ، وفى الأصل وظ :
 رزق (٣) زيد بعده فى ظ : ما (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : يكونهم (٧) فى ظ : ياس - كذا (٨) فى
 الأصل وظ : تعتقد - كذا (٩ - ٩) فى ظ : بالله ان .

ولما كانت عبادة غير الله - ولو كانت على سبيل الشرك - مبذولة لعبادة الله ، لانه سبحانه أغنى الأغنياء ، ولا يرضى الشرك إلا فقير ، قال : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوة له ، فيكون المعنى : اتخذوا^١ تألهنا سلبا تتوصلون^٢ به إلى الله ، ويجوز أن يكون المعنى^٣ على المغايرة ، ولا دخل حيثذ للمشاركة .

ولما كان من المعلوم لنا فى غير موضع أنه لم يقل ذلك ، صرح به هنا تويخا لمن أطراه ، وتأكيذا لما عندنا من العلم ، وتجيلا له صلى الله عليه وسلم بما يبدى من الجواب ، وتفضيلا^٤ بالإعلام بأنه لم يجد^٥ عن طريق الصواب ، بل بذل الجهد فى الوفاء بالعهد ، وتقريعا لمن قال ذلك عنه وهو يدعى حبه واتباعه عليه السلام وتنجيلا لهم ، فلما تشوفت لجوابه الأسماع وأصغت له الآذان ، وكان فى ذكره من^٦ الحكم ما تقدمت الإشارة إليه ، ذكره سبحانه قائلا : ﴿ قال ﴾ مفتتحا بالتنزيه ﴿ سبحانه ﴾ أى لك التنزه الأعظم عن كل شائبة نقص ، ودل^٧ بالمضارع على أن هذا القول لا يزال ممنوعا منه فقال : ﴿ ما يكون لى ﴾ ١٥ أى ما ينبغي ولا يصح أصلا ﴿ ان أقول ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ ما ليس لى ﴾ وأغرق فى النسي كما هو حق المقام فقال : ﴿ بحق ﴾ . ولما بادر عليه السلام إعظاما للمقام إلى الإشارة إلى نفي ما سئل

(١) من ظ ، وفى الأصل : اتخذوا (٢) فى ظ : يتوصلون (٣) سقط من ظ . (٤) فى ظ : تفصيلا (٥) من ظ ، وفى الأصل : لم يجد (٦) من ظ ، وفى الأصل : ذكر .

عنه ، أتبعه 'ما يدل' على أنه كان يكفى في الجواب عنه : أنت أعلم ،
وإنما أجاب بما تقدم إشارة إلى أن هذا القول تكاد السهوات يتفطرن
منه و مبادرة^٢ إلى تبكيت من ادعاه له ، فقال دالا على أنه لم يقنع بما^٣
تضمن أعظم المدح لأن المقام للخضوع : ﴿ ان كنت قلته ﴾ أى مطلقا
للناس أو حدثت به نفسى ﴿ فقد علمته ﴾ وهو مبالغة في الأدب ه
و إظهار الذلة و تفويض الامر كله إلى رب العزة ؛ ثم علل الإخبار
بعلمه بما هو من خواص الإله فقال : ﴿ تعلم ﴾ و لما كانت النفس
يعبر بها عن الذات ، و كان القول يطلق على النفس ، فاذا اتنى اتنى^٤
اللسانى ، قال : ﴿ ما فى نفسى ﴾ أى و إن اجتهدت فى إخفائه ، فانه
خلقك ، و ما أنا له إلا آلة و وعاء ، فكيف به إن كنت أظهرته . ١٠
و لما^٥ أثبت له سبحانه ذلك ، تفاه عن نفسه تويخا لمن ادعى له
الإلهية فقال مشاكلة : ﴿ و لا أعلم ما فى نفسك ﴾ أى ما أخفيته عنى
من الأشياء ؛ ثم علل الامرين كليهما بقوله : ﴿ انك انت ﴾ أى وحدك
'لا شريك لك' ﴿ علام الغيوب ه ﴾ .

و لما نفى عن نفسه ما يستحق النفي و دل عليه ، أثبت ما قاله لهم ١٥
على وجه مصرح بنفى غيره ليكون ما نسب إليه من دعوى الإلهية منقيا
مرتين : إشارة و عبارة ، فقال معبرا عن الامر بالقول مطابقة للسؤال ،
(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : مبادر (٣) فى
ظ : ما (٤) زيد بعده فى الأصل : ما فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفها .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : ما .

وفسير بالامر بيانا لأن كل ما قاله من مباح أو غيره دأر على الأمر من^١ حيث الاعتقاد بمعنى أن المخاطب بما قاله الرسول مأمور بأن يعتقد فيه^٢ أنه بتلك المنزلة، لا يجوز أن يعتقد فيه^٣ أنه فوقها ولا دونها، يعبد^٤ الله تعالى بذلك: ﴿ما قلت لهم﴾ أى ما أمرتهم بشئ^٥ من الأشياء ٥ ﴿الأمأ امرتنى بـ﴾ ثم فسره دالا بشأن المراد بالقول الأمر بالتعبير فى تفسيره بحرف التفسير بقوله: ﴿ان اعبدوا﴾ أى ما أمرتهم إلا بعبادة^٦ ﴿الله﴾ أى الذى لم يستجمع نعوت الجلال والجمال أحد غيره؛ ثم أشار إلى أنه كما يستحق العبادة لذاته يستحقها لنعمه^٧ فقال: ﴿ربى وربكم﴾ أى أنا وأنتم فى عبوديته سواء، وهذا الحصر يصح ١٠ أن يكون للقلب على أن 'دون' بمعنى 'غير'، وللأفراد على أنها بمعنى سفول المنزلة، وهو من بدائع الأمثلة .

ولما فهم صلى الله عليه وسلم من هذا السؤال أن أتباعه غلوا فى شأنه، فزه الله سبحانه وعز شأنه من ذلك وأخبره بما أمر الناس به فى حقه سبحانه من الحق، اعتذر عن نفسه بما يؤكد ما مضى نفا وإثباتا ١٥ / ١٥٤ فقال: ﴿و كنت عليهم﴾ أى خاصة / لا على غيرهم .

ولما كان سبحانه قد أرسله شاهدا، زاد فى الطاعة فى ذلك إلى أن بلغ جهده كإخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقال معبرا

(١) سقط من ظ. (٢-٢) سقط ما بين الرقعين من ظ (٣) فى ظ : فعبد .

(٤) فى ظ : شيئا (٥) من ظ ، وفى الأصل : بالعبادة (٦) فى ظ : النعمة .

بصفة المبالغة: ﴿شهدا﴾ أى بالغ الشهادة، لا أرى فيهم منكرا
إلا اجتهدت في إزالته ﴿ما دمت فيهم ج﴾ وأشار إلى الثناء على الله
بقوله: ﴿فلما توفيتى﴾ أى رفعتنى إلى السماء كامل الذات والمعنى مع
بذلهم جهدهم في قتلى ﴿كنت انت﴾ أى وحدك ﴿الريب﴾ أى
الحفيظ القدير^١ ﴿عليهم^٢﴾ لا يغيب عليك شيء من أحوالهم، وقد ه
منعهم [أنت -^٣] أن يقولوا شيئا غير ما أمرتهم أنا به من عبادتك
بما نصبت لهم من الأدلة وأنزلت^٤ عليهم على لسانى من البينات
﴿وانت على كل شيء﴾ أى منهم ومن غيرهم حيوان وجماد ﴿شهد^٥﴾
أى مطلع غاية الاطلاع، لا يغيب عنك شيء منه سواء كان فى عالم
الغيب أو الشهادة، فإن^٦ كانوا قالوا ذلك فأنت تعلمه دونى، لأنى لما ١٠
بعدت عنهم فى المسافة انقطع على عن أحوالهم.

ولما كان هذا الذى^٦ سلف كله سؤالا وجوابا وإخبارا حمدا^٧
الله تعالى وثناء عليه بما [هو -^٨] أهله بالتنزيه له والاعتراف بحقه
والشهادة له بعلم الخفايا والقدرة والحكمة وغير ذلك من صفات الجلال
والجمال، وكان هذا السؤال يفهم إرادة التعذيب للسؤل عنهم مشيرا ١٥
إلى الشفاعة فيهم على وجه الحمد لله سبحانه وتعالى والثناء الجميل عليه^٩
لأن العذاب ولو للطيع عدل، والعفو عن المعاصى بأى ذنب كان فضل

(١) فى ظ: الريب (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: انت (٤) فى ظ: وه (٥) فى
ظ: قال ان - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: جد - كذا.

مطلقا، وغفران الشرك ليس ممتعا بالذات، قال: ﴿ان تعذبهم﴾ أى
القائلين بهذا القول ﴿فانهم عبادك﴾ أى فانت جدير بأن ترحمهم ولا اعتراض
عليك فى عذابهم لأن كل حكمك عدل ﴿وان تغفر لهم﴾ أى تمنح ذنوبهم
عينا وأثرا ﴿فانك انت﴾ أى خاصة أنت ﴿العزیز﴾ فلا أحد يعترض
عليك ، لا ينسبك إلى وهن ﴿الحكيم﴾ فلا تفعل شيئا إلا فى أعلى
درج الأحكام ، لا قدرة لاحد على تعقيه ولا الاعتراض على شيء منه .
ولما انقضى جوابه عليه الصلاة والسلام على هذا الوجه الجليل ،
تشوف السامع إلى جواب الله له ، فقال تعالى مشيرا إلى كون جوابه
حقا ومضمونه صدقا ، منها على مدحه حاثا على ما بنيت عليه السورة
١٠ من الوفاء بالعقود: ﴿قال الله﴾ أى الملك المحييط بالجلال والإكرام جوابا
لكلامه ﴿هذا﴾ أى بمجموع يوم القيامة ، ولما كان ظهور الجزاء النافع
هو المقصود قال: ﴿يوم﴾ هذا على قراءة الجماعة بالرفع ، وقراءة نافع
/ بالنصب غير منون أيضا لإضافته إلى متمكن بمعنى: هذا الذى ذكر
واقع؛ أو قال الله هذا الذى تقدم يوم ﴿ينفع الصديقين﴾ أى العريقين
١٥ فى هذا الوصف نفعا لا يضرهم معه شيء. ﴿صدقهم﴾ أى الذى كان لهم
فى الدنيا وصفا ثابتا ، فحدهم على الوفاء بما عاهدوا عليه ، فكأنه قيل: ينفعهم
بأى شيء؟ فقال: ﴿لهم جنت﴾ أى هى من رى الأرض الذى يستلزم
زكاة الشجر وطيب الثمر بحيث ﴿تجرى﴾ ولما كان تفرق المياه فى

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: لهذا (٣) فى ظ : حكمة (٤) فى
ظ : قرأ (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ .

الاراضى أبهج ، بعض فقال : (من تحتها الانهر) و لما كان مثل هذا لا يريج إلا إذا دام قال : (تخلدين فيها) و أكد معنى ذلك بقوله : (ابدأ) .

و لما كان ذلك لا يتم إلا برضى المالك قال : (رضى الله) أى الذى له صفات الكمال (عنهم) أى بجميع ما له من الصفات ، وهو كناية ه عن أنه أثنائهم بما يكون من الرضى ثوابا متنوعا بتنوع ما له من جميع صفات الكمال و الجمال ، و لما كان ذلك لا يكمل^٢ و يبسط و يحمل إلا برضاهم قال : (و رضوا عنه)^٣ يعنى أنه لم يدع لهم شهوة إلا أنالهم إياها ، و قال ابن الزبير بعد ما أسلفته عنه : فلما طلب تعالى المؤمنين بالوفاء فيما نقض به غيرهم ، و ذكّرهم ببعض ما وقع فيه النقض و ما أعقب ذلك فاعله ، ١٠ و أعلمهم بثمره التزام التسليم و الامثال ، أراهم جل و تعالى ثمرة الوفاء و عاقبته ، فقال تعالى ” و اذ قال الله يعيسى ابن مريم ءانت قلت للناس - إلى قوله - هذا يوم ينفع الصدّيقين “ - إلى آخرها . فيحصل من جملتها الأمر بالوفاء فيما تقدمها و حال من حاد و نقض ، و عاقبة من وفى ، و أنهم الصادقون ، و قد أمرنا أن نكون معهم ” يا أيها الذين امنوا اتقوا الله ١٥ و كونوا مع الصدّيقين “^٤ - انتهى .

و لما كان سبحانه قد أمرهم أول السورة بالوفاء شكرا على ما أحل لهم في دنياهم ، ثم أخبر أنه زاد الشاكرين منهم و رقام إلى أن أباحهم^٥ أجل

(١) من ظ ، و فى الأصل : الجلال (٢) فى ظ : لا يمهل (٣) سورة ٩ آية ١١٩ .
(٤) فى ظ : أباهم .

النفائس في أخراهم، ووصف سبحانه هذا الذي أباحه لهم الى أن بلغ في وصفه ما لا مزيد عليه، أخذ يغطهم به فقال: ﴿ذلك﴾ أي الأمر العالي لا غيره ﴿الفوز العظيم﴾.

و لما كان هذا الذي^١ أباحه لهم و أباحهم إياه لا يكون إلا بأسباب
 ٥ لا تسعها العقول، ولا تكنته^٢ بفرع^٣ و لا أصول، علل^٤ إعطاءه
 إياه و سهولته لديه بقوله مشيرا إلى أن كل ما ادعيت فيه الإلهية مما تقدم
 في هذه السورة و غيرها بعيد عن ذلك، لأنه ملكه و في ملكه و تحت
 قهره: ﴿الله﴾ أي الملك الذي لا تكنته^٥ عظمته و لا تضعف قدرته،
 لا لغيره ﴿ملك السموات﴾ بدأ بها لأنها^٦ أشرف و أكبر^٧، و آياتها
 ١٠ أدل و أكثر ﴿و الأرض﴾ [على اتساعها و عظمتها -^٨] و تباعد
 ما بينهما ﴿و ما فيهن^٩﴾ أي من جوهر و عرض.

و لما كان ذلك أنهى ما نعله^{١٠}، عمم بقوله: ﴿و هو على كل شيء﴾
 أي من ذلك و غيره من كل ما يريد ﴿قدير^{١١}﴾ فلذلك هو يحكم ما يريد
 لأنه هو الإله وحده، و هو قادر على إسعاد من شاء و إشقاء من شاء،
 ١٥ و إحلال ما شاء و تحريم ما شاء، و الحكم بما يريد و نفع الصادقين
 المؤمنين^{١٢} بالعقود الثابتين على العهود، لأن له ملك هذه العوالم و ما فيها
 مما ادعى فيه الإلهية من عيسى و غيره، و الكل بالنسبة إليه أموات،

(١) سقط من ظ (٢) أي لا يبلغ كنهها، و في ظ: لا تكبه - كذا (٣) من ظ،
 و في الأصل: فروع (٤) في ظ: عني - كذا (٥) في ظ: لا يشته (٦) في ظ: لأنه.
 (٧) في ظ: أكثر (٨) زيد من ظ (٩) في ظ: يعلم (١٠) في ظ: بالموتين - كذا

بل موات جديرون بأن يعبر عنهم بـ "ما" لا بـ "من"، فمن يستحق
 معه شيئاً ومن يملك معه ضراً أو نفعاً؛ وقد انطبق آخر السورة على
 أولها: كما ترى - [أى ٢ - انطباق، واتسقت جميع آياتها أخذاً
 بعضها بحجز بعض أى اتساق؛ فسبحان من أنزل هذا القرآن على أعظم
 البيان؛ مخجلاً لمن أباه من الأمم، معجزاً لأصحاب السيف؛ والقلم، هـ
 والله [سبحانه وتعالى - ٣] أعلم * .



(١) في ظ: اطبق (٢) تكرر في الأصل (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفي
 الأصل: السبت (٥) زيد في ظ: بالصواب .

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء السادس من تفسير
 « نظم الدرر في تناسب الآيات و السور » للشيخ العلامة برهان الدين
 أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله يوم الجمعة السابع والعشرين
 من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٣ هـ = ٢٩ / يونيو سنة ١٩٧٣ م
 تحت مراقبة الأديب الأريب و الحبيب اللبيب صاحب الفضيلة الدكتور
 محمد عبد المعيد خان مدير الدائرة و عميدها - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين !
 وقد غنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل
 محمد عمران الاعظمي العمري (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس)
 حفظه الله !

و اعتنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له
 ولوالديه !

و يليه الجزء السابع إن شاء الله تعالى أوله « سورة الانعام » .
 و في الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه !
 و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ،
 و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغني الحميد

السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

صدر المصحح بدائرة المعارف العثمانية